عبدالرحمن بن زيد السويداء

١٠٠٠

٢

سنة الغامضة من تاريخ نجد

المحتويات

١- ولاة اليمامة منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم حتى آخر العهد العباسي ٢٨٧هـ / ٦٢٩-٩٠٠م

أ- عمال الرسول صلى الله عليه وسلم:

١- ثمامة بن أثال الحنفي.

٢- سليط بن سليط من بني عامر بن لؤي.

٣- الضحاك بن سفيان بن عوف بن كعب بن كلاب. كان يجمع صدقات قومه ويردها على فقرائهم ويرسل منها شيئاً للرسول صلى الله عليه وسلم.

٤- عمرو بن محجوب العامري أمره الرسول (ص) بمقاتلة أهل الردة.

٥- مُرَّة بن هبيرة بن سلمة بن قشير كساه الرسول (ص) بُرداً وأمره أن يلي صدقات قومه.

٦- خُزيمة بن عاصم بن قطن بن عبد الله بن عبادة بن سعد العكلي ولاه الرسول (ص) على عكل لجمع صدقاتها.

٧- زياد بن عمر بن غنم بن قتيبة الباهلي ولاه الرسول (ص) عشيرته من باهلة لجمع صدقاتها.

٨-شهل بن منجاب التميمي كان الرسول (ص) قد جعله على صدقات تميم.

٩- صفوان بن صفوان بن أسَيد كان عاملاً للرسول (ص) على الضباب.

١٠- قيس بن عاصم المنقري التميمي ولاه الرسول (ص) على صدقات بني سعد بن تميم مع الزبرقان بن بدر التميمي.

ولاة اليمامة في عهد الخلفاء الراشدين:

أ- أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ ١١-١٣هـ/٦٣٢-٦٣٤م:

١- سمرة بن عمرو بن قرط العنبري التميمي.

٢- مطرف بن النعمان بن سلمة.

٣- سليط بن قيس.

ب- عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ ١٣-٢٣هـ/٦٣٤-٦٤٣م:

١- حذيفة بن محصن القلعاني أو الغلفاني ١٣-١٤هـ ٦٣٤-٦٣٥م.

٢- عثمان بن أبي العاص ١٥هـ ٦٣٦م مع البحرين.

٣- العلاء بن الحضرمي ١٦هـ ٦٣٧م مع البحرين.

٤- عثمان بن أبي العاص (ثانية) مع البحرين.

٥- أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسي. ٢٠-٢٢هـ ٦٤٠-٦٤٢م مع البحرين.

٦- عثمان بن أبي العاص (ثالثة) ٢٣هـ ٦٤٣م مع البحرين.

ج- عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ ٢٣-٣٥هـ/٦٤٣-٦٥٥م:

١- عثمان بن أبي العاص ٢٣-٢٩هـ/٦٤٣-٦٤٩م مع البحرين.

٢- من ٢٩-٣٥هـ /٦٤٣-٦٥٥م لعلها ضمت مع البحرين الي البصرة لعبد الله بن عامر بن كريز.

د- علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ ٣٥-٤٠هـ/٦٥٥م:

١- سَبْرة بن عمرو العنبري التميمي.

٢- قثم بن عباس بن عبد الملك بن عبد المطلب.

الولاة أثناء الحكم الأموي:

أ- معاوية بن أبي سفيان ٤١-٦٠هـ/١١٩١-٦٧٩م:

١- مروان بن الحكم ٤٢-٤٨هـ/١١٩٢-١١٩٨م كانت اليامة مع المدينة.

٢- سعيد بن العاص ٤٩-٥٣هـ/١١٩٩-٦٧٢م كانت اليامة مع المدينة.

٣- مروان بن الحكم (ثانية) ٥٤-٥٦هـ/٦٧٣-٦٧٥م كانت اليامة مع المدينة.

٤- الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ٥٧-٦٠هـ/٦٧٦-٦٧٩م كانت اليامة مع المدينة.

ب- يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ٦٠-٦٤هـ/٦٧٩-٦٨٣م:

١- عمر بن الأشدق بن العاص ٦٠-٦١هـ/٦٧٩-٦٨٠م مع المدينة.

٢- الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ٦١-٦٢هـ/٦٨٠-٦٨١م مع المدينة.

٣- عثمان بن محمد بن أبي سفيان ٦٣هـ/٦٨١م.

ومن عام ٦٣هـ/ ٦٧٢م حتى عام ٧٢هـ/٦٩١م بقيت اليمامه شبه منفصلة عن الخلافة الأموية لخروج عبد الله بن الزبير في مكة والعراق والنجدات في اليمامة وتشمل خلافة معاوية الثاني ومروان الأول وطرفا من خلافة عبد الملك بن مروان.

ج- عبد الملك بن مروان بن الحكم ٦٥-٨٦هـ/٦٨٤-٧٠٥م:

١- الحجاج بن يوسف الثقفي ٧٣-٧٥هـ/٦٩٢-٦٩٤م: بعد القضاء على ثورة عبد الله بن الزبير في الحجاز عام ٧٣هـ ٦٩٣م ولاه عبد الملك بن مروان البلاد وضم اليه اليمامة واليمن فأقام الحج تلك سنة ٧٣هـ وهو وال على الأقليم .

٢- يزيد بن أبي هبيرة المحاربي: كما ذكر خليفة بن الخياط أنه كان والياً على اليمامة، ولاه إياها إبانٌ بن عثمان والي عبد الملك بن مروان على المدينة وكان شريفاً ولي عدة ولايات وهو أبو داود بن يزيد بن هبيرة وهو غير يزيد بن هبيرة الفزاري الذي جاء في وقت لاحق.

٣- إبراهيم بن عبد الرحمن بن نافع بن عربي بن منكث الكناني ٧٦-٩٦هـ/٧١٤م قال عنه الشيخ (حمد الجاسر) ولقد عرف عبد الملك عن إبراهيم بن عربي وفاءه وولاءه لذلك البيت منذ عهد جدته التي أرضعت مروان ثم حمته أمه من الثوار في عهد عثمان بن عفان حيث أخفته في بيت القراطيس بعد أن طُعنَ ثم ما كان من إبراهيم في إسعاف الوليد وحمايته من القتل أثناء المصاولة مع عمر بن سعيد الأشدق عام ٦٨هـ ٦٨٧م فعرف فيه عبد الملك من الأخلاص ومن الكفاءة والمقدرة أثناء قيامه برئاسة ديوانه ما حمله على أن يوليه اليمامة (نجد) وأن يطلق يده في تلك الولاية رغم أنه مغموز النسب ولونه أسود، ويروي صاحب الأغاني: أن يحي بن أبي حفصة تزوج بنت زياد بن هودة بن شماس من بني أنف الناقة من تميم فاستعدى عماها عبد الملك بن مروان وقالا:

أينكح إبراهيم بن عربي وهو منك بنتنا وينكح هذا العبد هذه؟ فقال عبد الملك: بل العبد بن العبد والله إبراهيم بن عربي، وإن هذا لأشرف منه وإن لأبيه (يقصد أبا حفصة) من البلاء في الإسلام ما ليس لأبيها ولا لأبيكما وما أحب لي بيحي ألفاً منكما والله لو تزوج بنت قيس بن عاصم (سيد بني تميم) ما نزعتها منه، ومن زوجه فقد زوج ابني هذا وأشار الي أبنه سليمان، فخرجا وتخلف يحي بعدها فقال: يا أمير المؤمنين أهما أنضيا ركابهما وأخلقا ثيابهما، والتزما مؤنة في سفرهما فإن رأي أمير المؤمنين أن يعوضهما عوضاً؟ فقال: أبعدما قالا فيك؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين قال: بل أعطيك أنت ما سألت لهما وتعطيهما ما شئت فكساه ووصله وحمه وخرج يحي اليهما ففرق ذلك عليهما وزوج إبنه سليمان بنت أحدهما. وقالوا يحي تزوج أبنة إبراهيم بن النعمان بن بشير الأنصاري على عشرين ألفاً فعيّره الناس فقال:

ما تركت عشرون ألفاً لقائل ... مقالاً فلا تحفل مقالة لائم

فإن أكن قد زوجت مولى فقد مضت ... به سنة قبلي وحب الدراهم

ومروان بن يحي خطب من مقاتل بن طلبة بن قيس بن عاصم المنقري (سيد بن تميم) بنتيه وأختيه فأنعم له بذلك فبعث يحي الي إبنيه بالحفر (حفر الباطن) فزوجهن ثم حملوهن الي حجر فقال القلاخ بن حزن المنقري:

سلام على أوصال قيس بن عاصم ... وإن كن رمساً في التراب بواليا

أضيّعتم خيلاً عراباً فأصبحت ... كواسد لا ينكحن إلا المواليا

فلم أر أبراداً أجسر لخزية ... والأم مكسواً والأم كاسيا

من الجزء اللائي بحجر عليهم   بشرن فكن المخزيات البواليا

فقال يحي يرد عليه:

آلا قبّح الله القلاخ ونسوة   على البنر يعطسن الكلاب من النتن

نكحنا بنات القوم قيس بن عاصم   وعمداً رغبنا عن بنات بني حزن

أبا كان خيراً من أبيك أرومة   وأوسط في سعد وأرجح في الوزن

وقد أستمر التصاهر بعد ذلك بينهم وللمزيد من التفصيل فضلاً أنظر كتاب (أبن عربي للشيخ حمد الجاسر) وكان إبراهيم بن عربي قد تزوج خولة بنت مقاتل بن طلبة بن قيس بن عاصم المنقري التميمي ومهرها خرقاً فقال جرير:

رأيت مقاتل الطلبات حلى   فروج بناته كمر الموالي

لقد أنكحتم عبداً لعبد   من الصهب المشوهة السبال

فلا تفخر بقيس إن قيساً   خرئتم فوق أعظمه البوالي

(٢/٢٠٨)

وبعد ذلك أوفد إبراهيم بن عربي، مقاتل بن طلبة بن قيس أخا إمرأته الي عبد الملك بن مروان معه أشراف بني تميم وعامر بن صعصعه وكتب الي الحجاب أن يحسنوا إذنه وقدموه فأذن له في أول الغد فلما دخل على عبد الملك أذن له وأكرمه فقال:

وفضلني عند الخليفة أنني   عشية وافت عامر وتميم

وجدت أبي عند الإمام مقدماً   لكل أناس حادث وقديم

فقال رجل من بني عبشمس بن سعد بن مناة بن تميم:

لولا حرٌ قدمته لأبن منكث   مقلم ناب الأسكتين أزوم

لما كنت عند الباب أول داخل   عشية وافت عامر وتميم

كما تزوج إبراهيم بن عربي أبنة عبد الرحمن بن سهيل بن عبد الرحمن بن عوف،وكان أبن عربي يسمى الملك الأسود قال فيه مالك المذموم.

فمتى تلتقي يد الملك الأسود   تستيقني بألا تضامي

وقال البعيث الشاعر في هجاء أبن عربي

ترى منبر العبد اللئيم إذا بدا   ثلاثة غربان عليه وقوع

(يقصد كفيه ووجهه وهي سوداء على بياض ثيابه) وكان إبراهيم كلما ذكر هذا البيت قال: قاتل الله البعيث.(٢/١٢٧)

د- الوليد (الأول) بن عبد الملك ٨٦- ٩٦هـ ٧٠٥- ٧١٤م.

١- إبراهيم بن عربي من ٨٦- ٩٦هـ ٧٠٥- ٧١٤م.

هـ- سليمان بن عبد الملك بن مروان من ٩٦- ٩٩هـ ٧١٤- ٧١٧م.

١- يزيد بن هبيرة.

٢- سفيان بن عمرو العقيلي من ٩٦- ٩٩هـ ٧١٤- ٧١٧م.

فقد ولاه الخليفة سليمان بن عبد الملك بعد أن حقد على إبراهيم بن عربي وفي ولاية أبن هبيرة خرج مسعود بن أبي زينب فغلب على البحرين واليمامة فقتله سفيان بن عمرو العقيلي ويفهم من هذا أنه تولى مرتين أحداهما عندما ولاه سليمان بن عبد الملك ثم عزله وعين نوح بن هبيرة والمرة الأخيرة عندما ولاه عمر بن هبيرة اليمامة للقضاء على الثورة.

٣- نوح بن هبيرة الفزاري.

و- عمر بن عبد العزيز ٩٩- ١٠١هـ ٧١٧- ٧١٩م.

١- نوح بن هبيرة الفزاري.

٢- زرارة بن عبد الرحمن، ولعله زرارة بن مصعب بن عبد الرحمن.

٣- عمرو بن عبد الله بن طلحة الأنصاري إستعمله على عمان وذكر أبو زرعة أنه عامل عمر بن عبد العزيز على اليمامة.

ز- يزيد (الثاني) بن عبد الملك بن مروان ١٠١- ١٠٥هـ ٧١٩- ٧٢٣م.

١-إبراهيم بن عربي مع البحرين.

٢- سفيان بن عمرو العقيلي.

ح- هشام بن عبد الملك بن مروان ١٠٥- ١٢٥هـ.

١- إبراهيم بن عربي..

٢- المهاجرين عبد الله الكلابي ١٠٥- ١٢٠هـ قال خليفة بن الخياط ولاها (أي اليمامة) هشام بن عبد الملك المهاجرين عبد الله من بني أبي بكر بن كلاب، لقد سار المهاجر على طريقة من سبقه من الولاة في استخدام العرفاء الذين كانوا يسومون الرعية سوء العذاب وخاصة أبناء البادية عند جباية الزكوات ويبدو من صلاته بالشعراء في عصره أنه كان على جانب من الرزانة والحكمة في تدبير شئوهم ولهذا كان لا يستثير عداوهم ولا يجاههم بما يكرهون وله بيتان من الشعر يدلان على حسن طريقته في تعامله مع الناس هما

وإني لأقصي المرء من غير بغضة ... وأدني أخا البغضاء مني على عمد

ليحدث وداً بعد بغضاء أو أرى ... له مصرعاً يردي به الله من يردي

ولا شك أن أعتناءه بتعليم أبنائه حتى كان من بينهم من تولى القضاء يدل على اهتمام بالعلم ومعرفة بقدره وهذا لا يحدث غالباً إلا لمن أدرك نصيباً منه، فمات المهاجر فولاها إبنه على حتى قتل الوليد، ولعل أعدل الأقوال هو أن المهاجر كان على اليمامة في عهد هشام بن عبد الملك وفي صدر عهد الوليد بن يزيد وقبل قتله ولى علياً وقتل الوليد وهو الي اليمامة (٢/٢١٥).

وفي عهد المهاجر حدثت مخاصمة بين حمزة بن بيض الحنفي وأبي الحويرث السحيمي أو أبو الجون السحيمي في بئر تقع في منازل بني حنيفة من إقليم اليمامة وتطور الأمر بينهما حتى عرضاه على المهاجر بن عبد الله الكلابي والي اليمامة فقال حمزة أربعة أبيات يستدر بها عون المهاجر على خصمه وهي:

غمضت عن حاجة كانت تؤرقني ... لولا الذي قلت فيها قل تغميضي

حلفت بالله لي أن سوف تنصفني ... فساغ في الحلق ريقي بعد تجريضي

سل هؤلاء الي ماذا شهادتهم ... أم كيف أنت وأصحاب المعاريض؟

وسل سحيما إذا وافاك جمعهم ... هل كان بالبئر حوض قبل تحويضي

غير أن الشهود شهدوا لأبي الحويرث على حمزة فحكم له بالبئر فقال السحيمي غامزاً مفتخراً بقوله:

أنت ابن بيض لعمري لست أنكره ... حقاً يقيناً، ولكن من أبو بيض؟!

إن كنت أنبضت لي قوساً لترميني ... فقد رميتك رمياً غير تنبيض

أو كنت خضخضت لي وطباً لتسقيني ... فقد سقيتك وطباً غير ممخوض

إن المهاجر عـدل في حكومته ... والعدل يعدل عندي كل عِرّيض

(٦٩.٢٢٣ /٩٧)

٣- على بن المهاجر الكلابي (من قبل والي العراق يوسف بن عمر الثقفي من ١٢٠- ١٢٥هـ ٧٣٧- ٧٤٢م.

ط- الوليد (الثاني) بن يزيد ١٢٥- ١٢٦هـ ٧٤٢- ٧٤٣م.

١- علي بن المهاجر بن عبد الله الكلابي تولى من قبل والي العراق يوسف بن عمر الثقفي وفي عهده ثار أهل اليمامة بعد قتل الوليد بن يزيد كما ذكر ابن الأثير إذ قال: لما قتل الوليد بن يزيد كان على اليمامة على بن المهاجر أستعمله عليها يوسف بن عمر الثقفي فقال له المهير بن سُلْمى بن هلال أحد بني الدول بن حنيفة: أترك لنا بلادنا فأبي فجمع له المهير وسار اليه وهو بقصره بقاع حجر فالتقوا بالقاع فانهزم على حتى دخل قصره ثم هرب الي المدينة وقتل المهير ناساً من أصحابه وكان يحي بن أبي حفصة نهى أبن المهاجر عن القتال فعصاه فقال يحي:

بذلت نصيحتي لبني كلاب ... فلم تقبل مشوراتي ونصحي

فدى لبنى حنيفة من سواهم ... فإنهم فوارس كل فتح

وقال شقيق بن عمرو السدوسي:

إذا أنت سالمت المهير ورهطه ... أمنت من الأعداء والخوف والذعر

فتى راح يوم القاع روحة ماجد ... أراد بها حسن السماع مع الأجر

٢- المثني بين يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري، عينه أبوه عمر من عام ٢٤١- ٢٦٠هـ ٧٤٦- ٧٤٩م، والمثني من فزارة وهي من قيس عيلان ولهذا مال مع سكان الأفلاج فتعصب المثني لبني عامر فضرب عدة رجل من بني حنيفة وحلق شعر رؤوسهم فقال بعضهم:

فإن تضربونا بالسياط فإننا ... ضربنا كم بالمرهفات الصوارم

وإن تحلقوا منا الرؤوس فإننا ... قطعنا رؤوساً منكم بالغلاصم

ثم إن المثنى جعل الي قاضيه طلحة بن إياس العدوي فلم يقبل شهادة عامري فهدأت البلاد وسكنت، وبعد أن قتل أبوه يزيد عام ٢٦٠هـ أمتنع المثني باليمامة فبعث اليه زياد بن عبد المدان بالعساكر من المدينة مع إبراهيم بن حيان السُّلمي فقتله وقتل أصحابه سنة ١٣٣هـ وزياد بن عبد الله بن عبد المدان ولاه السفاح مكة والمدينة والطائف واليمامة(١١٤/ ٢).

الولاة في العصر العباسي:

أ- عبد الله السفاح ٢٦٠- ١٣٦هـ ٧٥٠- ٧٥٣م.

١- داود بن علي بن عبد الله بن عباس مع الحجاز واليمن ٢٦٠هـ ٧٥٠م.

٢- زياد بن عبد الله بن عبد المدان الحارثي ١٣٣- ١٣٦هـ ٧٥٠- ٧٥٣م مع الحجاز.

ب- أبو جعفر المنصور ١٣٦- ١٥٨هـ ٧٥٣- ٧٧٤م.

١- زياد بن عبد الله بن عبد المدان الحارثي ١٣٦- ١٤١هـ ٧٥٣- ٧٥٨م مع الحجاز.

٥- إسحاق بن إبراهيم بن مصعب ٢١٥هـ ٨٣٠م.

ح- المعتصم محمد بن هارون الرشيد ٢١٨- ٢٢٧هـ ٨٣٣- ٨٤١م.

١- إسحاق بن إبراهيم بن مصعب مع السواد وكور دجلة.

ط- الواثق هارون بن محمد المعتصم ٢٢٧ - ٢٣٢هـ ٨٤١- ٨٤٦م.

١- أحمد بن سعيد بن سلم الباهلي مع البحرين وطريق مكة.

٢- إسحاق بن إبراهيم بن أبي خميصة مع البحرين وطريق مكة.

ي- المتوكل جعفر بن محمد بن هارون ٢٣٢- ٢٤٧هـ ٨٤٦- ٨٦١م.

١- إسحاق بن إبراهيم بن أبي خميصة مع البحرين وطريق مكة وفي عام ٢٣٥هـ كانت ولاية اليمامة مع قطاع كبير من الدولة مما ضمه المتوكل الي أبنه المنتصر فجعل عليها عام ٢٣٦هـ ٨٥٠م محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن مصعب مع البحرين وطريق مكة.

ك- المنتصر بن محمد بن جعفر بن المتوكل ٢٤٧- ٢٤٨هـ ٨٦١- ٨٦٢م.

١- محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن مصعب.

ل- المستعين أحمد بن محمد بن المعتصم ٢٤٨- ٢٥٢- ٨٦٢- ٨١١٩م.

١-محمد بن عبد الله بن طاهر مع العراق والحرمين واليمامة ولم تخرج عنهما.

م- المعتز محمد بن جعفر بن المتوكل ٢٥٢- ٢٥٥هـ ٨١١٩- ٨٦٨م.

١- محمد بن أبي عون مع البصرة والبحرين.

٢- سعيد بن صالح (الحاجب) مع البصرة وكور دجلة والبحرين.

س- المهتدي محمد بن الواثق ٢٥٥- ٢٥٦هـ ٨٦٨- ٨٦٩م.

١- سعيد بن صالح مع البصرة وكور دجلة البحرين.

ع- المعتمد أحمد بن أبي جعفر ٢٥٦- ٢٧٩هـ ٨٦٩-٨٩٢م.

١- يا رجوح أو يارجوخ مع البصرة وكور دجلة والبحرين.

٢- الحارث بن سيما ٢٥٨- ٢٦٠هـ ٨٧١- ٨٧٣م مع البصرة وفارس والأهواز والبحرين.

٣- موسى بن بُغا ٢٦٠هـ ٨٧٤م مع الأهواز والبصرة وفارس الأهواز ويقال أنه ولاها عبد الرحمن بن مفلح.

٤- مسرور البلخي ٢٦١هـ ٨٧٤م مع الأهواز والبصرة والبحرين وبقي مسرور في خدمة أبي أحمد الموفق أخي الخليفة المعتمد وفي عام ٢٧٠هـ ٨٨٣م فصلت عنه البصرة وكور دجلة وبقيت له ولاية اليمامة والبحرين وفارس حتى توفي عام ٢٨٠هـ ٨٩٣م.

ف- المعتضد ٢٧٩- ٢٨٩هـ ٨٩٢- ٩٠١م.

١- مسرور البلخي مع البحرين وفارس.

٢- أحمد بن محمد بن يحي الواثقي حتى عام ٢٨٦هـ ٨٩٩م مع البصرة وكور دجلة والبحرين واليمامة ثم تفصل عنهما.

٣- عباس بن عمر الغنوي ٢٨٧هـ ٩٠٠م مع البحرين ومحاربة القرامطة في البحرين (١١٤- ١١٨/ ٢٦٠).

ويبدو أن الولاة في العصر العباسي وخاصة في آخره كانت الولاية شكلية لم يباشر الولاة أعمالهم في هذا الأقاليم وإنما ينيبون عنهم من يتولى إدارتها

ويقبضون مخصصاتهم وجزء من ريعها الذي يرد الي بيت المال مما يرسله نوابهم في تلك الأقاليم وهو نوع من المنفعة التي يبرهم بها الخليفة، تؤخذ الأموال من فقراء الناس بالطريقة التي مرَّ ذكرها ويأخذ الولاة ونوابهم ما يأخذون والباقي يصل الي بيت مال الخلافة حيث يصرف على الترف والملذات من الخليفة وحاشيته ومن له حظوة عنده.

٢-سمات حكم إبراهيم بن عربي:

مكث إبراهيم بن عربي والياً لليمامة (نجد) في عهد عبد الملك بن مروان وعهد أبنه الوليد قرابة ربع قرن من الزمن من سنة ٧٣- ٩٦هـ ٦٩٢-٧١٤م فوطد دعائم الحكم الأموي وأخذ الناس بالعسف والشدة حيث أصبحت تلك الخلافة ملكاً عضوضاً يتصف بالعنف والقوة وأختلف في غايته ونظرته الي الناس عن (الخلافة) فكانت غايته السيطرة والقهر وكانت أولى رزايا هذا الحكم أن أسندت شئونه في هذه البلاد الي رجل من غير أهلها وبزوال أواصر القربى وروابط الصلة تزول أسباب الرأفة وتشتد القسوة بإستحكام سوء الظن القائم على الجهل وما كان اختيار إبراهيم بن عربي على أساس كفاءة أظهرها في عمل سابق، أو ممارسة عمل مماثل، بل كان قائماً على مجرد مكافأته ومنفعته لما قدمه لسادته من أعمال ولما أظهره في خدمته لهم من وفاء وقد حكمها بالأساليب التي كان يحكم بها الحجاج ولايته الواسعة ومن سمات الحكم أنه كان يأخذ البرئ بجريرة غيره كأن يحدث أحد أفراد قبيلة ما حدثا فيوقع

العقاب على القبيلة كلها ويأخذ المحسن منها بذنب المسئ سيراً على ما كان عليه أهل الجاهلية قبل الإسلام.

وكانت الولاة في ذلك العهد تأخذ القبائل بجرائر العصاة منهم وتغرمهم أعطياتهم ومنهم أبن عربي كما أشار الي ذلك الفرزدق الذي كان يعيش قومه حول كاظمه (الكويت الحالية) بقوله:

وإنا أهل بادية ولسنا ... بأهل دراهم حضروا القرارا

أزكى عند إبراهيم مالي ... وأغرم من عصاة بني نوارا

فقد كانوا يتخذون من الأمور المشروعة وسائل للعسف والإستبداد ومن ذلك جباية الزكوات من أبناء البادية فقد كان يحدث من السُعاة الذين يبعثهم أبن عربي لجمعها من القبائل من الحيف والقسوة والظلم ما عبر عنه كثير من الشعراء في ذلك العصر مثل الشاعر النميري وعمرو بن أحمر والعجاج وقد سبقت الإشارة الي قصائدهم وإيراد بعض أبياتها في موضع آخر (فقرة ولاة اليمامة) ومن أبرز مظاهر القسوة أنه أنشأ في مدينة حجر سجناً عرف بأسم دوَّار سجل الشعر العربي في ذلك العصر الكثير مما كان يلاقيه المسجون فيه من قسوة وعنف وسوء المعاملة من أنه يكبل بسلاسل من حديد ثقيلة فتظاهر عليه الكبول ويصفد مغلولاً مع غيره ويطرح أرضاً لا يستطيع الحراك ولا يرحم إن شكى مرضاً أو ألماً وهذا السجن الذي يعد من أوائل ما أنشئ منها في هذه البلاد ولعله أول سجن عرف بها، ومن الجدير بالذكر أن السجون التي وجدت في تلك الحقبة من الدولة الإسلامية هي سجن "دوَّار" باليمامة وسجن حجر

اليمامة وكلاهما أوجدهما أبن عربي وسجن نجران وسجن الديماس بواسط وقد أوجده الحجاج بن يوسف وسجن المُخَيِّس أوجده علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) وسجن البيضاء بالبصرة.

وممن أشار الي سجن دوار من الشعراء جحدر بن مالك الحنفي حين أمسكوه في قمة جبل عُلَيَّة من قمم جبل طويق بين وادي نساح ووادي الحريق وأودعه في سجن دوار قال:

يا رب داور أنقذ أهله عجلاً ... وأنقض مرائره من بعد إبرام

رب إرمه بخراب وارم بانيه ... بصولة من أبي شبلين ضرغام

ثم قال:

فصرت في السجن والحراس تحرسني ... بعد التلصص في بر وأحصار

في جوف ذي شرفات سد مخرجه ... بباب ساج أمين القفل صرار

الدهر أرسف في كبل أعالجه ... وحلقة قاربوا فيها بمسمار

أدور فيه نهاري ثم منقلبي ... بالليل أدهم مزرور بأزرار

كأنه بين أستارين قد هما ... سراة أورق مطلي من القار

وقال أيضاً:

لو يتبع الحق فيما قد منيت به ... أو يتبع العدل ما عمرت دوارا

إذا تحرك باب السجن قام لـه ... قوم يمدون أعناقا وأبصارا

وقال من قصيدة:

كانت منازلنا التي كنا بها ... شتى فألف بيننا دوار

الألف سنة الغامضة من تاريخ نجد

سجن يلاقي أهله من خوفه ... أزلاً ويمنع منهم الزوار

يغشون مقطرة كأن عمودها ... عنق يعرق لحمه الجزار

وقال السمهري العكلي:

لقد جمع الحداد بين عصابة ... تساءل في الأصفاد: ماذا ذنوبها

بمنزلة أما اللئم فشامت ... بها وكرام القوم باد شحوبها

إذا حرسي قعقع الباب أرعدت ... فرائص أقوام وطارت قلوبها

وقال الشمردل بن شريك البحلي:

فإن تمس في سجن شديد وثاقه ... فكم فيه من حي كريم المكاسر

بريئ من الآفات يسمو الي العلا ... نمته أرومات الفروع النوافر

وقال عطارد بن قران الحنظلي التميمي:

ليست كليلة (دوار) يؤرقني ... فيها تأوُّه عان من بني السيد

ونحن في عصبة غصَّ الحديد بهم ... من مشتك كبله فيهم ومصفود

كأنما أهل حجر ينظرون متى ... يرونني خارجاً طير الأناديد

وقال المرار بن سعيد الفقعسي الأسدي:

فيا واليَيْ سجن اليمامة أطلقا ... أسير كما ينظر الي البرق ما يغري

فإن تفعلا أحمد كما ولقد أري ... بأنكما لا ينبغي لكما شكري

ولو فارقت رجلي القيود وجدتني ... رفيقاً بنص العيس في البلد القفر

وقال كلاب بن حرّي العجلي:

ولي حيٌّ صدق حال بيني وبينهم ... جلاوذة يدعون ذا العذر مـذنبا

إذا حُرِّكَ المفتاح طارت عقولهم ... رجاءً وخوفاً أن يجر ويسحبا

كفى حزنا ألا أزال أرى فتى ... يُجُر كبولاً أو كريماً مكتبـا

وقال أعرابي:

أقول لبوابيَّ والسجن مغلـق ... وقد لاح برق مالذي تريـان

فقالا نرى برقاً يلوح وما الذي ... يشوقك من برق تراه يمـاني

فقلت أفتحالي نظرة الباب ساعة ... لعلي أرى البرق الذي تريان

فقالا أُمِرْنا بالوثاق فمـا لنـا ... بمعصية السلطان فيك يـدان

فلا تحسبا سجن اليمامة دائماً ... كما لم يدم عبس لناب (أبان)

وقال جعفر بن علبة الحارث:

إذا باب دوران ترنم في الدجى ... وشد بإغلاق علينا وأقفـال

وأظلم ليل قام علج بجلجـل ... يدور به حتى الصباح بألوان

وقال جرير:

له عصتني كليب اللؤم قلت لهـا ... ذوقي الحديد!! وشمّي ريح (دوار)

وقال عبادة بن البراء الجعدي في سجن لعله دوار:

لقد ضم سجن الهاشمي عصابة ... تراها جميعاً وهي شتى شـعوبها

إذا حرك البواب أقفال سجنه ... رأيت رجالاً وهي تترو قلوبـها

فمن يدع منهم باسمه وهو مجرم ... تكن روعة لابد وهـو مجيبـها

ذكرتك والحداد يقفل قيـده ... على الساق من عوجاء عار كعوبها

ترى الثوب منها قالصاً وهو سابغ ... سريع الى الداعي المضـاف وثوبـها

وقد حدث أنَّ بني عبس وقع بينهم وبين بني زبيد بن ضباب بن سليط بن يربوع من تميم خلاف في ماء (خُف) بحذاء عيون بـن عـامر أدى ذلـك الخلاف الى قتل رجل زبيدي يدعى عنقوش فهرب العبسيون الى الشام حـتى أخذوا من الوليد بن عبد الملك (٨٦- ٩٦هـ) (وكانوا أخوالـه) كتابـاً الى إبراهيم بن عربي عامله على اليمامة يجبر بني زبيد على أخذ الدية، فلما قـدموا على إبراهيم سجن من الزبيديين ثلاثة عشر رجلاً في (دوار) سجن اليمامة فأبوا على قبول الدية فخرج أحد الزبيديين ويدعي أبا خنساء فوجد رفقة لبني عبسى يسوقون إبل الدية فعرف ميسمهم على أقفاء الإبل ووجد بينهم رجلاً ظنه قاتل عنقوش الزبيدي فقتله، عند ذلك قال الفرزدق:

كلوا ما جمعتم من ديات فإنهم ... بنو محصنات لم تدنس ثيابهـا

وأن زبيداً لا تـزال رماحهـا ... صوار أو مستورد الموت غابها

وقال غسان السليطي التميمي:

فدى لأبي الخنساء رحلي وناقتي ... إذا ذكرت أخباره بالمواسـم

سقيت الغلام الحذيمي صفيحة ... بمقتل عنقوش غداة الصرائم

ثم ارتحل الزبيديون من البادية فلحقوا بالجزيرة الفراتية من جزيرة ذلـك وأصبح ذكر أمير اليمامة وسجنه يفزع الخائف وظل سـجن اليمامـة (دوار)

مشهوراً حتى عهد الخليفة العباسي المعتز ٢٥٢- ٢٥٥هـ ٨١١٩- ٨٦٨م الذي سجن فيه أحد قواده (١٦٣/ ٢).

في سنة ٢٣٥هـ ٨٤٩م عقد المتوكل لبنيه الثلاثة تقسيم الخلافة العباسية وهم المنتصر والمعتز والمؤيد وكانت اليمامة من نصيب المنتصر. وتوضح كثرة المنابر وانتشارها مما يدل على مدى العناية بالضبط الإداري داخل الولاية، سواء من قبل الخلافة الإسلامية نفسها أو من قبل والي اليمامة، خاصة إذا علمنا أنه يوجد في كثير من المراكز في هذه المنابر أمير يكون حوله رجال يوكل اليهم دور المراقبة وحفظ الأمن ويرتبطون إداريا بوالي اليمامة وربط الخلفاء ولاية اليمامة بمراكز الخلافة الإسلامية سواء في دمشق وذلك بواسطة البريد في الولاية يكتبون الي الخليفة أبي جعفر المنصور بأخبار الولاية والوالي.(وكان مفهوم المنابر عند بعض المؤرخين أنها لإقامة صلاة الجمعة، وكنت متحفظاً على ذلك ورأيت حينها أن المنابر لم تكن لصلاة الجمعة فقط فقد يدعى عليها للخليفة أو يحدث فيها بعض التجمعات والمهرجانات وما شابه ذلك واتضح الآن أنها مراكز تجمع للمحافظة على الأمن والنظام كما سبق) وتدعم الدولة سلطة الوالي فتزوده بالحرس الخاص بالمحافظة على أمن ونظام الولاية وإدارتها، فقد جعل الأمويون في خدمة والي اليمامة حرساً أو قوة مصغرة من جند الشام فكانت ملازمة للوالي وتتلقى أوامره، فقد جاء الي والي اليمامة قوة من الجند البخارية الذين يجيدون الرمي بالنشاب لتخويف وتأديب المتمردين بالبادية، وفي العصر العباسي كان يصاحب الوالي ثلة من الحرس حين ذهابه الي تولي مهام ولايته وتمده الخلافة

بقوة عسكرية لقمع حركات التمرد التي تقوم في ولايته، وللوالي حق تولية الأمراء والعمال في المكان الذي يتطلب وجودهم كأمراء المنابر وغيرهم ممن له حق اختيارهم، ومن مهام الوالي تعيين عمال الصدقة وهم الذين يكلفون بوقت محدد بجباية الزكاة من أصحاب الماشية والأموال، وقد يتم تعيين جابي الزكاة من الخليفة نفسه، كما يعين والي اليمامة القائم بأعمال الصوافي والضياع (وهي أموال وأملاك وأراضي جلا عنها أهلها أو قتلوا في الحرب أو ماتوا ولا وارث لهم) كما يعين عمال الطرق والمياه ومراقبة المسالك المنوطة به والتي تجتازها طرق الحج التي تسند الي والي اليمامة والمنابر المرتبطة بوالي اليمامة هي:

١-	منبر بعقرباء	لقوم من ربيعة يقال لهم بنو عامر
٢-	منبر بحجر	مدينة اليمامة
٣-	منبر بالخضرمة	لقوم من ربيعة
٤-	منبر بالخرج	لبني قيس بن ثعلبة
٥-	منبر بالمجازة	لبني هزان من ربيعة
٦-	منبر بالفقي	لبني ضبه
٧-	منبر السدوس	لبني سدوس
٨-	منبر بأشي	لبني عدي
٩-	منبر بمرأت (مرات)	لبني كعب
١٠-	منبر بقراقر	لبني نمير
١١-	منبرين بملهم وقرن	لبني نمير

١٢- منبر بأضاخ لبني نمير

١٣- منبر بحظيان لبني نمير

١٤- منبر بالمعدن (معدن الأحسن) لبني كلاب

١٥- منبر بالحصن (حصن باهلة) لبني باهلة

١٦- منبر الرباب لبني قشير

١٧- منبر بحائل (غير حائل الشمال) لبني قشير

١٨- منبر بخزبة لبني عقيل

١٩- منبر بالصدارة (الستارة) لبني جعدة

٢٠- منبر بحراضة بالأفلاج لبني جعدة

٢١- منبر بالغيل لبني جعدة

٢٢- منبر بالأكمة لبني جعدة

٢٣- منبر بالعقيق لبني عقيل

٢٤- منبر بصداء بالإفلاج لبني قشير

٢٥- منبر بحرام بالإفلاج لبني قشير

٢٦- منبر بالفلج الأفلاج لبني قشير وجعدة

٢٧- منبر بالحفر (حفر الباطن) وساكنه بنو العنبر من تميم

وهو من أعمال اليمامة، والأصفهاني يقول: أنه يدعى على بعضها لصاحب اليمامة وبعين ولاتها من قبله وبشير ياقوت عن بعض المواقع بأن فيها

منبراً من منابر اليمامة، وفيها أمير ومنبر وهي من أكبر منابر اليمامة (١٣٣/ ٢٦٠).

ومن الجدير بالذكر عند الإشارة الي عمال الصوافي والضياع والتي قد تمثل في الوقت الحاضر وزارة الأوقاف في جانب منها في ذلك المسمى وقد ورد ذكر أموال وأملاك من جلا عنها أهلها، والجلاء أو التروح إما أن يكون لإضطهاد وقع من الوالي أو من عماله وقد يكون بجريرة قتل كما جلى الزبيديون من تميم ولحقوا بالجزيرة الفراتية بعد ما وقع بينهم وبين العبسيين وهذا يدل على التروح المستمر من نجد الي الأقطار العربية الأخرى لأسباب متعددة كما حدث لاحقاً في عهد الأخيضريين وعهد القرامطة ومن جاء بعدهم الي عهد قريب وهذه الأسباب المؤدية للتروح والجلاء قائمة في هذا التنظيم الإداري الذي قام به الوالي من توزيع العمل وتعيين المسئوليات على الأمراء والولاة والعمال والجباة وغير ذلك من الأمور الإدارية التي يتطلبها العمل ومن أمراء النواحي:

١-(مُقَوِّمُ الناقة) وهو لقب له طغى على أسمه وذلك لقوله في خطبته: أيها الناس إياكم والجرأة على الله تعالي، فإن الله أهلك أمة من الأمم بسبب ناقة تساوي ٣٠٠درهم.

٢-أبو الربيع العامري وأسمه عبد الله وهو الذي أقام حكم القصاص على كلب فقال فيه الشاعر:

شهدت بأن الله حقا لقاءه وأن الربيع العامري رفيع

أقاد لنا كلباً بكلب ولم يدع   دماء كلاب المسلمين تضيع

٣-عقبة بن شريح الحرشي، تولى أمارة العقيق عقيق بني عقيل (وادي الدواسر) في ولاية المهاجر بن عبد الله على اليمامة أي قبل عام (١٢٥هـ ٧٤٢م).

٤-أبو لطيفة بن مسلم العقيلي تولى أمارة العقيق في خلافة يزيد بن الوليد عام ١٢٦هـ ٧٤٣م.

٥-أبو مهدي الباهلي، ويعرف بأبي المهدية الأعرابي وتولى جانباً من اليمامة ولم تعين جهة ولايته ولا زمانها وربما كانت ناحية سواد باهلة من اليمامة وأنها في العصر الأموي.

٦-إبراهيم بن عاصم العقيلي أمير العقيق في نهاية العصر الأموي وبداية العصر العباسي (١٣٦/ ٢٦٠).

وممن تولى جباية الزكاة في بعض قبائل اليمامة.

١- الضحاك بن سفيان بن عوف الكلابي   كان على صدقات بني كلاب.

٢- قرة بن هبيرة بن قشير   كان على صدقات بني قشير.

٣- خريمة بن عاصم العكلي   كان على صدقات بني عكل.

٤- قيس بن عاصم المنقري التميمي   كان على صدقات بني تميم.

٥- الزبرقان بن بدر التميمي   كان على صدقات بني تميم.

٦- مروان بن سليمان بن يحي بن أبي حفصة كان على صدقات اليمامة لمروان بن الحكم يندبه من المدينة.

٧- عمر بن عبد الرحمن بن عوف وجعدة والحريش كانا على صدقات بني كعب وقشير.

٨- نوفل بن مساحق   كان على صدقات بني كعب وقشير.

٩- عكرمة بن عبد الرحمن المخزومي كان على صدقات سعد والرباب.

١٠- لقمان الخزاعي كان على صدقات الرباب.

١١- سعد بن مسعود المازني كان على صدقات بكر.

١٢- همام بن مطرف العقيلي كان على صدقات بني عامر.

١٣- سعيد بن عمرو الزبيري كان على صدقات بني كلاب.

أما قضاة اليمامة في تلك الحقبة فقد عرف منهم أربعة.

١- سلامة بن وقش الأنصاري في خلافة عمر بن الخطاب (١٣٩/ ٢٦٠).

٢- أيوب بن عتبة من بني قيس بن ثعلبة ويكنى أبا يحي.

٣- أيوب بن النجار الحنفي ويكنى بأبي إسماعيل.

٤- همام بن مطرف العقيلي في العصر الأموي (١٣٧/ ٢٦٠).

وجاء في مصدر آخر أسماء أكثر من ٢٥٠ قاضياً ومحدثاً من اليمامة أسماؤهم في موضع آخر.

٣-موارد بيت المال:

يظهر أن التنظيم الإداري في الدولة الإسلامية جعل في كل ولاية من الولايات بيتاً خاصاً للمال ومن ثم تفرغ هذه البيوت فائضها في بيت المال المركزي في مقر الخلافة الإسلامية بعد سداد حاجتها، وكان في اليمامة بيت

للمال ويدعى من يتولى بيت المال باسم (صاحب بيت المـال) ومـن حقـه الإشراف والرقابة المالية على أعمال الوالي وتتمثل الواردات المالية فيما يلي:

١- زكاة المزروعات واليمامة كلها أرض عشر (وهي ما يسقى مـن السيح والمطر) وأعشار هذه المزروعات تمثل جزءاً من الدخل.

٢- زكاة نصف العشر على المزروعة مما سقي بمؤنة (بالدلو والساقية).

٣- وقد عرفت اليمامة بكثرة وجودة ثروتها الحيوانية لجودة مراعيها ووفـرة مواردها التي كانت إحداها تسقى عشرة آلاف بعير ولكثرة النعم فيها جعـل مسئول خاص بها، وعين ولاة اليمامة المسئولين عن مواردها للنظر في خصومة الرعاة على المال وزكاة بهيمة الأنعام تعتبر من أهم الموارد التي تغـذي بيـت المال.

٤- ومن واردات بيت المال باليمامة زكاة الذهب والفضة وقد عرفت اليمامة بمعادنها الإنتاجية والزكاة ما يؤخذ منها بعد السبك والتصفية من أصحابها ولم تكن ملكاً للولاية.

٥- ومن الواردات حاصلات الصوافي (وهي الأملاك والأراضي التي جلا عنها أصحابها أو قتلوا في الحرب أو ماتوا ولا وارث لهم) وخصص لها في اليمامـة أناس قائمون عليها وكان نصيب بيت المال منها كبيراً، وقد لقيت الصـوافي عناية من الخلفاء حيث أنها مصدر دخل لبيت المال، والحفاظ عليها حفـاظ على الثروة التي تنفق في صالح الإسلام والمسلمين (وعلى بذخ الخلفاء الأمويين والعباسيين وما ينفقون على ملذاتهم)، وقد ذكر أن خراج ما ستصفاه عمر بن

الخطاب رضي الله عنه منها أربعة آلاف ألف (أربعة ملايين) وقيل سبعة آلاف ألف (سبعة ملايين) ورجح الرجحى أنها دراهم. وقد أمر عمر بن عبد العزيز أن تزرع أرض الصوافي بجزء معلوم فإن لم يوجد من يأخذها، أنفق عليها مـن بيت المال ولا تبور، وقد استمرت ولاية اليمامة علـى اسـتغلال الصـوافي الموجودة فيها ففي عهد هارون الرشيد كان يحي بن طالب الحنفي يشـتري غلاتها يريد بها الربح فأفلس فباع عامل السلطان أملاكه، وذكر اليعقـوبي أن خراج اليمامة والبحرين زمن معاوية سنة ٤١- ٦٠هـ ١١٩١- ٦٧٩م قد بلغ خمسة عشر ألف ألف (أي خمسة عشر مليوناً) وفي العصر العباسي ارتفع الي خمس مئة ألف وعشرة الآف (٥٠١٠٠٠) دينار.

وينفق من هذا الدخل على احتياجات الولاية وما زاد عن حاجتها ينقـل الي بيت المال المركزي في قاعدة الخلافة وربما الي ولاية أخرى إذا كانت بحاجة اليه بأمر من الخليفة، أو لمن يراهم الخليفة، فقد أمر أبو بكر رضي الله عنه بصرف إثني عشر ألف صاع من صدقات قمح اليمامة لمجاعة بن مرار الحنفي ومثلها من التمور حيث عرفت اليمامة بكثرة نخيلها وأنواعها وتصدير فائضها الي الخارج.

كما أعطى الخليفة عبد الملك بن مروان الشاعر العجير السلولي مئة من الإبل من صدقات بني عامر فقط، وقد اشتهرت اليمامة بثروتها الحيوانية الهائلة وكان القطيع الواحد من الغنم الذي يرد اليمن من اليمامة للتجارة في العصـر العباسي فيه خمس مئة شاة علماً بأن سعر البعير آنذاك هو ٢٥ درهمـاً فقـد اشترى الشاعر الفرزدق مئة بعير بمقدار ٢٥٠٠ درهم من صدقات بكـر بـن

وائل، وقد أعطى هارون الرشيد مروان بن أبي حفصة خمسة آلاف دينار وعشرة من رقيق الروم، كما أمر الخليفة الواثق لعمارة بن عقيل بن الخطفي بثلاثين ألف درهم، ومراعات لأحوال البادية وثروهم الحيوانية على الموارد بعيدين عن الأماكن التي توجد بها النقود فقد أوصى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن توخذ منهم صدقتهم على وجهها ولا يؤخذ منهم دينار ولا درهم: وذلك.رفقا بهم لقلة النقود لديهم في البادية (لكن الأمر تغير بعد عمر كما حدث في العهد الأموي الذي سبقت الإشارة اليه في موضع آخر) فيستوفي مسئول الصدقة حقه من نوع الماشية التي وجبت فيها الزكاة المشروعة ويضع عليها علامة الصدقة (وسم الخلافة)، وقد زاد في رفع مستوى الدخل شمول العطاء من الدولة للكثير من فئات الشعب وتوزيع صدقات الولاية على محتاجيها من أهل اليمامة (١٤٨/ ٢٤١).

٤-مصروفات بيت المال:

تصرف الصدقات كما نصت عليها الآية الكريمة (إنما الصدقات... الآية).

١- فقد قضى أبو بكر الصديق رضي الله عنه في سداد دية أخ مجاعة الحنفي من صدقات اليمامة.

٢- قضى عمر بن عبد العزيز رحمه الله دين بعض المحتاجين من الصدقات في بيت المال.

٣- كانت صدقات أهل اليمامة تصرف على مستحقيهم ومن يرى الخليفة إعطاءهم.

٤- أمر الخليفة عمر بن العزيز أن يقسم نصفها في السنة الأولى ثم كتب اليه في السنة الثانية أن يقسمها كلها ولا يخص منها شيئاً.

٥- يصرف من واردات بيت المال أرزاق عمال الصدقة، وكانت أرزاق العمال والكتاب في أيام بني أمية وبني العباس من ٣٠٠درهم الي ما دونها واستمرت حتى أيام الخليفة المأمون حيث زاد فيها وزيره الفضل بن سهل.

٦- يصرف من واردات بيت المال رواتب العمال وموظفي الولاية من مختلف القطاعات الإدارية، فكل عامل يصير الي عمله في صالح الولاية يصرف راتبه من بيت المال وكانت الرواتب في عهد عمر بن عبد العزيز ما بين ١٠٠- ٢٠٠ دينار سنوياً.

٧- مصروفات (العطاء) الذي نظمه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد شمل طبقات المجتمع حتى فرض للمولود مئة درهم، وأصبح في عهد معاوية لكل قبيلة أعطياتها ويدفع العطاء عادة الي العرفاء إذ لكل قبيلة عريف، وكان جميع أفراد الشعب العربي يتناولون عطاء محدداً ومنظماً تنظيماً دقيقاً واحتفظ بسجل لجميع العرب وغير العرب ممن يستحقون العطاء وميز في العطاء أشخاص: إما لشجاعتهم أو لمكانتهم بما يراه الوالي.

٨- أمر الخليفة العباسي المتوكل أن يكتب الي والي اليمامة بسداد دين الشاعر مروان بن أبي الجنوب (واسمه مروان بن يحي بن مروان بن سليمان بن يحي بن أبي حفصة).

٩- تصرف من بيت المال أرزاق نزلاء السجون.

١٠- تصرف منها أرزاق العميان والمجذومين والمحتاجين وأمر الخليفة بأن يطبق ذلك في جميع أنحاء الدولة الإسلامية.

١١- الإنفاق على بعض المرافق والمصالح العامة مثل تسهيل الطرق وحفر الآبار والإشراف عليها.

١٢- يصرف من بيت المال نفقات بناء المساجد كالجامع الذي قام ببنائه والي اليمامة العباسي أيام الخليفة المأمون وغيره من المساجد.

١٣- الإنفاق على بناء السجون مثل سجن (دوَّار) باليمامة وسجن عقيق بني عامر.

١٤- الإنفاق على مبنى دار الولاية، ودار بيت المال ودار الديوان (١٤٨/ ٢٤١).

ومن الجدير بالذكر أن اليمامة كانت في وضع متميز عندما كان الأعشى حياً، فقد كانت عين هيت فوارة متدفقة حيث كان يشبه جود ممدوحه هوذة بن على الحنفي بقوة فيضها إذ يقول من قصيدة له:

وما مجاور هيت إن عرضت له ... قد كاد يسمو الي الجرفين واطلعا

يجيش طوفانه إذ عب محتفلاً ... يكاد يعلو ربي الجرفين مطلعا

طابت له الريح فامتدت غواربه ... ترى حواليه من أفواجه ترعا

يوماً بأجود منه حين تسأله ... إذ ضنّ ذو المال بالإعطاء أو خدعا

ثم يقول عن مكانة ممدوحة عن أسرى بني تميم عندما أسرهم كسري في المشقر.

سائل تميما بهم أيام صفقتهم ... لما رآهم أساري كلهم ضرعا

وسط المشقر في عيطاء مظلمة ... لا يستطيعون فيها ثم ممتنعا

بظلمة (بنطاع) الملك ضاحية ... فقد حسوا ذاك من أنفاسهم جرعا

فقال للملك سرح منهم مئة ... رسلاً من القول مخفوظاً وما رفعا

ففك عن مئة منهم وثائقهم ... فأصبحوا كلهم من غلة خلعا

وحديث يوم "الصفقة" أنّ تميماً نهبت قافلة من قوافل كسرى أبرويز بن هرمز بن كسرى أنو شروان وكانت مرسلة إلي اليمن أو منها في موضع من أرضهم يقال له "نطاع" في (المنطقة الشرقية معروف حتى الآن) فآوى هوذة رحال القافلة الذين كانو يسيرون في حراستها، وقدم بعد ذلك على كسرى فكساه قباء ديباج منسوجاً بالذهب واللؤلؤ وقلنسوة مرصعة بالأحجار الكريمة وكأساً من ذهب كان قد سقاه فيه؛ ثم دبر مكيدة للإيقاع ببني تميم وذلك أن يمنع هوذة عنهم الميرة، فإذا نالت منهم الحاجة أقام لهم سوقا في حصن المشقر بالإحساء وقد أعد للأمر رجاله فإذا تهافتوا فيه قتلهم، وقد كان لكسرى وهوذة ما أرادا، ولكن التميميين تنبهوا للأمر حين رأوا الداخل لا يخرج وثاروا على هوذة فأمر بإطلاق مئة من خيارهم، والأعشى ينفي عن هوذة في هذه القصيدة أنه اشترك في تدبير المؤامرة لبني تميم وينسب ذلك لكسرى نفسه ولا ينسب لهوذة إلا الجزء الأخير من القصة وهو شفاعته في إطلاق مئة من أسراهم فقال:

من يلق هوذة يسجد غير متئب ... إذا تعصب فوق التاج أو وضعا

له أكاليل بالياقوت زينها ... صواغها لا تري عيباً ولا طبعا

وكل زوج من الديباج يلبسه ... أبو قدامة محبواً بذاك معا

لم ينقص الشيب منه أن يقال لـه — وقد تجاوز عنه الجهـل فانقشـعا

أعز أبلج يستقى الغمـام بـه — لو صارع الناس عن أحلامهم صرعا

قد نال أهل شبام فضل سـؤدده — الي المدائن خـاض المـوت وادرعـا

(من شبام بأرض حضر موت الي المدائن عاصمة الفرس في جنوب العراق قد بلغ صيت هوذة (١٤٧/ ١١٩).

٥- النشاط العمراني:

يتركز النشاط العمراني في البيئة الحضرية ويتمثل في المدن والبلدان والقرى وتتكون مواد البناء من الطين على هيئة عروق أو لبن يخلط به التبن ليكتسب قوة ومتانة ضد عوامل التعرية من فعل الأمطار والرياح وحرارة الشمس، وتسقف المباني بخشب الأثل وجريد النخل في أكثر الأحوال هذه المواد تستخدم على الأغلب الأعم، غير أن هناك بعض المواطن القريبة من الجبال أو الطبقات الصخرية المطاوعة يتم البناء فيها من الأحجار وسقفها بالخشب والجريد كسابقتها مثل المدن والقرى الواقعة في حوزة جبل طويق لأن صخور هذا الجبل وحجارته لينة مطاوعة للكسر والتهيئة للبناء وكذا الحال في مناطق أخرى، أما بقية المناطق فإن جبالها نارية وحجارتها صلبة غير طيعة للقطع والتكسير وإذا تكسرت فقد تأتي غير مناسبة للبناء، ولذلك يلجأ السكان في هذه الأماكن الي البناء بالطين اضطراراً لعدم وجود مادة خام غيره ويستعمل الجص أو الآجر كمادة ماسكة في البناء الحجري وزينة للبناء من الداخل للبناء الطيني والحجري، ويمتاز البناء الطيني بميزات لا تتوفر في غيره حيث يتمشى

ويتجاوب مع تقلبات الجو فيحتفظ بداخله بمستوى معين من الحرارة والبرودة فهو دافئ في الشتاء من الداخل بحيث تؤثر فيه أقل عملية تدفئة وتجعله دافئاً ملائماً لراحة الإنسان وبارد صيفاً من الداخل بحيث تؤثر فيه أقل عملية تبريد أو تهوية وتجعله لطيفاً ملائماً لراحة الإنسان وحياته والجو الصحراوي وعدم كثرة الأمطار تشفع للبناء الطيني بأن يعمر طويلاً ويقارب البناء الطيني في هذه المزية البناء الحجري وهو بالطبع أقل منه في التكيف مع هذه المؤثرات الجوية وذلك لتماسك مسام مواد البناء فيه وإن كان يفوق مثله الطيني في المتانة والقوة. ويعمر المبنى الطيني حسب استمرار الصيانة والملاحظة عمراً يتراوح ما بين ١٠-٢٠٠ سنة وربما زاد عن ذلك وهو يتمتع بهيئة جيدة ويحتاج كل ما بين سنتين الي ثلاث سنوات الي صيانة وتكسيه من الخارج بطبقة من الطين المخلوط بالتبن وعادة يؤخذ الطين الحر من مقاطع معينة تحت قشرة سطح الأرض أو مما يترسب في القيعان ومراكد الأودية من الطمي والربو وهذا يخص بتلك الطبقة التي تكسى بها الجدران مع التبن في وقت الصيانة كما أسلفنا، وهذه الصيانة التي تتم تختلف من مكان الي آخر حسب جودة الطين ودرجة نزول الأمطار، فقد تمتد فترة الصيانة الي أطول مما ذكرنا وربما أقصر، كما أن سطوح المنازل تحتاج الي تغيير قشرتها العليا التي أثرت فيها الشمس والمطر ووضع مكانها طبقة من الطين الحر المخلوط جيداً بالتبن وذلك لمنع تسرب المياه وسقوطها من خلال السقف الي داخل المنازل في مواسم الأمطار وتتم هذه العملية بالسطوح في فترة تتراوح بين ٥-١٠ سنوات وكذلك الحال فيما يتعلق

بسطوح المنازل الحجرية مع أن بعض السطوح التي أتقن سقفها من الأساس وضبط طين سقفها تعيش عشرات السنين دون حاجة الي تغيير طينة سقفها ودون أن تقطر من تلك السطوح قطرة واحدة في موسم نزول الأمطار أما من حيث الأشكال والتصاميم فتختلف من وضع الي آخر سيتم التعرض له لاحقاً في موضعه وتتمثل المباني فيما يأتي:

أ- البيوت السكنية:

وهي للغالبية العظمى من الشعب وتتكون هذه المساكن من تصاميم مختلفة حسب حجم الأسرة في بداية الأمر مجلس للرجال وعدد من الحجرات من ثلاث الي أربع ويكون المنزل على هيئة مربع أو مستطيل أو مطبخ يكون أمام الحجرات ويكون بالمنزل رواق مسقوف للجلوس في ظله خلال النهار في أشهر الصيف والخريف وعندما يكثر أفراد الأسرة ويزداد عددهم عندما يتزوج الأبناء فربما ألحق بالمنزل زيادة غرفة أو عدد من الغرف لكل ابن وزوجته سواء في ساحة المنزل إن وجد هناك متسع أو على سطوح الغرف الأرضية، ونظام التهوية في المنزل وغرفه غير كافية إلا أنه يفي بالضرورة القصوى حيث لا يوجد بالمنزل شبابيك على الشارع أو قريب من الأرض اللهم إلا كوى صغيرة قرب السقف حتى في الدور الثاني من المنزل وذلك تحت تأثير عامل الخوف والإجراءات الأمنية فلا ترى على الشارع سوى تلك الكوى المرتفعة والتي قد تكون في الطابق الثاني وباب المنزل، أما النوافذ من الداخل فتكون هي الأخرى مرتفعة بقرب السقف وغير واسعة بحيث لا يستطيع الإنسان أن يدخل من

خلالها أي حوالي ٢٠×٣٠سم وقد تزيد قليلاً أو تنقص كذلك وهي في الغالب مفتوحة بدون أبواب ويكتفي للغرفة بنافذة أو اثنتين على الأكثر وكذا الحال في المطبخ ومجلس الرجال وغرفة التدفئة التي قد يضاف لكل واحدة من هذه الغرف التي توقد فيها النار فتحة في السقف العلوي فوق موضع موقد النار وذلك ليخرج معها الدخان أثناء إيقاد الحطب بوضع لهذه الفتحة غطاء ربما يتم التحكم فيه من الداخل أو الخارج أو يكون ثابتاً، وتختلف تصاميم المنازل من مصمم الي آخر ويلحق في بعضها غرف للحيوانات مثل اسطبل الخيل أو "مراغة" الإبل أو "حوش" الحمير أو حظيرة الغنم وذلك في بيئة الفلاحين بحيث تكون مداخل هذه الملاحق لا تفضي على المنزل مباشرة وذلك لاتقاء روائحها وبعضهم يفصل هذه الحيوانات ويبعدها عن المنزل، والبعض الآخر يجعلها في حائط مستقل بجانب منزله متى خاف عليها واقتضت الضرورة الأمنية ذلك وتتكون المنازل على هيئة كتل متراصة يلتصق المنزل بجاره لا يفصل بينهما إلا جدار أحدهما، وقد يكون الجدار مشترك بينهما يتخلل هذه الكتل المنزلية شوارع وطرق ضيقة أحياناً وواسعة أحياناً أخرى وقد تكون أحياناً معتدلة نوعاً ما وأحياناً تكون متعرجة كثيرة المنعطفات وذلك مراعاة للجوانب الأمنية، ويأتي بناء هذه المنازل بطريقة غير منظمة في كثير من الأحيان وأحياناً أخرى تظهر فيها لمسة التنظيم غير المكتمل ولا يوجد في داخل هذه المنازل دورات مياه كما هو الحال في الوقت الحاضر وإنما يوجد غرفة صغيرة مسقوفة في طرف المنزل يتم فيها قضاء الحاجة من على سطحها المنخفض نسبياً خلاله فتحة في السقف

وتنظف بين الحين والآخر من قبل فئة معينة هذا في المدن أما في القـرى فـإن الرجال يخرجون لقضاء حاجتهم إلي خارج البلد أما النساء والصبية فلهم غرفة داخل المنزل كما سبقت الإشارة إلي ذلك، ويجلب الماء إلي المنزل بحمله على رؤوس النساء وظهورهن بالأوعية المتاحة كالقرب والأواني النحاسية ويحفظ به داخل المنزل بأوعية كبيرة للاستعمال اليومي بحيث تكفي كمية الماء المحضر ليوم وليلة في الأوقات العادية، وتتراص هذه البيوت في المدن والبلدات والقرى على الطريقة المومى إليها آنفاً أما في الأرياف والقرى فقد يوجد منها كتل على نفس النمط وتتناثر بيوت الفلاحين في مزارعهم كل صاحب مزرعة قد وضع بيته في مزرعته وبنى منزله قرب البئر وجعل ملاحق معينة تلاصق المنزل أو بالقرب منه لإيواء حيواناته فيها وحفظها من أن تتعرض للأخذ بـالقوة أو السـرقة مـن اللصوص، وأبواب البيوت الخارجية والداخلية المصنوعة مـن خشـب الأثـل وسيقان النخل ولها أقفال من خشب الأثل ربما وجد فيها أقفـال أو مفـاتيح حديد هذه لمحة موجزة عن المنزل في البيئة الحضرية.

ب- القصور:

وتقتصر القصور على السلطات الحاكمة ورجال الدولة ومن له مكانـة وحظوة لدى السلطات الحاكمة أو من لهم مكانة اجتماعية أو الأسر الكـبيرة التي يتكون أفرادها من العشرات وتختلف القصور عن البيوت العادية من حيث الحجم والتصميم والتوزيعات الداخلية وتنفيذ البناء وإن كانت هذه القصور تبنى من نفس المواد التي تبنى بها البيوت العادية، ويتكون القصر من عدد من العـزل

والأجنحة تربطها الممرات والدهاليز ويكون لكل مجموعة من الأشخاص أو فئة جناح خاص يسكنونه كما يوجد فيه بعض الملاحق الملاصقة له تكـون مقـراً للحراس ويلحق بالقصر استطبلات الخيل ومرح الإبل والحمير وحظائر الغـنم وأماكن للأعلاف والحطب لا تختلف غرف القصر كثيراً من حيث السعة عـن غرف البيوت العادية إلا في بعض المجالس والصالات لأن الخشب هـو الـذي يحكم عرض الغرف بطوله حيث تتراوح عرض الغرف ما بين ٣-٤ أمتار وإذا أريد أوسع من ذلك فإنه يتطلب أن يكون سقف الغرفة من شقتين يفصل بينهما خشبة رئيسة تسمى "الكاسور" أو "الساقف" وإذا أريد بناء مجلس كبير أو صالة واسعة فيكون السقف فيها قائماً على عدد من الأعمدة الحجرية المبنية بـالجص تسمى "أميال" جمع ميل تكون عليها الأخشاب الرئيسة الغليظة وعليها الخشب والجريد ولا تختلف شبابيك القصور كثيراً عن شبابيك البيوت العادية من حيث السعة والضيق إلا أنها ربما يزيد عددها في الغرف وقد يركب لها أبواب صغيرة، وأبواب القصور هي الأخرى مصنوعة من شرائح خشب الأثل وشرائح سيقان النخل "الشطيب" غير أن الأبواب الخارجية للقصر تكون كبيرة في العادة بحيث يصل طول ارتفاعها إلي ثلاثة أو أربعة أمتار وربما زادت عن ذلك بحيث يدخل معها البعير بحمله، أو البعير وعليه شداده وراكبه ويكون الباب واسـعاً مـن صفقتين وربما يكون فيه خوخة وهو باب صغير بأحدي صفقتي الباب الكـبير وذلك لدخول الإنسان دون أن يفتح الباب الكبير ووضع الباب بهذا الحجـم يتطلب أن يكون الأول أكثراً استعمالاً وأجود وأطول عمراً أما المرافق الصحية

في القصر فلا تختلف عن مثيلاتها في المترل العادي وكذا الحال بالنسبة للماء إلا أن كميته أكثر، وغالباً ما يكون داخل القصر بئر أو أحساء يترف منها حاجة القصر من المياه بل إن هذا الحسي تكون حتى في الكثير من البيوت العادية وذلك لضمان وجود الماء داخل المترل خاصة في أوقات الخوف ويحيط بالقصر وجميع ملحقاته سور مرتفع لا يدخل اليه أو يخرج منه إلا من خلال الباب الكبير المشار اليه، هذا الباب يغلق ليلاً على القصر ومن فيه ويقوم حراس من داخله ويكون خروج الأفراد أو دخولهم من خلال خوخة الباب المشار اليها بمعرفة الحارس هذا بالنسبة لقصور الحكام أما قصور الآخرين فإن الإجراءات الأمنية أخف إلا إذا كان هناك خوف، والقصور بمجملها قليلة العدد حيث يتواجد بالمدن عدد منها أما البلدات والقرى فلا يتعدى عددها الواحد وربما وصل الي اثنين أو ثلاثة وقد تكون بحجم أصغر مما ذكر آنفاً وهناك القصور الجماعية التي لا تخص إنساناً واحداً أو أسرة بعينها وإنما تكون جماعية، الحافز من إنشائها عامل الخوف وهي تشبه القلاع حيث يتجمع أهل هذه البلدة أو القرية ويبنون قصراً واحداً في داخله عدد من الشوارع والطرقات وعليها العديد من البيوت يحيط بهذا القصر حائط سميك مرتفع تنتهي أضلاعه بأبراج مرتفعة، وإذا طالت أضلاعه صار في كل نصف الضلع برج أو أبراج وذلك لمراقبة الأجزاء الطويلة من الضلع للدفاع عنها ضد أي مقترب منها وهذا النوع من القصور يشبه في تكوينه أنماط القصور والقلاع السائدة في العالم العربي والإسلامي منذ القدم وهي كثيرة الانتشار في الريف ببلداته وقراه، ويتكون

سكان هذه القصور من فروع قبيلة واحدة أو فروع عدد من القبائل أو مختلف فئات المجتمع سواء أكان لكل فرع من هذه الفروع جزء أو شارع معين أو يكون ترتيبهم فيه عفوياً من مختلف الفئات يكون داخل هذا القصر بئره أو آباره ومسجده أو مساجده ومنتداه أو منتدياته أو "قهوته أو قهاويه" بعد انتشار القهوة في القرن العاشر الهجري، يربط بين سكان هذه القصور رابطة الدم والدين والجوار والدفاع المشترك عن النفس، وهذا الأخير هو الحافز على إنشاء مثل هذه القصور ويتم حراسة باب أو أبواب هذه القصور بالتناوب بين السكان ليلاً أو نهاراً وكذا الحال في الدفاع عنه عند بروز أي خطر ويبذل السكان الغالي والرخيص في الدفاع عنه وهذه المهمة يقوم بها بطبيعة الحال الرجال وتساعدهم النساء عند الضرورة وذلك بالقيام في الأعمال المساندة ويكون لسكان هذه القصور حيواناتهم من خيول وإبل وبقر وغنم وكلها يغلق عليها داخل أبواب هذا القصر عند المساء وتخرج لتسرح صباحاً حيث تفتح لها الأبواب مع رعاتها.

ج- الحصون والقلاع:

تكون الحصون والقلاع في المناطق المهمة المنيعة التي يمكن الدفاع عن المدينة بواسطتها وهي على عدة أنواع نذكر منها ثلاثة النوع الأول وهو ما يشبه القصر الجماعي الذي مر ذكره قبل قليل وهذا إما أن يكون على مداخل المدينة يتم بواسطته الدفاع مع الأسوار التي تحيط بالمدينة أو أن يحتوي على سكان البلدة، وبداخله منازل أهل البلدة أو القرية وأموالهم وممتلكاتهم ونسائهم

وذراريهم عدا المزارع والبساتين وهو محاط كما أسلفنا بسور وأبراج إما من الطين السميك المرتفع أو مبنى من الحجر والآجر. النوع الثاني هي القلاع الخاصة التي تنتشر في مزارع الفلاحين حيث يكون لكل رجل وإخوته أو أبنائه منزل محصن على هيئة قلعة يرتفع منه برج أو أبراج تكون ممتلكات الرجل أو الرجال وذراريهم ونسائهم داخل هذا المنزل المحصن تدخل فيه جميع الممتلكات المتحركة من المواشي ليلاً ويغلق عليها الباب وينام السكان في غرفهم داخل هذا البيت الحصين خلف حراسة الباب الموصد، وفي الصباح يفتح الباب بعد التأكد عما إذا كان هناك حول الباب أو بالقرب منه من يتوقع منه الإخلال بالأمن، وداخل هذا البرج أو الأبراج جميع ممتلكات الأسرة من الحبوب والتمور وغيرها في طبقات متعددة والبعض يسمى هذا النوع من الأبراج بالقصبة وهي عبارة عن عدد من الغرف المتداخلة ذات الطبقات المتعددة يجمعها مبنى واحد يأتي في طبقاته العليا موضع المراقبة والدفاع عن النفس والممتلكات وهذا النوع من القلاع كثير الانتشار في الريف وعلى امتداد الأودية والسهوب والسهول الزراعية والمواطن الحضارية الزراعية وعلى طرق الحج والطرق التجارية ويكون بداخل هذه البيوت القلاع ما يحتاج اليه السكان من الماء من الآبار والحسى وذلك تحسباً لأوقات الخوف.

النوع الثالث: من هذه القلاع هي أبراج عالية منفصلة تقام على مشارف المدينة أو المدينة أو البلدة في مرتفعات الهضاب أو الجبال أو التلال وهي بمنزلة نقاط للمراقبة والدفاع وتكون في أماكن مهمة أو كما يقال "ستراتيجية" تستخدم في

أوقات الخوف لمراقبة الأعداء أو الدفاع عن المدينة أو المدينة أو البلدة وتكون منحازة لوحدها لا يرتبط بها من المباني شيء إلا ما هو ضروري لها مثل مرابط الخيول أو مبارك الإبل أو أماكن لراحة المحاربين والمراقبين، وهي بمكانة مراكز الانذار فيما إذا وجد خطر مقبل من بعيد وتكثر مثل هذه القلاع في الأماكن المنخفضة في بطون الأودية أو التي تحيط بها التلال الرملية أو الصخرية أو الجبال غير المرتفعة مثل وادي حنيفة أو السهوب المنخفضة مثل الخرج والأفلاج والقصيم أو الأماكن المنخفضة عما حولها مثل دومة الجندل وطابة وتوجد هذه القلاع أو الأبراج حتى في المدن أو البلدات والقرى التي يوجد بها قلاع من النوعين الأول والثاني وذلك لتكون بمنزلة مراكز الانذار كما أسلفنا هذه القلاع التي أشرنا الي ثلاثة أنواع منها كانت منتشرة ولذلك فالكيان الحضري أكثر تحصيناً من الكيان القبلي إلا ما تتعرض له سوارحه من إبل وأغنام من الاغارة والأخذ كما حدث عام ٨٩١هـ-١٤٨٦م عندما أغارت سبيع على أهالي العيينة وأخذت أغنامهم، وما حدث عام ٩٠١هـ-١٤٩٥م عندما أغار آل كثير على أهل حرمة وأخذوا أغنامهم، وكما حدث في سنة ٩٠٥هـ-١٤٩٩م عندما أغارت سبيع على أهل العيينة وأخذت إبلهم ثم أغارت عليهم مرة ثانية وأخذت أغنامهم وغير ذلك كثير ولكن جئنا بهذا الاستشهاد لإثبات ما أشرنا اليه.

د- المساجد:

لم يدخل هذه البقعة ولله الحمد دين غير الإسلام منذ انبثق نور الإسلام في الجزيرة العربية على يد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ومع ما وجد فيها في بعض الأوقات من الفرق الإسلامية التي لها اعتقاد معين ينضوي أو يشذ عن بعض مفاهيم أهل السنة، إلا أنه لم يوجد دين آخر غير الإسلام على هذه البقعة، فلذلك نجد بناء المسجد أو المساجد يواكب عملية البناء في أي بقعة حضارية من أصغر بلدة تتكون من بضعة بيوت الي المدينة الكبيرة ذات الأحياء الواسعة والمساكن الكثيرة غير أن المسجد في هذه المنطقة كان الغرض منه تأدية مهمته الأساسية وهي إقامة فروض الصلاة للجمعة والجماعة فيه وتدارس القرآن وعلوم الحديث والتجمعات الدينية كما كان في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وعهد الخلفاء الراشدين ولذلك فإنه لم يحظ بما حظي به مثيله في الأقطار العربية الإسلامية الأخرى من بناء رصين وجميل ونقوش وزخارف إسلامية قوامها الآيات القرآنية على هيئة فن زخرفي بالخط الكوفي وخط الثلث والديواني ولم يولوا هذا الجانب عناية كافية، لذلك لم يبرزوا فيه مما أدى مع الوقت الي عدم معرفته مما جعل ناصر خسرو وعندما قدم الي الأفلاج في القرن الخامس الهجري ٤٥٠هـ ونقش لهم محراب المسجد مع الكتابة أعطوه مقداراً كبيراً من التمر يعتبر أكبر كمية تدفع لعمل فني في وقته فقد كان المسجد خالياً من أي زخرفة أو نقوش، ويكتفي منه بأداء مهمته الأساسية دون الدخول في النواحي الجمالية، وتبنى المساجد في الغالب من الطين حتى الأعمدة الداخلية تسمى

مداميك جمع مدماك وبعضها تقام هذه الأعمدة من الحجر المقطوع على هيئة دوائر تربط بالآجر أو الجص ويوضع فوقها 'سواقف' من خشب الأثل الغليظ التي تسمى سواقف جمع ساقف أو "كواسير" جمع كاسور ويوضع فوقها سواقف أو عوارض أدق منها من خشب الأثل وفوق هذه الأخشاب يرمل جريد النخل لكل شقق المسجد كبر ذلك أم صغر ويكون بناء المسجد وصيانته بطريقة جماعية بالتبرع الطوعي ابتغاءً لما عند الله من الأجر والثواب وتفرش أرضية المساجد في الغالب من الحصباء اللينة وبعضها يفرش من "الخصاف" وهو نسيج الخوض وربما فرش بعضها بفرش أخرى كالقطائف والمنسوجات الصوفية وغيرها وتنتشر المساجد في كل مكان بالأحياء من المدينة وبالبلدة والقرية كبرت أو صغرت لأن المسجد جزء من حياة المسلمين يؤمونه خمس مرات في اليوم والليلة عدا الجمع والأعياد، فلذلك تجده في القلاع والقصور الجماعية وأي تجمع سكاني مستقر. وقد أكثر البلدانيون من ذكر المساجد فلا يتكلمون عن بلد إلا وقالوا وفيه مسجد أو فيه مسجد ومنبر ويظهر أن المقصود عندهم من كلمة منبر هو مسجد يصلي فيه جمعة أي يخطب فيه على المنبر وهذا يكون في البلدات التي يزيد السكان الرجال فيها عن الأربعين كما هو الحد الشرعي وشرط من شروط وجوب صلاة الجمعة كما يذكرنا بالمدن التي توجد فيها عدد من المساجد ذات المنابر والمزيد من التفاصيل فضلاً انظر طريق الحج البصري والكوفي.

هـ ـ المنابر:

يرى بعض المؤرخين والبلدانيين أن المنابر إذا ما ورد ذكرها فإنها تعني المساجد التي يصلى فيها الجمعة ويخطب فيها على المنابر فإذا قيل أن في هذه البلد منبر فمعنى ذلك أنه يوجد بهذه المدينة أو البلدة القرية مسجد تصلى فيه الجمعة وكما هو معروف شرعاً وجوب صلاة الجمعة إذا احتمع في البلد أربعين رجلاً ممن تنطبق عليهم شروط صلاة الجمعة من الإقامة والحرية والعقل وهذا العدد ربما ينظر له في القرى الصغيرة والتجمعات السكانية القليلة لكنه يحتاج الي إعادة نظر عندما يخص هذا المدلول بلدة أو مدينة يوجد فيها المئات بل الآلاف من السكان وعلى هذا الاعتبار فقد يبرز الى الأذهان سؤال يقول: ما المقصود من المنبر الذي عناه البلدانيون؟ أيكون منبر مسجد الجامع وهذا قد لا يلفت النظر ويجعل مثل هؤلاء المدونين يشيرون اليه كمعلم من معالم هذه البلدة أو القرية أو المدينة لأنهم يعيشون في وسط إسلامي وبيئة إسلامية لا يستغرب فيها الإشارة الي حجم المسجد لتصلى فيه الجمعة فينعت بالمنبر وما سواه لا يوصف بذلك وإن كان غرضهم من ذلك أيضاً حجم التجمع من مسجد جامع واحد فلماذا لم يذكروا أن فيه منبران أو ثلاثة منابر؟ وحينما تكلم أبو إسحاق الحربي في المناسك عن فيد قال: "وبها مسجد جامع ومنبر فذكر المسجد الجامع ثم ذركر المنبر كمعلم مستقل وهذا ما يجعلنا نتساءل، ما المقصود بالمنبر؟ إذ ربما يكون المنبر المشار اليه على هيئة مكان يتجمع فيه الناس للتشاور في شئونهم العامة كالدفاع عن النفس ومقارعة الأعداء وردء الأخطار وما الي ذلك من

شئون تهمُّ أهل هذا الكيان ويحتاج الي تجمع لحشد من الناس قد لا تأخذهم غرفة واحدة وقد لا يستوعبهم المسجد ويقوم فيه خطيب يوضح لهم ما هم فيه، ولذلك أشار الي هذا المعلم أولئك البلدانيون في بلد ولم يشيروا اليه في بلد آخر، فهل معنى هذا أن البلدان التي لم يذكروا فيها المنبر لا تصلى فيها الجمعة لعدم أكتمال النصاب نظراً لقلة السكان؟ وهذا مجال تساؤل؟! وإذا كان المقصود بالمنابر مساجد الجمعة فلماذا لا تذكر إلا في أماكن معينة دون أخرى مع أن في كل منها العدد الكافي من البشر لما يزيد عن الأربعين وإذا نظرنا الي الأماكن التي ذكرت فيها المنابر على سبيل المثال لا الحصر في طرق الحج نجد في حفر أبي موسى " حفر الباطن" فيه منبر وفي فيد منبر وفي النباج منبر في مدينة حجر منبر، وفي مدينة الخضرمة منبر، وبالخرج منبر وبالمجازة منبر وبالفقى منبر، وفي سدوس منبر، وفي ملهم منبر، وفي أضاخ منبر، وفي حظيان منبر وفي المعدن منبر، وفي الحصن منبر، وبالريب منبر، وبحائل منبر "حائل غير حائل الحالية" وبخربة منبر، وبالصدارة منبر، وبحرم منبرن وبالفلج منبر، واتضح لي أن المقصود من المنبر مقر المسئول الإداري عن هذه المدينة أو البلدة أو القرية. إذا فالمنابر لا تعني مسجد الجمعة وإنما هي المعلم المشار اليه حيث أنها تذكر بجانب مسجد الجمعة كما مرَّ بنا ومدنا كالخضرمة وحجر لابد أن تكون فيها كثافة سكانية لما يزيد عما يتسع لمسجد جمعة واحد ومع هذا فلم يذكر بكل منهما سوى منبر واحد وقرى صغيرة يذكر فيها منبر وبلدانا كبيرة في القصيم وغيره لم يذكر فيها منابر، وعلى هذا فالمنبر قد لا يعني المسجد بالضرورة فما هو إذاً؟ المرجح أن

يكون كما أشرت اليه آنفاً أي مركز مقر المسئول تكون له وظيفة اجتماعية أو دينية أو قيادية.

و- الأسواق التجارية:

تمثل الأسواق التجارية بما تحويه من الحوانيت والدكاكين الواجهة التجارية في المدن والبلدات والقرى سواء ما كان منها ثابتاً أو متنقلاً مع مضارب البادية وما كان دائماً بصفة مستمرة أو موسمياً يزدهر في مواسم معينة كموسم الربيع أو موسم الحج على طرق الحجاج فإن هذه الواجهة تمثل مظهراً حضارياً لا يستهانه به مهما كان حجمة كما تمثل ركيزة من ركائز الاقتصاد المحلي حيث يعمل بهذا الحقل قطاع كبير من السكان يقومون بتوفير السلع الضرورية ويكتسبون من ريع التجارة أقواتهم كما مرَّ بنا في موضع سابق ووجود هذه الأسواق دليل على ما تمتع هذه النقاط الحضارية بجزء هام من ضرورات السكان وجانباً مهماً من جوانب التحضر، فالمدينة أو البلدة أو القرية إذا تواجدت فيها الأسواق التجارية بحوانيتها ودكاكينها فإن ذلك يعتبر علامة من علامات الاستقرار ومؤشراً من مؤشرات الرخاء ودليلاً راسخاً من أدلة الثقة المتبادلة بين الناس وعاملاً مهماً في موضوع تبادل المصالح بين الناس وهذه الأسواق تنعكس درجة استقرار هذا البلد أو ذاك ومستوى شحه أو رخائه في أيام الخصب أو الشدة ففي هذه الأسواق تتضح أسعار المواد الغذائية والسلع الاستهلاكية الضرورية والكمالية حيث ترتفع أسعارها في أوقات الشدة والجدب أو ندرة هذه السلعة أو تلك أو احتكار التجار لها وتنخفض الأسعار

في أوقات الخصب أو عند توفر هذه السلع وعرضها في هذه الأسواق بما يزيد عن الطلب فهي بمنزلة مقياس الحرارة الذي يعرف به ارتفاع درجة الحرارة وانخفاضها، وكذا الحال في الأسواق ترتفع فيها أسعار السلع وتنخفض ولذلك أولاها الباحثون عناية خاصة حين ذكروا أن هذا البلد أو ذاك يوجد بها سوق تجاري، ونرى الهمداني عندما يتكلم عن الخضارم أو الخضرمة يقول وبها سوق وكذا الحال عندم جرى الكلام عن العتابة وفيها سوق وبحساء بطن الرمة سوق وبفيد سوق كما لم يغفلوا الأسواق الموسمية فعند الكلام عن سميراء في عام ٥٨٠هـ-١١٨٤م يقول: ' وبها سوق تبيع العرب هناك على الحاج اللحم والسمن واللبن وتبادر الناس شراء ذلك منهم بشقق من الخام يستصحبونها معهم لمشارات الأعراب لأنهم لا يبايعونه إلا بها" وكذا الحال عندما يتكلم عن فيد في نفس العام إذا يقول: " وفي هذا المكان يمتار الحاج من الأغنام والأعسال واللبن ويشترون من الجمال ما يحتاجون اليه، ثم ينتقل الي التعلبية فيقول: " وقام بهذا الموضع سوق اجتمع فيه الجم الغفير من الأعراب رجالاً ونساءاً فيه من الجمال والأغنام واللبن والسمن وعلف الإبل وكان سوقاً نافقاً، ويقول في مكان آخرك وبهذا الموضع بيوت كثيرة للعرب يبادرون بما لديهم من مرافق الأدم يبيعونها على الحاج. ويذكر زرود أن بها حوانيت وفي ضرية ذكر أن بها ثمانون حانوتاً. كما سبقت الإشارة الي ذلك من النصوص التي تولي أهمية كبرى للأسواق التجارية وما تلعبه من دور حضاري في مناطق الاستقرار ومبدى تأثيرها في الاقتصاد المحلي من سلب وإيجاب حيث يترتب عليها عرض السلع

المحلية والمجلوبة من أماكن أخرى ولكن لم يتناولها متناول بدقة ليبين السلع التي تجلب فيها ومقدار أهميتها وأسعارها والعملات المتداولة فيها التي يتعامل بها الناس في مبادلاتهم التجارية عدا المقايضة المنوه عنها في بعض النصوص السالفة الذكر.

ز- البرك:

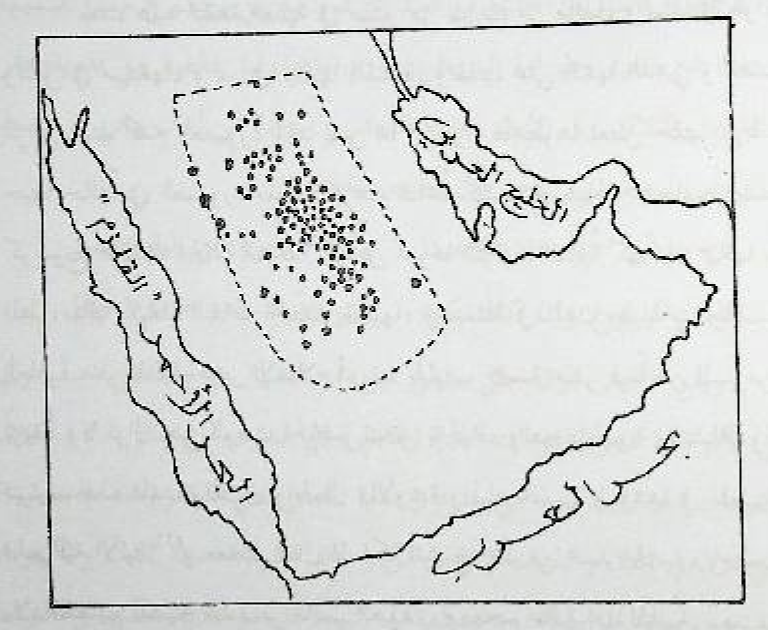
الماء أحد مقومات الحياة الرئيسة للإنسان والحيوان والنبات وهي الهواء والماء والغذاء، الماء هذا العنصر الثاني الهام الذي تقوم عليه الحياة كما أشار الي ذلك القرآن الكريم في أكثر من موضع أبرزها قول الخالق العظيم: (وجعلنا من الماء كل شيء حي) الآية، وعلى عنصر الماء تقوم الحضارة وتزدهر حول العيون والأنهار والآبار الجوفية، وإذا كانت الحضارة تقوم قرب الماء في الأمكان التي يتوافر فيها هذا العنصر فإن ابن هذه الجزيرة الخالية من الماء ينقب عن الماء في جوف الأرض على أعماق سحيقة ويخرجه من باطن الأرض ليحيا بوجوده ويتحايل لاحتجاز مياه الأمطار والاحتفاظ بها مدة طويلة بالطرق المتاحة لديه آنذاك وهي البرك التي يحفرها في الأرض على أعماق مختلفة على جوانب الأودية لتمتلئ من السيل عند نزول المطر وتساعده هذه البرك مخزون المياه الجوفية التي استنبطها الإنسان فتخفف من استعمالها وبذلك تتوفر منها كميات كافية حتى يستطيع الإنسان معالجة مياه البرك وتصفيتها لاستعمالها للشرب أو للأغراض الأخرى التي يحتاج اليها أو يسقى بها البهائم الموجودة لديه لفترة من الزمن قد تمتد الي الحول في بعض البرك الكبيرة وهي بمنزلة السدود في الوقت الحاضر

بالإضافة الي أن ما ينضح من هذه البرك ويتسرب الي داخل الأرض فإنه يغذي المياه الجوفية بكميات إضافية من الماء وذلك قبل اكتشاف مادة "الأسمنت" بأزمنة طويلة هذه المادة التي تمنع تسرب كميات المياه الي جوف الأرض ولا ينقصها سوى البخر ومع أن الطمي أو الغرين قد قام بمهمة لا بأس بها إلا انه لم يكن بدرجة هذه المادة من حيث المنع ومع ذلك فقد أدى دوراً مهماً في وقته.

والبرك قد انتشرت قرب التجمعات السكانية في الأماكن التي تكثر بها عيون وهي التي تعتمد على المياه الجوفية وبوجه خاص تلك الأماكن التي لا يوجد فيها المياه الجوفية المالحة وخاصة على طرق الحج ومن أول من أنشأ هذه البرك السيدة زبيدة بنت جعفر رحمها الله في خلافة زوجها هارون الرشيد رحمه الله في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري حيث تم حفر منظومة من البرك على طول طرق الحج الكوفي، واحتذى المسئولون و السكان نفس الطريق فأنشأوا بركا مماثلة لبرك زبيدة ولو أن البرك التي أنشأتها زبيدة هي التي عليها المعول وبقيت مدة طويلة وبعضها ماثل للعيان حتى الآن بعمر قد تجاوز ١٢٠٠ سنة ولو أردنا نماذج من هذه البرك لوجدنا صاحب المناسك يذكر أنه يوجد بفيد بركة مربعة وثلاث عيون وآبار وفي توز بركتان، وفي الحاجر بركة مربعة واثنا عشر بئراً، وفي قرورى بركتان، وفي النقرة بركتان، وفي مغيثة الماوان بركة، وفي العنابة بركة، وفي عجلز بركة وآبار، وغير ذلك من البرك المنتظمة على طول الطريق منها ما هو قرب النقاط الحضارية ومنها ما هو بعيد عنها في البراري، وهذه البرك أسهمت إسهاماً طيباً لمئات السنين على انعاش الحياة حولها

ودلت على قدرة الانسان على الاستفادة من الموارد الطبيعية من مياه الأمطار التي تسقط في فصل الشتاء والربيع من كل عام وهي ولا شك معلم حضاري قد أدى خدمة جلى للانسان على مدى مئات السنين حسب الامكانات المتوفرة في وقتها وإن كانت ضئيلة نسبيا إلا أنها وفت بالغرض.

شكل رقم (١)



مخطط تقريبي لمنطقة نجد والنقاط الحضارية الموجودة فيها ونظراً لضيق المساحة يتعذر كتابة الأسماء كاملة ولا نريد كتابة بعضها وترك البعض الآخر ولكن هذا المخطط يبين مواقع هذه النقاط التقريبي والتفاصيل بالكتابة في هذا الفصل

٦- المواطن الحضارية:

نجد، هذه البقعة الغالية في صدر من شرب من مائها، واستنشق هواءها، وتنقل في مرابعها: وسمر في لياليها المقمرة، وتقلب على أديمها الذهبي والفضي الرائع، منذ أقدم العصور، وقد تغنى بها الشعراء فأعطوها بعض حقها، وبقي حبها خالداً في الصدور خلود ذكرها، شامخاً كشموخ جبالها الشماء، راسخاً كرسوخ هضابها الجاثمة متدفقاً كتدفق عيونها الثرارة، صافياً كصفاء سمائها غب المطر، باقياً كبقاء النقاط الحضارية فيها، والمتمثلة في المدن والبلدات والقرى العامرة منذ ما قبل فجر الإسلام أي ما يقارب خمسة عشر قرناً من الزمن أو يزيد، ولا تزال حتى الوقت الحاضر تنبض بالحياة، وتعج بالحيوية والنشاط ولنبدأ بترتيب هذه المدن والقرى والجبال والأودية والمياه حسب ورودها في المعاجم الجغرافية الآتية:[1] و معجم شمال المملكة للشيخ حمد بن محمد الجاسر، ومعجم بلاد القصيم للشيخ محمد بن ناصر العبودي ومعجم عالية نجد للشيخ سعد بن عبد الله الجنيدل، ومعجم اليمامة للشيخ عبد الله بن محمد بن خميس بالإضافة الي صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من آثار للشيخ محمد بن عبد الله البليهد — رحمة الله على الجميع — ومن هذه النقاط:

[1] وقد ذكر صاحب نشوة الطرب أن زبالة، والثعبية، وواقصة، وعاضرة، وناظرة، والنعف من قرى بني أسد بن خزيمة (١/ ٤١٥/ ٢٤٦).

أ) الجيل الأول من المدن:

١- الأجفر: كانت لبني جذيمة من أسد انتزعوه من بني يربوع من تميم، والأجفر جمع جفر، وهو لغة البئر الواسعة لم تطو، وقيل الحفرة هي الهوية يحفر بها القليبين والثلاثة، وفي الأجفر جفرة لسعد بن سوادة من أسد، وهي بوسط البلد وجفرة لبني نصر بن قعين قال الخنجر الجذمي:

من يترعّى الجوّ بعد مناخنا ... وأرماحنا يوم ابن إلية يجهل

فليس ليربوع وإن كُلِّفَتْ به ... من الجوّ إلا طعم صاب وحنظل

ويقع الأجفر شرق جبل سلمى يميل نحو الشمال في منخفض صخري وهي الآن بلدة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة الي الشرق من حائل ١٥٠ كيلاً. "ومقومات الحياة الحاضرة التي سترد في هذا الفصل تعني ما تقوم عليه حياة الناس الآن في المدن والبلدات والقرى من وسائل الحياة الحديثة كالماء والكهرباء والهاتف ووسائل المواصلات والسكن هذا النمط قد عم المدن كلها وغالبية البلدات القرى.

٢- أثال: كانت قبل الإسلام لبني عبس، قال متمم بن نويرة:

ولقد قطعت الوصل يوم خلاجه ... وأخو الصريمة في الأمور المزمع

بمحدرة عنس كأنّ سراتها ... فدن تطيف به النبيّط مرفّع

قاظت أثال الي الملا وتربّعت ... بالحزن عازبة تسنّ وتودع

وقال ربيعة بن مقروم الضبي:

تجانف عن شرائع بطن قوٍّ ... وحاديها عن السبِّق الكراع

وأقرب مورد من حيث راحا   أثال أو غمـازة أو نطـاع

قال الحطيئة:

كأن لم تكن أظعان ليلى بملتوى   ولم تر في الحيِّ الحلال تـرود

ولم تحتلل جنبي أثال الي المـلا   ولم ترع قـوَّ حـذيم وأسيد

وهي الآن بلدة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة وتقع شمال القصيم ٤٠ كيلاً عن بريدة.

٣- أُشَيّ "وَشَي": بلدة للأحمال من بلعدوية من تميم قال عبدة بن الطبيب التميمي:

إن كنت تجهل مسعاتي فقد علمت   بنو الحويرث مسعاتي وتكراري

والحيُّ يـوم أُشـيٍّ إذ ألمَّ بهـم   يوم من الدَّهر إن الـدَّهر مـرَّار

لولا بجودة والحيُّ الـذين بهـا   أمسى المزالف لا تذكر بهـا نـار

وقال زياد بن منقذ التميمي:

لا حبَّذا أنت ياصنعاء مـن بلـد   ولا شعوب هوى مـنى ولا نقـم

وحبَّذا حين تمسى الرِّيح بـاردة   وادي أُشَيْ وفتيـان بـه هضـم

المطعمـون إذا هبَّـت شـآمية   وباكر الحيِّ في صـرَّادها صرم

لم الق بعـدهم حيَّافا خـبرهم   إلاَّ يزيـدهم حبّـاً اليَّ هـم

واشي أو "وشي" الآن بلدة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة تقع على وادي المشقر غربي المجمعة في منطقة اليمامة ـــ سدير.

٤- أُضَاخُ: (وضاخ) بلدة قديمة العمران وهي معدن البُرْمْ "القدور الحجرية" وهي عبارة عن صخور هشة تصنع منها القدور قديماً، وأدنى مياه بني تميم الي أضاخ ماء يقال له أُضَيْخْ، وكانت أضاخ مركزاً للحكم بين المتخاصمين، وكان فيها مشائخ يتولون الحكومة في المنازعات، قال الشاعر:

ياويح حـريٍّ علينـا ورهطـه   ببطن أضاخ إن يجر ويسحب

قضاء لنوّاس بمـا الحق غـيره   كذاك يحزُّوك العزيـز المـدرَّب

فاذْ الي قيس بـن حسَّـان ذوده   وما نيل منك التَّمر أو هو أطيب

وأضاخ الآن بلدة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة تقع شرق دخنة بالقصيم.

٥- إِبْضَةُ: إبضة أو أُبْضَةُ ماء لبني ملقط من طيء عليه نخل قال حاتم الطائي:

عفت إبضة من أهلها فالأجـاول   فوادي نضيض فالصعيد المقابـل

وذكّرنيها بعد مـا قـد نسيتها   رمـاد ورسـم بالشّبابة ماثـل

فبرقة أفعى قـد تقـادم عهـدها   فما إن بها إلاَّ النِّعاج المطافـل

وقال بشر بن عليق الطائي:

لعمري لقد أرداكم يـوم أبضـة   فتى كان حامي للحقيقـة مَعْلَمـا

فتى كان قوّاد الجيوش الي العـدا   شجاعاً إذا هاب الفوارس أقـدما

وقال مساور بن هنب:

سائل تميماً هـل وثبـت فـإنني   أعدد مكرمتي ليـوم سبـاب

وأخذت جار بني سلامة عنوة ... فدفعت ربقته الي عتّاب

وجلبته من أهل أبضة طائعاً ... حتى تحكّم فيه أهل إرَاب

ويوم أبضة من أيام العرب المعروفة.

وأبضة اليوم بلدة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة تقع الي الشرق من جبل سلمى غرب فيد في منطقة حائل.

٦- إباضُ "بُوضي": بلدة عامرة بالسكان والنخيل والمزارع منذ ما قبل الإسلام، وعندها كانت وقعة خالد بن الوليد ـ رضي الله عنه ـ مع مسيلمة الحنفي، قال شبيب بن يزيد بن النعمان بن بشير يفتخر بمقامات أبيه:

أتنسون يوم النّعف نعف بزاخة ... ويوم إباض إذ عتى كل مجرم

ويوم حنين في مواطن قتلة ... إذا نالكم فيهن أفضل مغنم

وقبله قال عمرو بن كلثوم التغلبي:

كأنّ الخيل أسفل من أباض ... بجنب عويرض أسراب دير

وقال رجل من بني حنيفة:

فلله عيناً من رأى مثل معشر ... أحاطت بهم آجالهم والبوائق

فلم أر مثل الجيش جيش محمّد ... ولا مثلنا يوم احتوتنا المضائق

أكرّ وأحمى من فريقين جمّعوا ... وضاقت عليهم من أباض البوارق

وأباض أو "بوضى" باقية حتى الآن بلدة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة في منطقة اليمامة على وادي حنيفة.

٧- أُثَيْفِيَةُ: بلدة كانت لبني كليب بن يربوع من تميم قال عمارة بن عقيل التميمي:

وإن تنظروا ذات الأثافي فإنّكم ... بها أحد الأيام عظم المصائب

وقال راعي الإبل النميري:

دعون قلوبنا بأثيفيات ... وألحفنا قلائص يعتلينا

وأثيفية الآن بلدة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة تقع في منطقة الوشم بين ثرمداء والقرائن منطقة اليمامة.

٨- أُشَيْقِر: بلدة لبني عكل وهم بنو إمرئ القيس بن زيد مناة تميم قال مضرس بن ربعي الأسدي:

تحمّل من وادي أشيقر حاضره ... وألوى بريعان الخيام أعاصره

ولم يبق بالوادي لأسماء منزل ... معالمه واعتمّ بالبيت حاجره

فلا تملكنّ النّفس لوماً وحسرة ... على الشيءْ سدّاه لغيره قادره

وأشيقر الآن مدينة متوسطة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة تبعد عن شقراء عشرة أكيال بالوشم من منطقة اليمامة.

٩- الأفلاجُ: جمع فلج مدينة تاريخية قديمة، وكانت لبني جعدة من قشير، قال القحيف بن خمير العقيلي، وقيل لرجل من هزان:

سلوا فلج الأفلاج عنّا وعنكم ... وأكمة إذا سالت سرارها دماً

عشيّة لو شئنا سبينا نساءكم ... ولكن صفحنا عزّة وتكرُّما

عشيّة جاءت من عقيل عصابة ... تقدّم من أبطالها من تقدّما

قال القحيف أيضاً:

سقى فلج الأفلاج من كلّ همّة ... ذهاب ترويه دماثا وقودا

وقال الجعدي:

نحن بنو جعدة أرباب الفلج ... نحن منعنا سيله حتى اعتلج

وقال طفيل الغنوي:

أسفَّ على الأفلاج أيمن صوبه ... وأيسره يعلو مخارم سمسم

وكانت فلج من مساكن عاد القديمة.

والأفلاج الآن عامرة بمقومات الحياة الحاضرة وتشمل منطقة واسعة قاعدتها ليلى ـ منطقة اليمامة.

١٠- **أكَمَةُ:** إحدى قرى الأفلاج التاريخية الشهيرة وكان بها منبر وسوق لجعدة وقشير تنزل أعلاه، قال الهزاني وقيل القحيف العقيلي:

سلوا فلج الأفلاج عنّا وعنكم ... وأكمة إذا سالت سرارها دما

وقال مصعب بن الطفيل القشيري في زوجته العالية:

أما تنسيك عاذلة الليالي ... وإن بعدت ولا ما تستفيد

إذا ما أهل أكمة ذدت عنهم ... قلوصي ذادهم ما لا أذود

قواف كالجهام مشرّدات ... تطالع أهل أكمة لا بعيد

وقال أيضاً:

كأني الجعدي إذ كان أهله ... بأكمة من دون الرفاق خليل

فإن التفاتي نحو أكمة كلّها ... غدا الشوق في أعلامها لتطول

وقال عبادة بن البراء الجعدي:

ألا أيُها الغادي بأكمة أهله ... سقى الله مسقى الغيث أرضا تؤدها

فابلغ عنيّ أهل "كرز" رسالة ... طويل بحجر حسها ونشوها

وقال بزيع بن جبهان الضبابي يوم "مرارات":

إنّ العليق غدا لو أن صريخنا ... ورد العقيق لعزنا المهبوب

وبحافة الفلجين أكبر عزّنا ... وبجنب أكمة مصرخ ومجيب

وأكمة اليوم بلدة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة تقع في واد عظيم بن جبلين غربي ليلى قاعدة الأفلاج وكرز يقربها ـ منطقة اليمامة.

١١- **بَقْعَاءُ:** بلدة كانت لبني قرواش من جديلة من طيء، قال أبو عبيد السكوني: بقعاء بلدة بأجأ لجديلة ثم لبني قرواش منهم. وفي معجم البلدان ماء لبني عبس، وقد وهم نصر فبقعاء ليست بأجأ، وإنما هي الي الشرق عنه ٩٠ كيل وتتكون من بقعاء الشرقية ، وبقعاء الغربية وقد أصبحت الآن مدينة متوسطة ثاني مدينة بعد حائل عامرة بمقومات الحياة الحاضرة.

١٢- **البَنَائَةُ:** كانت ماء لغطفان بأعلى وادي التلبوت "الشُعْبَة حديثاً" قال النابغة الذبياني:

أرى البنائة أقوت بعد ساكنها ... فذو سدير وأقوى منهم أقُرُ

وقال آخر:

أضاء البرق لي والليل داج ... بنانا فالضواحي من بنان

فقلت لصاحبيّ وقلّ نومي ... أما يعنيكما ما قد عناني

والبنانة الآن بلدة عامرة بمقومات الحياة الخاضرة تقع بقرب جبل ذيم الي الجنوب من حائل تبعد عنها ١١٥ كيلاً.

١٣- البرّةُ: بلدة بقرقري قديمة العمارة، كانت ليحيا بن طالب الحنفي الذي اشتهر بالكرم والمروءة مما جعله يتحمل الديون ويرحل عن بلده وقد قال عندما ابتعد عنها:

أحقّاً عباد الله أن لست ناظراً ... الي قرقرى يوماً وأعلامها الغبر

كأنّ فؤادي كلّما مرّ راكب ... جناح غراب رام نهضاً الي وكر

أقول لموسى والدّموع كأنها ... جداول فاضت من جوانبها تجري

وزهّدني في كل خير صنعته ... الي النّاس ما جرّبت من قلّة الشّكر

إذا ارتحلت نحو اليمامة رفقة ... دعاك الهوى واهتاج قلبك بالذّكر

فواحزني مما أُجنّ من الأسى ... ومن مضمر الشّوق الدّخيل الي حجر

تعزّيت عنها كارهاً وهجرتها ... وكان فراقها أمر من الصّبر

وقال سعد بن معاذ:

فيا راكب الوجناء إِنت مسلّماً ... ولا زلت من ريب الحوادث في ستر

إذا ما أتيت العرض فاهتف بأهله ... سقيت على شحط النّوى مسبل القطر

لعلّ الذي يقضي الأمور بعلمه ... سيصرفني يوماً اليه على قدر

فترقّأ عين ما تمل من البكا ... ويسكن قلب ما ينهنه بالزجر

فإنك من واد الي محبّب ... وإن كنت لا تزداد إلا على عفر

وقال يحيا بن طالب الحنفي في موضع آخر:

خليليّ عوجا بارك الله فيكما ... على البّرة العليا صدور الرّكائب

وقولاً إذا ما نوّة القوم للقرى ... ألا في سبيل الله يحيا بن طالب

والبرة الآن بلدة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة في منطقة اليمامة.

١٤- بنبانُ: ماء لبني سعد بن زيد مناة من تميم: قال الحطيئة:

مقيم على بنبان يمنع ماءه ... وماء وشيع ماء عطشان مرمل

وقال الأعشى:

أجدّوا فلما خفت أن يتفرّقوا ... فريقين منهم مصعد ومصوب

طلبتهم تطوى بي البيد جسرة ... شويقية النّا بين وجناء ذعلب

مضبرة حرف كأنّ قتودها ... تضمنه من حجر بنبان أحقب

وقال طفيل الغنوي:

وبنبان لم تورد وقد تمّ ظمؤها ... تراح الي برد الحياض ويلمع

وبنبان الآن بلدة عامة بمقومات الحياة الحاضرة شمال مدينة الرياض ٣٠ كيلاً منطقة اليمامة.

١٥- بيشةُ: بلدة غناء في واد كثير الأهل وهي مجاورة لرنية وجميع بني خفاجة من بني عامر يجتمعون في بيشة قال السمهري:

وأنبئت ليلى بالغريين سلمت ... عليّ ودوني طخفة ورجامها

فإن الّتي أهدت على نأي دارها ... سلاماً لمردوداً عليها سلامها

وقالت الخنساء السلمية تصف أخاها صخر.

حامي الحقيق تخاله عند الوغى   أسد ببيشة كاشر الأنياب

وقال لبيد بن ربيعة العامري:

حفزت وزايلها السّراب كأنّها   أجزاع بيشة أثلها ورضامها

وبيشة الآن مدينة كبيرة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة تقع في عالية نجد.

١٦- تُبالَةُ: بلدة غير بعيدة عن بيشة مسافة يوم واحد وهي مشهورة بالخصب، قال القتال الكلابي:

وما مُغْزِلٌ ترعى بأرض تبالة   أراكًا وسدراً ناعما ما تبالها

وترعى بها البردين ثم مقيلها   غياطل ملْتيخ عليها ظلالها

بأحسن من ليلى وليلى بشبهها   إذا هتكت في يوم عيد حجاها

وتبالة الآن بلدة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة تقع في عالية نجد.

١٧- تَثْليثُ: موضع ببلاد عقيل، قال مزاحم العقيلي:

فسارا من الملحين ملحي صعائد   وتثليث سيراً يمتطى فقر البزل

فما قصرًا في السير حتى تناولا   بني أسد في دارهم وبني عجل

وصعائد جبل هناك.

وقال عمرو بن معدى كرب الزبيدي يخاطب عباس بن مرداس السلمي:

أعبّاس لو كانت شياراً جيادنا   بتثليث ما صبت بعدى الأحامسا

ولكنّها قيدت بصعدة مرة   فأصبحن ما يمشين إلا تكاوسا

وقال سلامة بن جندل التميمي:

سأهدى وإن كنّا بتثليث مدحة   اليك وإن حلّت بيوتك لملما

الألف سنة الغامضة من تاريخ نجد

وقال كعب بن زهير المزني يخاطب قومه:

ولألفينكم تعكفون بقيّة   بتثليث أنتم جندها وقطينها

وقال الحارث بن عوف المرى:

وبتثليث مذحج جدّت النا   س كما جدّت العضاة القدوم

وقال تميم بن أبي بن مقبل العامري:

كأنّهنّ الظّباء الأدم أسكنها   ضال بتثليث أو ضال بداريتا

وقال أعشى باهلة الباهلي:

وجاشت النفس لما جاء جمعهم   وراكب جاء من تثليث معتمر

يأتي الى النّاس لا يلوى على أحد   حتى التقينا وحالت دوننا مضر

إنّ الذي جئت من تثليث تندبه   منه السّماح ومنه النّهي والغير

وقال صالح العنوي:

نظرت ودوني ماء دجلة موهنا   بمطروقة الإنسان محورّة جداً

لتونس لي ناراً بتثليث أو قدت   وتا الله ما كلّفتها مقطراً قصداً

وتثليث الآن مدينة متوسطة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة بأقصى عالية نجد.

١٨- تَرَبَةُ: واد للضباب طوله ثلاث ليال أسفله في نجد وأعلاه في السراة، فيه النخل والزرع والفواكه، ويشارك الضباب فيه هلال وعامر بن ربيعة، ونزلت خثعم ما بين بيشة وبربة، وفيها ولد عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الأسنة وقال يعد غيابه عنها وعاد اليها فألصق بطنه على أديمها "عرف بطن تربة"

فذهب قوله مثلاً.وتربة الآن مدينة متوسطة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة تقع في عالية نجد.

١٩- تَمْرَة: على لفظ واحدة التمر بلدة في بلاد عقيل، وعقيق تمرة من يمين الفرط وكان الوادي ينسب اليها، فيقال: عقيق تمرة وهو عقيق عقيل "وادي الدواسر حالياً" وتقع تمرة جنوباً من الأفلاج وهي الآن بلدة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة تقع في منطقة اليمامة.

٢٠- تُمَيْر: بلدة لعدي التيم، وتمر قريبة منها تسمى اليوم التمرية وتبعد عن تمير عشرة أكيال بجانب جبل مُجَزَّل.

وتمير الآن مدينة متوسطة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة منطقة اليمامة.

٢١- تُوارِنْ: واد في أجأ أحد جبلي طيء، وأعلاه لبني شمر من بني زهير، وقد تكون لعدي بن أخزم قوم حاتم الطائي، يشرف عليه جبل مواسل "الرعيلة" الحالية في شماليه، وقد ذكره حاتم بقوله:

أتاني من الدّيّان أمس رسالة ... وغدراً بحيٍّ ما يقولُ مواسل

وقال الطرماح بن حكيم الطائي:

إلى أصل إرطاة يشيم سحابة ... على الهضب من حبران أو من توران

وتوران الآن بلدة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة وبها آثار تدل على قدمها، ويقال إن بها قبر حاتم الطائي وهناك رواية تقول إنه في سفح جبل "وطايف" شرق أجا مطلع شمس لا يبعد منه كثيراً وهو جبل معروف و رواية

ثالثة تقول إنه في بلدة "تنغة" على وادي حائل الى الجنوب الشرقي عن جبل "ظايف" والقاعد وكلها تقع بمنطقة حائل.

٢٢- تَوْم: "التُّوَيْم" بلدة قديمة لبني حمان بن سعد من تميم قال الحطيئة:

عفا توم من أهله فجلاجله ... فردّت على الحيّ الجميع حمائله

يعالين رقماً فوق عقم كأنه ... دم الجوف يجري في المزارع واشله

والتويم الآن مدينة متوسطة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة تقع على وادي المياه أسفل من جلاجل وفوق عشيرة جنوب المجمعة ٢٥ كيلاً بمنطقة سدير – من اليمامة.

٢٣- تَيْمَاءُ: المدينة التاريخية المشهورة، لها تاريخ قديم جداً قد يبلغ آلاف السنين، وهي بلاد السموأل بن حيان بن عاديا بن رفاعة بن الحارث بن ثعلبة بن عمرو بن مزيقيا الأزدي القحطاني صاحب الأبلق المشهور وهو الذي يضرب به المثل للوفاء[١] حيث قال:

وفيت بأدرع الكندي إنيّ ... إذا ما خان أقوام وفيت

وأوصى عادياً يوماً بألاّ ... تهدّم يا سموأل ما بنيت

وقال عامر بن الطفيل العامري:

وأنا ابن حرب لا أزال أشبُّها ... سمراً وأرقدها إذا لم توقد

فإذا تعذّرت البلاد فأمحلت ... فمجازها تيماء أو بالأثمد

وقال ربيع بن ضبع الفزاري:

---

(١) وهناك شك في هذه الرواية فضلاً أنظر ذلك في شعر امرئ القيس إلى قيصر.

ولقد أتيت بني المصاض مفاخراً   وإلى السّموأل زرته في الأبلق

فرأيت أفضل ما تحمّل جاحة   إن جئته في غارم أو مرهق

عرفت له الأقوام كلّ فضيلة   وحوى المكارم سابقاً لم يسبق

وتيماء الآن مدينة كبيرة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة ولا تذكر تيماء إلا ويذكر معها "هَدَّاج" وهو بئرها الغزيرة وقد أدرجتها مع كونها خارج نطاق البحث حسب المفهوم الاصطلاحي للمنطقة؛ لكنها مجاورة وملاصقة له من الناحية الغربية، ولها تأثير بطريقة أو أخرى على المنطقة موضع البحث، سيما وأن سكانها وما حولها، من بني صخر وبني زريق وبني مرداس وبني جوين الطائيين.

٢٤- ثَادِقُ: "ثادج" قديماً تقع على واد ضخم يفرغ في الرمة، به مياه أعاليه لبني أسد، وأسفله لبني عبس، قال فيه عقبة بن سوداء الأسدي:

ألا يا لقومي للهموم الطّوارق   وربع خلا بين السّليل وثادق

وطير جرت بين الغميم وحبجرى   بصدع النّوى والبين غير مفارقي

ولثادق برقة تضاف اليه ذكرها الحطيئة:

ينجو بها من برق عيلم طامياً   رزق الجمام رشاؤهن قصير

وكأن بقعمها ببرقة ثادق   ولوى الكثير سرادق منشور

وقال كعب بن زهير المازني:

وأخلفهن ثماد الغمار   وما كُنّ من ثادق يحتسينا

جعلن القنان بإبط الشمال   وماء العناب جعلنا يمينا

وثادق الآن مدينة متوسطة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة وينطق اسمها بالقاف بدلاً من الجيم تقع على طريق الرياض القصيم بمنطقة القصيم.

٢٥- ثَرْمَدَا: بلدة ونخل لبني سحيم من بني حنيفة، قال الشاعر:

وأقفر وادي ثرمداء وربّما   تداني بذي بهدى حلول الأصارم

وقيل لبني إمرئ القيس من تميم قال جرير:

فانظر خليلي بأعلى ثرمداء ضحى   والعيس جائلة أعرافها جنف

إن الزّيارة لا ترجى ودونهم   جهم المحيّا وفي أشباله غضف

وقال علقمة بن عبدة التميمي:

سقاك يمان ذو حبيّ وعارض   تروح به جنح العشيّ جنوب

وما أنت أم ما ذكرها ربعية   يخطُّ لها من ثرمداء قليب

وثرمداء الآن مدينة متوسطة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة، وهي بلد الربّان العربي الشهير ابن ماجد الذي ينسب الي أسرة آل ماجد في ثرمداء حيث كانت الدولة التركية تصرف لأسرته مخصص معلوم لقاء ما قام به من عمل اكتشاف البحار وتقع ثرمداء في منطقة اليمامة.

٢٦- جُبَّةُ: ماء بأعلى رمل عالج "النفود الكبير" وهي من ديار بحتر من طيء قال الشاعر:

زبنتك أركان العدوّ فأصبحت   أجأ وجبّة من قرار ديارها

وقال آخر:

بأجمل منها وإن أدبرت   فأرخ بجبّة يقرو جميلاً

وقال الطرماح بن حكيم الطائي:

من وحش جبّة أو دعته نيّة ... للنّا طلية من نوى البقّار

وقال الأعرج الطائي، وهو عدي بن عمرو:

كأنها بعدما خفّت ثميلتها ... من وحش جبّة موشيّ الشّوى لهق

وقال بشر بن خازم الأسدي:

فما صدع بجبّة أو بشرج ... على زلق زمالق ذي كهاف

وجبة الآن مدينة متوسطة عامرة بمقومات الحياة الخاضرة تقع الي الشمال عن حائل تبعد عنها مائة كيل وسط النفود.

٢٧- جَنَفَاء: "لشّملي" حالياً في ضغن عدنة، وهي في بلاد فزارة قال زبان بن سيار الفزاري:

فغن قلائصاً طوّحن شهراً ... ضلالاً ما رحلن الي ضلال

رحلت اليك من جنفاء حتى ... أنخت حيال بيتك بالمطالي

وقال الراجز:

إذا بلغت جنفاء فنامي

واستكثري ثمّ من الأحلام

وجنفاء الآن تسمى الشلمى حسب ترجيح الشيخ حمد الجاسر وهي مدينة متوسطة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة تقع الي الجنوب الغربي من حائل وتبعد عنها ١٧٠ كيلاً.

٢٨- جُزَالاَ: بلدة لبني عصم من باهلة قال الشاعر:

ألا يا بني عصم جزالاء بلدة ... مراطيب تبقى كلّ عام لكم حرباً

فلولاً صواد من جزالاء ذُلّح ... وهدل الثّريا ما وجدنا لكم ذنباً

إذا أرطبت منها المعاجيل هيّجت ... حروب رجال لم يروعوا لكم سرباً

وجزالاء اليوم بلدة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة تقع في عالية نجد.

٢٩- الجَعَلَةُ: ماء عظيمة لبني أُسَيِّد من تميم قال صخر بن عمير:

تهزأ مني أخت آل طيسلة

وقبلها عام ارتبعن الجعلة

والجعلة الآن بلدة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة تقع جنوب الأسياح "النباح قديماً" بمنطقة القصيم.

٣٠- الجِوَاءُ: "عيون الجوى" تشمل الجواء عدة قرى ومياه قال زهير بن أبي سلمى المزني:

عفا من آل فاطمة الجواء ... فيُمْنٌ فالقوادم فالحساء

فذ وهاش فميث عُرَيتنات ... عفتها الرّيح بعدك والسّماء

وقال جرير بن جنى التغلبي:

فيا دار سلمى بالصّريمة فاللّوى ... الي مدفع القيعان فالمتثلّم

أقامت بها في الصّيف ثم تذكّرت ... مصائرها بين الجواء فعيهم

وقال النابغة الجعدي:

أيا دار سلمى بالحروريّة اسلمى ... الي جانب الصّمان فالمتثلّم

عفت بعد لأي من سليم وعامر ... تفا نوا ودقّوا بينهم عطر منشم

ومسكنها بين الغروب الي اللّوى ... الي شعب ترعى بهن فعيهم

أقامت به البرْدَين ثم تذكّرت ... منازلها بين الجواء فجرثم

وقال عنترة بن شداد العبسي:

يا دار عبلة بالجواء تكلّمي ... وعمي صباحاً دار عبلة واعلمي

والجواء الآن تسمى عيون الجواء وهي مدينة متوسطة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة في منطقة القصيم.

٣١- الجَوْفُ: بلدة لبني كلب مثلها مثل دومة وسكاكه وذو قارة، ورد ذكرها في أخبار الحروب بين بني سليم وكلب في القرن الأول الهجري، ثم أطلق عليها جوف آل عمرو، وهي نسبة لسكانها بني عمرو من طيء الذين سكنوها في القرن الرابع الهجري،وتنخفض الجوف عما حولها الي ٥٠٠قدم تحت سطح الصحراء المحيطة بها.

والجوف الآن يطلق سكاكه أو "سكاكا" مدينة كبيرة مشهورة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة وهي أكبر مدينة في المنطقة في شمال المملكة.

٣٢- جِلاَجِلُ: بلد قديم لبني عوف بن مالك بن جندب من بني العنبر من تميم، قال الحطيئة:

عفا توم من أهله فجلاجله ... وردت على الحيِّ الجميع حمائله

وقال عوف بن الأحوص الكلابي:

مخافة أن تجنى عليّ وإنما ... يهيج كبيرات الأمور صغيرها

تسوق صريم شادها من جلاجل ... الي ودوني ذات كهف وقورها

إذا قيلت العوراء ولّيت سمعها ... سواي ولم أسأل بها مادبيرها

وجلاجل الآن مدينة متوسطة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة بسدير من منطقة اليمامة.

٣٣- الحُفَيْرُ: ماء بأجأ لبني فرير من طيء، قال الشاعر:

إن الحفير ماؤه زلالٌ ... أجره تروّاح الرجال

والحفير الآن بلدة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة تقع الي الشمال الغربي من حائل تبعد عنها ٧٠ كيلاً بوسط طرف النفود الجنوبي يعنوها من الغرب جبل قد غمر النفود معظمه يسمى الخشب.

٣٤- الحَائِطُ: "فدك قديماً" البندة الأثرية المشهور، وهي قديمة جداً، ومشهورة بكثرة مياهها، ووفرة نخيلها، وكثرة انتاجها منذ القدم، وكانت قبل غطفان لكلب، وقد اشتهرت بجودة التمر والرمان قال الراجز:

من عجوة الشّق نطوف في الودك

ليست من الوادي ولكن من فدك

وفي عام ٢٣١هـ داهمها "بغا" القائد العباسي وهو من أصل تركي فهرب معظم سكانها وبقي بعضهم فيها.

والحائط الآن مدينة متوسطة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة وقد أوردتها لمحاورتها للمنطقة المعنية بالبحث ولكونها تابعة إدارياً لمنطقة حائل.

٣٥- حَائِلُ: أو "البلدة" قديماً تقع على بطن واد بقرب أجأ قال أمرؤ القيس:

تصيّفها حتى إذا لم يسغ لها ... حليّ بأعلى حائل وقصيص

وقال أيضاً:

أبت أجأ أن تسلم العام ربَّها ... فمن شاء فلينهض لها من مقاتل

تبيت لبوني بالقرية أمَّنا ... وأسرحها غبّاً بأكفاف حائل

بنو ثعل جيرانها وحماتها ... وتمنع من أبطال سعد ونائل

وقال حاتم الطائي:

ولقد بغى بجلاد أوس قومه ... ذُلاًّ وقد علمت بذلك سنبس

حاشا بني عمرو بن سنبسّ إنهم ... منعوا ذمار أبيهم أن يدنس

وتواعدوا ورد القرية غدوة ... وحلفت بالله العزيز لنحبس

والله أعلم لو أتى بسلافهم ... طرف الجريض لظلّ يوم مشكس

وقال شاعر آخر:

لعمرى لنور الأقحوان بحائل ... ونور الخزامي في إلاء وعرفج

أحبُّ الينا يا حميد بن مالك ... من الورد والخيري ودهن البنفسج

وأكل يرابيع وضبٌّ وأرنب ... أحب الينا من سماني وتدرج

ونصُّ القلاص الصُّهب تدمى أنوفها ... يجبن بنا ما بين قوٌ ومنعج

أحب الينا من سفين بدجلة ... ودرب متى ما يظلم الليل يرتج

وقال جابر بن حني التغلبي:

ولقد أرانا يا سمى بحائل ... نرعى القريَّ فسامكا فالأمغرا

فالجزع بين ضباعة ورصافة ... فعوارض جوّ البسابس مقفرا

لا أرض أكثر منك بيض نعامة ... ومذانبا تندى وروضا أخضرا

وكانت حائل تسمى القرية و البلدة أو بلدة حائل، ثم سقط أسم البلدة فأصبحت تعرف بحائل وهي المدينة المشهورة وهي أشهر من أن تذكر تقع بحضن جبل أجأ الشمالي الشرقي وتلقب بعروس الشمال، وجوهرة الشمال.

٣٦- الحَلَيْفَتَان: "ذي الحليف قديماً" قاله ياقوت عن علي بن عيسى بن وهّاس وهو خبير بالمواضع القريبة من وادي الرمة وهي من بلاد غطفان وأسد قال الشماخ بن ضرار الذبياني:

وودعت علساً لاقى مناسمها ... لذي الحليف وداع المبغض القالي

والحليفتان الآن بلدتان عامرتان بمقومات الحياة الحاضرة هما الحليفة السفلى وهي في عداد المدن المتوسطةوالحليفة العليا وهي بلدة يقعان على وادي الرمة شرق حرة نخل "الحناكية" على طريق حائل المدينة المنورة جنوب حائل ٢٠٠ كيل.

٣٧- الحائرُ: من بلاد حنيفة على وادي حنيفة، عند ملتقى وادي حنيفة ووادي لحا ووادي البعيجاء قال الأعشى:

شاقتك من قتلة أوطانها ... بالشطّ فالوتر الي الحاجر

فركن مهراس الي مارد ... فقاع منفوحة فالحائر

والحائر الآن بلدة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة ترتبط بمدينة الرياض من الجنوب وتكاد أن تلتصق بها.

٣٨- حِجْرُ اليمَامَة: وهي قاعدة اليمامة وحاضرتها وخضراؤها، وهي من أقدم المدن في الجزيرة العربية، إذ عرفت خضراؤها أيام العرب البائدة طسم وجديس التي تسكن الخضرمة "الخرج حالياً" قال الأعشى بصف ما جرى لطسم وجديس ودور زرقاء اليمامة فيه:

ما نظرت ذات أشفار كنظرتها ... حقّاً كما صدق الذئبيُّ إذ سجعا
إذ قلّبت مقلة ليست بكاذبة ... إذ يرفع الآل رأس الكلب فارتفعا
قالت أرى رجلاً في كفه كتف ... أو يخصف النّعل لهفى أيّةٍ صنعا
فكذّبوها بما قالت فصبّحهم ... ذو آل حسان يزجّي الموت والشّرعا
فاستنزلوا أهل جوٍّ من منازلهم ... وهدّموا شامخ البنيان فاتضعا

وقال عبيد بن ثعلبة الحنفي:

حللنا بدار كان فيها أنيسها ... فبادوا وخلّوا ذات شيد حصونها
فصاروا قطينا للفلاة بغربة ... رميما وصرنا في الدّيار قطينها

وقال الأعشى:

وأيام حجر إذ تحرّق نخله ... ثأرناكم يوماً بتحريق أرقم
كأن نخيل الشّطّ غبّ حريقه ... مآتم سود غلّبت عند مأتم

وقال مروان بن أبي حفصة:

بذلت نصيحتي لبني كلاب ... فلم تقبل مشاورتي ونصحي
فدى لبني حنيفة من سواهم ... فإنهم فوارس كلّ فتح

الألف سنة الغامضة من تاريخ نجد

وقد أصبحت حجر تعرف بالرياض في القرن الحادي عشر الهجري وهي الآن من أكبر المدن العالمية وهي عاصمة المملكة العربية السعودية.

٣٩- حُرَيْمَلاء: أو حرملاء، قال البكري: موضع تلقاء ملهم حصن لبني غبر من بني حنيفة، قال أوس بن حجر التميمي:

تجلّل غدراً حرملاء وأقلعت ... سحائبه لما رأى أهل ملهما

وتقع حريملاء على وادي قران.

وحريملاء الآن مدينة متوسطة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة تقع الي الشمال الغربي من مدينة الرياض – منطقة اليمامة.

٤٠ -الحَفَرُ: حفر أبي موسى الأشعري وهو حفر بني العنبر من تميم مياه عذبة على طريق حج البصرة من النباج بين فلج وفليج "حفر الباطن".

والحفر الآن مدينة كبيرة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة وهي قاعدة الاقليم وتقع في الشمال الشرقي من الرياض- منطقة اليمامة.

٤١- الحُوَيِّطُ: "بديع قديماً" بلدة بها عيون لبني فزارة، وبني مرة من غطفان وأورد الهمداني قول الشاعر:

رويت خيرها فبديع ... ديمة كان نوءها الجوزاء

والحويط الآن بلدة كبيرة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة يقع الي الجنوب الشرقي من الحائط بمنطقة حائل إلى الجنوب الغربي عنها.

٤٢- الخَرْجُ: "جو" من أخصب أقاليم اليمامة وأوسعها رقعة وأكثرها ماء، وبها الخضرمة وهي مواطن جديس إحدى قبائل العرب البائدة، وقد اقتتلت طسم وجريس في قصة مشهورة ومنها زرقاء اليمامة المشهورة بحدّة البصر التي ذكرها الأعشى:

ما نظرت ذات أشفار كنظرتها ... حقًا كما صدق الذئبيُّ إذ سجعا
إذ قلّبت مقلة ليست بكاذبة ... إذ يرفع الآل رأس الكلب فارتفعا
قالت أرى رجلاً في كفه كتف ... أو يخصف النّعل لهفي أيّةٍ صنعا
فكذّبوها بما قالت فصبّحهم ... ذو آل حسان يزجّي الموت والشّرعا
فاستنزلوا أهل جوٍّ من منازلهم ... وهدّموا شامخ البنيان فاتضعا

والخرج اسم إسلامي، يبدو أنه مشتق من الخراج، وهي بلدة هوذة بن علي الحنفي، وقيل بلده الخضرمة القريبة من اليمامة الحالية، وقيل هو في قَران وكلها أسماء لبلدان متقارب ويدل على أنه في قران قول الأعشى:

أحيّتك تيّا أم تركت بدائكا ... وكانت قتولاً للرّجال كذلكا
وأقصرت عن ذكرى البطالة والصّبا ... وكانت سفاها ضلّة من ضلالكا

الي أن قال:

الي هوذة الوهّاب أهدي مديحتي ... أرجّي نوالاً فاضلاً من نوالكا
تجانف عن جوّ اليمامة ناقتي ... وما عمدت عن أهله لسوائكا

والخرج اليوم مدينة كبيرة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة الي الجنوب الشرقي عن الرياض ٨٠ كيلاً – منطقة اليمامة.

٤٣- الخِضْرِمَةُ: "اليمامة" تقع في وادي جَوّ، وكان لها شأن كبير وتاريخ حافل تنافس حجراً في اليمامة وتنازعها السلطة وهي قاعدة هوذة بن علي السحيمي الحنفي قال طهمان بن عمرو بن سلمة الكلابي:

يدي يا أمير المؤمنين أعيذها ... بحقّك أن تلقى بملقى يهينها
ولا خير في الدُّنيا وكانت حبيبة ... إذا ما شمال زايلتها يمينها
وقد جمعتني وابن مروان حرّة ... كلابيّة فرع كرام غصونها
ولو قد أتى الأنباء قومي تقلّعت ... اليك المطايا وهي خوص عيونها
وإن يحجرو الخضارم عصبة ... حروريّة جبنا عليك بطونها
إذا شبّ منهم ناشئ شبّ لاعناً ... لمروان والملعون منهم لعينها

واليمامة الآن بلدة كبيرة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة ملاصقة للخرج من الناحية الشمالية الشرقية تكاد لأن تلتحم بها لكن لها كيانها الخاص بدوائرها المستقلة.

٤٤- خَيْبَرُ: تقع مدينة خيبر التاريخية العريقة في حرة خيبر "حرة النار قديماً" وهي من المراكز الحضارية القديمة جداً وتحوى على العديد من الآثار، حيث يعود تاريخها الي الآلاف السنين وقد تكشف البحوث عن عمق تاريخها، وهي مجاورة لبلاد غطفان وتشتهر بكثر العيون وكثافة النخيل ووفرة التمور، وفي المثل: كحالب التمر على أهل خيبر.

قال الأخنس بن شهاب التغلبي:

لابنة حطّان بن عوف منازل ... كما رقّش العنوان بالرّق كاتب

ظللت بها أعرى وأشعر سخنة | كما اعتاد محموماً بخيبر صالب

وقال عبد الله بن ثور العامري:

ولا هند إلاّ أن تذكُر ما مضى | تقادم عهد والتذكُّر يشعف

كنائية ترعى الرَّبيع بعالج | فخيبر فالوادي لها متصيَّف

تحلُّ مع ابن الجون حرٌّ بلاده | فأنت الهوى لو أن ليلك يسعف

وخيبر الآن مدينة متوسطة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة وهي بطبيعة الحال خارجة عن نجد من الناحية الاصطلاحية ولكنها مجاورة لها وملاصقة من الناحية الغربية، ويمكن أن يكون لها دوراً كبيراً في التأثير عليها من الناحية التموينية والسكانية.

٤٥- دُومَةُ الجَنْدَلِ: "دوما الجندل" قديماً نقل ياقوت عن الواقدي دوما الجندل، وعن الكلبي: لما كثر ولد إسماعيل عليه السلام بتهامة خرج دوماء بن إسماعيل حتى نزل موضع دومة وبني به حصن فقيل له دوماء ونسب اليه الحصن وسميت دومة الجندل لأن حصنها مبني بالجندل وهي الحصى، وقال السكوني: دومة الجندل حصن وقرى بين الشام والمدينة قرب جبلي طيء وكانت به بنو كنانة، وكلب، ودومة من القريات وهي: دومة وسكاكة وذو قارة، وبدومة حصن أكيدر الملك السكوني، ويسميها الآشوريون " الأدوماتو" وتذكر الكتابات الآشورية المسماة "تعلخونو" ثم أطلقها وتحالف مع البابليين ضد الآشوريين، وكان يقام في دومة الجندل سوق من أسواق العرب المشهورة وتقع في الفضاء الواسع غرب حصن مارد، وكانت مركزاً دينياً هاماً للقبائل العربية

في القرن السابع قبل الميلاد وكانت مقراً للصنم "ود" وسدانته لبني وبرة من كلب.

ودومة الآن مدينة متوسطة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة تقع في شمال المملكة.

٤٦- الدَّيْلَمُ: "الدليمية" بلدة قديمة العمران وكانت ماء لبني عبس كما رجحه الشيخ محمد العبودي ويدل على ذلك بيت عنترة بن شداد الآتي:

شربت بماء الدحرضين فأصبحت | زوراء تنفر عن حياض الديلم

والدليمية الآن مدينة متوسطة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة تقع في منطقة القصيم.

٤٧- الرَّسُّ: ماء لبني منقذ بن أعيا من بني أسد به نخيل لبني برتن بن منقذ من أسد، وقيل الرس لبني أعيا، والرسيس لبني كاهل من أسد، قال عامر بن عمرو الحصيني المكارى:

بسهلة دار غيّرتها الأواصر | بترواحها والعاديات الأباتر

قطار وأرواح فأضحت كأنها | صحائف يتلوها بملحوب دابر

وأقفرت العلاء والرَّس منهم | وأوحش منهم يثقب فقراقر

وقال بدر بن مالك بن زهير يرثي أباه:

يمنع عنك السُّبق إن كنت سابقاً | وتقتل إن زلّت بك القدمان

فليتهما لم يشربا قطُّ شربة | وليتهما لم يرسلا لرهان

أحلَّ به أمس جنوب تذرّه | فأيُّ قتيل كان في غطفان

إذا سجعت بالرَّقمتين حمامة | أو الرَّس تبكي فارس الكنفان

وقال زهير بن أبي سلمى المزني:

لمن طلل كالوحي عافٍ منازله ... عفا الرّس منه فالرُّسيس فعاقله

وقال أيضاً:

تبصر خليلي هل ترى من ظعائن ... تحمّلن بالعلياء من فوق جرثمِ

وفيهن ملهى للّطيف ومنظر ... أنيق لعين النّاظر المتوسّمِ

بكرن بكوراً واستحرن بسحرة ... فهن وواد الرّس كاليد للفم

وقال الحطيئة العبسي:

عفا الرّس والعلياء من أمّ مالك ... فبرك فوادي واسط فنميم

وقال لبيد بن ربيعة العامري:

وبالرّس أوصال كأنّ زهاءها ... ذوي الضّمر لمازال عنها القبائل

والرس الآن مدينة كبيرة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة وهي إحدى مدن القصيم المعروفة.

٤٨ – **الرُّسَيْسُ**: وادبه ماء لبني كاهل من بني أسد، قال الحطيئة:

صموت السُّرى عيرانة ذات منسم ... نكيب الصّوى ترفضُ عنها الجنادل

عُذافِرَة خرساء فيها تلفُّت ... إذا ما اعتراها ليلها المتطاول

كأنّي كسوت الرّحل جونا رباعيا ... شئونا تربته الرُّسيس فعاقل

شنون أبوه الأحدري وأمُّه ... من الحقب فخاس على العرس باسل

وقال لبيد بن ربيعة العامري:

طلل لخولة بالرُّسيس قديم ... فعاقل فالأنعمين رسوم

وكأنّ معروف الدّيار بقادم ... فبارق غول فالرّجام فشوم

وقال زهير بن أبي سلمى المزني:

أبت ذكر من حب ليلى تعودني ... عياد أخي الحمىٰ إذا قلت أقصرا

كأنّ بغلاّن الرُّسيس وعاقل ... ذرى النّخل تسفو والسّفين المقيرا

وقال أيضاً:

أرادت جوازاً بالرُّسيس فصدّها ... رجال قعود في الدُّجى بالمعابل

كأنّ مَدُ هُدَى حنظل حيث سوّفت ... بأعطانها من حرّها بالمعابل

والرسيس الآن بلدة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة بمنطقة القصيم.

٤٩ – **الرَّبَذَةُ**: بلدة قديمة واقعة على طريق الحاج القديم وإليها ينسب حِمَى الربذة، أحد الأحمية القديمة، قال الشاعر أحمد بن عمر في وصف طريق الحج:

ثم توجّهنا نريد الرَّبذة ... ومنزلاً في بلدة منتبذة

لدى طريق غانم من أخذه ... لا يندم الدّهر به من نفذه

والربذة الآن بلدة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة تقع في منطقة القصيم.

٥٠ – **رُمَاحُ**: كان مورداً غزيراً في بلاد بني تميم قال فيه جرير:

أتصحو أم فؤادك غير صاح ... عشيّة همّ صحبك بالرّواح

تقول العاذلات علاك شيب ... أهذا الشّيب يمنعني مراحي

يكلّفني فؤادي من هواه ... ظعائن يجتزعن على رماح

وقال ذو الرمة التميمي:

وفي الأظعان مثل مهى رماح ... علته الشّمس فاذّرع الظّلالا

وقال أيضاً:

كأنَّ نعاج الرَّمل تحت جذورها ... بوهبين أو أرطى رماح مقيلها

وقالت أعرابية:

خليليَّ إن حانت بمورة ميتتي ... وأزمعتما أن تحفرا لي بها قبراً

ألا فاقريا مني السَّلام على فتى ... وحرَّة ليلى لا قليلا ولا نزرا

سلام الذي قد ظنَّ أن ليس رائيا ... رماحاً ولا من حرتيه ذرى حضرا

وقال كثير عزة الخزاعي:

كأن القيان الغر وسط بيوقم ... نعاج بجوٍّ من رماح خلالها

لهم أنديات بالعشيّ وبالضُّحى ... بها ليل يرجو الرَّاغبون نوالها

وقال عبيد بن الأبرص الأسدي:

وقد باتت عليه مها رماح ... حواسر لا تنام ولا تنيم

ورماح الآن مدينة متوسطة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة تقع الى الشمال الشرقي من الرياض – منطقة اليمامة.

٥١– رَنْيَةُ: بلدة في حد تبالة يسكنها بنو عقيل وهي قرب بيشة وتثليث ويمم وعقيق تمرة، وكلها لبني عقيل، ومياهها بثور أي أحساء تجري تحت الحصى بمقدار ذراعين وذراع وربما أثارته الدواب.

ورنية الآن مدينة كبيرة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة في عالية نجد من الجهة الجنوبية الغربية.

٥٢– الرَّوْضَةُ: بلدة لبني العنبر من تميم، كما جاء في كتاب الأصفهاني أما ياقوت فيقول إنها روضة الحازمي.

والروضة الآن تسمى روضة سدير وهي مدينة متوسطة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة.

٥٣– زُبَالَةُ: ماء لبني غاضرة من أسد، قال أحمد بن عمرو في وصف طريق الحج زبيدة:

ثم نزلنا بعده زبالة ... منزل صدق يونق النزالة

وترتعى في خصبة الرّمالة ... وبيننا مخطوطة طوالة

وذكر صاحب نشوة الطرب أن زبالة من قرى بني أسد بن خزيمة. وقال الأصفهاني: زبالة سوق عظيمة من أسواق طريق حج الكوفة وهي ماء لبني أسد، بها قصر وبناء السلطان وقيل بلدة عامرة بها حصن وجامع قال الشاعر:

ألا هل الي نجد وماء بقاعها ... سبيل وأرواح بها عطرات

وهل لي الي تلك المنازل عودة ... على مثل تلك الأرض قبل مماتي

فأشرب من ماء الزُّلال وأرتوى ... وأرعى مع الغزلان في الفلوات

والصق أحشائي برمل زبالة ... وآنس بالظُّلمان والظَّبيات

وزبالة بلدة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة في شمال المملكة.

٥٤- **الزُّلْفِيُّ**: "الزُّلَيْفَاتُ" قديماً من ديار عدى الرباب من بني تميم، وهي الزليفات، قال الحطيئة:

الله قـــد نجّـاك مـــن أراط ... ومن زليفـات ومـن لغـاط

والزلفي الآن مدينة كبيرة مشهورة في وسط نجد عامرة بمقومات الحياة الحاضرة في منطقة اليمامة.

٥٥- **سرَّاءُ**: موضع في بلاد طيء، وهي ماءة بأعلى وادي أعشـاش "العسر حالياً" قال زهير بن أبي سلمى المزني:

دار لأسمـــاء بـــالغمرين ماثلـــة ... كالوحي ليس بها من أهلها إرم

بل قد أراها جميعـاً وهـــي مقويـــة ... سرَّاءُ منها فوادى الجفر فالهدم

وقال أوس بن حجر التميمي:

لكن بفرتاج فالخلصـاء أنـت بهـا ... فحنبل فعلى سـرَّاء مسـرور

وسراء الآن بلدة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة تقع الي الجنوب عن حائل ٥٢ كيلاً.

٥٦- **سَقْفُ**: ماء لطيء بوادي القصة قال حاتم الطائي:

بكيت وما يبكيك من دمـــن قفـــر ... بسقف الي وادي عمودان فالغمر

الي الشّعب من وادي مشار فثرمـــد ... فبلدة مبنى سبنس لابنة الغمـر

وسقف الآن بلدة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة بجانـب جبـل وواد يسميان بنفس الأسم جنوب حائل ١٠٠ كيل.

٥٧- **سُكَاكَةُ**: "سُكَاكَا" بلدة قديمة يسكنها قوم من بني كلب وهي إحـدى قرى دومة الجندل قبل الميلاد، وعليها سور لكن دومة الجندل أحصن منها.

وسكاكة أو "سكاكا" الآن مدينة كبيرة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة وهي قاعدة منطقة الجوف في شمال المملكة.

٥٨- **سَمِيْرَاءُ**: هي بلاد نصر بن قعين من بني أسد، وهي حاضرة بني أسد قال مطير بن شييم الأسدي:

ألا أيُّهـــا الرُّكبـــان إنَّ أمـــامكم ... سميراء ماء ريُّـــه غـــير مجهـــل

وإنَّ علـــيهم إن مـــررتم علـــيهم ... أُبيا وإبَّاءً وقـــيس بـــن نوفـــل

وقال مرة بن عياش الأسدي:

جلت عن سميراء الملوك وغـــادروا ... بها شرَّقنّ لا يضيف ولا يقري

هجـيني نمـير طارقـــا ومجالـــداً ... بني كل زحَّاف الي عرَنِ القدر

فلو أن أهل الحيِّ مـــن آل مالـــك ... إذا لن أهلّي عن عيالها الحصر

وقال الأعرج الطائي واسمه عدي بن عمرو:

أضحت سميراء تردى في جوانبـــها ... خيل عليها فُتُوِّلي في الوغى صدق

وقال شاعر آخر:

رعـــت سمـــيراء الي أرمامهـــا ... الي الطّريفـــات الي هضّـــامها

وسميراء الآن مدينة متوسطة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة تقع في منطقة حائل.

٥٩- **سَاجِرُ**: ماء في ديار بني ذبيان، قال سلمة بن الخرشب الأنماري:

إذا ما عـــدوتم عامـــدين لأرضـــنا ... بني عامر فاستظهروا بـــالمرائر

وأمسوا حلالاً لا يفرّق بينهم … على كل ماء بين فيد وساجر

وقال خفاف بن ندبة الرياحي التميمي:

ولم أرها إلاّ تعلة ساعة … على ساجر أو نظرة بالمشرّق

وقال عمارة بن بلال بن جرير:

فإني لعكل ضامن غير مخضر … ولا مكذب أن يقرعوا سنّ نادم

وإلاّ يحل السّر ما دام منهم … شريد ولا الخثماء ذات المخارم

ولا ساجر أن يطرحوا القوس والعصا … ولا عدلهم أو موطؤ بالمناسم

وساجر الآن مدينة متوسطة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة تقع في عالية نجد.

٦٠- سَجَا: ماء لبني الأضبط بن كلاب، وهو في شعب جبل يقال له شعر، قال الشاعر:

ألا حبّذا برد الخيام على سجا … وقول على ماء التّليين أمرس

وقال آخر:

ساقى سجا يميد ميد المخمور … ليس عليها عاجز بمعذور

وقال أحد بني كلاب:

لا سلّمَ الله على حزمى سجا … من ينجو من حزمى سجا فقد نجا

أنكد لا ينبت إلاّ العوسجا … لم تترك الرّمضاء منيّ والوجا

والنّزع من أبعد قعر من سجا … إلاّ عروقاً وعظاماً حرّجا

وقال غيلان بن الربيع اللص:

الي الله أشكو محبس في مخيّس … وقرب سجا يارب حين أقيل

وإني إذا ماللّيل أرخى ستوره … بمنعرج الخلّ الخفيّ دليل

وقال سعيد بن عمرو الزبيري:

وإن يك ليلى طال باللّيل أو سجا … فقد كان بالجماء غير طويل

ألا ليتني بدّلت سنعاً وأهله … بدمخ واصراما بمضب دخول

وسجا الآن مدينة متوسطة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة تقع في عالية نجد.

٦١- السَّدِيْرَةُ: ماء بين جراد والمروت من مياه بني قشير، وقد أقطعها النبي صلى الله عليه وسلم حصين بن مشمت لما قدم عليه مسلماً، قال الشاعر:

تسائلني كم ذا كسبت؟ ولم أكد … بنفسي من يوم السّديرة أفلت

والسديرة الآن بلدة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة تابعة لأمارة القويعية من عالية نجد.

٦٢- سَدُوْسُ: بلدة بني سدوس بن شيبان بن ذهل، وتسمى البلدة، وهي من أخصب قرى اليمامة: وبها منبر وقصر مبني من حجر واحد، قال المخبل السعدي التميمي يهجو أهلها:

إن اليمامة شرُّ ساكنها … أهل القُرَيّة من بني ذهل

قوم أباد الله سادتهم … فشريدهم كالقُمَّل الطحل

فناقضه الحطيئة العبسي:

إن اليمامة خيرُ ساكنها … أهل القُرَيَّة من بني ذهل

الضّامنين لمال جارهم … حتى يستم نواهض البقل

قوم إذا انتسبوا ففرعهم ... فرعي وأثبت أصلهم أصلي

وسدوس الآن بلدة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة تقع الي الشمال الغربي من الرياض ٣٥ كيلاً منطقة اليمامة.

٦٣- سَعْدُ: ماء وبلدة ونخل من جانب اليمامة بقر قرى قال الصمة بن عبد الله القشيري:

ألا ليت شعري هل أبيتنّ ليلة ... بسعد ولمّا تخل من أهلها سعد

وهل أقبلنّ النّجد أعناق أينق ... وقد سار مشياً ثم صبّحها النّجد

وهل أخبطنّ القوم والرّيح طَلّة ... فروع ألاء حفّه عقد جعد

وكنت أرى نجداً وريّا من الهوى ... فما من هواي اليوم ريّا ولا نجد

فدعني من ريّا ونجد كليهما ... ولكنّني غاد إذا ما غدا الجند

وقال جرير من الخطفى التميمي:

ألا حيّ الدّيار بسعد إنّي ... أحبّ لحبّ فاطمة الدّيارا

إذا ما حلّ أهلك يا سُلَيمى ... بدارة صلصل شحطوا مدارا

أراد الظّاعنون ليحزنوني ... فهاجوا صدع قلبي فاستطارا

وقال أوس بن حجر التميمي:

تلقيتني يوم الفجير بمنطق ... تروّح أرطى سعد منه وضالها

وسعد الآن بلدة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة تقع في منطقة اليمامة.

٦٤- السَّهْبَاءُ: أحد قرى الخرج القديمة، وهي على مقربة من الخضرمة قصبة اليمامة قال جرير:

كلفت صحبي أهوالاً على ثقة ... لله درُّهم ركباً وما كلفوا

ساروا اليك من السّهبا ودونهم ... فيحان فالحزم فالصُّمان فالوكف

يزجون نحوك أطلاحاً مخدّمة ... قد مسّها النكب والانقاب والعجف

آلوا عليها يميناً لا تكلمنا ... من غير سوء ولا من ريبة حلفوا

يا حبذا الخرج بين الدّام والأدمي ... فالرّمث من برقة الرُّوحان فالعذف

والسهباء الآن جزء من مدينة الخرج المشهورة وتنطق "(السِّهْبَاء) جنوب شرق الرياض ٨٠ كيلاً.

٦٥- شَرْجُ: "شَرْيُ" مورد ماء عند فلسم لعبس بن بغيض قال زهير بن أبي سلمى المزني:

قد نكّبت ماء شرج عن شمائلها ... وجوّ سلمى على أركانها اليُمنِ

وقيل شرج ماء لبني أسد، قال تميم بن أبي بن مقبل العامري:

فألقى بشرج والصّريف بعاعه ... ثقال رواياه من المزن دُلّح

وقال طفيل الغنوي:

رأى مجتنوا الكرّاث من رمل عالج ... رعالاً مطت من آل شرج وأيهب

وقال أوس بن حجر التميمي:

خذلت على ليلة ساهرة ... بصحراء شرج الي ناظره

وقال مضرس بن ربعي الأسدي:

رأى القوم في ديمومة مدلهمّة ... شخوصاً تمنّوا أن تكون فحالا

فقالوا سيالات يرين ولم نكن ... عهدنا بصحراء الثّوير سيالا

فلما رأينا أنهنَّ ظعائن تَيَمّمْنَ شرجاً واجتنبن ريالا

لحقنا ببيض مثل غزلان عاسم يحوِّفن أرطى كالنّعام وضالا

وقال آخر:

أحقاً عباد الله أن لست سائراً بصحراء شرج في مواكب أو فردا

وهل أرينَ الدّهر عبلاً وعاقراً ورقداً إذا ما الآل شبَّ لنا رقدا

وقال الراجز:

أحللت من شرج فمن يحلُّ

يا شرج لا فاء عليك الظّلُّ

في قصر شجر حجر يصُلُّ

وقالت إمرأة من كلب:

سقى الله المنازل بين شرج وبين نواظر ديماً رهاما

فأوساط الشّقيق شقيق عبس سقى ربّي أجارعها الغماما

فلو كنّا نطاع إذا أمرنا أطلنا في ديارهم المقاما

وقال الحصين بن مطير الأسدي:

عرفت منازلاً بشعاب شرج فحيَّيت المنازل والشّعابا

منازل هيَّجت للقلب شوقا وللعينين دمعاً وانتحابا

وشرى أو شرج الآن بلدة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة تقع على طريق حائل القصيم القديم تابعة القصيم.

٦٦- **الشَّطْبَتانُ**: "الشطبية والضبيعة" لبني الحريش بن كعب بأرض اليمامة بهما نخل وزرع، وفي كتاب بلاد العرب: وللحريش واد يدفع على صداء يسمى اخدار لا يشاركهم فيه أحد، وحذاؤه الشطبتان وهما واديان بينهما نخل وهما للحريش من قشير.

والشطبتان أو الشبيطة والضبيعة بلدتان عامرتان بمقومات الحياة الحاضرة في منطقة الأفلاج من منطقة اليمامة.

٦٧- **الشَّعْرَاءُ**: من مياه بني نمير في جانب جبل ثهلان المشهور من الجهة الشرقية، ووادي الكلاب الذي وقعت فيه وقعتان من أيام العرب المشهورة قبل الإسلام، فضلاً أنظر يومي الكلاب الأول والثاني قال مالك بن الريب المازني التميمي:

عليَّ دماء البدن إن لم تفارقي أبا حردب يوماً وأصحاب حردب

سرت في دجى ليل فأصبح دونها مفاوز جمران الشّريف فغرَّب

تطالع في وادي الكلاب كأنها وقد أنجدت منه فريدة ربرب

وقال وعلة الجرمي:

ومنَّ عليَّ الله منّاً شكرته غداة الكلاب إذ تحزُّ الدَّوابر

ولما سمعت الخيل تدعوا مقاعساً علمت بأن اليوم أحمس فاجر

نجوت نجاء ليس فيه وتيرة كأني عقاب عند تيمَنَ كاسر

فإنّا وقد حالت جديَّةُ دوننا نعام تلاه فارس متواتر

وقال ذو الرمة التميمي:

فما شهدت خيل إمرئ القيس غارة   بثهلان تحمى عن ثغور الحقائب
أثونا به نقع الكلاب وأنتم   تثيرون نقع الملتقى بالمفارق
أدرنا على جرم وأفناء مذحج   رحى الموت فوق العاملات الخوافق
صدمنا هم كور الأماني صدمة   عماساً بأطواد طوال شواهق
إذا نطحت شهباء شهباء بينها   شعاع القنا والمشرفيّ البوارق

والشعراء الآن مدينة متوسطة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة تقع في عالية نجد.

٦٨- شَقْرَاءُ: إسم كانت تسمى به هضبة شقراء بجانبها جنوبيها وربما أخلد عنها العَلَمِيَّة وهي في ديار بني إمرئ القيس من تميم وأحياناً تضاف اليها أل التعريف فيقال الشقراء، قال زيادة بن منقذ التميمي:

متى أمر على الشقراء معتسفاً   خلّ النَّقا بمروج لحمها زِيَمُ
والوشم قد خرجت منه وقابلها   من الثَّنايا التي لم يقلها ثَرِمُ

وقال الحطيئة العبسي:

فلما نزلنا الوشم حمراً هضابه   أناخ علينا نازل الجوع أحمرا
رحلنا وخلّفنا عناءً مخيّماً   مقيما بدار الهون شقرا وأشقرا

وشقراء الآن مدينة كبيرة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة وهي قاعدة الوشم من منطقة اليمامة.

٦٩- الصَّدَارَةُ: "السِّتَارَةُ" بلدة من قرى الأفلاج تشترك مع بلدة الغيل في وادٍ واحد أسفله الغيل وأعلاه الصدارة في بلا جعدة وتكثر بها النخيل والأشجار.

والصدارة أو "الستارة" بلدة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة في منطقة الأفلاج من اقليم اليمامة.

٧٠- صُلْبُوخُ: "وَتْرُ" قديماً مدينة متوسطة بها نخل وحصون لبني غبر من بني حنيفة، وأنشد الخفصي:

يذودها عن زغري بوتر   صفائح الهند وفتيا غبر

وصلبوخ الآن بلدة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة شمال غرب الرياض ٧٥ كيلاً من منطقة اليمامة.

٧١- ضَارِجُ: "ضَارِيُ" بلدة قديمة لبني الصيداء من بني أسد وبني سبيع من حنظلة من تميم قال امرؤ القيس:

أصاح ترى برقاً أريك وميضه   كلمع اليدين في حبيٍّ مكلّل
قعدت له وصحبتي بين ضارج   وبين العُذَيْبِ بعدما متأمل

وقال الحصين بن الحمام المري:

وقالوا تبيّن هل ترى بين ضارج   ونهي أكفاً صارخاً غير أعجما
فالحقن أقواماً لئاماً بأصلهم   وشيّدن أحسابا وفاجأن مغنما

وقال الأسود بن يعفر النهشلي التميمي:

بالجوفا لأمراج حول مرامر   فبضارج فقصيمة الطُّرَّاد

وقال بشر بن خازم الأسدي:

بكل فضاء بين حرة ضارج   ونخل الي ماء القصية موكب

وقال النابغة الجعدي:

ونحن حبسنا عند قارة ضارج   لحنظلة العجلي ليثا مكللا

وقال الحطيئة العبسي:

نظرت الي فوتٍ ضحيًا وعبرتي   لها من وكيف الدمع شنٌ وواشل

الي العير تحدي بين قوٌ وضارج   كما زال بالصبح الأشاء الحوامل

فأتبعتهم عينيَ حتى تفرّقت   مع الليل في ساق الفريد الحمائل

وضارج أو "ضاري" الآن بلدة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة تقع في منطقة القصيم.

٧٢- ضَرْغَدُ: "ضَرْغَطُ" جبل وقيل حرة في بلاد غطفان، قال سنان بن أبي حارثة المري:

وبضرغد وعلى السَّديرة حاضر   وبذي أمرٌ حريمهم لم يقسم

وقال عامر بن الطفيل العامري:

قالوا لها: فلقد طردنا خيله   قلح الكلاب وكنت غير مطرَّد

فلأ بغينكم الملا وعوارضا   ولأهبطنّ الخيل لابة ضرغد

وقال النابغة الذبياني رداً عليه:

يا عام لم أعرفك تنكر سُنّة   بعد الّذين تتابعوا بالموصد

لو عاينتك كُماتُنا بطوالة   بالحزورية أو بلابة ضرغد

لثويت في قِدٍّ هناك موثّقاً   في القوم أو لثويت غير موسد

وقال طرفة بن العبد:

فذرني وخلقي إنني لك شاكر   ولوحلّ بيتي نائيا عند ضرغد

وضرغد أو "ضرغط" الآن بلدة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة يقع الي الجنوب عن حائل ٢٠٠ كيل وقربه بلدة أخرى تسمى "ضُرَيْغط" بالتصغير عامرة هي الأخرى بمقومات الحياة الحاضرة.

٧٣- ضَرِيَّةُ: بلدة لبني كلاب على طريق حاج البصرة الي مكة، وهي بلدة عظيمة غناء، وفي صدر الإسلام كان معظمها لآل جعفر، وبها بني عامر والنجار، وهي سرة الحمى التي بسبب اليها حمى ضرية، ويقال إن ضرية سميت بضرية بنت نزار، وهي أم حلوان بن عمران بن قضاعة، وقيل أم حولان وأخوته، قال المقدام بن زيد الحولاني:

نمتنا الي عمرو عروق كريمة   وخولان معقود المكارم والحمد

وأمي ذات الخير بنت ربيعة   ضريَّة من عيص السَّماحة والمجد

وقال جرير بن الخطفي التميمي:

حتى إذا مرّت على ضريّة   مرّت بأرض نزهة عذيّة

نازحة من الأذى بريّة

وقال في موضع آخر:

أتنسى داريّ هضبات غول   وإذ وادي ضريّة خير وادي

وعاذلة – تلوم فقلت مهلاً   فلا جوري عليك ولا اقتصادي

وقال علقمة بن عبدة التميمي:

ونحن جلبنا من ضريّة خيلنا   نجنّبها حدّ الأكام قطائطا

أصبنا الطّريف والطّريف بن مالك   وكان شفاء لو أصبن الملاقطا

وقال عوف بن عطية التميمي:

تميم يوم همّت أن تفاني ... وداني بين جمعهما المسر

بواد من ضريّة كان فيه ... له يوم كواكبه تسر

وقال جرير أيضاً:

تحكّك بالسّعدان فإن قيساً ... نفوكم عن ضريّة والهضاب

كجعثن حين أسبل ناطفاها ... عفرتم ثوب جعثن بالتّراب

وقال رجل من بني كلاب:

لأنا يوم البين أصبر من أجا ... ومن هضبتي سلمى ومن أسود الجفر

وملهضبة الحمراء حول ضريّة ... هل أبليت عذراً في التجلّد والصّبْر

وقال عمار بن سنان الضبابي، من بني كلاب سكان ضرية:

أقول وأبواب المخيّس دوننا ... مظاهرة الأركان قفلاً على قفل

الي أن قال:

يضيء سناه الهضب هضب ضريّة ... يكشّف عن أركانها غبرة المحل

وقال آخر:

يا حبّذا ضوء برق كان موقعه ... جوّا ضريّة فاللّعباء فالنّير

وقال آخر:

ألا يا حبذا لبن الخلايا ... بماء ضريّة العذب الزّلالا

وقال: زياد بن خليفة الغنوي، من غني باهلة:

ألا ليت شعري هل أبيتنّ ليلة ... بميثاء لا تؤذي عيالي بعوقها

وهل تأخذني ليلة ذات لذّة ... بد الدّهر ذاك رعدها وبروقها

من الواسقات الماء حول ضريّة ... يمجّ النّدى ليل التّمام بروقها

وضرية الآن مدينة متوسطة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة وتقع في منطقة القصيم.

٧٤- الضّلْفعُ: "الضّلْفعَة" ماء لبني عبس، قال زيد الخيل الطائي:

وأحللتكم من لبن دار وخيمة ... وكنتم بأطراف القنان بمرتع

فخرتم بأشياخ أصيبوا بخنعة ... وتنسون شبّاناً أبيموا بضلفع

وقال متمم بن نويرة التميمي في مرثيته لأخيه مالك:

سقى الله أرضاً حلّها قبر مالك ... ذهاب الغوادي المدجنات فأمرعا

و آثر سيل الواديين بديمة ... ترشح وسمياً من النّبت خروعا

فمنعرج الأجناب من حول شارع ... فروّى جناب القريتين فضلفعا

وقال رؤبة بن العجاج التميمي:

هاجت ومثلى نوله أن يربعا ... حمامة هاجت حماماً سجّعا

أبكت أبا الشّعثاء والشّميدعا ... وعند مغنى دمنة بضلفعا

والضلفعة الآن بلدة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة تقع الي الشمال الغربي من بريدة ٣٨ كيلاً في منطقة القصيم.

٧٥- ضرما: "قرماء" قديماً بلدة عظيمة بوادي قرقري، وهي لبني ظالم شهاب ومعاوية وأوس من بني نمير، قال جرير بن الخطفي التميمي:

سيبلغ حائطي قرماء عنّي ... قوافٍ لا أريد لها عتابا

وقال سليك بن السلكة:

كأن حوافر النحام لما ... تروّح صحبتي أصل محار

على قرماء عالية شواه ... كأنّ بياض غرته خمار

وقال الأعشى:

عرفت اليوم من تيّا مقاما ... بجوٍّ أو عرفت لها خيام[ا]

فهاجت شوق محزون طروب ... فأسبل دمعه فيها سجاما

ويوم الخرج في قرماء هاجت ... صباك حمامة تدعو حماما

وقيل قرماء من قرى بني إمرئ القيس بن زيد بن مناة تميم وضرماء أ[...]
قرماء الآن مدينة متوسطة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة في الوشم من منطق[ة] اليمامة.

٧٦- **طَابَةُ**: موضع في بلاد طيء وقيل ماء، قال زيد الخيل:

سقى الله ما بين القفيل فطابة ... فما فوق إرْمَامٍ فما دون تنْشُب

وطابة الآن بلدة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة تقع في سفح جبل ملس[ى] من الجنوب الشرقي جنوب شرق حائل ١١٠ أكيال.

٧٧- **عُقْدَةُ**: بلدة لبني عمرو سنبس، ومنها الطرمّاح بن الجهم العقد[ي] السبنسي.

وعقدة الآن قرية عامرة بمقومات الحياة الحاضرة تقع في جوف جبل أجا من الناحية الشمالية الشرقية الي الغرب عن حائل وتكاد المدينة أن تقترب منه[ا] وهي منتزه لمدينة حائل بمناظرها الخلابة الرائعة ومياها العذبة وبساتينها الغناء.

٧٨- **عَرْضُ شَمَامْ**: أو "عَرْضُ القُوَيْعِيَّة" يحتوي على مجموعة قرى، سكانه من باهلة وبني نمير وبني قشير في جنوبيه ومن قراه السود، وسخين، وسخنة، ومريفق، وعبسان، وواسط، وعويسجة، والعوسجة، والأبطة، وذو طلوح، أعلاه حصن ابن عصام صاحب النعمان بن المنذر، والقويع، في ثنية وحزالا، والثريا، والجوزاء، وبه معادن النحاس والفضة والذهب والحديد، قال امرؤ القيس يذكر شمام عندما كان في بلاد طيء:

كأني إذا نزلت على المعلّى ... نزلت على البواذخ من شمام

فما ملك العراق على المعلّى ... بمقتدر ولا ملك الشآم

وقال لبيد بن ربيعة العامري:

فهل نبئت عن أخوين داما ... على الأيام إلاّ أبنى شمام

وإلاّ الفرقدين وآل نعش ... خوالد ما تحدّث بانهدام

وقد بقي بعض هذه القرى على اسمها القديم، وهي عامرة بمقومات الحياة الحاضرة أما آثار التعدين فلا تزال باقية حتى الآن، وتقع في عالية نجد.

٧٩- **عَرْوَا**: ماء قديم لباهلة بجانب جبل أسود شاهق الي الشمال عنه غربي شمام. وعروا الآن بلدة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة تقع في عالية نجد.

٨٠- **عَفِيْفُ**: ماء قديم لبني كلاب قال الشاعر:

وما أم طفل قد تجمّم روقه ... تعزّى به سدراً وطلحاً تناسقه

بأسفل علأن العفيف مقيلها ... أراك وسدر قد تخضرّ وارقه

وعفيف الآن مدينة متوسطة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة تقع على طريق الرياض الطائف غرب النير وشرق سجا وشمال المردمة في عالية نجد.

٨١- عِرْقَةُ: بلدة باليمامة يسكنها بنو عدي بن حنيفة.

وعرقة الآن بلدة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة بجانب مدينة الرياض تكاد أن تحتويها ضمن أحيائها.

٨٢- عَقْرَبَاء: "الجُبَيْلَةُ" قاعدة مسيلمة الحنفي وبها حديقته وهي إحدى الحواضر الثلاث لبني حنيفة، وهي الحجر، والخضرمة، وعقرباء، تقع على وادي حنيفة، وقد وقعت بها أعظم معركة في حروب الردة قيل أنه قتل فيها من بني حنيفة سبعة آلاف من بينهم مسيلمة الحنفي، ومن المسلمين ألف ومئتا قتيل من بينهم زيد بن الخطاب "ض" والقراء السبعون وتقع بقايا قبورهم في جزع وادي حنيفة الجنوبي قبالة الجبيلة التي هي جانب عقرباء وفي هذه الموقعة قال ضرار بن الأزور الأسدي:

ولو سئلت عنّا جنوب لأخبرت ... عشيّة سالت عقرباء وملهم
وسال بفرع الواد حتى ترقرقت ... حجارته فيه من القوم بالدم
عشيّة لا تغني الرّماح مكانها ... ولا النّبل إلا المشرفي المصمم
فإن تبتغي الكفار غير مليّة ... جنوبي فإنّي تابع الدّين مسلم
أجاهد إذا كان الجهاد غنيمة ... ولله بالمرء المجاهد أعلم

وقال الهمداني: بعقرباء من العرض قبور الشهداء، وعقربا اليوم لبني بكر بن ظالم من نمير والهمداني عاش في القرن الرابع الهجري.

وعقرباء أو الجبيلة الآن بلدة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة تقع على وادي حنيفة بالقرب من الرياض – منطقة اليمامة.

٨٣- عُنَيْزَةُ: كانت روضة مطمئنة ينتهي اليها سيل بعض الأودية الصغيرة، وقد استخرج ماءها محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس قال الفرزدق:

أنخنا اليها من حضيض عنيزة ... ثلاثا كلدود الهاجرى رواسيا

وأول من سكن عنيزة واستوطنها في الفترة الوسيطة بعض من بني خالد يسمون الجناح "أجداد المؤلف الذي ينتهي اليهم نسبه" نزلوا على بئر تسمى أم القطا وهي العيارية الآن، وسميت المحلة باسم القبيلة وكان ذلك في حدود المئة الخامسة الهجرية، وقيل بعد ذلك وبعد القرن السابع سكن بجوارهم زهري بن جراح السبيعي العامري وكثر جيرانه وأصبحت أربعة أحياء أو إمارات وهي الجناح قرية من قومه والبديري والضبط بجانبها يحكمها آل جناح من بني خالد، والعقيلية وهي لآل أبي غنام، والمليحية وهي لآل معمر من الفضل من آل جراح وآل زامل وكلهم من سبيع، والجادة وأهلها الشحنة المعروفون بالشاعيب وهم أبناء عم لآل معمر والخريزة والبرغوش أهلها من بني زهري بن جراح وعنيزة الآن مدينة مشهورة وهي ثاني مدينة بالقصيم عامرة بمقومات الحياة الحاضرة.

٨٤- العُيَيْنَةُ: هي عيين بني عامر من بني حنيفة. وقد لعبت دوراً مهماً في العصور المتأخرة. وهي الآن مدينة متوسطة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة على وادي حنيفة بمنطقة اليمامة وتكاد مدينة الرياض أن تحتويها.

٨٥- **غَضْوَرُ**: ماء لطيء على اليسار عن رَمّان، قال الشاعر:

الي ضوء نار بين قرآن أوقدت ... وغضور تزهاها شمال مشارك

وقال الشماخ بن ضرار الذبياني:

فأوردها ماء بغضور آجناً ... له عرمض كالغسل فيه طموم

وقال عروة بن الورد العبسي:

لعلك يوماً أن تسرّى ندامة ... عليّ بما جشّمتني يوم غضورا

وقال امرؤ القيس:

عوامر للأعراض من دون شابة ... ودون الغميم قاصدات لغضورا

وقال عروة أيضاً:

عفت بعدنا من أُمِّ حسّان غضور ... وفي الرّحل منها آية لا تغير

وبالغرّ والغرّاء منها منازل ... وحول الصّفا من أهله متدرّ

وقال رجل من بني أسد:

تبعت الهوى يا طيب حتى كأنني ... من أجلك مضروس الجرير قؤد

تعجرف دهراً ثم طاوع قلبه ... فصرّفه الرُّوّاض حيث تريد

وإن ذياد الحبّ عنك وقد بدت ... لعينك آيات الهوى لشديد

وما كلُّ ما في النّفس للنّاس مظهر ... ولا كلُّ ما لا تستطيع تذود

وإنّي لأرجو الوصل منك وقدرجا ... صدى الجوف مرتاداً كداه صلود

وكيف طلابي وصل من لو سألته ... قذى العين لم يطلب وذاك زهيد

ومن لو أرى نفسي تسيل لقال لي: ... أراك صحيحاً والفؤاد جليد

فيا أيها الريم المحلّى لبانه ... بكر مين كرمي فضّة وفريد

أجدّيَ لا أمشي برمّان خالياً ... وغضور إلا قيل أين تريد

وقال الشماخ بن ضرار الذبياني أيضاً:

كن الشّباب كان روحة راكب ... قضى أربا من أهل سقف وغضورا

وغضور الآن واد فيه بقية نخل في غرب جبل رَمّان قرب طريق حائل المدينة المنورة وأسفل من الوادي قرية تسمى قُصَيِّر غضور جنوب الغزالة جنوب حائل ١١٥ كيلاً منطقة حائل.

٨٦- **أُلْغَاطُ**: "لُغَاطُ" قديماً بلدة لبني ضبة من بني تميم، وقيل لبني مازن بن عمرو من تميم، قال عقبة بن قدامة الحبطي يمدح بني مازن:

وهم حصدوا بني سعد بن قيس ... على القضبان بالبيض القصار

وردُّوهم غداة لغاط منهم ... بأكباد وأفئدة حرار

وقيل لبني مبذول وبني العنبر من تميم، قال هرار بن حكيم وقيل الحطيئة العبسي:

والجوف خير لك من لغاط ... ومن ألآت وأبي أراط

وسط محلّم من الأوساط ... ومن جواد الشدّ ذي اهتماط

وقال بلال بن جرير بن الخطفى التميمي:

أما علمت أنّي أحب لحبها ... لغاط فجاد المدجنات بها الودقا

وقال عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير يصف غيثاً:

فأطّم ذا مرخ فبات يكبّه ... عمّا أطمأنّ من الكثيب توثّب

وعلى لغاط فبات يلفظ سيله ... في قرقرى شعب اليمامة تشعب

والغاط أو "لغاط" مدينة متوسطة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة تقع إلى الشمال الغربي عن الرياض وهي من أكبر مدن سدير من منطقة اليمامة.

٨٧- غِسْلَةُ: "ذَاتُ غِسْلٍ" بلدة لبني كليب بن يربوع من تميم، ثم صارت لبني نمير، وقيل لبني إمرئ القيس من تميم، قال ذو الرمة التميمي:

وأظعان طلبت بذات لوث ... يزيد رسيمها سرعاً ولينا

أنخن جمالهن بذات غسل ... سراة اليوم يمهدن الكدونا

وقال شاعر آخر:

أيا ذات غسل يعلم الله إنني ... لجوك من بين الجواء صديق

ويا ذات غسل ريح أرضك طيب ... كمسك لقى بين الصّلاء سحيق

وغسلة أو "ذات غسل" الآن بلدة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة تقع في منطقة اليمامة.

٨٨- الغَيْلُ: واد لبني جعدة، وهو فلج من الأفلاج له نخيل كثيرة وحصون وبأعلاه نفر من بني قشير، ومنبر، قال البحتري الجعدي:

ألا يا ليل قد برح النّهار ... وهاج اللّيل حزنا والنّهار

كأنك لم تجاوز آل ليلى ... ولم يوقد لها بالغيل نار

وقال عثمان بن صمامة الجعدي:

وقد قلت للقرّي إذ كنت رائحاً ... الي الغيل فاعرض بالسّلام على نعم

على نعمنا لا نعم قوم سوائنا ... هي الهمّ والأحلام لو يقع الحلم

وقال المجنون وهو قيس بن الملوح العامري:

أبت ليلة بالغيل يا أمّ مالك ... لكم غير حب صادق ليس يكذب

ألا إنّما أبقيت يا أمّ مالك ... صدى أينما تذهب به الرِّيح يذهب

والغيل الآن بلدة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة وقد زرتها عام ١٤١٨هـ والي جانبه الصدارة "الستارة" وهي بالأفلاج من منطقة اليمامة.

٨٩- فِرْتَاجُ: ماء لبني أسد، قال زيد الخيل الطائي:

فلوا أنّ نصراً أصلحت ذات بينها ... لضحّت رويداً عن مطالبها عمرو

ولكنّ نصراً أدمنت وتخاذلت ... وقالوا عمرنا من محبتنا القفر

فإن تمنعوا فرتاج فالقفر منهم ... فإنّ لهم ما بين جرثم والغفر

وقال الراعي المري أو الكلبي

كأنّما نظرت دوني بأعينها ... عين الصَّريمة أو غزلان فرتاج

وقال رجل من عذرة:

بفرتاج من أرض الحيلفين أرّقت ... جنوباً وما لاح السِّماك ولا النَّسر

ومن دون مسراها الّذي طرقت به ... شماريخ من رَمّان يردى بها العفر

وقال عمرو بن كلثوم يهجو النعمان بن المنذر ويعيره بأمه:

حلّت سليمى بخبت بعد فرتاج ... وقد تكون قديما في بني ناج

إذ لا ترجيّ سليمي أن يكون لها ... من بالخورنق من قنّ ونسّاج

وأن يكون على أبوابها حرس ... ولا تكفكف قبطان بديباج

تمشي بعدلين من لؤم ومنقصة ... مشى المقيّد في الينبوت والحاج

وفرتج الآن مزارع في حضن جبل "ذرف" ترف قديماً جنوب حائل ١٢٠ كيلاً.

٩٠- فَيْدُ: بلدة في بلاد نبهان من طيء، ومعهم أخلاط غيرهم من قبائل أخرى، وقد أقطعها رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد الخيل النبهاني رضي الله عنه حين قدم عليه وسماه زيد الخير، وبقي بنو نبهان بها حتى القرن الخامس الهجري قال لبيد بن ربيعة العامري (ض).

مريّة حلت بفيد وجاورت ... أهل العراق فأين منك مرامها

وقال سلمة بن الخرشب الأنماري:

وأمسوا حلالاً لا يفرّق بينهم ... على كلّ ماء بين فيد وساجر

وقال زهير بن أبي سلمى المزني:

ثم استمرّوا وقالوا أين مشربكم ... ماء بشرقيّ سلمى فيد أوركك

وبفيد نزل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه بالجيوش الإسلامية لحرب العراق عند بدء الفتوحات الإسلامية، فأقام بها شهراً ثم ارتفع بالجيوش الي زرود.

وفيد الآن مدينة متوسطة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة تقع في حضن جبل سلمى الشرقي الي الشرق عن حائل ١١٥ كيلاً.

٩١- الفَوّارَةُ: بلدة لبني عبس، ثم لعيسى بن سليمان بن عباس من بني هاشم؛ ذات عيون فوارة وبها نخيل كثيرة وعيون للسلطان.

والفوارة الآن مدينة متوسطة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة تقع الي الشمال الغربي من بريدة بمنطقة لقصيم.

٩٢- الفَلْجُ: "الأفْلاَجُ" بلد أربابه جعدة وقشير، والحريش بنو كعب فالحريش في وادي الهدار فيه نخل وزرع، أما قشير فهي بالمدراع وبه الحصون والنخل. قال الراجز:

نحن بنو جعدة أصحاب الفلج

نحن منعنا بطنه حتى انعرج

نضرب بالسيّف ونرجو بالفرج

والأفلاج الآن منطقة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة وقاعدتها ليلى من أكبر المدن في المنطقة.

٩٣- القَارَةُ: أو "قارا" ذو قارة قديماً، سميت بالقارة لقارة بجوارها، إحدى قرى دومة الجندل القديمة مثل سكاكة ودومة وهي قائمة على جبل وبها حصن منيع تقع جنوب مدينة سكاكة وقارة أوقارا الآن مدينة متوسطة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة جنوب سكاكا بينهما ١١ كيلاً.

٩٤- القُرَيَّة: على لفظ تثنية قرية مصغرة موضع على طريق البصرة مكة، قال جرير:

تغشى الثباج بنو قيس بن حنظلة ... والقريتين بسرّاق ونزّال

وقال مالك بن نويرة التميمي:

وآثر سيل الواديين بديمة ... ترشّح وسميًا من النبت خروعا

فمجتمع الأسدام من حول شارع   فروى جبال القريتين فضلفعا

والقرية الآن بلدة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة تقع في متسع من الأرض خصب على الضفة الجنوبية لوادي الرمة شرق مدينة عنيزة بمنطقة القصيم.

٩٥- القَرْعَاءُ: "جومرامر" قديماً ماء لعبس قال الأسود بن يعفر:

بالجوفا لأمرات حول مرامر   فبضارج فقصيمة الرُّوَّاد

وقال أيضاً:

وتذكَّرت حمض الجريب وماءه   والجزع جزع مرامر والعيلما

وجبا نفيع يوم أورد أهله   وكأنها ظلَّت نصارى صيَّما

وقال ناهض الشهابي الكلابي:

صبحنا يوم جوِّ مرامرات   بني ذبيان جدَّ الهندواني

تركنا منهم بمرامرات   ملاحم لا تبيد عل الزَّمان

فليتهما غداة مرامرات   وقد حشد الكتائب ينظران

وقال أبو شجرة بن عبد العزي، وهو ابن الخنساء:

فلو سألت عنّا غداة مرامر   كما كنت عنها سائلاً لو رأيتها

لقاء بني فهر وكان لقاؤهم   غداة الجواء حاجة فقضيتها

صبرت لهم نفسي وعرَّجت مهرتي   على الطَّعن حتى صار ورداً كميتها

إذا هي صدَّت عن كميٍّ أريده   عدلت اليه صدرها فهديتها

والقرعاء الآن مدينة متوسطة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة تقع في منطقة القصيم.

٩٦- القُوَارَةُ: "الكُوَارَةْ" قديماً ماء لبني سليط بن يربوع من تميم. والقوارة الآن بلدة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة تقع في منطقة القصيم.

٩٧- قَوٌّ: "قُصَيْبَا" حديثاً، ماء بين فيد والنباج من بلاد عبس، قال الحطيئة العبسي:

كأن لم تقم أظعان ليلى بملتقى   ولم تر في الحيِّ الحلال ترود

ولم تحتلل جنبي أثال الي الملا   ولم ترع قوًّا حذيمْ وأسيد

وقال عنترة بن شداد العبسي:

كأن السَّرايا بين قوٍّ وقارة   عصائب طير ينتحين لمشرب

وقال الراجز:

صبحن قوّاً والحمام واقع   وماء قوٍّ مالح وناقع

وقال الحطيئة أيضاً:

نظرت على فوتٍ ضحيًّا ونظرتي   لها من وكيف الرأس شنٌّ وواشل

الي العير تحدى بين قوٍّ وضارج   كما زال في الصُّبح الأشاء الحوامل

فأتبعتهم عينيَّ حتى تفرَّقت   مع اللَّيل عن ساق الفريد الجمائل

وقال سلامة بن جندل التميمي:

يا دار أسماء بالعلياء من إضم   بين الدَّكادك من قوٍّ فمعصوب

كانت لنا مرَّة داراً فغيرها   مرُّ الرِّياح بساف التُّرب مجلوب

وقصيبا أو "قو" الآن مدينة متوسطة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة تقع [...] منطقة القصيم.

٩٨- القَرِينَةُ: "قُرّان" قديما لبني سحيم بن مرة من الدول من بني حنيفة الذين منهم هوذة بن على الحنفي أعظم ملوك العرب الذي قال فيه الأعشى:

الي هوذة الوهّاب أهديت مِـدْحَتِي	أُرَجِّيْ نوالاً فاضلاً من نوالكما
تجانف عن جـوِّ اليمامـة نـاقتي	وما قصدت من أهلها لسوائكما

ووفد قران الي النبي صلى الله عليه وسلم طلق بن علي وعلي بن شيبان

وقال علقمة بن عبدة التميمي:

سلاءة كعصا النهـدي غـل بهـا	ذو فيئة من نوى قرّان معجوم

وقال ذو الرُّمة التميمي:

تقيّظن من أعراف لـبن وغمـرة	فلمّا تعرّفن اليمامة مـن عفر
تزاورن عن قرّان عمداً ومـن بـه	من النّاس وازورّت سراهن عن حجر

والقرينة أو "قران" الآن بلدة عامرة بمقومات الحياة الحاضـرة تتوسط الشعيب أسفل من حريملاء وأعلى من ملهم بمنطقة اليمامة.

٩٩- الكَهْفَةُ: ماء لبني أسد قريبة القعر بجنب جبيل عنيزة الواقع قرب فيد فيما بينه وبين الأجفر.

وهي الآن مدينة متوسطة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة ويقربها بلدة أخرى تسمى الكُهَيْفِيَّةُ عامرة بمقومات الحياة الحاضرة وتقع في منطقة حائل الى الشرق عنها.

١٠٠- اللُّقَيْطَةُ: ماء بأجأ لطيء.

واللقيطة الآن قرية عامرة بمقومات الحياة الحاضرة تقع الي الشرق عن جبل أجأ شمال حائل وتكاد أن تتناولها المدينة بأحيائها الشمالية.

١٠١- لِيَنَةُ: لبني غاضرة من أسد بها ثلاثمائة عين، وهي من أعظم مياه بني أسد، قال الأشهب بن رميلة.

لله درّي أيّ نظـرة ذي هـوى	نظرت ودوني لينـة وكثيبهـا
إذا ظعن قد تمّمـت نحـو حائـل	وقد عزّ أرواح المصيف جنوبها

وقال مضرس بن ربعي الأسدي:

لمـن الـدّيار غشـيتها بالإثمـد	بصفاء لينة كالحمام الرُّكّـد
أمست مساكن كل بـيض راعـه	عجل تروّحهـا وإن لم تطـرد
صفراء عارية الأخـادع رأسـها	مثل المدقّ ورأسـها كالمسـرد
وسخال ساجية العيـون خـواذل	بجماد لينة كالنصّارى السُّجّد

وقال زهير بن أبي سلمى المزني:

كأنّ ريقتها بعد الكرى اغتبقـت	من طيّب الرّاح لما بعد أن عتقا
شجّ السُّقاة على ناجودها شـبماً	من ماء لينة لا طرقا ولا رنقـا

وقالت امرأة من عبس:

ومن يهد لي من ماء بقعاء شـربة	فإنّ له من مـاء لينـة أربعـاً

وقال مزيريق بن صالح العشيري:

أيام أضـلع لمـاء اللّـواتي بلينـة	سقين من صوب الغمام اللّوامع

وقال أبو حجين المنقري التميمي:

ألا ليت شعري هل أبيتنَّ ليلة   بأسفل وادٍ ليس فيه أذان

وهل آكُلَنْ ضباً بأسفل تلعة   وعرفج أكمام المديد خواني

أقوم الي وقت الصلاة وريحه   بكفيَّ لم أغسلهما بشنان

وهل أشربن من ماء لينة شربة   على عطش من سؤر أمِّ أبان

ولينة الآن بلدة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة تقع الي الشمال الشرقي عن حائل.

١٠٢- مَوْقَقُ: موقق بلدة ذات نخل وزرع لجرم من طيء، وقيل ماء لبني عمرو بن الغوث، صار لبني شمجى من طيء، قال زيد الخيل الطائي:

ولحن ملأنا جوَّ موقق بعدكم   بني شمجى خطيَّة وحوافرا

وكل كميت كالفتاة طِمِرَّةٍ   وكل طمرٌ يحسب الغوط حاجرا

فأجابه جبلة بن مالك بن شيماء من بني شمجى بن أخزم الطائي:

ما إن ملأتم جوَّ موقق بعدنا   ولا جباها إلا غرينا مجاورا

مجاور جيران أسأت جوارهم   فألفوك مشئوم النَّقيبة فاجرا

وموقق الآن مدينة متوسطة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة في حضن جبل أجا من الناحية الغربية غرب جنوب حائل.

١٠٣- مُبَايِضُ: مبايض لبني تميم، وفيه أحد أيام العرب وهو لبكر على تميم، وكان طريف بن تميم العنبري أحد فرسان العرب قد قتل شراحيل الشيباني في

سوق عكاظ، وكان حمصيصة الشيباني يتوسم طريفاً ليأخذ الثأر بشراحيل، فقال طريف:

أو كلَّما وردت عكاظ قبيلة   بعثوا الي عريفهم يتوسَّم

فتوسموني إنني أنا ذاكم   شاكي السُّلاح وفي الحوادث معلم

تحتي الأغرُّ وفوق جلدي نثرة   زعف تردُّ السَّيف وهو مثلَّم

حولي أُسَيِّد والهجيم ومازن   وإذا حللت فحول بيتي خضَّم

وقتل حمصيصةُ طريفاً في موقعة جرت على مبايض فقال حمصيصة:

ولقد دعوت طريف دعوة جاهل   سفهاً وأنت بمعلم قد تعلم

الي قال:

سلبوك درعك والأغرَّ كلاهما   وبنو أُسَيِّد سلموك وخضموا

وقال عبدة بن الطبيب التميمي:

كأنَّ ابنة الزَّيدي يوم لقيتها   هنيدة مكحول المدامع مرشق

يراعي خذولاً ينفض المرد شادن   ينوش من الضَّاوي الفذال ويعلق

وقلت لها يوماً بوادي مبايض   ألا كلُّ عانٍ غير عانيك يعتق

وقال المتلمس بن علي الضبعي:

ألك السَّدير وبارق   ومبايض ولك الخورنق

وقال جرير:

خيلي التي ركبت غداة مبايض   فرجعن سبيكم وكل سوام

ومبايض الآن بلدة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة تقع في منطقة اليمامة فضلاً أنظر يوم مبايض في أيام العرتب.

١٠٤- مَرْأَةُ: "مرأة" وهي من بلاد إمرئ القيس من تميم قال ذو الرمة التميمي:

فلمّا وردنا مرأة اللُّؤم علّقت   دساكر لم ترخص لخير ظلالها

ولو عبرت أصلاً عن بن همّس   على ذات غصن لم تشمّس رحالها

وقال عمارة بن عقيل بن جرير التميمي:

ويوم مرأة إذ وليتم رفضاً   وقد تضايق بالأبطال واديها

ومرأة أو مراة الآن مدينة متوسطة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة تقع في الوشم من منطقة اليمامة.

١٠٥- المَصَانِعُ: بلدة من قرى اليمامة ذات نخيل ومزارع لم تدخل في صلح خالد بن الوليد مثل جارتها منفوحة التي تقع بجانبهاوقد احتوتها مدينة الرياض الآن.

١٠٦- مَلْهَمْ: بلدة لبني غبر بن يشكر، قال المرقش الأكبر:

بل هل شجتك الظُّعن باكرة   كأنهن النخل من ملهم

وقال ضرار بن الأزور الأسدي:

فلو سئلت عنّا جنوب لأخبرت   عشيّة سالت عقرباء وملهم

وسال بفرع الواد حتى ترقرت   حجارته فيه من القوم بالدّم

فإن تبتغي الكفّار غير مسيلة   جنوب فإنّي تابع الدّين مسلم

وقال جرير:

أتبعتهم مقلة إنسانها غرق   يا هل ترى تارك للعين إنسانا

كأنّ أحداجهم تحدى مقفّية   نخل بملهم أو نخل بقرّانا

وقال داود بن متمم بن نويرة التميمي:

ويوم أبي حرّ بملهم لم يكن   ليقطع حتى يترك الذّحل ثائره

لدى جدول النّيرين حتى تفجّرت   عليه نحور القوم والحرّ حائره

وملهم الآن بلدة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة تقع الي الشمال الغربي من الرياض – منطقة اليمامة.

١٠٧- مَنْفُوحَةُ: بلدة مجاورة لحجر اليمامة، وهي لقيس بن ثعلبة بن وائل، وهي بلد الأعشى ميمون بن قيس الذي قال فيها:

شاقتك من قتلة أوطانها   بالشّط فالوتر الي الحاجر

فركن مهراس الي مارد   فقاع منفوحة فالحائر

وقد لعبت منفوحة دوراً مهما في العصورالمتأخرة، وهي الآن جزء من مدينة الرياض العاصمة.

١٠٨- التّحائِتْ: أو "التُّحيْتِيَّة" موضع معروف ببلاد غطفان، قال زهير بن أبي سلمى المزني:

قفراً بمندفع التّحائت من   ضفوى آت الضّال والسّدر

والتحائت أو التحيتية بلدة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة تقع على مقربة من كتف وادي الرمة الجنوبي بقرب النقاء وادي الرقم "الرقب"

شمال عجاجان وجنوب مشاش جاوان جنوب حائل ١٨٠ كيلاً – منطقة حائل.

١٠٩– النَّبَقِيَّةُ: "النَّبَقَةُ" قديماً قرية لبني طهية من بني مالك بن حنظلة تميم، قال الراعي النميري:

تبصر خليلي هل ترى من ظعائن   بذي نبق زالت بهن الأباعر

دعاها من الخِلّين خلّي ضئيدة   حمام بعكّاش لها ومحاضر

والنبقية الآن بلدة عامرة بمقومات الحية الحاضرة تقع في منطقة القصيم.

١١٠– النَّبهانِيَّةُ: بلدة لبني نبهان بن عمرو الطائي، ثم صارت لبني والبة من بني أسد.

وهي الآن مدينة متوسطة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة تقع على طريق المدينة المنورة – وهي بمنطقة القصيم.

١١١– النَّبْوَانُ: ماء نجدى لبني أسد، قال مساور بن هند العبسي:

فما ضرّني بكر أصيبت بزنقب   ومعقركم بكراً على النّبْوان

وقال الراجز:

شرج رواء لهم وزنقب

والنّبوان قصب ومثقب

والنبوان الآن بلدة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة جنوب غرب حائل منطقة حائل.

١١٢– نِفِيّ: "نفء" قديماً بلدة قديمة لباهلة، قال امرؤ القيس:

غشيتُ ديار الحيّ بالبكرات   فعارمة فبرقة العيرات

فغول فحلّيت فنفء فمنعج   الى عاقل فالجبّ ذي الأمرات

وقال طفيل الغنوي:

تواعدنا أضاخهم ونفئاً   ومنعجهم باجياد عضاب

وقيل نفي ماء لبني غني قال خالدبن سعيد الغنوي:

كأنّي بالأحزّة بين نفي   وبين منى على كتفي عقاب

ونفي الآن مدينة متوسطة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة تقع في عالية نجد.

١١٣– النَّقْرَةُ: بلدة لبني فزارة، قال أبو المسور:

فصبّحت معدن سوق النّقرة   وما بأيديها تحسّ فترة

في روحة موصولة لبكرة   من بين حرف بازل وبكرة

وهي واقعة على طريق الحج العرقي، قال الراجز:

ثم أتوا من حيث باتوا النّقرة   بمنزل بين صخور وعرة

ليس به من نبت أرض خضرة   ظلت اليه عيسنا منشمرة

وقال آخر:

ثم أتوا من حيث باتوا النّقرة   وهي تحص العدّ تأتي العشرة

والنقرة الآن مدينة متوسطة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة تقع في منطقة القصيم.

١١٤- نَعَامُ: واد به ماء كان لبني عقيل ثم صار لبني هزان الوائلي وجرم، قال الحارث بن لؤي:

أتتك هزانٌ من نعامها ومن علاتها ومن آكامها

وقال آخر:

فما يخفى عليَّ طريق برك وإن صعّدت في وادي نعام

وكانت نعام مشهورة بكثرة نخيلها، ووفرة إنتاجها.

ونعام الآن مدينة متوسطة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة، ولو أن جارتها الحريق المدينة الحديثة قد فاقتها بالمكانة فأصبحت قاعدة المنطقة وقد زرتهما عام ١٤١٨هـ وتقع نعام والحريق بمنطقة اليمامة.

١١٥- يَبْرِينُ: رمل معروف في بلاد بني سعد تميم به ماء، قال الحطيئة:

إنْ امرءٌ رهطه بالشّام منزله برمل يبرين جار شدَّ ما اغتربا

هلاَّ التمست لنا إن كنت صادقة مالاً فيسكننا بالخرج أولسبا

ويبرين الآن بلدة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة تقع الي الجنوب الشرقي من الرياض وهي على حدود منطقة اليمامة الجنوبية الشرقية.

١١٦- يَثْقُبُ: موضع في بلاد غطفان، قرب روضة الأجداد، قال معن بن أوس المزني:

سرت من قرى الغرّاء حتى اهتدت لنا ودوني خرابي الطَّويُ فيثقب

وقال نميكة الغطفاني:

عُصَبٌ دفعت من الأبارق من قنا بجنوب رخّة فالرِّفاق فيثقب

وقال النابغة الذبياني:

أرسماً جديداً من سعاد تجنَّب عفت روضة الأجداد منها فيثقب

وروضة يثقب هي روضة الأجداد بجانب جبل يثقب الواقع في حضن الحرة وسيل واديه ينحدر في وادي الحليفة، وتقع روضة يثقب في الشمال الشرقي من الحائط "فدك" قديما وهي بلدة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة – في منطقة حائل وغير ذلك من المواقع.

(ب) الجيل الثاني من القرى والبلدات المدن:

١- بُرَيْدَةُ: قديمة العمارة، تأسست في القرن العاشر الهجري حيث اشتراها راشد الدريبي من آل هذال من شيوخ عنزة وعمرها وسكنها وذلك عام ٩٨٥هـ.

وبريدة الآن أكبر مدينة مشهورة بالقصيم عامرة بمقومات الحياة الحاضرة.

٢- الدِّرْعِيَّةُ: نسبة الي الدروع وهم بطن من بني حنيفة أعطوها مانع المريدي وقومه، وهو جد الأسرة السعودية فعمروها عام ٨٥٠هـ، وقد لعبت هذه المدينة دوراً هاماً في المنطقة في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجرين في عصر الدولة السعودية الأولى من عام ١١٦٠- ١٢٣٣هـ.

والدرعية الآن مدينة متوسطة تكاد أن تلتحم بمدينة الرياض العاصمة من ناحيتها الغربية – بمنطقة اليمامة.

٣- حَرْمَةُ: حرمة عمرها إبراهيم بن حسين بن مدلج الوائلي عام ٧٧٠هـ، حيث انتقل اليها من التويم، وكان لها دور بارز في القرنين الثاني والثالث عشر الهجريين.

وحرمة الآن مدينة متوسطة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة في اقليم سدير من منطقة اليمامة.

٤- قفَارُ: مدينة قديمة يرجع تأسيسها الي القرن الثامن الهجري حوالي ٧٥٠هـ أو ما قبله أو بعده بقليل وكانت تتكون من ثلاث قرى متجاورة هي الطريف والبقار وآل سفيان من سنبس من طيء ثم كبرت والتحمت تلك القرى وجمعها اسم قفار وسكنها بعد ذلك بنو تميم وكانت لها شهرة كبيرة بالمنطقة وخارجها، وكانت مركزاً حضارياً حيث ازدحمت بالسكان، وخرج من سكانها أعداد كبيرة عمرت عدداً من القرى في القرن الثاني والثالث عشر الهجريين مثل الغزالة والحفينة والمستجدة و الروضة والسبعان، وجفيفاء والسليمى وقصر العشروات حين خرجت أفواج من بني تميم وغيرهم من القبائل واستوطنوا تلك البلدان التي أصبح بعضها الآن مدناً متوسطة وبلدات وقرى؛ ومنها أي قفار خرجت أفواج اتجهت الي القرى العامرة بالمنطقة والي القصيم وسدير. وقفار الآن مدينة متوسطة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة تقع بقرب مدينة حائل وتكاد أن تلتحم بها من الناحية الجنوبية الغربية.

٥- المَجْمَعَةُ: بلدة قديمة عمرها عبد الله الشمري من آل ويار من عبده عام ٨٢٠هـ وبقيت له ولعقبة آل سيف ثم آل عثمان ثم لآل مزيد وجاورهم

التواجر وبني تميم وغيرهم، ولعبت دوراً هاماً في القرن الثالث عشر الهجري والمجمعة الآن مدينة كبيرة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة وهي قاعدة سدير من منطقة اليمامة.

٦- المِذْنَبُ: بلدة قديمة العمارة، وقد أشار اليها بشر بن أبي خازم الأسدي بقوله:

حلفت بربِّ الدَّاميات نحورها ... وما ضمَّ أجواز الجواء ومذنب

لكنها لم تعمر إلا في القرن السادس أو السابع الهجري:

والمذنب الآن مدينة متوسطة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة تقع في منطقة القصيم الي جانب مواقع أخرى التحقق منها.

٧- الهلالية: بلدة قديمة العمارة منسوبة لبني هلال وبنو هلال كما هو معروف تواجدوا في هذا المكان في القرن الرابع الهجري قبل هجرتهم المعروفة الي المغرب والهلالية في القرن الخامس ٤٣٠هـ الآن مدينة متوسطة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة تقع في منطقة القصيم، الي جانب مواقع أخرى يجرى التحقق منها.

٧- ما مصير هذه النقاط:

ما مصير هذه النقاط الحضارية في العهدين الأموي والعباسي؟ هذا السؤال يصبح حتمياً على ضوء ما تقدم عن حالة تلك المدن والقرى من حيث التواجد والانتشار والعمران ويكاد أن يلفها الغموض، سوى ومضات باهتة وغير كافية عن اليمامة وضرية وما عداهما فلا يكاد يذكر شيء عن هذه المنطقة التي تحتل مكان الصدارة من شبه الجزيرة العربية، ومعلوم أن العهد الراشدي ثم الأموي والعباسي قد امتد الي ما يزيد على ستة قرون ونصف، وهذه حقبة طويلة لها أهميتها الكبيرة في حياة هذه النقاط الحضارية، سيما وأنها في فترة نشاطها وعمرانها باللغة العربية الفصحى قبل أن تسود فيها العامية في العصور المتأخرة، فيا ترى هل نالت نصيبها ودونت عنها أخبار عفى عليها الزمن؟ أم بقيت في المجال الهامش تحت ستار كثيف من اللامبالات؟ وتراكم عليها غبار النسيان فبقيت غامضة هي ومن فيها من السكان على مدى تلك القرون؟ إذا استثنينا تعين ولاة اليمامة في العهد الراشدي وصدر العهد الأموي وصدر العهد العباسي، والاضطرابات التي تحدث بين السكان المحليين والوالي الذي عينته المدينة أو دمشق أو بغداد، والحملة التأديبية التي أرسلتها بغداد للقبائل الثائرة في نجد، وما يتعلق بالأحمية والأقطاعات التي تصدر من دمشق وبغداد لذوي الحظوة والجاه لمنحهم بعض العيون أو القرى لاتخاذها مربعاً أو مشتى يتنعمون في مثل هذه الأوقات متمتعين بأجوائه الربيعية متنعمين بخيراته المنتجة لحسابهم؛ إذا استثنينا هذه الالمامات البسيطة فإننا لا نجد أي ذكر للنقاط الأخرى على

طول امتداد هذه البقعة الشاسعة، فما معنى هذا التجاهل؟ أيكون فعلاً حدث التجاهل وهو مقصود خاصة في العهد العباسي عندما دخلت عناصر غير عربية في إدارة دفة الأمور أم أنه دوّن عنها أشياء وأشياء وبقيت في أرفف النسيان يتراكم عليها غبار السنين؟ أم أنها ضاعت برمتها مع ما ضاع من تراث الأمة في الحملة المغولية في القرن السابع الهجري؟ الاحتمالان واردان وإذا كان من أمل في الوصول الي شيء ففي الاحتمال الأول الذي ربما يكشف عن إيضاحات عن هذه النقاط في ذلك الوقت، حيث أنه من المستبعد أن تهمل مناطق واسعة تحتوي على هذا العدد من نقاط التجمع، ومن هذا العدد الضخم من القبائل، سيما وأن العدد الكبير من رجال الخلافة وقادة الجند والجيوش من هذه المنطقة سواء أكان ذلك من سكان هذه المدن والقرى أو من القبائل العربية التي تتخلل هذه المدن والقرى وتعمر تلك البقاع، ويبدو للناظر المتعمق أن هذه النقاط قد استمرت تنبض بالحياة بمختلف أنحاء هذه البقعة على اختلاف قوتها وضعفها وتاريخ بدايتها رغم الغموض الذي يلف تفاصيلها، وربما كشفت الأيام عن تفاصيل شافية لذوي الشأن، ورب قائل يسأل إذا كانت هذه النقاط حية منذ ما قبل البعثة وحتى الآن فما هي الأدلة التي يمكن الاستنارة بها للاقتراب من بداية الطريق الصحيح الذي ربما يوصل الي الحقيقة الواضحة عن هذه النقاط عبر تلك الحقب الزمنية؟

٨- هل بقيت هذه النقاط بدون سلطات؟:

نعود الي النقاط الحضارية فنقول:

هل بقيت هذه النقاط التي تزيد على المئة بدون سلطات تحكمها وتلم شئونها تضبط حاضرتها وتسيطر على باديتها؟ وما هي هـــذه الكيانـــات التي حكمت هذه البقعة؟ هل بقيت السيطرة للبادية على الحاضرة؟ إذا كانت كذلك فما هي القبيلة أو القبائل التي سيطرت على هذه البقعة؟ هل كان للحاضرة قوة تمكنت بموجبها من السيطرة على البادية وإخضاعها لهيمنتها؟ ومن هم أولئك الحكام الذين سيطروا على هذه القبائل؟ أم كانت الحاضرة في حالة ضعف لم تتمكن من تكوين نفسها وبقيت في حالة من التفكك لم تستطع معها أن تخضع من حولها من البادية؟ وإذا كان هذان القطبان من المجتمع وهما الحاضرة والبادية لم يستطع أحدهما التغلب على الثاني فكيف كانت حالة هذه البقعة؟ هل سادت الفوضى والسلب والنهب بحيث بقى القوي يلتهم الضعيف؟ وما هـــي الآثار المترتبة عل ذلك؟ ولا بد في هذه الحالة من تغلب أحد العنصرين على الآخر فأيهما العنصر المتغلب؟ هل هم سكان المدن والقرى لرســوخهم في المكان وامتلاكهم مقومات الحياة كالغذاء والكساء؟ أم القبائل المحيطة بهـــا والخفيفة الحركة من مكان الي آخر والتي تسيطر على الطرق والبراري؟ هذه التساؤلات وكثير غيرها فيما يتعلق بالإمور الأقتصادية والتجارية والاجتماعية تحتـــاج إلى إجابة، وإجابتها قد توجد في مكان ما، قد يكون بين ثنايا تلك المخطوطات التي مر ذكرها في الفصل السابق، وقد تكون في أماكن أخرى غيرها المهم أنها تحتاج

الي بحث مستميت للوصول الي الحقيقة: وقد نجد نصوصاً تدلنا على ضالتنا تحت أنقاض الآثار في المناطق الأثرية، فالحضارة المصرية القديمة لم تتضح معالمهـــا إلا بعد التنقيب عنها في مواطنها، والعثور على النصوص التاريخية في مختلف شئون الحياة، وكذلك الحال في الحضارة البابلية لم تتبلور وتظهر للعيان إلا بعد التنقيب عنها وإخراجها من مدينة بابل على عمق عشرات الأمتار، وليس ببعيـــد عنـــا مدينة الفاو التي تم العثور عليها قبل سنوات على الحرف الجنوبي الغربي من نجد الي جانب مدينة الربذة التي يعد البحث عنها الآن وهناك مواقع أثرية أخـــرى تنتظر دورها ليكشف النقاب عما تحتويه من آثار وربما نجد نصوصاً تدل علـــى شيء مما نبحث عنه وليس من الضروري أن نجد بغيتنا في مكان واحـــد، أو أن نصل الي هدفنا من نقطة واحدة، بل هناك عملية التجميع والتنسيق فقد نجد في هذا المكان ما يدل على جانب من الجوانب التي نرغبها، وفي ذاك جانب آخـــر وثالث ورابع حتى تستكمل الصورة التي نريدها أو تقترب من الاكتمال وربمـــا وجدت معلومات ذات قيمة فيما تحويه خزائن العلماء من المخطوطـــات قـــد تراكم عليها غبار السنين. إذ من غير المعقول أن تبقى هـــذه البقعـــة بطولهـــا وعرضها ومدنها وقراها وقبائلها بدون سلطان تحكمها في هذا المدى الطويـــل، فإذا علمنا مما دونه المؤرخون ووصل الينا من أحداث القرن الثاني عشر الهجري فيما جرى بين حواضر نجد كشقراء وجارتها أشيقر أو ثرمـــداء وأثيفيـــة، أو الدرعية والرياض وأبعد من هذا أن نجد في مدينة كعنيزة تحتوي علـــى أربـــع كيانات أو أمارات حسب المفهوم السائد آنذاك إذا كانت الصورة على هـــذا

الوضع في ذلك الوقت المتأخر أي القرن الثاني عشر الهجري التاسع عشر الميلادي، فما بالك بتلك القرون المتعاقبة التي مرت على هذه المنطقة حتى رأس القرن العاشر الهجري بما فيها من مدن وقرى بكثافة سكانها ونشاطها المختلفة!! أو من ينتقل في جنباتها من القبائل العربية متعددة البطون والأفخاذ والعشائر والفروع؛ لابد. إذا أن يكون هناك كيانات تولت تصريف شئون المنطقة فما هي؟.ولا يفوتنا الاشارة الي مملكة كندة التي قامت في نجد وقامت عاصمتها في غمر ذي كندة أولاً ثم بطن عاقل وما عثر عليه من النصوص التاريخية في هذا المجال والتي جرى إثباتها في صدر الكتاب.

٩-ماهي الكيانات التي امتدت سلطتها على نجد؟:

تركزت السلطة في العهد الراشدي على اليمامة بصفة خاصة حيث كانت تحكم من المدينة المنورة وذلك لأهميتها ومنتجاتها الغذائية، وعلى أجزاء من منطقة القصيم بما يحاذي الأهمية للاستفادة من مراعيها، وسار الخلفاء على هذا المنوال في العهد الأموي، حيث كانت تحكم من دمشق،وزاد الاهتمام بما يحيط بالنباج "الأسياج" بالقصيم وذلك بالاقطاعات لبعض الأسر الهاشمية ثم قامت اضطرابات في العقد السابع من القرن الأول الهجري في اليمامة حيث صارت تخضع للدمشق تارة ولأبي طالوت بالبحرين "الأحساء" تارة أخرى،وللنجدات ثالثة ثم خضعت لدمشق على مدى العصر الأموي حيث ربطت بالعراق إدارياً حتى قام المهير بن سلمى الحنفي بثورة على علي بن المهاجر الوالي الأموي الذي هزم في معركة "قاع حجر" واستقل بها المهير حتى

العهد العباسي حيث بسط العباسيون نفوذهم على اليمامة، يتتابع عليها الولاة حتى دب فيها الضعف مثلها مثل بقية أجزاء البلاد الإسلامية وكثرت بها الانتفاضات مما اضطر الخليفة الواثق الي توجيه القائد التركي "بغا" للقضاء على تمرد قبيلة بني نمير في بداية العقد الرابع من القرن الثالث الهجري، ثم استولى بنو الأخيضر في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري على اليمامة وكونوا قاعدتهم في "جو الخضارم" بالخرج واستمر الأخيضريون يحكمون اليمامة من ٢٥٣ – ٤٨٦هـ ثم امتد اليها حكم القرامطة من البحرين "الأحساء" ومن جاء بعدهم من العيونيين والفضليين من بني عصفور وبني جروان والجبريين حتى حوالي منتصف القرن العاشر الهجري، هذا ما يتعلق باليمامة أما بقية نجد جنوبها وشمالها وغربها فلم يقع نظري على ذكر له يشفى الغليل سوى ومضات تاريخية متناثرة هنا و هناك في أزمنة مختلفة متباعدة ومعظمها في القرن الثامن والتاسع والعاشر الهجري؛ حيث بقيت اليمامة بزعامة بني حنيفة وأميرهم طفيل بن غانم الحنفي كما ذكر ذلك إبن بطوطة. غير أن هناك فروع من قبيلة طيء في بداية القرن السابع أو الثامن الهجري قد اتجهت من الشمال الي الجنوب الشرقي كربيعة الطائية ثم جاء بعدهم بنو لام وتفرع منهم الفضول وبنو المغيرة وبنو كثير، وكان لهم شأن في جنوب نجد ووسطها حيث تركز آل المغيرة بوسط نجد الأعلى واتخذوا الشعراء قاعدة لهم وتركز آل فضل وآل كثير في أوسط نجد، ثم جاء بعدهم بنو خالد من غزية طيء وغيرها بعد أن اتجهوا جنوباً على مشارف الحجاز قرب المدينة المنورة ثم اتجهوا شرقاً وانداحو في القصيم حيث حلوا في

الكثير من قراه ومدنه وكان لهم شان هناك في القرن الثامن والتاسع الهجري بقي منهم من بقى متحضراً وتوجه الكثير منهم الي البحرين "الأحساء" وعلى ساحل الخليج العربي حيث أقاموا بعد ذلك كياناً لهم هناك في القرن الحـادي عشر بزعامة آل حميد وآخرهم آل عريعر استمر حتى صدر القـرن الثالـث عشر الهجري، وكان يمتد نفوذهم غرباً حتى شمل أجزاء من نجد، ومـا عـدا هذه الكيانات الحضرية فإننا نجد الكيانات القبلية تبرز على الساحة بشكل رئيسي فقبيلة عنزة العدنانية في القرن التاسع الهجري تبرز لتأخذ زمام الأمور من قبيلة الفضول الطائية وآل مغيرة الطائية، ثم يبرز فرع طائي آخر هم الظفير لتنازع عنزة مرة أخرى.

ويدخل القرن العاشر الهجري فتغير عنزة على الفضول في منطقة القصيم وتأخذ إبلهم بعد قتال شديد ثم تلتقي عنزة ومعهم فروع من شمر بالظفير ومعهم فروع من حرب وسبيع والسهول وبعد قتال شديد دارت الدائرة علـى عنزة ومن معهم وقتل عدد من مشاهير الفريقين. "فضلاً انظر تفاصيل ذلك في كتاب "الحروب والمجاعات والأمراض".

هذا الوضع الذي جعل شريف مكة في النصف الثاني من القرن التاسع وحتى القرن العاشر الهجري يقوم بغزو نجد على فترات متفاوتة، يستغل كل فرصة سانحة تبرز له، ابتداء من جس النبض على مشارف المنطقة، حتى غاص في عمقها حين وصل الي "معكال وهو حي من مدينة الرياض الحالية" فضلاً أنظر الكتاب المشار اليه إذا هناك حلقات مفقودة قد تروي ظمأ الباحث عن

الألف سنة الغامضة من تاريخ نجد

تاريخ هذه المنطقة: هذه الحلقات تمتد من القرن الأول الهجري، وحتى نهاية القرن العاشر الهجري، هذه الحلقات لا تقتصر على مدينة بعينها بـل تشمل المنطقة من أقصى جنوبها الي مشارف شمالها ومن حافتها الشرقية الي منحدراتها الغربية فيا ترى أين توجد تلك الحلقات؟.

١٠- دلائل الاستمرار موجودة:

ومن دلائل الاستمرار لهذه النقاط الحضارية على سبيل المثال لا الحصر:

(أ) الأسماء:

فإن ما يقارب ٩٠% من أسماء هذه النقاط الحضارية لا تزال تحتفظ بأسمائها القديمة منذ قبل بزوغ الإسلام عدا ما يدخل بعض هذه الأسماء من تغيير طفيف كالتذكير والتأنيث مثل الضلفع الذي يعرف حالياً "بالضلفعة" أو قـارا "قارَةْ" أو دوما الجندل "دُومَةُ الجَنْدَلْ" أو الدبلم "الدُّلَيْمةْ" أو ما يـأتي هيئة التصغير مثل توم المعروف حالياً بـ"التُّويم" أو ما يأتي علـى تبادل القاف والكاف مثل الكوارة المعروفة حالياً "بالقُوارَةْ" أو ما يأتي على التبادل بين القاف والجيم مثل ثادج المعروفة حالياً بـ"ثَادِقْ" أو ما يأتي بتبادل القاف والضاد مثل قرما المعروفة حالياً بـ"ضَرَمَا" أو ما يأتي من إبدال الجيم الي ياء على لغة تميم مثل ضارج المعروفة حالياً بـ"ضَارِيْ" أو شرج "شَرِيْ" وما عدا هذه التغييرات البسيطة فإن الأسماء تكاد أن تكون هي أسماء هذه النقاط منذ ذلك الحين ولـو نظرنا الي أسماء الجبال والأودية والمناهل لربما ارتفعت هذه النسبة الي ما فـوق الـ ٩٥% فما الذي جعل هذه النقاط الحضارية وهذه المعالم الشاخصة تحتفظ

بأسمائها عبر ما يزيد على أربعة عشر قرناً من الزمن؟ الإجابة على هذا السؤال تتركز على نقطتين أساسيتين أولاهما أن يكون هناك نصوص تاريخية ووثائق جغرافية تنقل هذه الأسماء من جيل الي جيل وهذا غير مستبعد، وثانيهما أن يكون هناك تواجد حضاري مستمر في هذه النقاط وما حولها عبر تلك القرون وهذا التواجد هو الذي نقل هذه الأسماء كما هي منذ ذلك الوقت وحتى الزمن الحاضر، فأشيقر التي تغنى بها مضرس بن ربعي، وثرمداء التي تغنى بها جرير لا تزالان تحملان نفس الأسماء كما تحمل جُبّة نفس الاسم الذي تغنى به بشر بن خازم الأسدي؛ ولا تزال موقق تحمل نفس الاسم الذي ذكره زيد الخيل الطائي، كما أن الرس تحمل أسمها الذي تغنى به زهير بن أبي سلمى المزني وسميراء تحتفظ باسمها الذي ذكره مطير بن شييم الأسدي، وفيد لم يتغير أسمها الذي أشار اليه زهير بن أبي سلمى المزني؛ كما لم يتغير اسم ملهم الذي أومى اليه طرفة بن العبد، واحتفظت عفيف بنفس الاسم الذي تغنى به الشاعر، كما لم يتغير اسم ضرية الذي ذكره المقدام بن زيد الخولاني، وكذلك احتفظت سقف بالاسم الذي ذكره حاتم الطائي، ولم يتغير اسم الجواء التي ذكرها عنترة بن شداد بإضافة عيون اليها وسكاكة وذو قارة بنفس الأسماء عدا تغييرات طفيفة حيث أبدلت التاء بالألف في الأول وحذفت ذو من الثانية كما لم يتغير اسم جبلي أبا نين ومورد زرود منذ ذلك العهد، ترى لو لم يكن هناك سكان على مدى هذه القرون، هل تستمر هذه الأسماء كما هي؟ في إعتقادي الجازم أنه لو لم يكن هناك تواجد سكاني مستمر ينقل هذه الأسماء لا تدثرت؛ ولو جاء

سكان جدد على هذه الأماكن وهي خالية لسموها بأسماء جديدة قد لا تمت الي أسمائها القديمة بأية صلة حيث نرى ذلك واضحاً في أسماء المدن والقرى، ولو نظر المرء الى المعالم الأثرية الشاخصة حول هذه القرى كالمقابر مثلاً لوجدنا أن هناك مساحات كبيرة حول هذه النقاط الحضارية من المقابر التي لم يبق منها غير شواهدها لمئات الالاف من البشر الذين طوت آثارهم الحقب والعصور، وقد يكون هناك مقابر قد درست وطوتها طبقات الأرض فالتهمت حتى معالمها الشاخصة ولم يعلم عنها أحد سوى ما يجده الفلاحون بالصدفة أثناء حرثهم لتلك الأرض لغرض الزراعة حول تلك القرى، علماً بأن هذه المنطقة بكاملها تسير وفق الشريعة الإسلامية في الدفن، حيث يحفر للميت على وجه الأرض حفرة بعمق حوالي مترو نصف يشق له فيها اللّحد ويدفن فيه ويوضع على القبر جثوة ترابه وشاهدان في أغلب الأحيان يكونان من اللبن الذي يذوب ويمحى مع الجثوة بفعل عوامل التعرية من تأثير الأمطار والرياح ولا يبقى له أي أثر شاخص مما يجعل معظم المقابر تختفي بعد فترة من الزمن قد لا تتعدى المئة سنة ولو كان يقام على هذه المقابر القباب والنصب والصفيح المنضّد كما يفعل غير المسلمين لأحاط بتلك النقاط الحضارية أعداد هائلة من المدافن التي تترجم أعداد من سكن هذه المدن والقرى، علماً بأن سكان البادية ليس لهم مقابر معينة: فكل من مات أو قتل حفر له ودفن في مكانه في قمة رابية أو متنة أو سفح جبل أو بطن حزم، هذا عدا من تخلفهم المعارك الطاحنة من القتلى الذين يبلغون أحياناً المئات أو الآلاف ويكونون طعماً للسباع وجوارح الطير، ترى لو لم تكن

هذه النقاط الحضارية عامرة بالسكان أيوجد مثل هذه المقابر الواسعة الشاخصة خلاف التي اندثرت وعفى عليها الزمن على من فيها؟ أو تبقى أسماؤها بنفس اللفظ؟.

(ب) اللغة:

اللغة بما تحويه من ألفاظ وتعبيرات وأمثال وشعر، فمنطقة نجد تكاد أن تكون أقرب المناطق في الجزيرة العربية، وربما في أنحاء الوطن العربي الي اللغة الفصيحة: فكثير من الألفاظ عربية قحة تكاد أن تصل نسبة هذه الألفاظ الفصيحة في هذه المنطقة الي ما يقارب ٨٠٪ فضلاً راجع كتابي في هذا الشأن "فصيح العامي في شمال نجد" الذي يحتوي على ٥٠٠٠ لفظ يتفرع منها حوالي ٢٠٠٠٠ كلمة مع أن العامية في الوقت الحاضر هي السائدة بين طبقات الشعب في الوطن العربي فضلاً عن هذه المنطقة عدا الأمور الرسمية، إلا أن معظم الألفاظ التي يتكلم بها النجديون عربية فصيحة كما أسلفنا عدا ما يلوثها من العامية كعدم الالتزام بقواعد الإعراب أو الكلمات والألفاظ العامية البحتة، وإذا أمعنا النظر في هذه الألفاظ المتداولة، فإننا نجد أن لهجة قريش التي انتشرت بواسطة القرآن الكريم لها غالبية فيها، غير أننا نجد لهجات القبائل التي تسكن المنطقة قبل الإسلام لا يزال الكثير من ألفاظها موجوداً، فلهجة طيء الي جانب لهجة تميم ولهجة قيس وربيعة لا تزال موجودة منذ ذلك الحين حتى الوقت الحاضر ينساب اليها كلمات من لهجة هذيل والأزد واليمن، ومن هذه المجموعة تتكون اللهجة النجدية في الوقت الحاضر، ولو دققنا في الكلمات لوجدنا لفظ:

الخليت وهو الجليد الباقي على سطح الأرض والأجسام الصلبة في الصباح أيام الشتاء وهو ما حلته السماء أثناء الليل، وكذا الطست وهو الطس الكبير، والرمخ: وهو البسر المتساقط من النخلة عندما يتحول الي التين دون أن يرطب وليس فيه حلاوة الرطب، وخَوّ وهو جذع الشجرة الكبير وهذه الكلمات ومئات غيرها لهجة طائية باقية الي اليوم فضلاً أنظر كتابنا "النكهة الطائية في اللهجة الحائلية" كما نجد كلمة أنطـ أي أعط بابدال العين الي نون. وكلمة لصق أي التصق والصاقعة أي الصاعقة، زحلق أي إنزلق، وإبدال الجيم الي ياء كل هذه الألفاظ وعشرات بل مئات غيرها لهجة تميمية باقية حتى اليوم، وهناك من الكلمات الشائعة وهي أساساً من لهجة قيس كلمة أصلج للأصلع، وكلمة لسق أي لصق، بينما نجد هذا اللفظ عند ربيعة بالزاي بدلاً من الصاد عند تميم أو السين عند قيس على لفظ لزق، الي جانب انسياب هذه الكلمة الي المنطقة من لهجة هذيل فكلمة سَنْعْ هو الطريق في لهجة هذيل نجد هذا اللفظ واسع الانتشار ويعني الطريق الصحيح سواء أكان طريقاً مادياً أو معنوياً، ومن الألفاظ الأزدية كلمة معوشة، أي المعيشة بإبدال الياء الي واو، ومن الألفاظ اليمنية المستعملة الآن كلمة فحش أي فقش بإبدال القاف الي الجيم وكلمة بوش وتعني الإبل والدواب، هذه الألفاظ وعشرات بل مئات غيرها لا تزال ترن في أذن السامع في اللهجة النجدية، وهي فصيحة تعود الي إحدى لهجات القبائل العربية النجدية التي نزل القرآن الكريم بلهجاتها الي جانب لهجة قريش الفصحى، والي جانب الألفاظ هناك الأمثال التي تكاد أن تكون مماثلة للأمثال العربية الفصحى

مبنى ومعنى لولا ما يعتريها أحياناً من صيغة اللهجة أو الصياغة العامية ولو أننا الى نموذج من هذه الأمثال كقولهم "مَا كِلْ بَيْضَا شَحْمَةْ" أساسه المثل العربي "مَا كُلُّ بَيْضَاءَ شَحْمَةٌ" ولو قارنا كتاب "مجمع الأمثال" للميداني مع كتاب "الأمثال العامية في نجد" لكل من الأستاذين عبد الكريم بن عبد العزيز الجهيمان ومحمد العبودي و"فصيح العامي في شمال نجد" و"الأمثال الشعبية السائرة" لكاتب هذه السطور لوجدنا التشابه الكبير بين هذه الأمثال وتلك لولا الاختلاف البسيط الموجود إما بتأثير اللهجة العامية، أو تأثير زمن المثل، لأن المثل ينمو مع مجرى الحياة، ويسير حسب متطلباتها نابعاً من جوهرها منصهراً تحت ضغط الحاجة آخذاً القالب الذي يمليه عليه زمنه.

أما الشعر في هذه المنطقة فإنه يحتوي على الكثير من الأنماط التي يحتويها الشعر الجاهلي، ويطرق نفس الأغراض التي يطرقها وإن اختلف معه في المبنى واللهجة، فهو يطرق المدح والهجاء والفخر والحماسة والغزل والرثاء والحكمة والكرم للضيف وحق الجار، والوصف وغير ذلك من الأغراض، كما يلتزم بأوزان وضروب تماثل بحور الشعر الفصيح، إلا أنه يزيد عليه بالتزام حرف الروي والقافية في صدر البيت وعجزه على روي واحدة وقافية لكل شطر في كل القصيدة لا يحيد الشاعر عن ذلك قيد أنملة، إضافة الي أن كلمات القصيدة تكاد أن تكون فصيحة في معظمها لنأخذ مثلاً مطلع قصيدة "خلف بن دعيجا أبو زويد الشمري ١٢٥٠- ١٣٦١هـ".

"يَالله يَا عَالِمْ خَفِيَّاتْ الأَسْـرَارْ   عَلِيمْ مَا تَخْفَى عَلَيْه الجَحَادَةْ"

"هُوْ خَالِقْ الجَنَّةْ وْهُوْ خَالِقْ النَّارْ   وْهُوْ خَالِقْ الدُّنْيَا وْبِيْدَهْ نِفَادَهْ"

"وَ الله مِنْ قَلْبٍ بَنَى الغَيْضْ بَهْ دَارْ   لَيَا قِلْتْ هَوْد جَاهْ يَوْمٍ وَ أَزَادَهْ"

إذا نظرنا لأبيات هذه القصيدة التي تتجاوز الثلاثين بيتاً وغيرها أطول منها قد تبلغ ما يزيد على مئة بيت لوجدنا التزام الشاعر بالروي والقافية في صدر البيت وعجزه، كما نجد أن معظم ألفاظ هذه القصيدة فصيحة، هذا الشعر الذي احتفظ بالكثير من معالم الحياة في تلك الحقبة التي سادت فيها العامية على اللغة الفصيحة، ولو لم يكن له جذور قديمة لما احتفظ بهذا الكم من الكلمات الفصيحة، وهذا الهيكل البنيوي القائم على عدد من الضروب مكنه من البقاء لفترة طويلة ولا يستطيع ركوبه إلا من كانت لديه المقدرة الشعرية على امتطاء صهوته، وأكثر الشعراء مطبوعون يقولون الشعر ارتجالاً بدون تكلف، فيقول الشاعر القصيدة المكونة من عشرات الأبيات وبلغة ووزن جيد، وهذا نهج الشعراء العرب منذ ما قبل البعثة النبوية.

مما رأينا من الدلائل اللغوية يتضح أن هذه المنطقة قد عمرت بسكانها عبر تلك الأجيال، ولو لم يبق فيها أحد من مختلف القبائل العربية لما بقيت لغتها أو لهجتها ماثلة حتى اليوم قوية نابضة بالحيوية والنشاط ولا ندثرت هذه الكلمات والأمثال والشعر كما اندثرت كلمات اللغة الثمودية ولغة قوم عاد، لكن تواجد هذه الأجيال المتعاقبة جعل هذه اللهجة تستمر منذ ما قبل الإسلام وحتى وقتنا الحاضر، وخاصة كلمات واسعة الانتشار تسمعها على كل لسان،

كان يتكلمها فصحاء العرب منذ القدم ولا يزال يتكلمها الناس اليوم بنفس اللفظ لنفس المعنى.

(جـ)الصناعة والمهن:

الناظر بعمق فيما قبل عصر النفط أي قبل ستين سنة مضت الي المهن والحرف الموجودة في هذه المنطقة والمنتجات المصنوعة بأيدي أولئك المهنيين يجدها لا تختلف كثيراً عما كان يستعمل في صدر الإسلام، عدا ما تناولته يد التطور من التحسين والاختراع، فالمنتجات الصناعية الحديدية تتكون من الصناعة الحربية كصناعة السيوف وأسنة ونصال الرماح والدروع، أو حلق السلاسل التي تتخذ منها أعنه الخيل ولجمها أو حذاء الخيل أو ما يحتاجه القطاع الزراعي كالمساحي والمحاريث والمناجل والمخالب و "المناسيف" مفردها منساف شبيه بالمسحاة، وأعمدة الحديد "العتل" مفردها عتلة أو مسامير الأبواب والأغلال وغير ذلك من متطلبات المصنوعات الحديدية، وقد طرق العرب المسلمون مشارف الصين شرقاً وخاضوا المحيط الأطلسي غرباً، واجتازوا مياه البحر الأبيض المتوسط شمالاً الي أجزاء من أوربا كالأندلس وجنوب إيطاليا وكريت وصقلية عندما كانوا يصنعون سلاحهم من السيوف والرماح بأيديهم ويربون خيولهم ونجائبهم بأنفسهم يختارون منها السلالات الجيدة.

قال ابن منظور: وكانت مدينة حجر في إقليم اليمامة بنجد مشهورة بمصنوعاتها الحديدية الجيدة مثل أسنة الرماح ونقل عن أبي حنيفة "وحدائد حجر مقدمة في الجودة" وفي طبقات ابن سعد "السيوف الحنيفية والتي يرجح أنها

منسوبة لقبيلة بني حنيفة التي كانت تقطن اليمامة في نجد" وفي مكان آخر: الرماح والأسنة التي كانت تصنع في حجر عاصمة اليمامة، وكانت مشهورة بجودتها، وكذلك السيوف الحنيفية التي يرجح أنها منسوبة الي قبيلة بني حنيفة التي تقطن اليمامة " وكانت تستورد الحديد من الهند وإيران عن طريق البصرة ومرفأ تاروت. على الخليج العربي بالإضافة الي ما يستخرج من منجم قساس من الحديد (وجبل أقساس لا يزال ينتج الحديد حتى يومنا هذا) الي جانب البضائع الأخرى. كالتوابل والفلفل والطيب والعنبر والعود والصندل والياقوت والماس والخز والحرير والقطن" أما في مجال المصنوعات النحاسية فتجدها تتركز على الأواني المنزلية كالقدور المعدة للطبخ والمطورة من "البُرَم" مفردها برمة وهي القدر المنحوتة من الحجر، وكذلك أواني الماء كالطاس الذي أتتوه الي الطاسة، وهي إناء يشرب به والصحون والصواني والصُّحَفُ النحاسية والأباريق النحاسية، الي جانب دلال القهوة، وهذه دخلت الي المنطقة في أواخر القرن الحادي عشر وأوائل القرن الثاني عشر الهجري على وجه التقريب بالإضافة الي التحف النحاسية المزخرفة والمصنوعات الأخرى، أما المصنوعات الخشبية فتجدها تتركز على ما تحتاجه البيوت من الأبواب والشبابيك والخزائن والصناديق الخشبية لحماية الملابس وحفظ الأشياء الثمينة والمباخر أو المداخن الخشبية وأقفال الأبواب "الضَّبَاب" مفردها ضَبَّة والمصاريع مفردها مصراع بالإضافة الي الأواني الخشبية كالأقداح والصُّحَفُ والمغارف الخشبية، أو ما يحتاج اليه مجال النقل والمواصلات كالأشدة مفردها شداد والرحل وما شابهه. وأدوات

القتال الخشبية كالرماح والنبال والأقواس من الشوحط والنشم وشجر الرمان، أو ما يتخذ لترف النساء كالهوادج والبواصير، أو ما يتخذ لسقى المواشي كالبكر والمحالة الصغيرة والعراقي مفردها عرقاه، أو ما يستخدم في مجال الفلاحة والزراعة كأقتاب السواني ومستلزماتها ومحال البئر و "دراجه" وكل ما يتعلق بتجهيزات البئر التي تنصب عليه، ليركب عليها المحال، وتفصيل ذلك في كتابي "نجد بالأمس القريب" بالإضافة الي عصى المساحى والمحاريث و"الشَّرْخ" وهي خشبة المحراث الطويلة التي يثبت بها، ومقابض المخالب والسكاكين وغيرها من متطلبات الحياة اليومية، وهناك الصناعة القائمة على خوص النخيل وليفها من صناعة الحصر والفرش والأوعية كالزنابيل أو الزبلان مفردها زبيل أو زنبيل والمكاتل والقفف بمختلف أحجامها، والأطباق والسلال وأدوات نقل الأتربة وغيرها "المنقلة أو الوقر" وأوعية التمور من الخصف على اختلاف أحجامها، هذه الصناعة القائمة على السفيف يضاف اليها ما يقوم على صناعة الحبال والمسد والأرشية من خلب النخل وليفه حيث يُلَسّن ويفتل بحبال قوية ومتينة متعددة الأحجام تستخدم لمختلف الأغراض الحياتية في الحاضرة والبادية، أما صناعة الخزف فتعمل كذلك مختلف الأواني الفخارية من أواعى الماء والجرار بمختلف مقاساتها، والدنان المعدة لتخزين السمن والدبس والتمر والعسل، إضافة الي أواني الشرب، أما الصناعة القائمة على الجلود فمنها صناعة الخرازة لخصف الأحذية بأنواعها، وخراة القرب مفردها قربة والدلاء مفردها دلو "والأقلاص" مفردها قلص وهو الدلو الذي يمتح فيه الماء من البئر على اليد، والغروب مفردها

غرب بالإضافة الي الأحزمة الخارجية والداخلية كا"البُرْم" مفردها بَرِيْم وهو ما يتمنطق به الرجل والمرأة على خصرها تحت الثياب للزينة، أما الرجل فالغرض من لبس البريم شد الصلب أولاً ثم الزينة ثانياً، ودباغة الجلود حرفة قائمة في الحاضرة والبادية لاتخاذ منتجاتها لمختلف شئون الحياة يتخذ منها أوعية الماء كالقرب والشكا وأوعية اللبن كالسُّقاء والصميل والشكوة والسعن، ويرب شيئاً من هذه الجلود بالدبس فيتخذ منها أوعية السمن كالنحى والعكة والسعن أو "الضَّبِّيَّة" المتخذة من جلد الضب المدبوغ، والعياب مفردها عيبة وتتخذ من جلود الإبل المدبوغة كأوعية للتمر وغيره، بالإضافة الي ما يتخذ من الجلود المدبوغة أوعية للطعام كالجراب، أو ما يدبغ ويبقى عليه شعره ويستخدم كنوع من الفرش الخاصة وهو ما يسمى بـ"الجاعَد" جمعه جواعد وما الي ذلك من متطلبات الحياة اليومية.

أما المنسوجات الصوفية والشعرية والوبرية فيقوم عليها قطاع كبير من المهن ويحتاجها الحضر والبدو، ولكن البدو أكثر حاجة لها حيث تكون حاجتها ابتداء من بيت الشعر المنسوج من شعر الماعز وصوف الضأن، وأروقته التي تدخل فيها صناعة الوبر بنقوشه الجذابة الزاهية إضافة الي الفرش والأغطية والمدفئة، وعادة تتخذ من صوف الضأن وأوبار الإبل الي الأوعية المستخدمة في الأحمال كالفردة والعدل الي جانب الملابس والعبي الصوفية والوبرية، ونوع من الأحذية الوبرية المصنوع لها دعسة وغطاء من الجلد تشبه الحذاء الحالي وتسمى "دُسُوس" مفردها دِسّ ولها أسماء في مناطق أخرى كا"الزَّرَابيل" مفردها زربول،

والمصنوعات الصوفية والوبرية يحتاج اليها العرب الرحل للأغراض آنفة الذكر
أما الحضر فيستخدموها للفرش والأغطية وينتقون الألوان الزاهية الجذابة منها
كما تتركز صناعة المنسوجات على أنامل النساء ابتداء من نتف الشعر والصوف
والوبر أوجزّه من مصدره وعملية تنظيفه ونفشه وغزله مروراً بعملية الإبر
وانتهاء بعملية النسيج ويتفنن فيه ويظهرن براعة فائقة في الزخرفة والنقوش سو
أكنّ بدويات أو حضريات ويتفاخرن في ذلك ويشترك الرجال في هذه المه
فقد جاء في كتب التاريخ "صناعة المنسوجات، ففي منطقة الوشم بنجد كانت
تنسج البرود وكانت ذات شهرة كبيرة حتى أنها كانت تصدر الي البلدان
الأخرى واشتهرت ثرمداء من قرى الوشم بهذه الصناعة [ياقوت]" قال الشاعر
حميد بن ثور الهلالي:

ما بال بردك لم تمسس حواشيه   من ثرمداء ولا صنعاء تحبير

وقال مقبل الذكير: "كان الوشم مشهوراً بالنسيج من الخامات والصوف لـ
مدة تبعد عن مئتي سنة".

وبعض أفراد قبيلة بني نمير والتي كانت تقطن نجداً قد زاولت حياكـ
البرود، قال عبيد بن شرية الجرهمي:

نميراً جعلت لحو كالبرود   وحذّ النعال وصنع اليلَبْ

وبدهي أن الأمم كلما استقرت وتحضرت كلما مالت الي امتهان المه
التي لا غنى عنها وكذا الحال بالنسبة للقبائل العربية التي تحضرت ومن أشهر من
ساهموا في الصناعة منذ القدم، بنو فران من العمانيق أو قيل من بلبس وبـ

الأخشم بن عوف بن عصية من بني سليم، وبنو حنيفة كما تقدم وباهلة
وغيرهم.

بالإضافة الي ذلك فهناك صناعة العطور من الغالية المكونة من المسك
والعنبر والعود والدهن، كما يوجد مهنة خياطة الملابس كالثياب والجلابيب
والقمصان والعباءات والسراويل، كما دخلت صنعه الصباغة للملابس
والمنسوجات الأخرى بالورس والزعفرن والعصفر وغيرها من الأصباغ، كما
أسهموا إسهامات واضحة في صناعة المصوغات الذهبية والفضية كالأساور
والدمالج والخلاخيل والخواتم والأقراط والقلائد وغيرها، ومن الأمور التي
أصبحت مألوفة لدى أصحاب المهن بالإضافة الي الانتساب الي المدينة أو البلدة
أو القبيلة الانتساب الي المهنة كالنجار والحداد والصائغ والخياط والبزاز والبناء
والعطار والفلاح والراعي، بالإضافة الي هذه الحرف اليدوية هناك حرف
الخدمات التي تقدمها فئة من السكان للآخرين مقابل أجر يتقاضونه من هذه
الخدمات كنقل المؤن والسلع من مكان الي آخر على ظهور الإبل تسمى
"الجمالة"، وكذلك مهنة البناء والعمل عند الآخرين كل في مجال اختصاصه،
وهذه الفئة هم القراشون مفردهم قارش أو قرّاش بالإضافة الي الأعمال التجارية
بمختلف السلع الاستهلاكية أو الكمالية سواء ما كان من منتجات المنطقة أو ما
يجلب اليها من خارجها، ويشمل ذلك المنتجات والمصنوعات المحلية أو الثروة
الحيوانية وما يتفرع منها، وتتركز معظم هذه الحرف عند الحضر عدا الصناعة
الجلدية ودباغتها والمنسوجات فيشترك فيها الجانبان وهي عند البادية أكثر، هذه

الحرف وما ينتج عنها من منتجات، إذا ألقينا عليها نظرة فاحصة وجدنا جُلّها إن لم تكن كلها موجودة وقائمة منذ فجر الإسلام ووجدنا مسميات كثير من هذه المنتجات هي التي تحدث عنها الناس في ذلك الحين عدا ما دخل عليها من تطور نتج عنه أسماء هذه المشتقات الجديدة وهذا يدل على أن هـذه الأشياء والمقتنيات استمرت بأيد متواصلة جيلاً بعد جيل، تعرف هذه الأجيال خصائص هذه الأشياء وفوائدها يتناقلون مسمياتها فلو لم يكن هناك سكان بصفة مستمرة أو حصل انقطاع في هذا التواجد السكاني، لجاء أناس بمهن جديدة أو لسميت هذه المنتجات بأسماء جديدة غير اسمها الذي احتفظت فيه منذ حـوالي خمسة عشر قرناً.

(د) العادات والتقاليد:

كثير من العادات والتقاليد تمت بجذور عميقة ربما كانت موروثة منذ القدم، وجاء الإسلام فاستحسن بعضها ومقت البعض الآخر فكفّ الناس عن جزء من الممقوت واستمر البعض الآخر حتى الوقت الحاضر، وهذه العادات منها الإيجابي وهو الذي أيده الإسلام مثل عادة الكرم، هذه العادة وجدت في المجتمع العربي منذ غابر الأزمنة، وهي نابعة من حاجة ابن الصحراء الملحة إلى مقومات الحياة الأساسية من ماء وغذاء ودفء، وهذه العناصر الضرورية للبقاء قد لا تتواجد معه دائماً، وربما لا يستطيع حملها لمسافات طويلة وإن حمل منها شيئاً فربما لن يكفيه في تلك المسافات الشاسعة التي يقطعها إما على راحلته أو دابته وربما على قدميه فيضطر الي الحلول ضيفاً على أخيه في بيته الشعري أو

الطيني جائعاً ظمآناً وربما خَرِصاً في الشتاء في هذه الحالة تقتضي عادة الكرم من المضيف أن يباشر ضيفه بالطعام والشراب والكِنّ ليدفأ وقد تغنى الشعراء القدامى وتفاخروا بهذه العادة في إكرام الضيف وتعجيل قراه، ولما جاء الإسلام أيد هذه العادة وشدد على جانبها الإنساني الذي يكفل للإنسان البقاء والحياة في هذا الجزء الذي يتصف بالجفاف، ويندر فيه ما يؤكل إلا في التجمعات السكانية الحضرية والبدوية: أي أنه لا يوجد به الغابات ذات الأشجار المثمرة كما يتوفر ذلك في البلاد المطيرة من هذا المنطلق أكد الإسلام على إكرام الضيف والعناية به وتأمين طعامه وشرابه ومأواه وعلف راحلته أو دابته وربما زاد سفره وبقيت هذه العادة راسخة متوارثة منذ عهد حامل لوائها حاتم الطائي وحتى وقتنا الحاضر فضلا انظر كتابنا "أهل المناخ في منطقة حائل" وهناك عادة إيجابية أخرى وهي التجمع الليلي في أماكن عامة سواء أكان ذلك عند رئيس القبيلة أو أمير البلدة أو في ساحات عامة قرب القرى أو الحي والاستماع الي أخبار الركبان وما يحملون من أخبار تهمهم أي أخبار الساعة كما تسمى اليوم الي جانب المسامرات وأحاديث السمر وما يدور فيها من القصص والحكايات وأخبار المغازي والبطولات والانتصارات والمساجلات الشعرية وما يتفرع عن هذه الاجتماعات الليلية من الألعاب والتسالي والرقصات، وكانت بمكانة المتنفس الرئيس للناس الذي يفرغون فيه شحنة متاعب حياتهم اليومية، والنافذة التي يطلون منها على من حولهم، والمنتدى الثقافي الذي يتزودون منه بمختلف فنون المعرفة والمنبع الذي يروون منه ظمأهم لمعرفة بطولات من سبقوهم إضافة

الي المجال الترويحي الذي يمتص من صدروهم أوضار حياتهم اليومية، بما يمارسو
من ألعاب وما يرددونه من أغاني وأهازيج، وما يقومون به من ألعاب ورقصا
وقد استمرت هذه العادة حتى عهد قريب عندما تغيرت أنماط الحياة ودخل
وسائل الإعلام الحديثة وسبل التعليم العصرية، ومن هذه العادات أيضاً إقا
الحفلات والرقصات في مواسم إجتماعية معينة مثل حفلات الزواج وحفلا
الختان، وذلك إحتفاءاً باقتران هذا الشاب بتلك الشابة ومحاولة ترجمة فر
الأهل و الأقارب والأصدقاء بهذا الحدث الغالي الي قلوبهم وكانت موجودة قبل
الإسلام ثم جاء الدين الحنيف وأكد عليها على لسان المصطفى صلى الله عليـ
وسلم "أولم ولو بشاة" وكان الهدف من إعلان الزواج لأمور شرعية أكثر مـ
لما يقام من البهرج والمناظر المفرطة للأفراح، كأن يكون الزوجان أخوين مـ
الرضاعة فيجتنب ذلك قبل أن يقع المحظور، واستمرت هذه العادة عبر الأجيا
تختلف من فئة لأخرى.

والي جانب هذه النماذج من العادات الإيجابية هناك عـادات سلبـ
فهناك عادة أخذ الثأر من الموتر لواتره وملاحقة الواتر في أي وقت وعلى أ
أرض، وإذا لم يستطع صاحب الحق أن يأخذ حقه من خصمه مباشرة إما لقو
الخصم ومناعته أو اختفائه عن الساحة، فإن صاحب الدم يعمد الي أي واحـ
من أقارب الواتر أو عائلته أو عصبته فإن لم يتمكن من ذلك إتجه الي أي واحـ
من أفراد قبيلته ليأخذ ثأره من إنسان بريء أخذ بجريرة غيره، وهـذه العـاد
السلبية كانت موجودة في الماضي ثم أتى الإسلام ونظمها بضـوابط شرعـ

معروفة، لكنها قد لا تطبق أحياناً من الموتور تحت حرارة الدم العربي وفورانـه
حين لا ينتظر تطبيق النصوص الشرعية سيما إذا لم يكن هناك سلطة تقوم بهذه
المهمة، وكان لهذه العادة آثاراً سلبية أدت الي تشتيت بعض فئات المجتمع وإنكار
بعض أفراده لأصولهم وأروماتهم أو اختفائها إن لم يكن لديهم الحماية الكافيـة
لأنفسهم وذلك مخافة ما قد يلحقهم من أوزار غيرهم من أفـراد قبيلتـهم أو
قريتهم، فقد يتنكر هؤلاء الأفراد لأصلهم ويجحدون محتدهم، وربما امتد ذلـك
بهم فترة طويلة وبقوا مجهولي النسب وقد يكونون نواة لفئة معينة من المجتمـع،
ربما اتسعت قاعدتها وتكونت منها كتلة كبيرة، هذه العادات السلبية من مخلفات
العصور القديمة استمرت عبر هذه القرون الي عهد قريب غير عابئة بالتوجيهات
الإسلامية السامية حتى انتظم الأمر تحت سلطة الدولة في الوقت الحاضر. الي
جانب هذه يوجد عادة سلبية أخرى وهي التفاخر بالأحساب والأنساب وهي
من إفرازات العهد البائد، وجاء الإسلام فنهى عن هذه العادة. وجعل محور فخر
الإنسان بما يقوم به من أعمال جليلة صالحة في دنياه لخدمة مجتمعه أو علاقتـه
بربه عز وجل إلا أن هذه العادة قد بقيت قريباً مما كانت عليه آنذاك ينظر لفلان
بالإجلال والإكبار على أساس ما قام به آباؤه أو أجداده أو أجداد أجداده من
مواقف معينة كالبطولة والكرم، حتى ولو كان هذا الإنسان لم يقدم لمجتمعه أي
خدمة، ولم يقم إزاء أي فرد منه بموقف إيجابي يذكر له أو يشكر عليه وهـذه
الفئة ممن يرتقون على رفات الآباء والأجداد، توضع هذه القبيلة بمكان الصدارة

على أساس ما قام به رئيسها أو مجموعة من أفرادها في يوم من الأيام من موا
بطولي قد يكون ضد قبيلة أخرى من أخوالها أو جيرانها كما قال القطامي:

أغرت من الضّباب على حلول   وضبّة إنّه من حان حا
وأحياناً على بكر أخينا   إذا ما لم نجد إلاّ أخا

وربما كان هذا الموقف قد جاء بمحض الصدفة دون بذل أي مجهو
وقد يرفع شأن قرية من القرى على أساس موقف دفاعي معين ساعدت عل
ظروف معينة، وقد تخذل قبيلة معينة على أساس موقف لم يكن لها خيار ف
وقد يلفق عليها من التهم لوقوفها هذا الموقف، وقد تلحقها السُّبّة والعا
ويلتصق بها مدى الدهر، وقد تحتقر بلدة على أساس تخاذل أحد أفرادها
تقاعسه في القيام بواجبه الدفاعي أو التقليدي، وما قد يلصق بها من تهم قد تكو
من مجموعة أناس؛ أو تكون من شاعر مغرض أطلق لسانه بقصيدة أو بيت م
القصيدة رسم بها وصمة البهتان على جبين هذه البلدة، وبقي ما قاله هـ
الشاعر يتردد على كل لسان كلما حل ذكر لهذه البلدة، مع أن الأسرة أ
القبيلة أو البلدة أو المدينة كيان بشري يحمل من الخير مثلما يحمل من الشر، لا
يجب أن يؤخذ بجريرة إنسان واحد، كما لا يجب أن يرفع بسبب موقف إيجا
واحد ربما أعقبه مواقف سلبية عديدة.

هذه النماذج التي أوردها كعينة من العادات والتقاليد المتوارثة التي تمـ
جذورها الى ما قبل انتشار الاسلام، وهي أكثر مما ذكرت لكنني أتيت بشرا
منها، مع ما طرأ عليها من تجديد أو تغيير في بعض أنماطها، وذلك للتدليل على

أن هذه العادات قد مرت أثناء رحلتها الطويلة عبر أجيال متعاقبة من المجموعات
السكانية في هذه المنطقة.

(هـ) أنماط الحياة:

كما كان السكان في هذه البقعة ينتمون الى فئتين رئيستين هما الحضر
والبدو، فقد استمرت كل فئة على نمط الحياة التي كانت عليه مع ما قد صاحب
ذلك من التطوير والتجديد في نواحي الحياة، وكما كان الحضر يتركز نشاطهم
على مهنة الزراعة والمهن المساعدة والمستقلة الأخرى معتمدين على الاستقرار
والتوطن نجد نشاط الجانب الآخر يتركز على مهنة الرعي وتربية الحيوانات
معتمدين على التنقل والترحال من مكان الى آخر، فقد اضطرتهم ظروف الحياة
الى أن يعيشوا حياة تتسم بالتأهب المستمر وسرعة الحركة للانتقال من مكان
لآخر بما خف من أمتعتهم. بينما نجد الحضر قد بنوا البيوت وفلحوا الأرض
وغرسوا النخيل على نفس النمط الذي كان معروفاً منذ القدم من استنباط
الآبار وإخراج الماء منها على ظهور السواني أي النواضح من الإبل أو البقر أو
الحمير، وجمع هذا الماء بالجابية حتى تتوفر كمية كافية منه ثم تفجيره بأحواض
النخل أو حياض الزرع من القمح والشعير في فصل الشتاء والربيع، ثم الحصاد
فدرس الزرع أو دوسه وتنقيته وتخزين حبوبه أو بيعها، وأبر النخل أو تلقيحه ثم
زراعة غلة الصيف من الذرة والدخن بأنواعه ثم تعديل قنوات النخل وخرافه أو
التقاط رطبه عند الارطاب ثم جداده، أو صرامه عند نضوج تمره واكتنازه أو
بيعه، وتصفية غلة الصيف من الذرة والدخن ثم تبدأ الدورة من جديد بزرع غلة

الشتاء للسنة الثانية وهكذا دواليك تستمر حياة من اتخذوا مهنة الفلاحة على هذا النهج عدا ما يدخل اليها من تحسينات حسبما يمر عليهم من التجربة العملية سواء ما يمر على الإنسان نفسه من تجارب أو ما ينقله الأحفاد عن الأجداد من تجاربهم، ونجد أصحاب المهن الأخرى المكملة يعتمدون اعتماداً كلياً على أصحاب مهنة الفلاحة التي تمثل عصب الحياة حيث ينتج منها الغذاء الرئيس في هذه البقعة، فالفلاح يحتل المكانة الأولى، ولهذا فإنهم يعتبرون مهنة الفلاح من المهن الرفيعة لارتباطها بحياتهم، بينما يعتبرون مهن أخرى وضيعة لا ينبغي الاشتغال بها لبعض الفئات، مع أن كل هذه المهن لا تختلف عن بعضها البعض؛ فلكل مهنة من المهن محاسنها ومساوئها، غير أن هذا الاعتبار بقي من رواسب العهد القديم ملازماً لمثل هذه المهن ومن يعمل بها، ولو ألقينا نظرة على الحياة اليومية لوجدنا الناس بمختلف طبقاتهم ينامون بُعَيْد صلاة العشاء الآخر مباشرة إلا ما ندر من فئة الشباب بحيث ينهضون لأعمالهم اليومية قبل أذان الفجر بساعة أو ساعتين لبعض الفئات وآخرهم يبدأ عمله بعد صلاة الفجر مباشرة، ولا يُبْقِي طلوع الشمس أيَّ إنسان إلا وهب لعمله، يعملون طول يومهم لا يتوقفون إلا لأداء صلاة الظهر والعصر وتناول وجبة الغداء، حتى إذا جن الليل تناولوا وجبة العشاء الرئيسة مع غروب الشمس أو بعد صلاة المغرب مباشرة، ثم يمكثون حتى صلاة العشاء الآخر أو بعده بقليل ثم يخلدون الى النوم. كل مدينة أو بلدة أو قرية لها ممتلكاتها الحيوانية من الإبل والخيل والأغنام والحمير، لها مراعيها حول المدينة أو البلدة، يحمونها ويعتبرون الألبان غذاءً

مساعداً يعتمد عليه السكان الى جانب الحبوب والتمور، تسرح قطعان أغنام المدن والقرى مع رعيانها في الصباح وتروح في المساء، وكذلك أذواد الإبل سواء أكانت مقتناة للبيع والتجارة أم معدة للسَّنْيِ تسرح في الصباح وتعود في المساء، وربما تعزب إن لم تكن من السواني، تنساب أرتال الأبقار لترعى في مغاني المدينة أو البلدة لتعود بالليل؛ تسرح مجموعات الحمير في مشارف المدينة أو البلدة أو تقيَّد لترعى غير بعيدة عن المزارع؛ نجد المدينة أو البلدة محاطة بالثروة الحيوانية من مركوبة أو محلوبة أو مذبوحة لا يكاد يخلو بيت من مجموعة من هذه الثروة الحيوانية كل حسب مقدرته وإمكاناته ومكانته الاجتماعية فبعضهم لديه مرابط للخيل ومعاطن للإبل ومرابض للغنم، والبعض الآخر لا يؤوي غير منائحه التي يحلب لبنها، هذه الثروة الحيوانية تعتبر عاملاً مساعداً لمهنة الفلاحة والمهن الأخرى، وعليها تعتمد المواصلات والدفاع عن النفس والحصول على الألبان، فالخيل والأبل يعتمد عليها في الدفاع وتستخدم الإبل لنقل الأحمال والسفر لمسافات طويلة والدواب تستخدم للأسفار للمسافات القصيرة ونقل الأحمال الخفيفة.

مما سبق يتضح أن المجتمع الحضري تتكون مصادر الرزق فيه من المنتجات الزراعية والحيوانية وما يدور في نطاقهما من ربح التجارة بهذه المحاصيل وغيرها وما يحصل عليه أصحاب المهن من أجور لخدماتهم أو بيع منتجاتهم ومصنوعاتهم من هذين المصدرين، وقد استمرت هذه الصورة منذ ذلك الحين حتى بداية الانطلاقة الجديدة في السبعينيات الهجرية، وكذا الحال بالنسبة للفئة

الثانية وهم سكان البادية، أصحاب النجعة والترحال، هذه الفئة ترتكز حياتهم على مهنة الرعي وثروتهم المكونة بدرجة رئيسة من الإبـل والأغنـام والخيـل والحمير ويعتبرون الألبان ومشتقاتها من السمن والأقط غذاءهم الرئيس خاصـة في فصل الربيع إضافة الي الأطعمة الأخرى كـالتمور والحبـوب ويركـزون اهتمامهم على تربية الإبل والأغنام، ولهم دراية كاملة بهذا الحقل بما ورثوه أباً عن جد منذ عهد العرب الأوائل إضافة الي ما يكتسبونه في هذا الحقل من نتاج تجاربهم فإذا قرأت ما كتبه المدونون في صدر الإسلام عن الثروة الحيوانية الإبل، الخيل، الغنم وإذا نظرت الي هذه الأمور وجدت جُلُّها إن لم تكن كلها حتى بداية المرحلة الجديدة سواء ما يتعلق بطبائع هذه الحيوانات أو أسمائها وصفاتها وشياتها ووسومها وعوامل تكاثرها، وما زادوه على ذلك من واقع التجارب الميدانية خلال هذه القرون المتعاقبة وما دُخل عليها من التسميات والنعوت بما شابها من اللهجة العامية، ولما كانت هذه ثروتهم الرئيسة، فإن العناية بها والسهر على ما يفيدها بقى هاجساً يلازم الفرد والجماعة من سكان البادية، ولما كان نزول الأمطار يعتبر العامل الأساسي للحفاظ على هذه الثروة، فلا غَرْوَ أن يفرح الفرد أو الجماعة، برؤية السحاب، يسهرون الليل للتمتع برؤية البرق يشيمونه ويتوقعون سقوط غيث هذه المخيلة على هذا المكان أو ذاك، يسرع الرواد الي أثرها، الكل يسير لقومه، تسرع الأظعان للانتقال الي مساحب أذيـال هـذه السحابة أو تلك، يمضي الأعرابي فصل الربيع في سنوات الريف بين أنعامه لا يغبط ملكاً في ملكه، يعيش من ألبان هذه الأنعام ومشتقات ألبانها ولحومها، يبيع

الزائد عن حاجته في المدن والقرى ليستعيض عنه بمتطلبات حياته الأخرى، كما يبيع سمان أنعامه وجلدها وما أَسَنَّ منها وسمن للاستفادة من أثمانها، يختار لها الموارد في فصل الصيف والخريف، يقترب من القري، يقطن حولها، يحيط بالمناهل لتأمين الموارد لمواشيه، هذا دأبه على مدار العام، يقتنع مـن مقومـات الحياة بالضروريات، يكتفي ببيت الشعر خفيف المنقل سريع البناء، يقوم علـى أعمدة وأطناب سهل التقويض والحمل، يطوي ويحمل من مكان الي آخر، يغنيه القليل من الطعام كحمل بعير أو فردة منه، يكتفي من اللباس بالضـروريات، يكفيه من الأواني والأوعية ما يفي بالغرض، وقد يستخدم الأناء أو الوعاء لعدة أغراض، دائم الاستعداد للرحيل متى رأى ذلك ضرورياً لانتجاع كلأ في مكان ما، أو النزوح عن خطر مداهم، يعتمد في حماية نفسه وأنعامـه علـى نفسـه وقبيلته، عملية الترحال والتنقل عنده هي الأساسية لمسافات بعيدة وقد تكون في نطاق أراضي قومه، يهوي الغزو والاغارة على الآخرين لقتل رجالهم وسـلب أموالهم وهذه من الرواسب التي بقيت منذ العهد البائد يستغلها بعض ضـعاف الإيمان متى أتيحت لهم فرصة، لمسوا في ضعيف مهمزاً في غيبة من سلطة أو غفلة من رقيب أو استخفاف بالخصم، هذا الشذوذ المسلكي بقى في ثنايا هذه الفئـة يبرز حيناً ويختفي أحياناً مع قوة السلطة وضعفها حتى حل عهـد الاسـتقرار والأمن والتحضر في النصف الأخير من القرن الرابع عشر الهجري.

هذه الأنماط من الحياة لازمت سكان هذه البقعة بقسـميها الحضـري والبدوي منذ ما يزيد على خمسة عشر قرناً قد تعتبر دليلاً واضحاً على استمرار

السكان وتعاقب أجيالهم في هذه المنطقة وعدم انقطاعهم عنها، فلو لم يكن لها سكان لما استمرت هذه الآثار منذ ذلك الوقت وحتى عهد قريب، ولو أتاها أناس غير سكانها لجلبوا معهم أنماط حياة أخرى تختلف عن هذه الأنماط.

١١-العيون:

الي جانب المدن والقرى والآبار يوجد بنجد الكثير من العيون المتدفقة الغزيرة التي تسقى الأراضي الخصبة، حيث يزرع فيها مختلف أصناف المحاصيل الزراعية من القمح والشعير والذرة والدخن وغيرها من الحبوب، الي جانب التمور بأصنافها المختلفة، ومن هذه العيون على سبيل المثال لا الحصر: عيون الخرج وسيح نعام، وعيون الأفلاج، وعيون النباج "الأسياح" حالياً والعيون الفوارة بالقصيم، وعيون خضراء وهيت وعيون لينة التي تبلغ ٣٠٠عين، وعيون الغيل والمجازة، وعيون دومة الجندل، والي جوارها من الغرب عيون خيبر وعيون الحائط "فدك" وبجوارها من الشرق عيون الأحساء وقد وصف ابن الفقيه خصوبة أرض اليمامة ووفرة إنتاجها من الحبوب والتمور بقوله:"وأما حنطتهم فتسمى بيضاء اليمامة، وهي عذي لا سقي، يحمل منه الي الخلفاء، وأما تمره فلو لم يعرف من فضله إلا أن التمر ينادي عليه بين المسجدين "يمامي اليمامة، يمامي اليمامة" فيباع كل تمر ليس من جنسه بسعر اليمامي".

أما ابن حوقل فيقول:" فوادي المدينة به تسمى الخضرمة، وهي أكثر نخلاً وتمراً من المدينة ومن سائر الحجاز". وقد لعب هذا الإنتاج الغذائي الهام دوراً في قوام حياة السكان، سيما وأن التمر يمثل معه اللبن الغذاء الرئيس

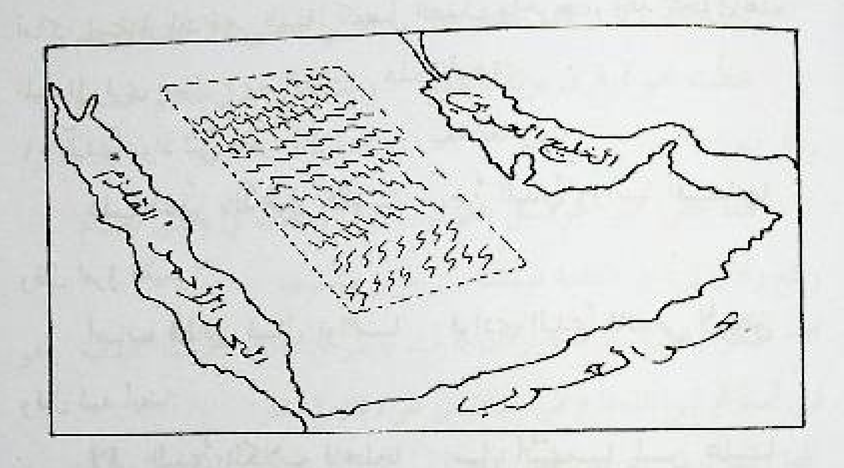
الألف سنة الغامضة من تاريخ نجد

المتكامل لقطاع كبير من سكان هذه المنطقة وقد ذكر الحربي في كتاب المناسك:" ومن أهم البلدان التي تنتج التمور في اليمامة الفلج "الأفلاج" وهي بلدة عظيمة تنتج كميات من التمور ففي نوادي الغيل بالفلج نخل كثير وثمره يحمل الي مكة ويسمى الصفري، ومن القرى المحيطة بالفلج قرن والشطبتان والصدارة".

وقال ناصر خسروا: ويوجد بالأفلاج تمراً يسمونه "ميدون" تزن الواحدة منه عشرة دارهم" ثم قال:"وقد دفعوا لي مئة من التمر لكتابة ونقش محراب المسجد وكان هذا المقدار من التمر كبير عندهم وكان في هذا المقدار عون لي على العيش لمدة أربعة أشهر ونصف عندهم". ومن هذه المواطن أيضاً قرقرى، وعقيق بني عقيل "وادي الدواسر" وموقق وأكمة، والخرج، نعام، والفقي، والصريف، والحصافة، ومويسل، والريب، ومنفوحة، والرس، وأثال، وكحيل، وضرية، والغميم، والشريف، وثمر، وثمير، والبالدية، والنباج، ومن أنواع التمور الجيدة، البردي، والزرقاء، والجذامية ومنها ما هو أقل جودة كالصفرقان، والخضري، والهجنة، والصفراء، والقعقاعي، واللّصف، والصفر، الصفايا، والتعضوض، والعماني والجعاب، والمرى، وخرائف بني مسعود، والصرفان، والزغري، والصفانة، أما في وادي الغيل بالفلج فكانت توجد من أنواع التمور الصفرى، والسرى، واللصف، يختص بأنواع التمور التي تمثل إحدى الركائز المهمة الي جانب الحبوب والألبان ومشتقاتها واللحوم على اختلاف أنواعهافضلاً أنظر كتابنا "النخلة العربية أدبيا وعلميا واقتصاديا".

إذا هناك تموين غذائي محلي تكاد أن تكتفي المنطقة منه ذاتياً في المواد الغذائية إذا أراف الله عليها بالغيث، وقد يحدث شح بالأرزاق إذا أجدبت في بعض السنين فيحدث التموين من المناطق المجاورة لها من الشرق والغرب كالبحرين "الأحساء" أو خيبر والخائط أو يتعدى ذلك شمالاً الي العراق والشام والجوف من التمور والحبوب، غير أن ذلك في مدة لا تطول إلا بمقدار سنوات الجدب، ويحدث ذلك لفقد أحد مصادر الإنتاج المساعدة لإنتاج العيون كالمزارع العادية على الآبار التي تسنى عليها الإبل، ففي سنوات الجدب تصبح الإبل هزلى لا تستطيع السني ويتوقف هذا الجانب الزراعي فيعتمد الناس على إنتاج مزارع العيون، وبذلك يشح الرزق. غير أن لارتفاع تكلفة نقل المواد الغذائية من أماكن بعيدة ورخص ما ينتج من هذه المواد محلياً. الأثر الكبير في عدم اللجوء اليها إلا في وقت الحاجة الماسة ويتكون بجانب هذه العيون التجمع السكاني الكثيف، وتنشأ المدن والقرى التي يعمرها السكان وتعج بمختلف الأنشطة في الكيان الحضري المستقر "فضلاً انظر الكيان الحضري والكيان القبلي" من هذا الكتاب، من هذا يتضح أن نجداً تحتوي على جانب من الجوانب التي تقوم عليها الحياة وهو تواجد الماء للزراعة والري والاستيطان بقربها وبناء المدن والقرى وقيام حضارة بجانبها قد استمرت منذ أمد طويل قد يتعدى خمسة عشر قرناً. فضلاً أنظر كتابنا "الحضارة النجدية"

شكل رقم (٣)



مخطط تقريبي للمنطقة يتضح عليه عدد الأودية المشهورة ونظراً لضيق المساحة تعذر كتابة أسمائها كاملة ولكن التفصيل داخل الفصل.

١٢- أسماء الأودية:

يوجد في نجد عدد من الأودية التي تحتوي على المياه: التي يمكن أن تكون أماكن استقرار لفترة من السنة، كفصل الصيف والخريف، وقد تتحول هذه المياه الي قرى ومزارع وبساتين ومن هذه الأودية:

١- اَلْبَدِيُّ: واد لبني عامر، قال لبيد بن ربيعة العامري:

غلبٌ تشذّر بالدُّخول كأنّها   جِنُّ البديِّ رواسيا أقدامها

وقال امرؤ القيس:

أصاب قطاتين فسال نواهما   فوادى البديِّ فانتحى لأريض

وقال لبيد أيضاً:

لاقى البديُّ الكلاب فاعتلجا   سيل أتِيَّيهما لمن غلبا

فدعدع عاسرة الرّكاء كما   دعدع ساقى الأعاجم الغربا

وقال الأعشى:

أتنسين أياماً لنا عند حيضة   وأيامنا بين البديِّ فثهمد

ووادي البدى يقع في عالية نجد.

٢- بَرْكٌ: واد لبني قشير يصب في المجازة، وقيل إن الوادي لهزان قال الشاعر:

ألا حبّذا من حبِّ عفراء ملتقى   نعام وبرك حيث يلتقيان

وقال آخر:

خليلي إن حانت وفاتي فارفعا   بي النّعش حتّى تدفناني في شجر

فثمّ إذا مرّت سماء مطيرة   بفيهة برك جادني سبل القطر

بحيث تقول العامريّة إن رأت   بها جدثي أسقيت يا قبر من قبر

وقال زهير بن أبي سلمى المزني:

فلا لكان ولا وادي الغمار فلا   شرقيّ سلمى فلا فيد فلارهم

شطّت بهم قرقرى برك بأيمنهم   والعاليات وعن أيمانهم خيم

وقال آخر:

فما يخفى عليّ طريق برك   وإن صعّدت في وادي نعام

ويقع وادي برك في منطقة اليمامة بين الحريق والحوطة.

٣- اَلْبَكْرُ: واد بوسط جبل رَمّان به مياه يفيض في وادي الثلبوت "الشعبة" وهو لبني أسد ثم لبني الفعقاع من نبهان من طيء قال الشاعر:

فما زلت أرمى الوحش حتى أتيح لي   بأسفل وادي البكر ظبي رمانيا

وقال الفزاري:

هل عيش وادي البكر مرتجع لنا   بنعمائه أم هل عليه عكور

وهل رده رَمّان العذاب وماؤه   معاود في عيش بهن غرير

مضى الدّهر أياماً لنا وليا ليا   برَمّان إنّ الدّهر بي لغرير

ويقع وادي البكر في جبل رَمّان بمنطقة حائل.

٤- التَّسْرِيْرُ: واد يصب أعلاه في بلاد بني كلاب، ثم يسلك نحو مهب الصبا (أي الشرق) ويسلك بين الشريف، شريف بني نمير وبين حبلة في بلاد بني تميم حتى ينتهي بمكان يقال له التسرير في بلاد عكل، قال الشاعر:

إذا يقولون ما يشفيك قلت هم   دخان رمث من التّسرير يشفيني

مما يضمُّ الي عمران حاطبه … من الجنينة جزلاً غير موزون

وفي التسرير ماء يقال لها الغريفة، قال الراعي النميري:

حي الدِّيار ديار أمِّ بشير … بنو يعنين فشاطئ التسرير

لعبت بها صفة النّعامة بعدما … روّادها من شمال ودبور

ويقع وادي التسرير بمنطقة عالية نجد.

٥- الثُلبُوتُ:"الشُعْبَةُ" حاليا واد لبني نصر من بني أسد بن خزيمة، أحد روافد وادي الرمة الرئيسة، قال مرة بن عياش الأسدي:

ولقد أرى الثُلبوت يأنف نبته … حيٌّ كأنّهم أولو سلطان

ولهم بلاد طالما عرفت بهم … صحن الملا ومدافع السّبعان

ومن الحوادث لا أبا لأبيكم … إنّ الأجيفر قسمة شطران

وقال أحد بني جديلة الطائي:

فإنّ بجانب الثُلبوت روضا … زرابيُّ الرَّبيع به كثير

وقال لبيد:

يعلو بها حدب الإكام مسحج … قدرابه عصيانها ورجامها

بأحزّة الثُلبوت يربأ فوقها … قفر المراقب خوفها آرامها

وقال الحطيئة:

ألم تر أنّ ذبياناً وعبساً … لباغي الحرب قد نزلوا براحا

يقال الأجربان ونحن حيٌّ … بنو عمٍّ تجمعُنا صلاحا

منعنا مدفع الثُلبوت حتىّ … نزلنا راكزين به الرّماحا

نقاتل عن قرى غطفان لمّاً … خشينا أن تذلَّ وان تباحا

ويقع وادي الثلبوت أو الشعبة في منطقة حائل.

٦- ثادِقُ:واد هو أحد روافد الرمة، أعلاه لبني أسد وأسفله لعبس، قال عقبة بن سوداء:

ألا يا لقومي للهموم الطَّوارق … وربع خلا بين السَّليل وثادق

وطير طرت بين الغميم وحجرى … بصدع النّوى والبين غير مفارق

ولثادق برقة تضاف اليه: قال الحطيئة:

ينمو بها من برق عيهم طاميا … زرق الجمام رشاؤهن قصير

وكأنّ نقعهما ببرقة ثادق … ولوى الكثيب سرادق منشور

وقالت ليلى الأخيلية الخفاجية:

وحلأها حتى إذا لم يسغ لها … حليُّ بجنبي ثادق وجفيف

وقال عبد الرحمن بن دارة:

قضى مالك ما قد قضى ثم قلّصت … به في سواد اللّيل وجناء عرمس

فأضحت بأعلى ثادق فكأنّها … محالة غرب تستمرُّ وتمرس

ويقع وادي ثادق بمنطقة القصيم.

٧- الجرِيبُ:"الجرْيْرُ" واد عظيم من أطول الأودية في نجد من روافد الرمة، به كثير من موارد المياه، يقول العرب على لسان وادي الرمة:

كلُ بَنِيٍ إنّه يحسيني … إلاّ الجريب إنّه يرويني

وقال الشاعر:

سيكفيك بعد الله يا أم عاصم ... مجاليح مثل الهضب مضبورة ضبرا

عوادن في حمض الجريب وتارة ... تعاتب منه خلّة جأرت جأرا

وقال أبو منذر الإيادي:

تحنُّ الي أرض المغمسّ ناقتي ... ومن دونها ظهر الجريب وراكس

بها قطّعت عنّا الوذيم فساءنا ... وغرّقت الأبناء فينا الحوارس

وقال آخر:

منعنا الغيل مما حلّ فيه ... الي بطن الجريب الي الكثيب

بأرماح مثقفة صلاب ... غداة الطّعن في اليوم الكئيب

وقال عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير:

يا ليلة البرق الغميض ودونه ... من بطن طخفة أو سواج منكب

جاء الجريب فبات ضوء ربابه ... بحمى ضرية يستهلُ ويسكب

طوراً يضيء ويستطير ربابه ... قدما ويدفعه العذاب القيهب

وقال المهدى بن الملوح:

إذا الرّيح من نحو الجريب تنسّمت ... وجدت لريّاها على كبدي بردا

على كبد قد كاد يبدي بها الجوى ... ندوبا وبعض القوم يحسبني جلدا

ويقع وادي الجريب في منطقة القصيم.

٨- وَادِي حَنِيْفَةُ: هذا الوادي العظيم الذي يبدأ من متعلقات الوادي في صفحا طويق من الشمال الغربي، وينتهي بالسهباء والتوضحية من الخرج، وقد سمي

الوادي بهذه القبيلة المشهورة، ويضم العشرات من القرى والموارد والمياه ويسمى وادي العرض قال الشاعر:

ولما هبطنا العرض قال سراتنا ... علام إذا لم نحفظ العرض نزرع

وقال الأعشى:

ألم تر أنّ العرض أصبح بطنه ... نخيلاً وزرعا نابتا وفصافصا

وقال يحى بن أبي طالب الحنفي:

يهيج عليّ الشوق من كان مصعداً ... ويرتاح قلبي أن تهب جنوب

فيارب سلّ الهمّ عنيّ فإنّني ... مع الهمّ محزون الفؤاد غريب

ولست أرى عيشاً يطيب مع النّوى ... ولكنّه بالعرض كان يطيب

وقال الفرزدق التميمي:

لعمري لقد سلّت حنيفة سلّة ... سيوفا أبت يوم الوغى أن تعيّرا

سيوفا به كانت حنيفة تبتني ... مكارم أيام تشيب الحزوّرا

بهن لقوا بالعرض أصحاب خالد ... ولو كان غير الحق لاقوا لأنكرا

وقال آخر:

وبالجزع من وادي الأحَيْسِيْ عصابة ... سحيميّة الأنساب شتّى المواسم

ووادي حنيفة يقع في قلب منطقة اليمامة.

٩- نَحْوُ: "المَحَلاَنِيُّ" واد يصب في ذي العشيرة به مياه ونخيل لبني عبد الله من غطفنا وهو من روافد الرمة، وقد جري فيه يوم من أيام العرب، وكان لبني أسد على بني يربوع من تميم، قال مالك بن نويرة اليربوعي التميمي:

وهوّن وجدي إذ أصابت رماحنا   عشيّة خوٍّ رهط قيس بن جابر

عمير بني كوز وأفناء مالك   وخير بني نصر وخير العوافر

وقيل خوّ كثيب معروف في نجد قال يعفر بن لقيط الفقعسي:

ألا حيّ لي من ليلة القبر إنّه   مآب وإن أكرهته أنا آيبه

وتارك خوٍّ ينسج الرّيح متنه   إذا اطّردت قريانه ومذانبه

إذا نورت غـرّاؤه ودماثة   وزين بفلج الأيهقان أخاشبه

كأنّ به عيراً من المسك حلها   دهاقين ملك تجتنى ومزار به

وتارك ريعان الشّباب لأهله   تروح له أصحابه وصواحبه

ويقع وادي خو بمنطقة حائل.

١٠-خَنْتَل: واد في بلاد قريط بن أبي بكر بن كلاب، به ماءة يقال لها الوذكة، جنوب غرب عفيف، قال مريع بن وعوعة الكلابي:

فزعت الي سيفي فنازعت غمده   حساماً به إثـر قـديم مسلسل

فغادرت سعداً والسّباع تنوبه   كما ابتدر الـورّادُ جمّـة منهل

دعا هشلاً إذ حازه الموت دعوة   وأجلين عنـه كـالحوار المجدّل

فإنك قد أودعتني عضب الحصى   وأنت بذات الرّمث من بطن خنتل

ولكنّما أوعدتني ببسيطة الـ   ـعراق الذي بين العراق وحومل

وقلت لأصحابي: النّجاء فإنّما   مع الصُّبح إن لم تسبقوا جمع هشل

فأصبحن يركضن الحاجن بعدما   تجلّى من الظّلماء ما هو منجل

وقال الفرزدق:

بني نهشل هلاّ أصابت رماحكم   على خنتل فيما يصادفن مربعا

وجدتم زماناً كان أضعف ناصراً   وأقرب من دار الهوان وأضرعا

قتلتم به ثول الضّباع فغادرت   منا صلكم منه خصيلا مرضّعا

فكيف ينام ابنا مبيح ومربـع   على خنتل سقي الحليب المقنّعا

ويقع وادي خنتل في عالية نجد.

١١-رَبَبُ: حساء ربب "رَاط" واد فيه ماء لطيء، وفي كتاب بلاد العرب: ويسيل في الثلبوت واد يقال له الرحَّبة فيه ماء لبني أسد يسمى فرتاج ثم فوق ذلك ماء يقال له حساء ربب لطيء، وذلك حين تلتقي طيء وأسد. قال الطرماح بن حكيم الطائي:

لمن ديار بهذا الجزع من ربب   بين الاحزّة من ثنوان فالكثب

وحساء ربب أو"راط" يقع في منطقة حائل شمال مدينة رَوْضَة رَمَّان وهو مملوك لأهلها بآبار لهم هناك يزرعونها يبعد عنها ٣ أكيال.

١٢- الرَّحَبَةُ:"وَادي الحُقَن" واد لبني أسد غرب فرتاج، قال الشاعر وهو رجل من عذرة:

بفرتاج من أرض الحليفين أرّجت   جنوب وما لاح السّماك ولا النّسر

ومن دون مسراها الذي طرقت به   شماريخ من رَمَّان يردى بها العفر

ويقع وادي الرحبة "وادي الحفن" في منطقة حائل وأصبح الآن عامراً بالقرى ففي أسفله "الحُفَيْنَةُ" وفوقها "الوُسَيْطاءُ" وفوقها "الحُفْنَةُ" وفوقها "العَوْشَزِيَّة" العوسجية.

١٣-الرَّكَا: واد في ديار بني العجلان من ديار بني عقيل بسرَّة نجد، قال لبيد بن ربيعة العامري:

لاقى البديُّ الكلاب فاعتلجا — سيل أتِيَّيهما لمن غلبا
فدعدعا سرَّة الرَّكاء كما — دعدع ساقي الأعاجم الغربا

وقال الراعي النميري:

وساقتك بالخبتين دار تنكَّرت — معارفها إلا الرُّسوم البلاقعا
تلوح كوشم في يديْ حارثيَّة — بنجران أدمت للنُّسور الأشاجعا
بميثاء سالت من عسيب فخالطت — ببطن الرَّكاء برقة وأجارعا

وقال تميم بن أبي بن مقبل العامري:

أأنت محيٌّ الرَّبع أم أنت سائله — بحيث أفاضت بالرَّكاء مسائله
سلا القلب من أهل الرَّكاء فإنه — على ماسلا خلانه وحلائله
وبدَّل حالاً بعد حال عشيَّة — لعيشتنا ضيق الرَّكاء فعاقله
ألا رُبَّ عيش صالح قد شهدته — يضيق الرَّكاء إذ به من تواصله
إذ الدَّهر محمود السَّجيَّات تجتني — ثمار الهوى منه ويؤمن غائله

وقالت ليلى الأخيلية الخفاجية:

نظرت ودوني من عماية منكب — ببطن الرَّكامن أيَّ نظرة ناظر

ويقع وادي الركاء في عالية نجد.

١٤-الرُّمَةُ: وادي الرمة هو أكبر أودية نجد إطلاقاً وأطولها، تبتدئ سيوله من حرة خيبر حتى ينتهي بالقرب من جبل سنام في جدار شط العرب، وله عشرات بل مئات الروافد من الأودية الكبيرة والصغيرة، وهو لمختلف القبائل العربية، وبه عشرات المدن والقرى وعشرات المياه: قال الراجز:

لم أركالليلة ليل مسلمة
أنا اهتديت والفجاج مظلمة
لراكبين نازلين بالرُّمة

وقالت امرأة تنسج:

لشقِّتي أعظم من بطن الرُّمة
لا تستطيع مثلها بنت أمه
إلاّ كعاب طَفْلَةُ مقوَّمة

وقالت امرأة أخرى:

أتاني نعيُّك بعد العشاء — فبتُّ المدلَّهة المؤلمة
فُجعنا بفقدك يا ابن الكرام — كما بأبيك ببطن الرُّمة
فُجعنا وكان لنا سيِّداً — يربُّ الصنيعة والمكرمة

ويقع أعلى وادي الرمة بمنطقة حائل وأوسطه في منطقة القصيم وآخره في العراق.

١٥-الرَّيْبُ: واد رغاب ضخم فيه بطون من قشير، مريح بالكديد وهو أسفل وادي الريب وفي وسطه بنو حيدة وفي أعلاه. العبيدات وطرف من قرة، وبها قرى ومزارع لبني قشير، وقال الشاعر:

لا بأس بالرَّيْب إلاَّ أنَّ ساكنه   يمسون طلحى من الأنفاض أحيا

ظل ظليل وماء لا نحاسبه   وبعد ذلك مثل السُّكر يغشا

وأنشد أبو نافذ الخفاجي للقرطبي من بني قشير:

خليليَّ ممن يسكن الرَّيْب قد بدا   هواي فلا أدري علام هواكما

فإن كنتما مثلي مصابَيْنِ بالهوى   فروحا فإنِّي قد مللت ثواكما

وروحا بنا نجعل قنيًّا وأهله   شمالاً ومرًّا منه حيث يراكما

ولا توردانِي الدُّعمقات فإنّها   هماج وما يروى الهماج صداكما

ولا تأديا للعيس في سرٍّ ليلة   وتستنشرا يا صاحبيَّ أخاكما

ومرًّا بأمواه الدُّبيل وأعلما   بأنَّ قراناً بعدها مستقاكما

وأنشد أبو نافذ أيضاً لخويلدية واجتوت عند القشيري بالريب:

أمجلودة إن قلت هذاكم الحيا   أصاب الحمى فالنِّير فالهضب جانبه

ومغلقة هذي الدِّيار وصائح   عليَّ دجاج السُّوق تدقى حواجبه

فأجابها القشيري:

تعزَّيْ بصبر إن ترى من خويلد   حمولاً دعتها نُية وهضوب

ولن تسمعي بالجوِّ جوٌّ مخمرٌ   وذي المرخ قبل الموت صوت مهيب

وقال بطال بن معاوية أحد بني مالك بن سلمة يتشوق الي الريب:

أيا أجرع بالرَّيْب الذي لست ذاكراً   طلالك إلا اعتاد عيني مائح

فإنِّي وإن لم أغن شيئاً لقائل   سقتك ملثّات الغمام الرَّوائح

منازل كانت في الزَّمان الذي مضى   نحلّ بها والدَّهر إذ ذاك صالح

وقال حبيب بن يزيد المعاوي القشيري:

أرى الرَّيْب أمسى من جبيل وبيهس   وأحمر مغبرُّ الجوانب خاليا

لقد كان عميٌّ بيهس وابن عمه   شفاء لمن يبغى من الذُّل شافيا

فتى لا يرى خذلان جاره رفعة   إذا بلغت نفس الجبان التَّراقيا

ويقع وادي الريب في منطقة اليمامة.

١٦-السُّبْعَانُ: واد غرب جبل سلمى عنده جبل أسود، يقال له العبد، وهو لبني سواء ونصر من أسد، قال تميم بن أبي بن مقبل العامري، وقيل عمرو بن أحمر الباهلي:

ألا يا ديار الحيِّ بالسُّبُعَان   أمرَّ عليها بالبلي الملوان

ألا يا ديار الحيِّ لا هجر بيننا   ولكن ردعات من الحدثان

نهار وليل دائم ملواهما   على كلِّ حال النَّاس مختلفان

وقال رجل من بني عقيل:

ألا يا ديار الحيِّ بالسُّبُعَان   خلت حجج بعدي لهنَّ ثمان

ويقع وادي السبعان بمنطقة حائل وقد قام عليه الآن بلدة بنفس الاسم عامرة تعتبر من أمهات القرى إن لم تكن مدينة مصغرة تتوفر بها مقومات الحياة

الحاضرة تبعد عن حائل ٧٠ كيلاً وقد تأسست السبعان في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري أي حوالي ١٢٥٥هـ وهي من الجيل الرابع من القرى ويوجد الي الشمال الغربي عنها جبل أسود يسمى "عَبْدُ السَّبْعَان" وهو المذكور آنفاً.

١٧- سَاحُوق: واد لمحارب ويسمى خُزَيز محارب، وبه وقع يوم من أيام العرب كانت الغلبة فيه لذبيان على بني عامر، قال الكميت بن زيد الأسدي:

ونحن غداة ساحوق تركنا　　حماة الأجدلين مجدَّلينا

وقال عبيد بن الأبرص الأسدي:

إن تقتلوا منّا ثلاثة فتية　　فلمن بساحوق الرَّعيل المطنب

وقال سلمة بن الخرشب الأنماري:

هرقت بساحوق جنانا كثيرة　　وأدين أخرى من حقين وجازر

ويقع وادي ساحوق في عالية نجد.

١٨- السَّليّ: مجمع أودية ورياض به أمواه، وكان في بلاد يشكر بن بكر قال كعب بن زهير المزني:

لعمرك ما خشيت على أُبَيٍّ　　متالف بين حجر والسُّليِّ

ولكني خشيت على أُبَيٍّ　　جريرة رمحه في كل حيِّ

من الفتيان محلول ممرٌّ　　وأقّار بارشاد وغيِّ

وقال أوس بن حجر التميمي:

تنكّر بعدي من أميمة صائف　　فبرك فأعلى تولب فالمخالف

فبطن السليِّ فالسخال تعذّرت　　فمعلقة الي مطار فواجف

فقوٌّ فرهبى فالسُّليل فعاذب　　مطافيل عوذ الوحش منها عواطف

وقال الأعشى:

وكأنما تبع الصُّوار بشخصها　　عجزاء ترزق بالسُّليِّ عيالها

وقال حاجب بن ذبيان المازني التميمي:

سلى يشكر عنّا وأبناء وائل　　لهازمها طراً وجمع الأراقم

ألم تعلمي أنّا إذا الحرب شمّرت　　سهام على أعدائنا في الحلاقم

عتاة قراة في الشّتاء مساعر　　حماة كماة كاللّيوث الضراغم

بأيديهم سمر من الخطّ لدنة　　وبيض تجلّي عن فراخ الجماجم

أولئك قوم إن فخرت بعزّهم　　فخرت بعزٍّ في اللُّهى والغلاصم

هم نزلوا يوم السُّلي عزيزها　　بسمر العوالي والسُّيوف الحوازم

ويقع وادي السُّلي في منطقة اليمامة وهو شرق مدينة الرياض وأصبح الآن أحد ضواحيها.

١٩- سَمْنَانُ: واد لبني ربيعة الجوع بن زيد مناة من تميم، قال يزيد بن ضابئ بن رجاء الكلابي يهجو بني ربيعة:

بسمنان بول الجوع مستنقعاً به　　قد أصفرَّ من طول الإقامة حائله

ببرقائه ثلث وبالحرب ثلثه　　وبالحائط الأعلى أقامت حبائله

له صفرة فوق العيون كأنّها　　بقايا شعاع الأفق والليل شامله

وقال المرار الفقعسي:

ظلّ في أعلى يفاع جاذراً … يقسم الأمر كقسم المؤتمر

.... السّمنان يسقيها به [1] … وهنّ إذا صادفن شربا صوادفه

وقال الراعي النميري:

وأمسيت بأطرافالجماد كأنها … عصائب جند رائح وفرائقه

وصبحت من سمنان عينا روية … وهن إذا صادفن شربا صوادفه

وقال زياد بن منقذ العدوي التميمي:

يا ليت شعري متى أغدو تقارضني … جرداء سابحة أو سابح قدمي

نحو الأميلح أو سمنان مبتكراً … بفتية فيهم المرّارُ والحكم

ويقع وادَيَ سمنان بمنطقة اليمامة.

٢٠- **شَرَفُ**:واد عظيم وقيل فسيحة طيبة به مياه ما بين وادي التسرير "الرِّشا" والجريب "الجرير" وكان منازل بني آكل المرار الكنديين، ثم صار لبني كلاب، وقيل لباهلة.

قال أوس بن حجر التميمي:

شرقيّة ما توارد منهلا … بقرينة أو غير ذات قرين

وقال عدي بن زيد العبادي التميمي:

للشّرف العود وأكنافه … ما بين حمران وينصوب

خير لها إن خشيت حجرة … من ربّها زيد بن أيوب

[1] البياض في الأصل.

لمتكنا تخفق أبوابه … يسعى عليه العبد بالكوب

ويقع وادي شرف في منطقة القصيم.

٢١- **ضَغَنُ**: ضغن عدنة أرض واسعة بها الكثير من الأودية والمياه والقرى وهي من أرض غطفان وهي غرب جبل رَمَّان وشرق الحرة. ويقع ضغن عدنة في منطقة حائل.

٢٢- **عَرْعَرُ**:وادي عرعر هو وادي كلب ثم لطيء.

وقال المسيب بن علس بن مالك بن عمرو – من ربيعة بن نزار:

هو القيل يمشي آخذاً بطن عرعر … بتجفافه كأنّه في سروال

وقال امرؤ القيس:

سمالك شوق بعدما كان أقصرا … وحلت سُلَيْمَى بطن قوّ فعرعرا

وقال مقاس بن بكر العائذي:

تمنّيت بكراً بالعراق مقيمة … وأنّى لنا بكر بأكناف عرعر

وعلى هذا الوادي قامت مدينة بنفس الاسم عرعر وهي مدينة مشهورة في شمال المملكة.وهي قاعدة الاقليم.

٢٣-**بَطْنُ عَاقِلِ**: "عَاقِلُ" واد به ماء لبني إبان أو دارم من تميم قال الراجز:

ياليتها قد جاوزت سواجا

وعاقلا حيث المحنى وعاجا

وقال لبيد بن ربيعة العامري:

كلا أخوينا قد تخيّر محضراً … من المنحنى من عاقل ثم خيّما

وفي عاقل مات الحارث بن عمرو الكندي ودفن فيه، وهو الذي يقول فيه لبيد:

والحارث الحرَّاب خلَّى عاقلا ... داراً أقام بها ولم يتنقل

تجرى خزائنه على من نابه ... مجرى الفرات على فراض الجدول

حتى تحمَّل أهله وقطينه ... وأقام سيِّدهم ولم يتحمل

وكان الحارث بن عمرو الكندي قد بعث به تبع ملك اليمن مع بكر بن وائل ملكاً عليهم، وفي عاقل وقعت عدة وقائع، قال امرؤ القيس:

غشيت ديار الحيِّ بالبكرات ... فعارمة فبرقة العيرات

فغول فحلّيت فنفء فمنعج ... الي عاقل فالجبِّ ذي الأمرات

وقال زهير بن أبي سلمى:

لمن طلل كالوحى عاف منازله ... عفا الرَّس منه فالرسُيس فعاقله

وقال أيضاً في موضع آخر:

كأنا بغلأن الرُّسيس فعاقل ... ذري النَّخل تسمو والسُّفين المقيَّرا

وقال جرير:

لعمرك لا أنسى ليالي منعج ... ولا عاقلا إذ منزل الحيِّ عاقل

وقال في مكان آخر:

حيٌّ الدِّيار بعاقل فالأنعم ... كالوحي في رق الزَّبور المعجم

طلل تجرُّبه الرِّياح سواريا ... والمدجنات من الشَّمال المرزم

ووادي عاقل يقع الي الجنوب الشرقي عن مدينة الرس ويصب في وادي الرمة بمنطقة القصيم "فضلاً انظر مملكة كندة في صدر الكتاب".

٢٤-عَقيْقُ: "وادي الدَّواسير" واد لعقيل فيه مياه ونخيل وقرى قال بزيع بن جيهان الضبابي في يوم مرا مرات:

إنَّ العقيق غدا لو أنَّ صريخنا ... ورد العقيق لهزَّنا المهيوب

وبحافة الفلجين أكبر عزّنا ... وبجنب أكمة مصرخ ومجيب

وقال مروان بن أبي حفصة:

والعيس قد علت الذُّبيل وحلّقت ... بطن العقيق بنا وحسى ركاب

وقال آخر:

تربَّع ليلى بالمضيَّح فالحمى ... وتحفر من بطن العقيق السَّواقي

وقال القحيف بن خمير العقيلي:

أأُمَّ ابن إدريس ألم يأتك الذي ... صبحنا ابن إدريس به فتقنطرا

فليتك تحت الخافقين ترينه ... وقد جعلت درعاً عليها ومغفرا

يريد العقيق بن المهير ورهطه ... ودون العقيق الموت ورداً وأحمرا

وكيف تريدون العقيق ودونه ... بنو المحصنات اللأبسات السَّنوار

وقال معاوية بن عبد العزي بن ذراع الجرمي:

وإن أخو جرم كما قد علمتم ... فإني بما قال النَّبي لقانع

ألم تر جرماً أنجدت وأبوكم ... مع القمل حفر في الأقيصر شارع

إذا قرنت جاءت يقول: أصب بها ... سوى القمل إني من هوزان ضارع

فإنكما كالخنصرين أخستا ... وفاتهما في طولهن الأصابع

ووادي العقيق أو وادي الدواسر يقع في منطقة اليمامة.

٢٥-العُمْقُ:واد كبير به مياه لبني قشير أو يسمى أيضاً عمق الربب "السرّين" حالياً أو عمق قشير، قال مريزيق بن مدرك القشيري:

وأشرفت من عيطاء من رمل قرقرى   يضيف الينا سهلها وجبالها
لأونس من بتران ركناً كأنّه   من البخت حرجوج عليها جلالها

وقال العائذ العقيلي:

لعمرك ما نجران من أهل حائل   ولا ساكن العمقين بالمتقارب

وقال أحد بني لبيني في ناقته صبير:

فكلُ بعير أحسن النّاس نعته   وآخر لم ينعت فداء لصبيرا
فما إبل تنوينها بقريبة   ترود بمسحى أو ترود مخمّرا
أو العمق أو أكنافه من عريقة   أو الحزم أو ترعى جناحاً فصعرا

وقال صاحب سوداء:

فما بالعمق من سوداء دار   ولا بالعمق من سوداء نار
ولا بمجامع الجسدين منها   شيوخ إن مررت ولا مرار

ووادي العمق يقع في منطقة اليمامة.

٢٦- العِتْكَانُ:أو العتك مفرداً واديان وهما للرباب من بني تميم قال زهير بن أبي سلمى:

دار لأسماء بالغمرين ماثلة   كالوحي ليس بها من أهلها أرم
سالت بهم قرقرى برك بأيمنهم   والعاليات على أيسارهم خيم

عوم السُّفين فلما حال دونهم   فَند الغَريَّان فالعتكان فالكرم

وقال الزبرقان بن بدر التميمي:

ساروا الينا بنصف اللّيل فاحتملوا   فلا رهينة إلا سيِّدٌ صمد
سيروا رويداً وإنّا لن نفوتكم   وإن ما بيننا سهل لكم جدد
إنّ الغزال الذي ترجون غرّته   جمع يضيق به العتكان أو اطد
مستحقبوا حلق الماذى يحفزه   ضرب طَلَحْفٌ وطعنٌ بينه خضد

وقال عبدة بن الطبيب التميمي:

قفا نبك من ذكرى حبيب وأطلال   بذي الرُّضم فالرُّمانتين فأوعال
الي حيث سال القنع من كل ليلة   من العتك حوّاء المذانب محلال

ويقع وادي العتك أو العتكان بمنطقة اليمامة.

٢٧-الغِمَارُ:واد ينحدر من جبل حبشي به ماء في بلاد بني أسد وقيل واد في بلاد طيء، قال القعقاع بن حريث الكلبي "ابن درماء":

تبصَّر يا ابن مسعود بن قيس   بعينك هل ترى ظعن القطين
خرجن من الغمار مشرِّقات   تميل بهن أزواج العهون
بذمّك يا مرؤالقيس استقلت   رعان غوارب الجبلين دوني

وقال آخر:

فما عن قلى سلمى ولا بغضي الملا   ولا العبد من وادي الغمار تمار

وقال الصمة بن عبد الله القشيري، وقيل لجعدة بن معاوية الجعدي وقيل لغيرهما:

أقول لصاحبي والعيس تهوى   بنا بين المنيفة والغمار

تمتّع من شميم عرار نجد   فما بعد العشيّة من عرار

وبين قفارها تقف المطايا   فإن العين تحبس بالقفار

أيست من الحياة وطال حزني   فقلبي موجع والدّمع جارى

ألا يا حبّذا نفحات نجد   وريّا روضة بعد القطار

وأهلك إذا يحل الحيُّ نجداً   وأنت على زمانك غير زاري

شهور ينقضين وما علمنا   بأنصاف لهنّ و لا سرار

تقاصر ليلهن فخير ليل   وأطيب ما يكون من النّهار

ويقع وادي الغمار بمنطقة حائل.

٢٨-الغَيْلُ: واد من أودية الأفلاج لجعدة، به نخيل كثيرة وحصون وهو بين حبلين، وبأعلاه نفر من بني قشير، قال البحتري الجعدي:

ألا يا ليل قد برح النّهار   وهاج اللّيل جزنا والنّهار

كأنّك لم تجاوز أهل ليلى   ولم يوقد لها بالغيل نار

وقال عثمان بن صمصامة الجعدي:

وقد قلت للقريّ إن كنت رائحاً   الي الغيل فاعرض بالسّلام على نعم

على نعمنا لا نعم قوم سوائنا   هي الهمُّ والأحلام لو يقع الحلم

فإن غضب القريُّ في أن بعثته   اليها فلا يبرح على أنفها الرّغم

وقال قيس بن الملوح العامري "المجنون":

أبت ليلة بالغيل يا أمّ مالك   لكم غير حبٍّ صادق ليس يكذب

ألا إنّما أبقيت يا أم مالك   صدى أينما تذهب به الرِّيح يذهب

ويقع وادي الغيل بمنطقة اليمامة.

٢٩-فَلْجُ: هذا الوادي الواقع شرق الدهناء يخترق طرف الصُّمَّان الشمالي ويظن أنه كان امتداداً لوادي الرمة، قال مقاس بن النعمان العائذي:

تذكّرت الخيل الشّعير عشيّة   وكنّا أناساً يعلفون الأباصرا

فوالله لو أنّ امرئ القيس لم يكن   بفلج على أن يسبق الخيل قادراً

وقال علباء بن أرقم بن عوف:

حلّت تماضر غربة فاحتلّت   فلجاً وأهلك باللّوى فالحلّت

وقال ربيعة بن مقروم الضبي:

تذكّرت والذّكرى تهيجك زينبا   وأصبح باقي وصلها قد تقضّبا

وحلّ بفلج فالأباتر أهلها   وشطّت فحلّت غمرة فمثقّبا

وقال المثقب العبدى:

رهن كذلك حين قطعن فلجا   كأنّ حمولهن على سفين

ويقع وادي فلج أو حفر الباطن في شمال منطقة اليمامة.

٣٠-فَيْحَانُ: واد يقع في حزن بني يربوع من تميم، وهو الذي أغار منه بسطام حين أسره عتيبة بن الحارث بن شهاب، ويوم فيحان من أيام العرب وهو لبكر علي تميم، فضلاً أنظريوم الغبيط من أيام العرب في بداية الكتاب ويقع الوادي بالحجرة شمال الدهناء، قال الشماخ بن ضرار الذبياني:

دارت من الدُّور فالموشوم فاعترفت   بقاع فيحان إجلاً بعد آجال

وقال أيضاً:

تنجو إذا ما اضطرب الفيحان   **نجاء هقل جافل بفيحان**

وقال مالك بن نويرة التميمي:

كأني وإبدال السّلاح عشيّة   **يمر بنا من بطن فيحان طائر**

وقال حرى بن ضمرة النهشلي التميمي:

لحاكم الله لحياً لا كفاء له   **إنّي بدأ تكما كفراً وطغيان**

ما كان من جندل فاعلم ومن قطن   **لا بني نويرة جار اليوم فيحان**

وقال الراعي النميري:

أو رعلة من قطا فيحان حلأها   **من ماء بثريّة الشّباك والرّصد**

وقال جرير بن الخطفي التميمي:

جاءوا اليك من السّهبا ودونهم   **فيحان فالمزن فالصّمان فالرّكف**

وقال الحصين بن مطير الأسدي:

ونشرها مثل ريّا روضة أنف   **لها بفيحان أنوار أكاليل**

وقال الطرماح بن حكيم الطائي:

واحتثبن حاصبة وولى يقترى   **فيحان يسمع مرة ويعود**

ويقع وادي فيحان في شمال المملكة.

٣١-قَرْقَرَى: من أكبر الأودية في اليمامة وتتجمع به سيول الأودية المنحدرة من الجبال شرقاً وشمالاً وتنحدر سيوله جنوباً، وهو مشهور بكثرة القرى والمياه وجودة الثمار وطيب المرعى، كانت به قبائل طسم وجديس، ثم سكنه بعدهم

بطون من تميم ونمير وقريش وبني قيس بن ثعلبة وبني حنيفة وكندة وثقيف، قال يحي بن طالب الحنفي:

أحقاً عباد الله أن لست ناظراً   **الى قرقرى يوماً وأعلامها الغبر**

كأنّ فؤادي كلّما مرّ راكب   **جناح غراب رام نهضا الي وكر**

أقول لموسى والدّموع كأنها   **جداول فاضت من جداولها تجرى**

ألا هل لشيخ وابن ستّين حجّة   **بكى طرباً نحو اليمامة من عذر**

وزهّدني في كلّ خير صنعته   **الي النّاس ما جربت من قلّة الشّكر**

إذا ارتحلت نحو اليمامة رفقة   **دعاك الهوى واهتاج قلبك للذّكر**

فواحزني مما أجدُ من الأسى   **ومن مضمر الشّوق الدّخيل الي حجر**

تغرّبت عنها كارهاً وهجرتها   **وكان فراقيها أمرُّ من الصّبْر**

وقال قيس بن معاذ:

لعلّ الذي يقضي الأمور بعلمه   **سيصرفني يوماً اليه على قدر**

فترقأ عين ما تملّ من البكا   **ويسكن قلب ما ينهنه بالزّجر**

فياراكب الوجناء إبت مسلّما   **ولا زلت من درب الحوادث في سفر**

إذا ما أتيت العرض فاهتف بأهله   **سقيت على شحط النّوى سبل القطر**

فإنك من واد الي محبّب   **وإن كنت لا تزداد إلاّ على عفر**

وقال يحيى بن طالب أيضاً:

أيا أثلات القاع من بطن توضح   **حنيني الي أطلالكنّ طويل**

ألا لي شمٌ للخزامى ونظرة ... الي قرقرى قبل الممات سبيلا

فأشرب من ماء الحجيلاء شربة ... يداوى بها قبل الممات عليلا

وقال مريزيق بن مدرك القشيري:

وأشرفت من عيطاء من رمل قرقرى ... يفيض الينا سهلها وجبالها

لأرنس من بتران ركن كأنه ... من البخت حرجوج عليها جلالها

وقال الحطيئة العبسى:

بذي قرقرى إذ يشهد النّاس حولنا ... فأسديت ما أعيا بكفيك نائله

ويقع وادي قرقرى في منطقة اليمامة.

٣٢- اللِّوَى: واد شهير كثير الأشجار، وهو من أودية بني سليم شرقاً من حرة كشب قال الشاعر:

لقد هاج لي شوقاً بكاء حمامة ... ببطن اللّوى ورقاء تصدح بالفجر

هتوف تبكيّ ساق حرٌ ولا ترى ... لها عبرة يوماً على خدّها تجري

تغنّت بصوت فاستجاب لصوتها ... نوائح بالأصناف من فنن السّدر

وأسعدنا بالنّوح حتى كأنّما ... شربن سلافاً من معتّقة الخمر

دعتهن مطراب العشيّات والضُّحى ... بصوت يهيج المستهام على الذّكر

يجاوبن لحناً في الغصون كأنّها ... نوائح ميت يَلْتَدِمْ مَنَ على قبر

فقلت لقد هيّجن صبّاً مُتيّماً ... حزينا وما منهنّ واحدة تدري

وقال دريد بن الصمة الجشمي:

أمرتهم أمرى بمنعرج اللّوى ... فلم يستبينوا الرُّشد إلا ضحى الغد

وقال علباء بن أرقم بن عوف:

حلّت تماضر غربة فاحتلّت ... فلجاً وأهلك باللّوى فالحلّت

وقال ضابئ بن الحرث بن ارطاة البرجمي التميمي:

غشيت لليلى رسم دار ومنزلا ... أبى فاللّوى فالنير ان يتحوّلا

وقال جابر بن جني التغلبي:

فيا دار سلمى بالصّريمة فاللّوى ... الي مدفع القيعان فالمتثلّم

ظللت على عرفانها ضيف قفرة ... لأقضي منها حاجة المتلوّم

ويقع وادي اللوى في عالية نجد وجرى فيه يوم اللوى من أيام العرب ينظر ذلك في أيام العرب بصدر الكتاب.

٣٣-مِسْطَحْ: واد بأجأ لجرم من طيء، قال حاتم الطائي:

لياليَ نمشي بين جوٌ ومسطح ... نشاوى لنا من كلّ سائمة جزر

وقال أمرؤ القيس:

ألا إنّ بالشّعبين شعب بمسطح ... وشعب لنا في بطن بُلطة زيمرا

وقال أيضاً:

تظلُّ لبونى بين جوٌ ومسطح ... تراعى الفراخ الدّارجات مع الحجل

ووادي مسطح يقع في جبل أجا في منطقة حائل.

٣٤-قُبيهلُ: "الرّيّانُ" قديما واد يقسم حمى ضرية من قبل مهب الجنوب الي مهب الشمال وينحدر حتى يفرغ في الد آث، وبطن هذا الوادي تقع هضبة سويقة،

وتشترك فيه عدة قبائل بني عبد الله من غطفان في أعلاه، والضباب في وسطه لغنى من باهلة بعد ذلك، وأسفله لبني أسد: قال الشاعر:

إذا شربت ماء الرِّجام وبرّكت ... بهوبجة الرَّيّان قرّت عيونها

ويقع وادي مبهل أو الريان بمنطقة القصيم.

٣٥-مُبْهِلُ: واد يفيض سيله مع سيل وادي ذي العشيرة "المُبَارِي" في وادي الرمة وهو لبني عبد الله من غطفان قال مزرد بن ضرار الذبياني يهجو كعب بن زهير المزني حين لم يذكره بشعره:

وأنت امرؤ من أهل قدس وآرة ... أحلّتك عبد الله أكناف مبهل

وقال الفقعسي:

تندّح الصيّف على ذات السّدر ... ترعى المباهيل الي الثّور الأغر

والثور الأغر هو جبل القنان "الموشّم" حاليا، ويقع وادي مبهل في منطقة القصيم.

٣٦-مُنْعِجُ: "مُلْعِجُ" واد لغنى خارج حمى ضرية به ماء، وفي منعج وقعت أحداث ذات بال في الزمن القديم، ففي منعج قتل رياحُ بن الأسك الغنوي شأس بن زهير، ومقتل شأس جرّ مقتل أبيه زهير، ومقتل زهير جرّ مقتل خالد بن جعفر، ومقتل خالد جرّ يوم رحرحان ويوم جبله،فضلاً أنظر أيام العرب في صدر الكتاب ويوم منعج لبني يربوع بن حنظلة من تميم على بني كلاب، قال جرير:

لعمرك لا أنسى ليالي منعج ... ولاعا قلاً إذ منزل القوم عاقل

وقالت جُمَلُ الضبابية حين ذهبت الفزر من بني كلاب بإبلها:

بني عامر لا سلم للفزر بعدما ... ولا أمن ما حنّت لفزر ركابها

وأربابها بين الوحيد ومنعج ... عكوفاً تراءى سربها وقبابها

وقال زهير بن أبي سلمى:

فقفٌ فصارات فاكناف منعج ... فشرقيُّ سلمى حوضه فأجاوله

وقال أيضاً:

تحلُّ الرِّياض من هلال بن عامر ... وإن أنجدت حلّت بأكناف منعج

وتصبي الحليم بالحديث يلذُّه ... واصوات حلي أو تحرك دملج

وقال شاعر آخر:

أحبُّ بلاد الله ما بين منعج ... الي وسلمى أن يصوب سحابها

بلاد بها نِيْطَتْ عليّ تمائمي ... وأوّل أرض مسّ جلدي ترابها

وقال عبد الرحمن بن دارة:

فلا صلح حتّى تنحط الخيل بالقنا ... وتوقد نار الحرب بالحطب الجزل

وجرد تعادى بالكماة كأنّها ... تلاحظ من غيظ بأعينها القبل

عليها رجال جالدوا يوم منعج ... ذوي التّاج ضرّابوا الملوك على الوهل

ويقع وادي منعج في منطقة القصيم. ويسمى حالياً وادي دخنة.

٣٧-مَرْخُ: "ذُوْمَرخ" قديماً واد كبير من أودية شمال اليمامة يفضي بروضة السّبلّة وهو لبني ذهل، وعلى حافته أثر بناء معروف يدعى "الحطيئة" قال الحطيئة العبسي:

ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ ... زغب الحواصل لا ماء ولا شجر

ألقيت كاسبهم في قعر مظلمة ... فاغفر عليك سلام الله يا عمر

وقال عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير:

فأطمَّ ذي مرخ فبات يكبُّه ... عمّا أطمأن من الكثيب توثُّبُ

وعلا لغاط فبات بلفظ سيله ... ويلجُّ في لبب الكثيب ويصخب

ويقع وادي مرخ قرب الزلفى في منطقة اليمامة.

٣٨-مَطْعَمْ: واد كبير أثير من أودية وادي بريك يلتقي مع صنوه في بلدة الحلوة.

قالت الشاعرة:

ألا لا أحب السّدر إلاّ تكلُّفا ... ولا لا أحبُّ النّخل لمّا بدا ليا

ولكنّني أهوى أراضي مطعم ... سقاهن ربُّ العرش مزناعو اليا

فما صاعد النّخل العشيَّة لو أتي ... بضغث ألآء كان أشفى لما بيا

وقالت أيضاً:

نزلنا الى ميل الذُرى قُطُفُ الخطى ... سقاهن ربُّ العرش من سبل القطر

كراماً فلا يغشين جاراً بريبة ... يمدن كما ماد الشّروب من الخمر

ويقع وادي مطعم في منطقة اليمامة.

٣٩-النّشَاشُ: واد واسع به ماء يحمل نفس الاسم في بلاد نمير وقعت فيه وقعة بين بني عامر وأهل اليمامة، قال الشاعر:

وبالنّشاش مقتلة ستبقى ... على النّشاش ما بقى اللّيالي

وقال القحيف بن حمير العقيلي:

تركنا على النّشاش بكر بن وائل ... وقد نهلت منها السُوف وعلَّت

ويقع وادي النشاش في عالية نجد تابع لأمارة الدوادمي.

٤٠-نَعَامُ: واد من أكبر أودية اليمامة، وهو لبطون من هزان به نخيل وزروع وهو أعلى وادي المجازة، وتعام وبرك ماءان لبني عقيل قال الشاعر:

فما يخفى عليَّ طريق برك ... وإن صعّدت في وادي نعام

يقع وادي نعام في منطقة اليمامة.

٤١-وَادِي السِّرْحَان: جوف منخفض تجتمع فيه سيول أودية كثيرة تنحدر اليه من الغرب والشرق وهذا الوادي من أرض كلب ومنهم السراحين الذين ينسب الوادي اليهم ويصب في هذا الوادي ثمانية وعشرين وادياً هي: المخروق، وحصيدة، والناصفة، وسمرمدة، والحصاة، ومغيرا، والفنية، والجرواي، وحصيدة الشمالية، وباير، وجماجم، والغراء والفكوك، وجردج، والنباح، والمفرجية، والقطب، ومعارك، والنبك، والخشابي، والسندلة، والأعيلى، وسليل، والمابية،والشامة، والمسمى، وأبو طرفا، والضاحكية.

ويقع وادي السرحان في شمال المملكة.

٤٢-وَادِيْ الرِّشَا: واد واسع رغيب يصب في التسرير به مياه وهو لبني نمير قال عوف بن عطية الرباني التميمي:

نقود الجياد بأرسانها ... يضعن ببطن الرِّشاء المهارا

ويقع وادي الرشا في عالية نجد.

٤٣-وَادِي المِيَاه: واد يسقى حلاحل وبه قرى ومياه، قال الراعي النميري:

ردُّوا الجمال وقالوا إنَّ موعدكم ... وادي المياه وأحساء به برد

واستقبلت سربهم هيف يمانية ... هاجت تراعي وحاد خلفهم غرد

وقال عبد الله بن الدمينة الخثعمي:

الا يا حمى وادي المياه قتلتني ... أباحك لي قبل الممات مبيح

رأيتك غضَّ النبت مرتطب الثرى ... يحوطك شمّاع عليك صحيح

كأنَّ مدوف الزّعفران بجنبه ... ودم ظباء الساودين ذبيح

ويقع وادي المياه في منطقة اليمامة.

٤٤-الوِتْرُ: "البَطْحَاءُ" واد اليمامة لطسم وجديس وبه حصن معنق الذي تحصن فيه عبيدة بن ثعلبة الحنفي قال الأعشى:

شاقتك من قتلة أطلالها ... فالعسجديّة فالأبواء فالرّجل

فالسّفح يجرى فخترير فبرقته ... حتى تدافق منه الوتر فالحبل

وقال آخر:

يذودها عن زغرى بوتر ... صفائح الهند وفتيان غبر

والوتر أو البطحاء يخترق مدينة الرياض العاصمة- منطقة اليمامة.

٤٥-هاش: "ذُوهاش" قديماً واد شرقي حرة ضرغد غرب مدينة الشملي "جنفاء" قديماً في بلاد غطفان، وقيل بديار كلب، قال زهير بن أبي سلمى المزني:

عفا من آل فاطمة الجواء ... فيمن فالقوادم فالحساء

فذ وهاش فميث عريتنات ... عفتها الرّيح بعدك والسّماء

وقال إطارة بن سهية الغطفاني:

تركنا بذي هاش أباك ولحمه ... بمختلف تسفى عليه الأعاصر

وقال الشماخ بن ضرار الذبياني:

كأنَّ رحلى على حقباء قادية ... أحمى عليها الأبانين الأراجيل

حامت ثلاث ليال كلّما وردت ... زالت لها دونهم منها تماثيل

فأيقنت أنَّ ذي هاش منبّتها ... وأن شرقي إحليّاءَ مشغول

فطرقت شرباً تهوى وموردها ... من الأسيحم فالرَّنقاء مشمول

ولذي هاش روضة تضاف اليه قال عياض بن نصر المرى:

بروضة ذي هاش تركنا قتيلهم ... عليه ضباع عكّف ونسور

ويقع وادي هاش أو ذوهاش في منطقة حائل.

٤٦-الهَدَّارُ: واد أكبر أودية الأفلاج وهو للحريش لا يشركهم فيه أحد وهو من أكبر أودية الأفلاج، قال شبوح "مولى" المختار بن الخطاب الكلبى الخفاجي يجيب الحكيمي من بني خويلد:

أتذكر عمرانا وتنسى عصابة ... بفوهتة الهدّار شبعان ذيبها

ينادون بالهدّار عوف بن عامر ... بأسمائها لا بالكنى ما تجيبها

وقال بشار الحريش:

لعمري لوادٍ قابل الرّمل فاوه ... دميث على شطآنه حرق النّخل

به لغط الشرّاب تسمع بينهم ... مراء وقول إنّما غرفك القتل

أحبُّ الى نفسي وأعجب ساكنا ... وأجدر يوماً أن يكون به الأهل

من الخيف والعيدان والزِّيمة الَّتي ... يحاط عليها ثم يغلق بالقفـل

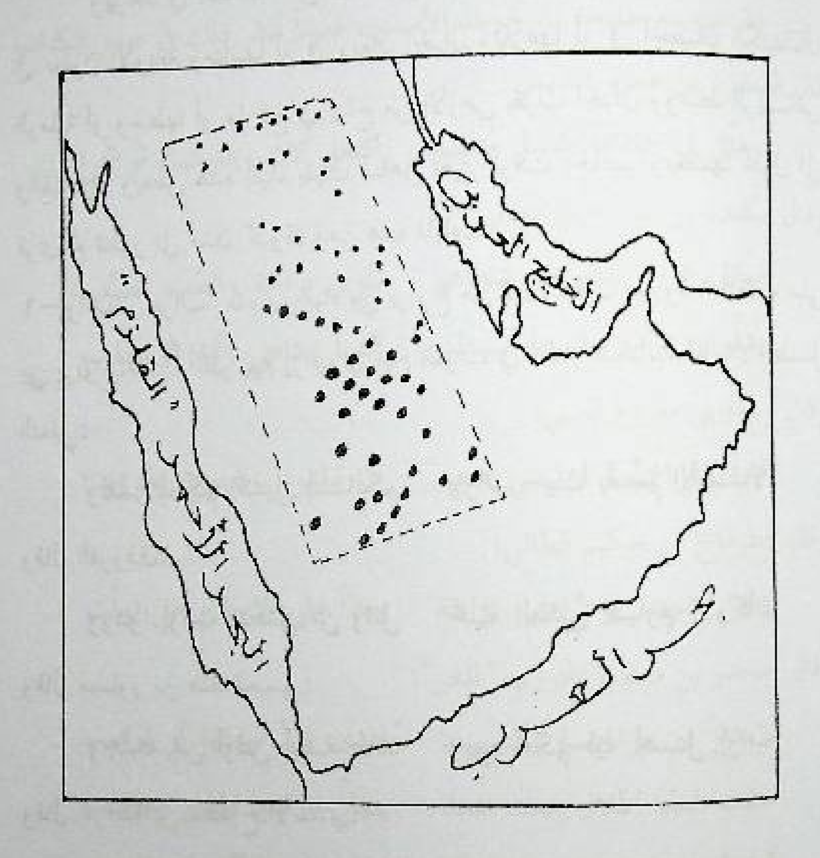
فهل أشربن من ماء صدَّاء شربة ... بدلوين لم أشرب بكوز ولا صطل

وهل أردنَّ القاع قد نقعت به ... بقايا نطاف المزن في منقع ضحـ

وهل أعرجنَّ العنس بعد كلالها ... وقد أسهلن أيدي المطايا من الجبل

ويقع وادي الهدار في الأفلاج من منطقة اليمامة وغير ذلك من الأودية.

شكل رقم (٤)



مخطط تقريبي للمنطقة يتضح عليه موقع موارد المياه ونظراً لضيق المساحة تعذر كتابة الأسماء وهي مفصلة فيما يلي من الفصل.

١٢-أسماء المياه والموارد:

ويوجد في نجد عدد من المياه على هيئة مناهل وموارد سواء ما كان منها في بطون الأودية ومثانيها أو في ريعان الجبال وتلاعها أو في أحضان الكثبان الرملية أو وسطها أو ما يقع في براح من الأرض بقرب الجبال ووسط الرياض والفياض، وبعض هذه المياه بقيت مناهل حتى الوقت الحاضر وبعضها تحول إلى قرى ثم تطور الي مدن كبيرة، ومن هذه المياه.

١-إِرَابُ: "جِرَاب" ماء من مياه بني يربوع من تميم كانت فيه وقعة لتغلب على بني يربوع،فضلاً أنظر يوم إراب في أيام العرب في صدر الكتاب قال الأخطل التغلبي:

ولقد سمابكم الهذيل فنالكم   بإراب حيث يقسّم الأنفالا

وقال الفرزدق:

وردوا إراب بجحفل من وائل   تحت العشيّ ضبارم الأركان

وقال مساور بن هند العبسي:

وجلبته من أرض أبضة طائعاً   حتى تحكّم فيه أهل إراب

وقال عرفطة بن الطماح الأسدي:

بنفسي من تركت ولم يوسّد   بجنب إراب وانطلقوا سراعا

وقال أحد الأعراب:

جاء من الدّهنا ومن إرابه   لا يأكل القرماز من ضبابه

ويقع منهل إراب أو جراب في منطقة اليمامة شرق مدينة الزلفي.

٢-بُزَاخَةُ: ماء لبني أسد ثم لطيء، وقد حدثت في بزاخة وقعتان أحدهما قبل البعثة النبوية وثانيهما الوقعة العظيمة في حروب المرتدين بين خالد بن الوليد رضي الله عنه مع طليحة بن خويلد الأسدي، فضلاً أنظر ذلك في صدر الكتاب قال القعقاع بن عمرو التميمي:

ومثّل في حافاتها كل مُثْلَةٍ   كفعل كلاب هارشت ثم شمّرا

وقال مكنف بن زيد الخيل الطائي:

سائل جزور الطّير من شجاهم   بلوى بزاخة والدّماء تصبّب

ضلّوا وغرّهم طليحة بالمنى   كذباً وداعي ربّنا لا يكذب

وقال ربيعة بن مقروم الضبي:

فدى ببزاخة أهلي لهم   إذا ملؤوا بالجموع الحريما

وقال الطرماح بن حكيم الطائي:

ونحن ضربنا يوم نعفي بزاخة   معداً على الإسلام حتى تولّت

وقال جحدر بن معاوية المحرزي "اللص":

يا دار بين بزاخة فكثيبها   فلوى غنيّ سهلها أو لوبها

سقت الصّبا أطلال ربعك مغدقا   ينهلّ عارضها بلبس جيوبها

أيام أرعى العِيْنَ في زهر الصّبا   وثمار جنات النّساء وطيبها

يقع منهل بزاخة الي الجنوب عن حائل ٥٠ كيلاً.

٣- البِطَاحُ: ماء في ديار بني أسد بن خزيمة، وهناك كانت وقعة بين المسلمين بقيادة خالد بن الوليد وأهل الردة، وكان ضرار بن الأزور الأسدي طليعة لخالد

بن الوليد، وخرج مالك بن نويرة اليربوعي التميمي طليعة لأصحابه فالتقيا بالبطاح فقتل ضرارُ مالكاً، قال متمم بن نويرة يرثي أخاه مالكاً:

تطاول هذا اللّيل ما كاد ينجلي ... كليل تمام ما يريدُ صراما

سأبكي أخي ما دام صوت حمامة ... يؤرّق في وادي البطاح حماما

وأبعث أنواحاً عليه بسحرة ... وتذرف عيناي الدّموع سجاما

وقال بشر بن أبي خازم الأسدي:

تغيّرت المنازل من سليمى ... برامة فالكثيب الي البطاح

ديار قد تحلُّ بها سليمى ... هضيم الكشح جائلة الوشاح

ليالي تستبيك بذي غروب ... يشبّه ظلمه خضل الأقاحي

وقال الطرماح بن حكيم الطائين بفخر بقومه:

وعلا مسيلمة الكذوب بضربة ... أوهت مفارق هامة الكذّاب

وعلا سجاح مثلها فتجدّلت ... ضرب بكل مهنّد قضّاب

يوم البطاح وطيءٌ تردى بها ... جرد المتون لواحق الأقراب

يصهلن للنّظر البعيد كأنّها ... عقبان يوم دُجُنّة وضباب

وقال لبيد بن ربيعة العامري:

صبحنا الخيل مرة مسنفات ... بذي أُرُلٍ وحيٌّ بني بجاد

ويوماً بالبطاح عركن قيسا ... غدا تنذ بأرماح شداد

وقال وكيع بن مالك التميمي:

فلا تحسبا أنّي رجعت وأنني ... صنعت وقد تحنى عليّ الأصابع

ولكنّني حاميت عن جل مالك ... ولا حظت حتى كحّلتني الأجادع

فلما أتانا خالد بلوائه ... تخطّت اليه بالبطاح الودائع

ويقع مورد البطاح بمنطقة حائل الي الشمال الشرقي عن مدينة الكهفة.

٤- تربَةُ: ماء في بلاد طيء على الشمال عن سلمى.وتربة الآن قام عليها مدينة عامرة الي الشمال الشرقي عن بقعاء شمال جبل سلمى.

د- تعشار: "أُمّ الجماجم" ماء لبني ضبة من تميم، قال يزيد بن الطثرية:

ألا لا أرى وصل المسقّة راجعاً ... ولا لليالينا بتعشار مطلبا

وقال آخر:

ويوم فراض الوشم أذريت عبرة ... كما صبغ السّلك الفريد المثقّب

وقال عبدة بن الطيب التميمي:

وصاحبت قيسا صحبة فوَمَقْتهُ ... بتعشار لم أسمع له بعد قاليا

وقال عمرو بن معدي كرب الزبيدي:

هم قتلوا عزيزاً يوم لحج ... وعلقمة بن سعد يوم نجد

وهم ساروا مع المأمور شهراً ... الي تعشار سيراً غير قصد

وهم قسموا النّساء بذي أراطي ... وهم عركوا الدّلاذب عرك جلد

وهم أخذوا بذي المرّوت ألفاً ... بقسم للحصين ولا بن هند

وهم قتلوا بذات الجار قيسا ... وأشعث سلسلوا في غير عقد

ويقع منهل تعشار أو "أم الجماجم" قرب الارطاوية في منطقة اليمامة.

٦- **التُرمُسُ**: ماء لبني أسد يقع على وادي الترمس شرق سميراء قال المرار بن المنقذ التميمي:

وكأنَّ أرجلنا بجو محصب ... بلوى عنيزة من مقيل الترمس

من حيث خالطت الخزامي عرفجا ... يأتيك قابس أهلها لم يقبس

ويقع مورد الترمس في منطقة حائل.

٧- **تُوزُ**: "التُوزِي" ماء من مياه بني أسد على طريق الحج العراقي الكوفي بعد فيد وقبل سميراء، قال أبو المسور:

فصبَّحت في السيَّر أهل توز ... منزلة في القدر مثل الكوز

قليلة المأدوم والمخبوز ... شراً لعمري من بلاد الخوز

وقال الراجز:

يارب جار لك بالحزيز

بين سميراء وبين توز

ويقع مورد توز أو التوزي في منطقة حائل.

٨- **تُبراكُ**: ماء لبني نمير في وادي المروت، قال الشاعر:

إذا حلَّت فتاة بني نمير ... على تبراك خبَّثت الترابا

وقال تميم بن أبي بن مقبل العامري:

جزى الله كعبا بالأباتر نعمة ... وحيا بهود جزى الله أسعدا

وحياً على تبراك لم أر مثلهم ... رجا قطعت منه الحبائل مفردا

بكيت بخصمى شنة يوم ودَّعوا ... على ظهر عجَّاج العشيَّات اجردا

وقال أبو كوراء رزين بن ظالم العجلي:

الله نجاني وصدقت بعدما ... خشيت على تبراك ألاَّ أصدقا

وعيس إذ كلفته وهو لاغب ... سرى طيلسان الليل حتى تمزَّقا

وقال المرار بن منقذ التميمي:

هل عرفت الدار أم أنكرتها ... بين تبراك وشسيّ عبقر

وقال آخر:

الي الله أشكوا نيَّة يوم قرقرى ... مفرقة الأهواء شتىً شعوبها

ويوماً بحصن الباهلي ظللته ... أكفكف عبرات تسيل غروبها

ويوماً على تبراك أيقنت بالذي ... تحاذره نفس تشبُّ شبوبها

ويقع منهل تبراك في منطقة اليمامة جنوب غرب الرياض وقد أصبحت بلدة عامرة.

٩- **الثَّعْلَبِيَّةُ**: ماء لبني ثعلبة بن دودان من أسد، وثعلبة هو أول من حفرها وسكنها وسميت باسمه وهو من منازل الحج العراقي، قال سلمة بن الخرشب الأنماري:

سأثوي بجوِّ الثَّعلبيَّة ما ثوت ... حليلة منصور ها لا أريمها

وأرحل عنها إن رحلت وعندنا ... أباد لها معروفة لا نديمها

وقد عرفت بالغيب ألاَّ أودها ... إذا هي لم يكرم علينا كريمها

إذا ما سماء بالدِّناح تخايلت ... فإني على ماء الزُّبير أشيمها

يقرُّ بعيني أن أراها بنعمة ... وإن كان لا يجدي عليَّ نعيمها

ويقع منهل الثعلبية في منطقة حائل.

١٠- **الثُّرَيَّا**: ماء بجبل عاقر الثريا، قال صخر بن جعد الخضري:

فارتقبت العشاء وهو يسامى   شعباً بارزاً لعين البصير

يحضر العصم من جبال الثّريا   ويرامى شعوبه بالصُّخور

ويقع ماء الثريا في منطقة عالية نجد.

١١- **الجُثُومُ**: مورد ماء بعيد القعر عذب محفوف بالجبال في بلاد ربيعة بن الأضبط، قال الشاعر:

لعمركما إنّ الجثوم لمورد   غدا من أعالي مبهل لقريب

غدا بكرة واقتاده الشّوق والهوى   كما قيد طرف بالحبال أريب

وقال العباس بن الحكم الوبري:

ألا ليت شعري هل أبيتنّ ليلة   بصحراء ما بين الجثوم الي شعر

وقال آخر:

لو انّي بالعراق ينام قلبي   وأشبع ما حننت الي الجثوم

وقال طارق بن ظهر الخصاقي يرثي ابن أخيه:

دعينا وجئنا وابن ليلى بلادم   ولا بسلاح بالجثوم قتيل

ويقع ماء الجثوم في منطقة القصيم.

١٢- **الجَرَاوِيُّ**: ماء من مياه القين بن جسر، وقيل من مياه طيء، قال سويد بن بجيلة الطائي:

ألا لا أرى ماء الجرواي شافيا   صداي ولورويّ غليل الرّكائب

فيالهف نفسي كلمّا التحت لوحة   على شربة من ماء أحواض ياطب

ترقرق ماء المزن فيهن والتقى   عليهن أنفاس الرِّياح الغرائب

بريح من الكافور والطّلح أبرمت   به شعب الأوراد من كلّ جانب

بقايا نطاف المصدرين عشيّة   بمدرورة الأحواض خضر النصّائب

وقال أبو الطيب المتنبي:

الي عقدة الجوف حتى شفت   بماء الجراويّ بعض الصّدى

وماء الجراوي يقع على أحد روافد وادي السرحان الجنوبي، جنوب النبك بشمال المملكة.

١٣- **جُرْثُمُ**: "الجُرْثُمِيُّ" ماء لبني أسد، وهو لبني فقعس منهم قال مرة الأسدي حين لحق بالشام:

ليهنئ مدركا أن قد تركنا   له ما بين جرثم والجناب

إذا حالت جبال البشر دوني   ومات الضّغن وانقطع العتاب

وقال زهير بن أبي سلمى المزني:

تبصّر خليلي هل ترى من ظعائن   تحمّلن بالعلياء من فوق جرثم

جعلن القنان عن يمين وحزنه   وكم بالقنان من محلّ ومحرم

وقال مطير بن شييم الأسدي:

فإن أنتم عورضتم فتقاهوا   بأسيافكم إن كنتم غير عزّل

فلا تعجزوا أن تشأموا أو تيمّنوا   بجرثم أو تأتوا الثّلاثاء من عل

ويقع الجرثم أو الجرثمي في منطقة حائل وقد أصبح الآن بلدة عامرة بمقومات الحياة.

١٤- الجَفْرُ:"الجَنَابُ" قديماً ماء بين بلاد غطفان وعـذرة وبلـي وسعد الله وجهينة، قال جرير:

ألا حـيِّ المنـازل بالجنـاب   فقد ذكّرت عهدك بالشّباب

وقال الشماخ بن ضرار الذبياني:

اقول وأهلـي بالجنـاب وأهلـها   ومن دونهم أهل الجناب فأيهب

وقال زهير بن أبي سلمى:

عفا مـن أهـل فاطمـة الجـواء   فـيمن فـالقوام فالحسـاء

فـذو هـاش فميـث عريتنـات   عفتها السـرِّيح بعـدك والسّماء

فذروة فالجناب كأنّ خنس النّـ   ـعـاج الطّاويـات بهـا المـلاء

وقال إرطاة بن سهية الغطفاني:

تعسَّفن الجنـاب منكّبـات   ذرا دبـر يعـاولن النّـذيرا

ويقع ماء الجفر أو الجناب الي القرب من منطقة حائل.

١٥- جَمْرَانُ: ماء بجانب جبل أسود نفس الأسم لبني نمير، قال الشاعر:

أمن آل هند عرفت الرّسوما   بجمران قفراً أبت أن تريما

وقال مالك بن الريب المازني التميمي:

عليَّ دماء البدن إن لم تفارقي   ابا حردب يوماً وأصحاب حردب

سرت في دجى ليل فأصبح دونها   مفاوز جمران الشريف فغرّب

تطالع من وادي الكلاب كأنّها   وقد انجدت منه فريدة ربرب

وقال عدي بن زيد العبادي التميمي:

للشّـرف العـود فأكنافـه   ما بـين جمـران فينصـوب

خير لها إن خشـيت حجـرة   من ربِّها زيـد بـن أيُّـوب

متَّكئـاً تخفـق أبوابـه   يسعى عليه العبد بـالكوب

ويقع ماء جمران شمال الدوادمي في عالية نجد.

١٦- الحَاجِرُ: ماء في وادي الرمة لبني عبد الله من غطفان وهو منزل الشـاعر المشهور زهير بن أبي سلمى المزني عند أخواله من غطفان وهو قديم التسمية لم يتغير مسماه؛ وله شهرة تاريخية، وقعت عليه وقعة قبل الإسلام بين فزارة وبـني عامر وقتل فيه حصن بن حذيفة الفزاري؛ وكان يسمى منيفة، ثم سمته غطفـان بالحاجر، قال سليل بن الحارث:

فمن يذكر بلاد بني سـحيم   بعقلية فلست بمـن قلاهـا

هم منعوا المنيفة مـن غـنيٍّ   وحاجرها وهم أحموا حماهـا

وهو من منازل الحج، قال الشاعر:

ثُم قصـدنا بـالنزول الحـاجر

مُنَيْـزِل ضـاق عـن المنـاجر

وقال آخر:

وسـار والنـاس يريـد الحـاجر

مسـتعجلاً في سـيره مبـادر

ويقع منهل الحاجر فوق عقلة الصقور ودون البعايث على وادي الرمة بمنطقة حائل.

١٧-خَضْرَاءُ: ماء عذب من مياه بني أسد بقرب لينة والثعلبية، وبها بئر السـ مكي وبئر البستان وتقع في شمال الصمان.

وقد أصبحت خضراء الآن بلدة عامرة بالقرب من لينة في منطقة حائل.

١٨- خَوْعَاءُ: ماء قرب دومة كلب، وقد أورد الهجري قول الشاعر:

تربّـع بالملحـاء أوّل صـيفه   الي جزع خوعاءين جيدت خمائله

وأورد أيضاً قول شاعر آخر:

نظرت وصحبتي بجنوب خوعا   الي نـار تعلّـل موقـداها

وأورد الأصفهاني قول الشاعر:

لعمـرك أني بـين أقـواز عـالج   وخوعا لنـاءٍ في المحلّ غريـب

بعيد من أهـل المطليين وحُمّـةٍ   لحي بخوعـا والغمـار خبيـب

وذي القور لا جادت بذي القور قطرة   وجادته ريح زعـزع وجلـوب

سقى المضجع الأعلى الي بطن خنثل   الي القهب مسنّ الرّباب خضيب

ويقع مورد خوعاء شمال المملكة في منطقة الجوف.

١٩- الدَّجَانِيُّ: "الدُّجَيْنَتَان" مثنى دُجينة وهما ماء تان عظيمتان ليس بينهما ميل، أحدهما الدُّجينة والأخرى القيصومة أحدهما لبكر بن سعد بن ضبة من تميم، والأخرى لثعلبة بن سعد من تميم على يسار تعشار "أم الجماجم" وهو ماء لبني ثعلبة بن سعد من ناحية الوشم، قال الشاعر:

لقد حبّبـت نجـد الي أهلـه   وتعشار والـدّجنتين قـذور

وقال ابن مقرب العيوني يمدح محمد بن الحسين العيوني:

فياخاطب العلياء لا تحسبنّها   حديث العذارى أنشأته المغازل

الي أن قال:

ألم يجلب الجرد العتاق شـوازبا   من الخط تتلوها المطايا المراسـل

الي أن أناخت بالـدّجاني بعـدما   براها السّرىَ والأينُ فهي رواحل

ويقع ماء الدحاني في منطقة اليمامة.

٢٠- رَبَبُ: أو حساء ربب أُرَاطُ "رَاطُ" ماء لطيء عند ملتقى طيء بأسد، قال الطرماح بن حكيم الطائي:

لمن ديار بهذا الجزع من ربب   بين الاحزّة من هو بان فالكثب

ويقع ربب أو حساء ربب أراط أو "راط" في منطقة حائل غرب جبل الرّبان "الرّباض" شمال مدينة روضة رمّان وهو من أملاك أهلها يبعد عنها ثلاثة أكيال.

٢١- رَكُّ: أو رَكَكُ ماء لطيء لبني نبهان منهم، قال زهير بن أبي سلمى:

ثم استمروا وقالوا إنّ موعدكم   ماء بشرقي سلمى فيد أوركك

وقال عبيد بن الأبرص الأسدي:

جعلن الفلج من ركك شمـالاً   ونكّبن الطّويّ عـن الـيمين

ويقع ماء رك شمال جبل سلمى الي الشرق عن حائل وقامت عليه بلدة عليـه تحمل نفس الأسم.

٢٢- رَغْبَانُ: "نَمْلِيُّ" قديماً مياه وسط جبال كثيرة وسط ديار بني قريط قال العامري: نملى لنا، وقال الشاعر:

لقد كان بالضَّمرين والنِّير معقل … وفي نملي والأخرجين منيع

وقال معاوية بن جعفر بن كلاب:

أجدَّ القلب عن سلمى اجتنابا … فأقصر بعدما شابت وشابا

فإن يك نبلها طاشت ونبلى … فقد نرمى بها حقبا صيابا

وتصطاد الرِّجال إذا رمتهم … وأصطاد المخبَّأة الكعابا

فإن تك لا تصيد اليوم شيئاً … وآب قنيصها سلماً وخابا

فإن لها منازل خاويات … على علمى وقفت بها الرِّكابا

من الأجزاع أسفل من نميل … كما رجَّعت بالقلم الكتابا

وقال العامري:

جلبنا الخيل من نملي اليهم … تودَّن بالغدوِّ وبالرَّواح

ويقع ماء نملى أو رغبان في عالية نجد.

٢٣- الرَّيَّانُ: ماء عذب شرق جبل ثهلان، وقيل جبل في بلاد بني عامر قال لبيد بن ربيعة العامري:

فمدافع الرَّيَّان عرِّىَ رسمها … خلقا كما ضمن الوحيُّ سلامها

ويرجح أنه هو الذي عناه جرير بقوله:

يا حبَّذا جبل الرَّيَّان من جبل … وحبذّا ساكن الرَّيَّان من كانا

وحبّذا نفحات من يمانية … تأتيك من قبل الرَّيَّان أحيانا

وماء الريان يقع في عالية نجد شرق جبل ثهلان.

٢٤- زَرُوْدُ: موقع قديم من عدة آبار، قيل أنها سميت بزرود إبنة يشرب ابن قانية، وهي لبني أسد، وبني نهشل من تميم، وقيل لبني مجاشع من تميم، قال الشماخ بن ضرار الذبياني:

وراحت رواحاً من زرود فنازعت … وزلّة جلباباً من الليل أخضرا

وقال الفرزدق:

أتتني أحاديث البعيث ودونه … زرود فشامات الشَّقيق الي الرَّمل

وقال جرير يهجو الفرزدق:

كأنَّ مجاشعا نخبات نيب … هبطن الهرم أسفل من سرارا

إذا حلُّوا زرود بنوا عليها … بيوت الذُّلِّ والعمد القصارا

وقال أيضاً:

وإذا لقيت على زرود مجاشعاً … تركوا زرود خبيثة الأوطان

وقال مهيار الديلمي:

ولقد أحنُّ الي زرود وطينتى … من غير ما جبلت عليه زرود

وقال أنيف بن جبلة الضبي:

وأخذتك قسراً يا خزيم بن طارق … ولاقيت منِّي الموت يوم زرود

وعانقته والخيل تدمى نحورها … فأنزلته بالقول غير حميد

ومورد زرود في منطقة حائل تبعد عنها شرقاً ١٧٠ كيلاً فضلاً أنظر يوم زرود في صدر الكتاب.

٢٥- الزَّرِيبُ: "عَجَايِزُ" قديماً وهي ماءة لبني مازن من تميم وهي المنصف بين مكة والبصرة قال الراجز:

ومـــن جبـــال طخفـــة النَّواشـــز
الله نجّـــاك مـــن العجـــالز

وقال وهب بن جرير الجهضمي:

ثم مضـــت نحـــو كثيـــب عجلـــز
تنحط بالسَّـــير الـــوحيِّ المـــوجز
لـــو طلبـــت وحشـــيَّة لم تـــوجز

وقال الغنوي:

تأبّدت العجالز مـــن ريـــاح ... وأقفرت المدافع من حـــزاق

وقال ذو الرمة التميمي:

وقمن على العجائز نصف يوم ... وأدَّين الأواصـــر والخـــلالا

ويقع ماء الزريب أو عجالز في منطقة اليمامة.

٢٦- زُنْقُبُ: "السَّاقِيةُ" ماء لبني سليط بن يربوع، قال الراجز:

شـــرج رواء لهـــم وزنقـــب
والنَّبـــوان قصـــب منقَّـــب

وقال المخارق بن شهاب:

كأنَّ الأسود الزُّرق في عرصاتها ... بأرماحنا بين القرين وزنقب

وكانت الأجفر لبني يربوع من تميم فحلت عليها بنو جذيمة من أسد فانتزعتها منهم، قال الجذمي الأسدي:

من يترعىَّ الجـــوَّ بعـــد مناخنـــا ... وأرماحنا يوم "ابن اليـــة" يجهـــل
فليس ليربـــوع وإن كلفـــت بـــه ... من الجوِّ إلا الطعم صاب وحنظل
وليس لهم بـــين الجنـــاب مفـــازة ... وزنقب إلاَّ كـــل أجـــرد عنتـــل
وكـــل رديـــنيٍّ كـــأنَّ كعابـــه ... نوى القسب عرَّاض المهزَّة منجل
كأنهم بـــين ابـــن اليـــه غـــدوة ... وناصفة الغـــرَّار هـــدي محلَّـــل

ويقع ماء زنقب أو الساقية في منطقة القصيم.

٢٧- سُقْمَانُ: ماء قديم في بلاد عقيل، قال الشاعر:

رعى القسور الجونيِّ من حول أشمس ... ومن بطن سقمان الدَّعادع ديَّمـــاً

ويقع ماء سقمان غرب هضب الدواسر في عالية نجد.

٢٨- السُّلَيْلَةُ: ماء لبني الحارث بن ثعلبة، وقيل لبني برثن من بني أسد، قـــال جرير:

أجمع قلبـــه طربـــاً اليـــكم ... وهجراً وبب أهلك واجتنابا
ووجداً قد طويت يكاد منـــه ... ضمير القلب يلتهب التـــهابا
سألناها الشِّفاء فمـــا شـــفتنا ... ومنَّتنـــا المواعـــد والخلابـــا
فشتان المجـــاور ديـــر أروى ... ومن سكن السُّليلة والجنابـــا

والسليلة الآن بمنطقة القصيم.

٢٩- سَحَامُ: "سَلاَمَةُ": ماء عذب بجانب هضب أحمر في بلاد عمرو بن كلاب قال امرؤ القيس:

لمن الدِّيار غشيتها بسحام — فعمايتين فهضب ذي إقدام

فصفا الأطيط فصاحتين فغاضر — تمشي النّعاج بها مع الآرام

وعمايتين المعرفتين الآن "بحصاتي قحطان".

وماء سحام أو سلامة يقع في عالية نجد.

٣٠- سَحَامَةُ: "السَّحَامِيَّةُ" حشاش سود متصل بعضها ببعض بها موارد للمياه وأخرى البيضاء وهي لبني عمرو بن كلاب، قال عامر بن الكاهن بن عوف بن الصموت بن عبد الله من بني كلاب:

ومن يرنا فوق السَّحامة فوقنا — عجاجة أذواد لهنَّ حوائر

إذا خرجت من محضر سدَّ فرجها — خفاف منيفات وجذع بمازر

دعوا الحرب لا تشجوا بها آل حنشر — شجى الحرب إنَّ الحرب فيها لمابر

ولا توعدونا بالفوار فإنّنا — بنو عمِّنا فيها حماة مغاور

على كلِّ حرداء السَّراة كأنّها — عقاب إذا ما حثّها الحرب كاسر

محالفة للحرب صعقاء لفَّها — بطخفة يوم ذي أهاضيب ماطر

وماء سحامة أو السحامية تقع في منطقة عالية نجد.

٣١- الشُّقُوقُ: "الشّيْحِيَّاتُ" مياه لبني سلامة من بني أسد، ويوم ذات الشقوق من أيام العرب المعروفة بين أسد وطيء وأحلافها، وبين تميم، قال بشر بن أبي حازم الأسدي:

غضبت تميم أن تقتّل عامر — يوم النِّسار فاعقبوا بالصيلم

وقال ضمرة بن ضمرة النهشلي التميمي:

الآن ساغ لي الشَّراب ولم أكن — آتي الفجار ولا أشدُّ تكلُّمي

حتى صبحت على الشُّقوق بغارة — كالتَّمر ينثر في جرون الجرَّم

وأفات يوماً بالجفار ومثله — وأجرت نصفاً من حديث الموسم

ومشت نساء كالنِّساء عواطلاً — من بين عارقة النّساء وأيِّم

ذهب الرِّماح بزوجها فتركنه — في صدر معتدل القناة مقوَّم

وقال أوس بن حجر بن مالك التميمي:

تمتّعن من ذات الشُّقوق بشربة — ووازين أعلى ذي حفاف بحزم

وقال أحمد بن عمر في مدح زبيدة:

ثم ترحّلنا الي الشُّقوق — مُنَيْزِل في مائه ذي ضيق

قد كاد أن يقطع بالفريق — لولا فعال البرَّة الصَّدوق

وما نعانيه من الطَّريق — لم يك للحجّاج بل الرِّيق

لكنّها أجرت لكل نيق — ماء عيون شبه البشوق

أو بئر نقب ناتق عتيق — يروي ذوي الحج وأهل السُّوق

وقال آخر:

أقول لصاحبيَّ من التأسِّي — وقد بلغت نفوسهما الحلوقا

إذا بلغ المَطِيُّ بنا بطاناً — وجزنا الثّعلبيّة والشُّقوقا

وخلّفنـــا زبالـــة ثم رحنـــا   فقد وأبيك خلّفنا الطُّريقـا

وقال راجز آخر:

ويوما على ذات الشُّقوق صـاحي

يعقـب محـلاً في بطـون الـرَّاح

ويقع منهل الشقوق أو الشيحيات بمنطقة حائل.

٣٢- الشُّبَيْكَةُ: "التّناءَة" قديماً ماء لغني وقيل لبني عميلة بن عتريف من باهلة وهي بين جبلي إمِرَّة وسواج وعلى التناءة حدث يوم من أيام العرب وهو لبني عبس على بني عامر، أنظر يوم التناءة في صدر الكتاب قال الشاعر:

يا ليتها قد جاوزت سـواجا   وانفرج الوادي لها انفراجا

وقال زهير بن أبي سلمى يرثي إبنه سالماً:

رأت رجلاً لاقى من العيش غبطة   وأخطأها منه الأمور العظائم

وشبَّ له فيها بنون وتابعت   سلامة أعوام لـه وغنـائم

فأصبح محبوراً ينظر حولـه   بغبطته لو أنَّ ذلـك دائم

راين من الأيّام ما ليس عنده   فقلت: تعلَّم إنّما أنت حالم

لعلّك يوماً أن تعـلَّ بفـاجع   كما راعنى يوم التَّناءة سالم

والتناءة أو الشبيكة تقع في منطقة القصيم.

٣٣- شَبِيْثُ: "شَبَبَةُ" ماء لبني الأضبط من بني كلاب، وقبلهم كان لتغلب وهو غير بعيدعن الأحص في أعلى وادي الجريب "الجرير" حالياً قال الجعدي وذكر كليباً لما طعنه جساس:

فقال لجسّاس اغثني بشربة   من الماء وأمنها عليّ وأنعم

فقال تجاوزت الأحصّ وماءه   وبطن شبيث وهو ذو مترسّم

وقال رجل من بني أسد:

سكنوا شبيثا والأحصّ وأصبحت   نزلت منازلهم بنو ذبيـان

وقال عمرو بن الأهتم المنقري التميمي:

وقلت لعون أقبلوا النصح ترشدوا   ويحكم فيما بيننا حكمـان

وإلا فإنّا لا هـوادة بيننـا   بصلح إذا ما تلقى الفتيان

سوى كلّ مذروب جلا القين حـده   وسهم سريع قتلـه وسـنان

فإنّ كليبا كـان يظلـم رهطـه   فأدركه مثل الّـذي تريان

فلما سقاه السُّمَّ رمح ابـن عمِّـه   تذكَّر ظلم الأهـل أيُّ أوان

فقال لجسّاس أغثني بشربة   وإلاّ فَنبِّئ من لقيت مكـاني

فقال تجاوزت الأحـصّ ومـاءه   وماء شبيث وهو غير دفـان

وماء شبيث أو شبية يقع في منطقة القصيم أنظر يوم شبيث في أول الكتاب.

٣٤- الشُّرَيْفُ: أرض واسعة فيها أودية ومياه، وجبال وهضاب طيبة المرعى تمتد من وادي التسرير "الرشا" الي جبل ثهلان لبني نمير، قال طفيل الغنوي:

وفينا ترى الطُّوبي وكـلّ سميـدع   مدرَّب حرب وابن كلّ مـدرَّب

تبيت كعقبان الشُّـريف رجالـه   إذا ما نووا إحداث أمر معطَّـب

وقال الراعي النميري:

كهداهد كسر الرُّماة جناحه ... يدعو برابية الشَّريف هديلا

وقال عمرو بن الأهتم المنقري التميمي:

كأنَّها بعدما مال الشَّريف بها ... قرقور أعجم في ذي لجُة جار

وقال الفرزدق:

وكم من مغاد والشريفان دونه ... الى الله تشكي والوليد معاقره

وقال الشماخ بن ضرار الذبياني:

تروغ ثعالب الشَّرفين منـها ... كما راغ الغريم عن التَّبيع

وقال لبيد بن ربيعة العامري:

وما كاد غلاَّن الشَّريف يسفُّهم ... بحلَّة يوم والشُّروج القوابل

ومصعدهم كي يقطعوا بطن منعج ... فضاقت بهم ذرعا خزاز وعاقل

وقال أوس بن غلفاء الهجيمي التميمي:

جلبنا الخيل من جنبي أريك ... الي أجا الي ضلع الرِّجام

بكل منفَّق الجرذان مجر ... شديد الأسر للاعداء حام

أصبنا من أصبنا ثم فتنا ... على أهل الشَّريف الي شمام

وتقع مياه الشريف في عالية نجد.

٣٥- شَعْبَعُبُ: "العُوَيْسَةُ" وهو ماء لبني قشير باليمامة، وقيل شعبعب ماء لبني قشير في جائل وراء النقر بيوم "حائل هذه غير حائل الشمال" قال الصمة بن عبد الله القشيري:

يا صاحبيَّ أطال الله رشدكما ... عوجوا عليَّ صدور الأبغل الشُّنُن

ثم ارفعا الطَّرف هل تبدو لنا ظعن ... بحائل يا عناء النَّفس من ظعن

احب بمن لو أن الدَّار جامعة ... وبالبلاد التي يسكنُ من وطن

طوالع الخيل من تبراك مصعدة ... كما تتابع قيدوم من السُّفن

يا ليت شعري والإنسان ذو أمل ... والعين تذرف أحياناً من الحزن

هل أجعلنْ يدي للخدِّ مرفقه ... على شعبعب بين الحوض والعطن

وقال أيضاً:

ألا يا جراد الغور هل أنت مبلغ ... سلاماً ولا تبخل غمار شعبعبا

وفيء المحاني بالشتاء وإن تصف ... ترى فيه روضا مستكفًا قد أعشبا

وماء شعبعب يقع في منطقة اليمامة.

٣٦- الصَّرِيْفُ: ماء لبني أُسَيْد بن عمر من تميم، قال الشاعر:

تباعد هذا الوصل إذ حلَّ أهلنا ... بقوٌ وحلَّت بطن عرق وعرعرا

وقال جرير:

تحنُّ قلوص بعد هدء وهاجها ... وميض على ذات السَّلاسل لامع

فقلت لها حمِّي رويداً فإنَّني ... الي أهل نجد من تهامة نازع

الا حيِّيا الأعراف من منبت الغضا ... وحيث حبا حول الصَّريف الأجارع

وقال الراجز:

حتى إذا مرَّت على الصَّريف

حديثة العهد بأرض الرِّيف

فانجذبت تسبق كالخذروف

ويقع ماء الصريف في منطقة القصيم.

٣٧- صَلاَصِلُ: ماء لبني أسمر من بني عمرو بن حنظلة من تميم، قال جرير:

عفا قوٌ وكان لنا محلاً … الي جوى صلاصل من لبينى

ألا ناد الظّعائن لو لدينا … ولولا من يراقبن أرعوينا

ألم تري بذلت لهنّ ودّي … وكذّبت الوشاة فما جزينا

إذا ما قلت حال لنا التقاضي … بخلن بعاجل ووفين دينا

وقال لبيد بن ربيعة العامري:

فلما اعتفاه الصّيف ماء ثماده … وقد زايل البُهْمَى سفى العرب ناصلا

ولم يتذكّر من بقيّة عهده … من الحوص والسُّوبان إلاّ صلاصلا

فاجحاد ذي رقد فأكناف ثادق … فصارة يوق فوقها فالأعابلا

ويقع ماء صلاصل في منطقة القصيم.

٣٨- صَلْصَلُ:ماء في جوف هضبة حمراء لبني عمرو بن كلاب بأعلى داره في نجد، وفي الهضبة دارة تحمل نفس الأسم، قال أبو ثمامة الصباحي:

هم منعوا ما بين دارة صلصل … الي الهضبات من نضاد وحائل

وقال جرير:

إذا ما حلّ أهلك يا سليمى … بدارة صلصل شحطوا المزارا

وماء صلصل يقع في منطقة القصيم.

٣٩- ضَيْدَةُ: "ضيدة" حالياً، ماء في ديار بني عبس، قال القتال الكلابي:

فتحمّلت عبس فأصبح خالياً … وادي ضيدة عافيا لم يورد

وقال الراعي النميري:

تبصّر خليلي هل ترى من ظعائن … بذي نبق زالت بهن الأباعر

دعاها من الخَلْين خَلّي ضيدة … حمام بعكّاش لها ومحاضر

جعلن حبيًّا باليمين ووركت … كبيشاً لماء من ضيدة باكر

وقال تميم بن أبي بن مقبل العامري:

أإحدى بني عبس ذكرت ودونها … سنيح ومن رمل البعوضة منكب

وكتمي ودوّار كأنّ ذراها … وقد خفيا إلاّ الغوارب ربرب

ومن دون حيث استوقدت من ضيدة … تناه بها طلح غريب وتنضب

وضيدة أو ضيدة تقع في منطقة القصيم وقد أصبحت الآن بلدة عامرة بمقومات الحياة الحاضرة.

٤٠- الطُّرَيْفَةُ: ماء بأسفل إرمام لجذيمة، وقيل لبني خالد بن نضلة بن جحوان من فقعس من بني أسد، قال المرار الفقعسي الأسدي:

لعمرك أنني لأحبّ نجداً … وما أرأي الي نجد سبيلا

وكنت حسبت طيب تراب نجد … وعيشا بالطّريفة لن يزولا

أجدّك لن ترى الأحفار يوماً … ولا الخلق المبيّنة الخلولا

ولا الولدان قد حلّوا عراها … ولا البيض الغطارفة الكهولا

إذا سكتوا رأيت لهم جَمَالاً … وإن نطقوا سمعت لهم عقولا

وماء الطريفة يقع في منطقة القصيم.

٤١- ذُوْ طَلَال: "طَلَال" حاليا ماء لمحارب قريب من تُيَمَّن "تيما" حاليا، قريب من الربذة وقيل بالشربّة؛ قال عروة بن الورد العبسي:

أيُّ النَّاس آمن من بلحٍ   وقرّة صاحبيَّ بذي طلال

وقال أبو صخر الهذلي:

يفيدون القيان مقيّنات   كأطلاء النّعاج بذي طلال

وصلب الأرحبيَّة والمهارى   محسّنة تزيّن بالرّجال

ويقع ماء طلال في عالية نجد.

٤٢- عُثَانَةُ: ماء في وادي الثَّلْبُوْت "الشُّعْبَةُ" حاليا وهي لبني جذيمة بن مالك بن نصر من أسد، قال الشاعر:

ما منع العثانة وسط حزم   وحيّي مازن غير الهرار

وضرب بالرُّدينيات شزر   وورد الموت من دون انتظار

وماء عثانة في جنب جبل أسود على وادي الثلبوت أو الشعبة في منطقة حائل.

٤٣- عَدَنَةُ: أرض لبني فزارة شمال الشربّة يقطع بينهما وادي الرمة وفي عدنة من المياه، ذو أرل، وأقر، وعريتنات، والزوراء، وكنيب، وعراعر، وحش أعيار، والعريمة، والعريم، وكلها لبني فزارة إلا الزوراء لبني أسد، وكلها مياه مرة، وهي التي يقال لها الأمرار أو الأملاح، قل النابغة الذبياني:

حتى استغاثت بأهل الملح ضاحية   يركضن قد قلقت عقد الأطناب

وقال أيضاً:

زيد بن عمرو حاضر بعراعر   وعلى كنيب مالك بن حمار

وعلى العريمة من سكين حاضر   وعلى الذّئبة من بني سيّار

وقال في موضع ثالث:

لا أعرفنك معرضا لرماحنا   في خفّ ثعلب واردي الأمرار

وتقع عدنة في جنوب غرب منطقة حائل.

٤٤- العُمَيْرَةُ: "مُغِيْثَةُ المَاوَانْ" ماء لبني محارب بن خصفة من قيس عيلان قرب حمى الربذة، على طريق حج العراق، وقد أورد الحربي عنها قول الشاعر:

ثم الي مغيثة الماوان   قدما قطرنا هن بالأرسان

وقام بالأشعار حاديان   عن وصف من تعرف بالاحسان

وتقع العميرة في أعلى منطقة القصيم.

٤٥- غَمْرُ مَرْزُوْق: قصر وآبار ماؤها عذب، وهي لبني عبس بن قعين من بني أسد، وقد أرسل اليه الرسول صلى الله عليه وسلم سرية بقيادة عكاشة بن محصن الأسدي حيث قتل بقربه عكاشة بن أقرم؛ وقد خرج خالد بن الوليد رضي الله عنه من الأكناف، أكناف سلمى حتى نزل الغمر ماء من مياه بني أسد بعد أن حسن إسلام طيء، وأدوا زكاتهم فقال رجل من المسلمين:

جزى الله عنّا طيئاً في بلادها   ومعترك الأبطال خير جزاء

هم أهل رايات السّماحة والندى   إذا ما الصَّبا ألوت بكل خباء

هم ضربوا[1] ...على الدِّين بعدما   أجابوا بوائنا فتنة وعماء

[1] بياض في الأصل.

وقالوا أبونا الغمر لا يسلمونه ... وثجّت عليهم بالرّماح دم...

مرار فمنها كان يوم براخة ... ومنها القصيم ذوزهى ودع...

وقال آخر:

وسار حتى جاء غمر مرزوق ... في خير طرّاق وخير مطروق

حتى إذا سار الي العنّابة ... كالسّامع المسرع في الأجابة

وقال الطرماح بن حكيم الطائي:

كأن لم تقظ سلمى على الغمر قيظة ... ولم ينقطع منها بفيد ربيع

ويقع ماء الغمر في منطقة حائل الي الجنوب الشرقي عن جبل سلمى.

٤٦- فَرْدَةُ: ماء لجرم من طيء وبها قبر زيد الخيل الطائي رضي الله عنه ويقع شمال شرق جبل المحجّر "المُسَمّى" قال زيد الخيل عندما حضرته الوفاة بفر... بالحمى:

أمطّلع صحبي المشارق غدوة ... وأترك في بيت بفردة منجد

سقى الله ما بين القفيل وطابة ... فما دون إرمام فما فوق منشد

هنالك إنّي لو مرضت لعادني ... عوائد من لم يشف منهن يجهد

فليت اللّواتي عدنني لم يعدنني ... وليت اللّواتي غبن عنّي عوّد

ويقع ماء فردة في منطقة حائل.

٤٧- قَنا وقُنَيّ: ماءان بناحية الريب لقشير، قال القرطي من بني قشير:

خليليّ ممن يسكن الرّيب قد بدا ... هواي فلا أدري علام هواكما

فإن كنتما مثلي مصابين بالهوى ... فروحا فإنّي قد مللت ثواكما

وروحابنا نجعل قُنيّاً وأهله ... شمالاً ومُرّا منه حيث يراكما

ولا توردا بي الدّعمقات فإنّها ... هماج ولا يروى الهماج صداكما

ولا تأتيا للعيس في سرّ ليلة ... وتستنشرا يا صاحبيّ أخاكما

ومُرّوا بأمواه الذّنيل وأعلما ... بأنّ قراناً بعدها مستقاكما

ويقع ماءا قنا وقني في منطقة اليمامة.

٤٨- لُوذَانُ: ماء قديم في بلاد بني أسد، قال الراعي النميري:

فلبّثها الرّاعي قليلاً كلا ولا ... بلوذان أوما حلّت بالكراكر

وقال شاعر آخر:

أمن أجل دار بين لوذان فالنّقا ... غداة النّوى عيناك تبتدران

فيا طلحتا لوذان لوزال فيكما ... لمن يبتغي فَيْئكما فنان

وإن كنتما هيّجتما لاعج الهوى ... ودانيتما ما ليس بالمتداني

وقال تميم بن أُبَيّ بن مقبل العامري:

وطبّق لوذان القبائل بعدما ... سقى الجزع من لوذان صفواً وأكدرا

ويقع ماء لوذان شمال غرب المذنب في منطقة القصيم.

٤٩- المَجَازَةُ: "الثُمامي" حالياً وهي ماء لبني العنبر ويربوع من بني تميم، وقال جرير:

وإنّي وإن كنت الي الشام نيّتي ... يماني الهوى أهل المجازة آلف

وقال أيضاً:

في مزبد عمق كانّ مشقّة ... خلّ المجازة أو طريق العصّل

وقال في موضع ثالث:

فمن راقب الجوزاء أو مات ليلة ... طويلا فليلى بالمجازة أطول

وقال آخر:

فإن بأعلى ذي المجازة سرحة ... طويلا على أهل المجازة عارها

ولو ضربوها بالفؤوس وحرّقوا ... على أصلها حتى تأرّث نارها

وماء المجازة أو الثمامي يقع في منطقة اليمامة.

٥٠- مُوَيْسِلُ: ماء عذب بجانب جبل جنوب رَمَّان لبني طريف بني مالك من طيء، قال مزرد بن ضرار الذبياني:

تردّد سلمى حول ماء مويسل ... تردّد أمُّ الطّفل ظلّ وليدها

وتسكن من زهمان أرضاً عذية ... الي قرن ظبي حامداً مستزيدها

وقال زياد بن بحدل الطريفي الطائي، وقيل لواقد بن غطريف الطائي:

يقولون لا تشرب نسيناً فإنّه ... إذا كنت محموماً عليك وخيم

لَئِنْ لبن المعزى بماء مويسل ... نعاني داء إنّني لسقيم

وقائلة لا تبعدن بني بحدل ... إذا ضاق همٌّ أو ألمّ خصيم

وأقصى مداك العمر والموت دونه ... وليس بمعقود عليك تميم

وقال أعرابي آخر:

ألم تر أن الرّيح بين مويسل ... وجاوى إذا هبت عليك جنوب

بلاد ليست اللّهو فيها مع الصّبا ... لها في فؤادي ما حييت نصيب

ويقع ماء مويسل في جنوب جبل رَمَّان في جبل يسمى بنفس الاسم غرب المستجدة جنوب حائل.

٥١- مَاوِيَةُ: ماء من عدة آبار؛ الي الغرب من ماوان لبني محارب، قال الشماخ بن ضرار الذبياني:

تربّع أكناف القناف فصارة ... فأيّل فالماوان فهوزهوم

وقال أبو محمد الفقعسي الأسدي الراجز:

شربن من ماوان ماءً مرًّا ... ومن سنام مثله أو شرًّا

وقال عروة بن الورد العبسي:

أقول لقوم بالكنيف تروّحوا ... عشيّة قلنا عند ماوان رُزَّح

ويقع ماء ماوية في منطقة القصيم.

٥٢- مُرَّانُ: ماء وبلدة في جبل كشب فيه قبر تميم بن مر بن أُدّ بن طابخة بن الياس بن مضر ابن نزار بن معد بن عدنان، وقبر عمرو بن عبيد، قال جرير:

قد جرّبت عركي في كل معترك ... غلب الرّجال فما بال الضّغابيس

وابن اللّبون إذا ما لزّ في قرن ... لم يستطع صولة البزل القناعيس

أنى إذا الشّاعر المغرور جرّبني ... جار لقبر على مرّان مرموس

قد كان أشوس آباء فأرثني ... شعباً على الناس في أبنائه الشوس

نحمى وتغتصب الجّار نجيته ... في محصد من جبال القد محموس

وقال منصور، أمير المؤمنين يرثي عمرو بن عبيد:

صلىّ الإله عليك من متوسّد ... قبراً مررت به على مُرّان

قبراً تضمّن مؤمنـا متحنّفـا   صدق الإله ودان بـالقرآن

لو أن هذا الدّهر أبقى صالحاً   أبقى لنا عمراً أبـا عثمـان

وقال ابن عربي:

أيا نخلتي مرّان هل لي اليكمـا   على غفلا للكاشحين سبيـل

أمنّيكما نفسي إذا كنت خاليا   ونفعكما لولا الفنـاء قليـل

ومالي شيٌ منكما غـير أنـني   أحن الي ظلّيكمـا فأطيـل

ويقع ماء مران في عالية نجد.

٥٣- مُوَاجِهُ: ماء عذب بشعب هضبة جبلة لبني عامر، وفي هذا الشعب جرى يوم شعب جبلة، الذي دار بين تميم وبني عامر بن صعصعة ودارت الدائرة على تميم ومن معهم، وقتل لقيط بن زرارة التميمي حدث هذه اليوم قبل البعثة بـ٥٧ سنة وقبل ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم بـ١٧ سنة، وفي هذا اليوم قال رجل من بني عامر:

لم أر يوماً مثل يـوم جبلـه   لّمـا أتتنـا أسـد وحنظلـة

وغطفـان والملـوك أزفلـه   نضربهم بقضـب منتحلـه

ويقع ماء مواجه في هضبة جبلة بعالية نجد فضلاً أنظر يـوم جبلـة في صلب الكتاب.

٥٤- النُّجَبَةُ: "والظاهر أنها ذو نجب" ماء عذب لبني أسد، وكان فيها يوم مشهور من أيام العرب بين حنظلة من تميم وحسان بن كبشة الكندي، كما

النصر فيها لبني حنظلة، وقد أبلى فيها بنو يربوع بلاءً حسناً، ولذلك فقد أكثر جرير من الافتخار بذلك اليوم قال جرير:

بذي نجب ذدنا وواكل مالـك   أخاً لم يكن عند الحفاظ يواكله

وقال عمرو بن لجأ التميمي:

وعمرو بن عمرو قادكم فاشكروا له   بذي نجب والقوم كاب وبـارك

بذي نجب لو لم تذد من ورائكـم   بنو مالك عانتك ثم العوالـك

فأسلمتم فرسان سعد وقد تـرى   بداركم المستردفات الهوالك

وقال جرير:

لو كنت تعلم ما جهلت فوارس   أيام طخفـة والـدّماء تمـور

هلا بذي نجب علمت بلاءنـا   أو يوم أصعد بالنّسـاء بحير

وقال سحيم بن وثيل الرياحي التميمي:

نحن صدعنا هامـة ابـن خويلـد   يزيـد وخرجْنـا عبيدة بالـدّم

بذي نجب إذ نحـن دون حريمنـا   على كلّ جياش الأجارى مـزخم

وقد سماه شاعر منهم يقال له ضمرة بن جابر التميمي بالنجبة كما يسمى اليوم من رجز له:

نحن سراة الجيش يـوم النُّجبـة

يـوم ضـربناك فويـق الرُّقبـة

شـهدناك طـارق بـن حصبـة

وقالت رَكَمَةُ بنت الحصين الأسدية:

ومن لا مني في حبٍ نجد وأهله   فليم على مثلي وأوعب جادعه

لعمرك للغمران غمـــرا مقلّـــد   فذو نجب غيلانـــه ودوافعـــه

وخوٌ إذا خـــوٌ ســـقته ذهابـــة   وأمرع منـــه تينـــه وربائعـــه

ويقع ماء النجبة أو ذو نجب في منطقة القصيم فضلاً أنظر يـــوم ذي نجـــب في صدر الكتاب.

٥٥- وَبَالُ: "أبال" قديماً ماء لبني عبس: قيل في ديار تميم، وعلى أبال جرى يوم من أيام العرب، وكان لبكر بن وائل على بني دارم من تميم قال جرير:

تلك الجياد من أبال فأدركت   أخاكم بنا بالقدّ والمرء قعنبا

وقال مساور بن هند العبسي:

فدى لبنى هند غداة لقيتـــهم   بجو أبال الـــنّفس والأبـــوان

وقال مضرس بن ربعي الأسدي:

رأى القوم من ديمومة مدهمَّة   شخاصاً تمنّوا أن يكون فحالا

فقالوا سيالات يرين فلم تكن   عهدنا بصحراء الثُّوير سيالا

فلما رأيـــن أنّهـــن ظعـــائن   تيممْنَ شرجاً واجتنبن وبـــالا

لحقن ببيض مثل غزلان عاسم   يجرّفن أرطى كالنعَّام رضالا

ويقع أبال وبال شرق شرج "شري" في منطقة القصيم.

٥٦- الوَقْبَاءُ: ماء قريب من الينسوعة لبني العنبر من تميم، وهي لبني مازن بن مالك بن عمرو من تميم، قال الطهوي التميمي:

هم أحموا حمى الوقبي بضـــرب   يؤلّف بـــين أشـــتات المنـــون

فنكّب عنـــهم رده الأعـــادي   وداووا بالجنون مـــن الجنـــون

فدت نفسي وما ملكت يميـــني   فوارس صدّقت فيهم ظنـــوني

فـــوارس لا يملّـــون المنايـــا   إذا دارت رحى الحرب الزَّبون

وقال حريث المازني التميمي يخاطب بكر بن وائل:

إن تك درع يوم صحراء كلية   أصبت فما ذاكم عليٌ بعـــار

ألم تك من أسلابكم يوم ذاكم   على وقبا يوماً ويوم ســـفار

وكانت لها وقائع مشهورة، قال الراجز:

يا وقباكم فيك مـــن قتيـــل   قد مات أو ذوي رمق قليـــل

وشـــجة تســـيل بالفتيـــل   يضـــل في أنحائهـــا بالميـــل

ويقع ماء الوقباء في شمال المملكة.

٥٧- وَقْطُ: ماء بواد في هضبة وقط، شمالاً من أبان الأسمر الأسود قديماً قـــال طفيل الغنوي:

عرفت لليلى بين وقط وضـــلفع   منازل أقوت من مصيف ومربع

الي المنحنى من واسط لم يبن لنا   بها غير أعواد الثُّمـــام المـــرّع

وقال أبو المهاجر زهير بن سليم الحمالي:

وردَّ على حرب سبايا نســـائهم   بوقط وقد شامت عليها سهامها

وألف تركناهـــا بعـــرٌ مقيمـــة   وطيء فهلكى بالمرورات هامها

ويقع ماء وقط في منطقة القصيم وقد أصبح الآن بلدة عامرة بمقومات الحياة.

٥٨- وَسِيْعُ: "وَشِيْعُ" قديماً ماء لبني تميم، وهو للزبرقان بن بدر، قال الحطيئة:

وما الزِّبرقان يوم يحرم ضيفه ... بمحتسب التّقوى ولا متوكّل

مقيماً على بنبان يمنع ماءه ... وماء وشيع ماء عطشان مرمل

وماء وشيع أو وسيع يقع شمال شرق الرياض بمنطقة اليمامة وفيه آبار غزيرة تساهم في تغذية مدينة الرياض بالماء حالياً.

٥٩- الهَبَكَاتُ: الهبكة والهبيكة مياه عذبة تقع في حزن كلب بجوار الأوقة "لوقة" حالياً وتقع الهبكة الي الغرب من لوقة بمنطقة حائل.

٦٠- الهُبَيْرَةُ: ماء برمل ممتد شرق الأحفر في بلاد بني أسد، قال رجل من طيء:

ألا حبّذا مبدا هشام إذا عدا ... لا رفاق زيد أو دعته البرادع

وحتّ جنوب الأبرقين الي اللّوى ... الي حيث سالت باهبير الدّوافع

وقال حبيب بن خالد بن المضلل الأسدي:

ألا أبلغ تميما على حالها ... مقام ابن عم عليها عتب

غنمتم تتابع الأنبياء (؟) ... وحسن الجوار وقرب النّسب

فنحن فوارس يوم الهبير ... ويوم الشّعيبة نعم الطلب

فجئنا بأسراكم بالحبال ... وبالمردفات عليها العقب

وفي هذا الموقع هاجم أبو طالب الجنابي حاكم البحرين "الأحساء" قافلة الحجاج في شهر محرم سنة ٣١٢هـ - ٩٢٤م بطريق عودتها من الحج ومعه ٨٠٠فارس و ٦٠٠ رجل في أرض الهبيرة باتجاه الثعلبية "فضلاً انظر ذلك في موقعه وقامت عليه قرية باسم الهبيرة ويقع ماء الهبيرة في منطقة حائل.

٦١- الهَدْمُ: "الهَدَايِمُ" حالياً منهل يقع بين السليمى والبعايث وهي الي الأولى أقرب، قال زهير بن أبي سلمى:

بل هل أراها جميعاً غير مقوية ... سراء منها فوادى الجفر فالهدم

وقال عباد بن عوف المالكي الأسدي:

لمن ديار عفت بالجزع من رسم ... الي قصائرة فالجفر فالهدم

ويقع ماء الهدم أو الهدايم في منطقة حائل جنوب شرق السليمى وبقربه آثار قصور ومباني لا تزال جثمها ماثلة للعيان "فضلا أنظر لها في الآثار".

٦٢- هِيْتُ: ماء في عرض جبل ختزير في وسط السَّلْيِّ قال الراعي النميري:

تخطّى اليها ركن هيت وحائراً ... طروقا وأنّى منك هيت وحائر

ويقع ماء هيت الي الجنوب الشرقي من مدينة الرياض على بعد ٤٥ كيلاً من منطقة اليمامة.

٦٣- يَاطِبُ: ماء لطيء، قال سويد بن بجيلة الطائي:

ألا لا أرى ماء الجراويّ شافيا ... صداي ولوروّى صدور الركائب

فواكبدينا كلّماالتحت لوحة ... على شربة من ماء أجواف يا طب

ترقرق ماء المزن فيهن والتقى ... عليهن أنفاس الرّياح الغرائب

بريح من الكافور والطّلح أبرمت ... به شعب الأوراد من كل جانب

بقايا نطاف المصدرين عشيّة ... بمدرورة الأحواض خضر النّصائب

ويقع ماء يا طب في منطقة حائل الي الشرق عنها ٣٠ كيلاً.

٦٤- يُمْن: ماء لغطفان بين قوٌّ ورؤاف على الطريق بين تيماء وفيد، وقيل ماء لبني صرمة بن مرة، قال زهير بن أبي سلمى:

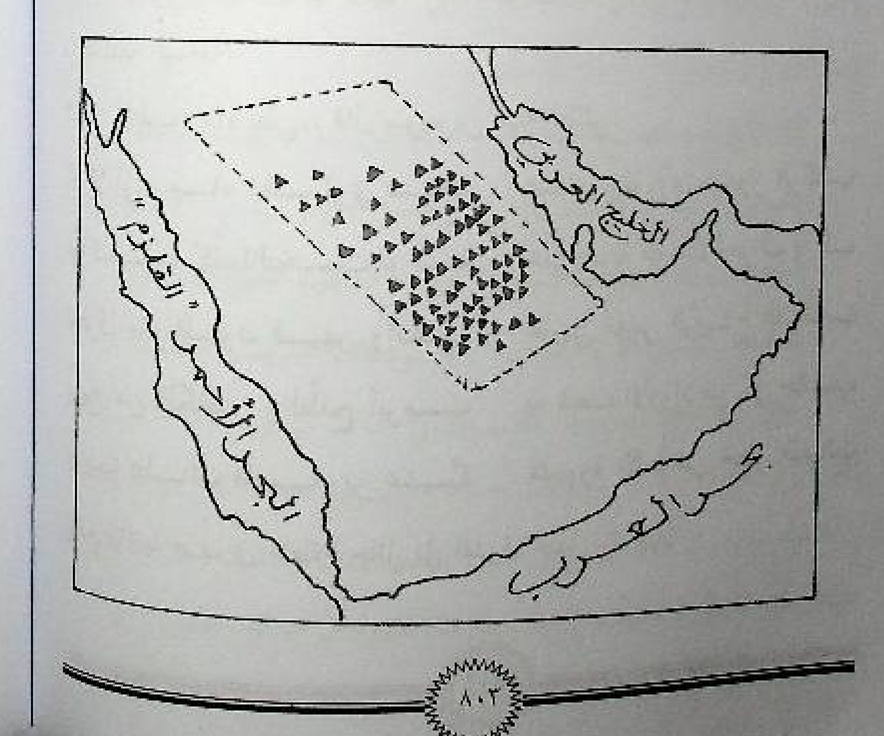
عفا من آل فاطمة الجواء — فيمن فالقوادم فالحساء

وقال عامر بن الطفيل:

ألا من مبلغ أسماء عنّا — ولو حلّت بيمن أو جار

ويقع ماء يمن بمنطقة حائل.

شكل رقم (٥)



مخطط تقريبي لمنطقة نجد مبيناً عليها الجبال ذات المياه أو ما يوجد بقربها مياه:
ونظراً لضيق المساحة فقد تعذر كتابة الأسماء ومن غير الممكن كتابة بعضها وإغفال البعض الآخر وإنما التفاصيل داخل الفصل التالي.

١٤- الجبال ذات المياه :

يوجد في نجد عدداً من الجبال ذات المياه التي يمكن أن يسكن فيها أو حولها؛ أو الأعتصام بها عند الحاجة للنجاة من عدو، أو للدفاع عن النفس وتحفظ بأسمائها القديمة على الأغلب وقد وقع في هذه الجبال عدد من الوقائع التاريخية مثل طخفة وجبلة وغيرهما فضلاً أنظر ذلك في ايام العرب في بداية الكتاب وتشمل هذه الجبال ما يوجد بداخلها مياه العيون والينابيع والبئار أو ما يوجد بقربها من الآبار والركايا والثمائل والأثماد وهي مرتبة على حروف الهجاء ومن هذه الجبال: .

١- أجَأ: هو أحد جبلي طيء الذي قال فيه إمرؤ القيس:

أبت أجأ أن تسلم العام ربَّها — فمن شاء فالينهض لها من مقاتل

تبيت لبوني بالقُرَيَّةِ أمُنا — وأسرحها غِبًا بأكناف حائل

بنو ثعل جيرانها وحماتها — وتمنع من أبطال سعد ونائل

وقال آخر:

الي نضد من عبد شمس كأنهم — هضاب أجا أركانها لم تقصَّف

وقال أبو الطمحان القيني:

مهلاً نمير فإنكم أمسيتم — منّا بقرب ثنيّة لم تستر

سوداً كأنكم ذئاب خطيطة — مطر البلاد وحرمها لم تمطر

تمجون بين أجا ورملة عالج — حبو الضبّاب الي جذوع السُّخبر

وتركتم قصب الشّريف طواميا — تهوى ثنيّته كعين الأعور

وقال جرير:

رعان أجا مثل الفوالج بينهم — ورمل خبت أنقاؤه وخمائله

وقال العديل بن الفرخ العجلي:

فلو كنت في ثهلان أو شعبتي أجا — لخلتك إلاّ أن تصدّ ترابي

وقال قيس بن جروة "عارق الطائي":

من مبلغ عمرو بن هند رسالة — إذا استحقبتها العيس تنضى من البعد

ايوعدني والرُّمل بيني وبينه — تبيَّن رويداً ما أمامة من هند

ومن أجا حولي رِعانٌ كأنّها — قناديل خيل من كميت ومن ورد

غدرت بأمر كنت أنت دعوتنا — اليه وبئس الشّيمة الغدر بالعهد

وقد يترك الغدر الفتى وطعامه — إذا هو أمسى حلبة من دم الفصد

وقال عامر بن جوين الطائي:

إذا أجأ تلفعت بشعابها — عليَّ وأضحت بالعماء مكلّلة

وأصبحت العوجاء يفتر جيدها — كجيد عروس أصبحت متبذّلة

وحولي سلامان الحماة وسنبس — يقودون شعثاً كالقسّي المعطّلة

هنالك لا أخشى تنال ظعينتي — إذا حلَّ بيتي بين شوط وغلغلة

وأليت لا أعطي مليكا ظلامة — ولا سُوقة حتى يعود ابن مندلة

ويقع أجا في منطقة حائل الي الغرب عنها حيث تنعم بحضنه.

٢- أُدَقِيَةُ: "دُقَيَّةُ" جبل أسمر فوق أحامرة "حامر" على وادي الثلبوت "الشعبة" وهي لبني الأقيشر من بني أسد وهم رهط الهيثم الذي يقول فيه الشاعر:

يا أيها الحادي ألا تكلّم — ضربك الله بسيف الهيثم

وبها ماءة يقال لها معاذة. وتقع أدقية "دقية" جنوب المستجدة على مرأى العين جنوب حائل ١٤٠ كيلاً –منطقة حائل.

٣- الأجاولُ: هضاب متجاورات بحذاء سلمى فيها ماء وهي في حمى فيد، قال محمد بن عبد الملك الفقعسي الأسدي:

تبدّلت بوصاً من صحير وأهله — ومن برق التّينين نوط الأجاول

وبقرب الأجاول وقع يوم بين طيء، وتميم، قال الطرماح بن حكيم الطائي:

فإن تقتلوا عِدْلَيْ تميم بغرة — إهابة وابن الجون يوم الأجاول

فإنّا تركنا ابني شهاب بن جعفر — وحفاءة الثّاوي بصحراء عاقل

وتقع الأجاول بقرب سلمى أحد جبلي طيء –بمنطقة حائل.

٤- أبانُ: أبانان جبلان مشهوران، أبان الأحمر وأبان الأسود أو الأسمر وهما مياه، قال زهير بن أبي سلمى المزني:

تبين خليلي هل ترى من ظعائن — بمنعرج الوادي فويق أبان

مشين وأرخين الذّيول ورفّعت — أزمّة عيس فوقها ومثاني

وقال امرؤ القيس:

كأنّ أبانًا في أفانين وبله | كبير أناس في بجاد مزمّل

وقال عبيد الله بن قيس الرقيات:

زودتنا رقية الأحزانا | يوم جازت حمولها سكرانا

إن تقل هن من بني عبد شمس | فعسى ذلك أن يكون وكانا

أنا من أجلكم هجرت بني زيد | ومن أجلكم أحب أبانا

وقال الحطيئة العبسي:

رأيت إمرءً يسقى سجالاً كثيرة | من العرف فاستسقيته فسقاني

من النّفر المرعى عديًا رماحهم | من الهول أكناف اللّوى فأبان

وقال لبيد بن ربيعة العامري:

درس المنا بمتالع فأبان | وتقادمت بالحبس فالسُّوبان

فنعاف صارة فالقنان كأنّها | زبر يرجّعها وليد يماني

وقال أوس بن حجر التميمي:

تثوب عليهم من أبان وشرمة | وتركب من أهل القنان وتفزع

لدن غدوة حتى أغاث شريدهم | طويل الثّبات والعيون وضلفع

وقال الطرماح بن حكيم الطائي:

طربت وشاقك البرق اليماني | بفجّ الريح فجّ القاقزان

أضوء البرق يلمع بين سلمى | وبين الهضب من جبلي أبان

وأبان أو أبانان يقعان في منطقة القصيم.

٥- **أمرة**: جبل به ماء قال وهب بن جرير الجهضمي:

كأنّها لما تؤوب قطرة

فصدرت تؤمُّ أهل إمرَة

تنفى اللُّغام عنتريس دوسرة

وجبل أمرة أو إمرة يقع في منطقة القصيم.

٦- **التّينُ**: جبل في مهب الشمال من بلاد غطفان به مويهة يقال لها التينة، وهو أحد جبال العلم، قال النابغة الذبياني:

وهبّت الرّيح من تلقاء ذي أرُلٍ | تزجي مع الصبُح من صرّادها صرما

صهب الظّلال أتين التّين عن عرض | يزجين غيما قليلا ماؤه شبما

وقال غنيم بن خويلد الفزاري:

حلّت أميمة بطن التّين فالرّقما | واحتلّ أهلك أرضاً تنبت الرّقما

وجبل التين يقع في منطقة حائل الي الجنوب عنها ١٨٠ كيلاً.

٧- **التُّوبَادُ**: جبل يقع على وادي الغيل في منطقة الأفلاج بجنوب نجد، ويرى هذا الجبل من بلدة الغيل، وهو الجبل الذي عناه قيس بن الملوح الجعدي العامري "المجنون" يذكر فيه محبوبته ليلى ابنة مهدى من الحريش العامرية، وجعدة وحريش أبناء عم وهم من بني عامر بني صعصعة قال قيس:

أبت ليلة بالغيل يا أمّ مالك | لكم غير حبٍّ صادق ليس يكذب

وقال حينما جاء الي التوباد، وتذكر أيام صباه هو وليلى:

وأجهشت للتُّوباد حين رأيته | وكبّر للرّحمن حين رآني

وأذرفت دمع العين لمّا عرفته | ونادى بأعلى صوته فدعاني

فقلت له قد كان حولك جيرة ... وعهدي بذاك لصِّرم منذ زمان

فقال: مضوا واستودعوني بلادهم ... ومن ذا الذي يبقى على الحدثان؟!

وإني لأبكي اليوم من حذري غداً ... فراقك والحيَّان مجتمعان

سجالاً وهَتانا ووبلاً وديمة ... وسحاً وتسجاماً وتنهملان

والتوباد يقع في منطقة الأفلاج حسب ترجيح الشيخ حمد الجاسر في مجلة العرب ج ٤/٣ رمضان وشوال ١٤٠٧هـ أيار حزيران ١٩٨٧م وهناك رواية أخرى أنه قرب الدوادمي.

٨- **ثهلانُ**: جبل أسود كبير وهو لبني نمير، قال القبيصي بن خويلد بن عقيل:

أيا جارتينا من نمير بن عامر ... أجدَّا البكا إنَّ التفرُّق باكر

فما دون شعب الحيِّ أن يتفرقوا ... بثهلان إلاَّ أن تردَّ الأباعر

وقال الفرزدق التميمي:

إن الذي سمك السَّماء بنى لنا ... بيتاً دعائمه أعزُّ وأطول

بيتاً زُرارة محتبٍ بفنائه ... ومجاشع وأبو الفوارس نهشل

فادفع بكفِّك إن أردت بناءنا ... ثهلان ذا الهضبات هل يتحلحل

وقال جحدر اللِّص:

ذكرت هنداً وما يغني تذكُّرها ... والقوم قد جاوزوا ثهلان والنِّيرا

على قرنص قد أفنى عرائكها ... تكليفناها عريضات الفلا زورا

وقال امرؤ القيس:

وغيث كألوان القنا قد هبطته ... تعاور فيه كل أوطف حنَّان

على هيكل يعطيك قبل سؤاله ... أفانين جري غير كزٍّ ولا وانِ

كتيس الظِّباء الأعفر انضرجت له ... عقاب تدلت من شماريخ ثهلان

ويقع جبل ثهلان في عالية نجد.

٩- **جَبَلَةُ**: هضبة عظيمة حمراء بها مياه، وقع فيها يوم من أعظم أيام العرب وهو يوم جبلة، قال معقل بن عامر الأسدي:

نحن بني مجمع من مَوْءَلة ... نحن حماة النَّاس يوم جبلة

بكل عضب صارم ومعبلة ... وهيكل نهد معاً وهيكلة

وقال رجل من بني عامر:

لم أر يوماً مثل يوم جبلة ... يوم أتتنا أسد وحنظلة

وغطفان والملوك أزفلة ... نضر بهم بقضب منتحلة

وشعب جبلة هو الذي جرت فيه المعركة، قال زرارة بن لقيط التميمي:

إن تقتلوا بكرى وصاحبه ... فلقد شفيت بسيفه نفسي

فقتلته بالشُّعب أول فارس ... في الشرق قبل ترجل الشمس

وقالت دختنوس ابنة زرارة:

لعمري لئن لاقت من الشَّرِّ دارم ... عناءً لقد آبت حميداً ضرابها

فما جنوا بالشُّعب إذ صبرت لهم ... ربيعة يدعي كعبها وكلابها

وقال جرير:

ويوم الشُّعب قد تركوا لقيطا ... كأنَّ عليه حلَّة أرجوان

وقال عروة الرحال بن عتبة بن جعفر:

فلو كان الجعافر قاطعوني | غداة الشّعب لم تذق الشّرابا

أتجزي القين نعمتها عليكم | ولا تجزى بنعمتها كلابا

وتقع هضبة جبلة في عالية نجد "فضلاً أنظر يوم جبلة في صدر الكتاب".

١٠- حِلّيت: جبل أسود مشهور من جبال حمى ضرية، وهو للضباب وبه معادن، قال إمرؤ القيس:

غشيت ديار لحيٍّ بالبكرات | فعارمة فبرقة العبرات

فغول فحليت فنفء فمنعج | الي عاقل فالجبّ ذا الأمرات

وقال عامر بن الطفيل الغنوي:

أظنّ الكليب خانني أو ظلمته | ببرقة حلّيت وما كان خائنا

وقال حماد بن مهدي لامرأته:

نظرت بحلّيت الي أمّ صبيتي | ترقرق دمع العين من شهوة التمر

تصرُّ بقايا التمر في عدنيّة | مصرٌ سواد المسك من حوله الذهر

فقالت إمرأته:

نظرت بحلّيت مع العصر نظرة | وللعين من فرط الصّبابة ماتح

لأونس من أمسى الجرار محلّه | ومستأنس عنك العشيّة نازح

وقال أبو ضب اللحياني:

وأخذت يزيَ فاتبعت عدوَّكم | والقوم دونهم الحلّيت فأرشد

وجبل حليت يقع في منطقة القصيم.

١١- الْحَصَّاءُ: جبال مطرحة يرى بعضها من بعض وهي لبني أبي بكر بن كلاب، قال مقبل بن ريحان:

جلبنا من الحصّاء كلَّ طمرّة | مشذّبة فرجاء كالجذع جيدها

وبها ماء يسمى بنفس الاسم، قال الشاعر أخو عطاء مولى أبي بكر:

لعمرك أنّي إذ عطاء مجاوري | لزار على دنيا مقيم نعيمها

إذا ما المنايا قاسمت بابن مسحل | أخاً واحداً لم يعط نصف قسيمها

وراح بلا شيء وراح بقسمة | الى قسمها لاقت قسيما يضيمها

أتته على الحصّاء تهوى وأمسكت | مصارع حميٌّ تصرعنه ومومها

فيا حبذا الحصّاء والبرق والعلا | وريح أتانا من هناك نسيمها

وتقع جبال الحصاء في منطقة القصيم.

١٢- خَزَازُ: جبل أحمر له هضبات حمر الي الجنوب عن الرس بالقصيم وبه ماء وكان لغني، وقد شهد أكبر يوم من أيام العرب يوم خزار بين ربيعة وقحطان، أو بين النجديين واليمانيين قال السفاح التغلبي:

وليلة بتُّ أوقد في خزاز | هديت كتائبا متحيرات

ضللن من السُّهاد وكن لولا | سهاد القوم أحسب هاديات

وقال عمرو بن كلثوم التغلبي:

ونحن غداة أوقد في خزاز | رفدنا فوق رفد الرّافدينا

فكنّا الأيمنين إذا التقينا | وكان الأيسرين بنو أبينا

فصالوا صولة فيمن يليهم | وصلنا صولة فيمن يلينا

فآبوا بالنهاب وبالسبايا ... وأبنا بالملوك مصفّدينا

وقال المهلهل بن ربيعة:

الى رئيس النّاس والمرتجى ... لعقدة شدٍّ ورتق الفتوق
من عرفت يوم خزاز له ... عُليا معدٍّ عند أخذ الحقوق
إذ أقبلت حمير في جمعها ... ومذحج كالعارض المستحيق
وجمع همدان له لجبة ... وراية تهوي هوى الأنوق

وقال الفند الزماني:

وأسألوا عنا بقايا حمير ... وبقاياكم إذا النّبع مطار
أيُّ قوم ناصروا إذ ناجدوا ... وعلايا النّقع في الدّار الغوار
كم تناموا على ريث القوى ... بخزاز يوم ضمّتنا الدّيار
كم قتلنا بخزازى منكم ... وأسرنا بعد ما حلّ الجرار
من ملوك أشرفت أعناقها ... بوجوه نجبت فهي نضار

وقال القتال الكلابي "واسمه عبيد بن المضّرحي الكلابي":

وما إن تبين الدّار شيئاً لسائل ... ولا انا حتى جنّى اللّيل آيس
على آلة ما ينبري لي مساعد ... فيسعدني إلاّ البلا والأمالس
تجوب على ورق لهن حمامة ... ومنثلم تجري عليه الأواهس
وسفح كذود الهاجري بجعجع ... تحفّر في أعقارهن المجارس
مؤثّل ما دامت خزاز مكانها ... بجبانة كانت اليها الأفالس

تمشيّ بها ربد النّعام كأنّها ... رجال القرى تجري عليها الطّيالس

ويقع جبل خزاز بمنطقة القصيم فضلاً أنظر يوم خزاز في أول الكتاب.

١٢- دَمْخُ: جبل عظيم لبني نفيل بن عمرو بن أبي بكر من كلاب، وبه مياه،

قال طهمان بن عمرو بن سلمة لكلابي:

ألايا اسلما بالبئر من أمّ واصل ... ومن أمّ جبر أيُّها الطّللان
وهل يسلم الرّيعان يأتي عليهما ... صباح مساء نائب الحدثان
ألا هزأت مني بنجران إذ رأت ... عشاري بالكبلين أمُّ أبان
كأن لم تر قبلي أسيراً مكبلاً ... ولا رجلاً يرمي به الرّجوان
عذرتك يا عيني الصّحيحة بالبكا ... فما لك يا عوراء والهملان
كفى حزناً أنّي تطاللت كي أرى ... ذرى قلّتي دمخ كما تريان
كأنّهما والآل يجرى عليهما ... من البعد عينا برقع خلقان
ألا حبّذا والله لو تعلمانه ... ظلالكما يا أيُّها العلمان
وماؤكما العذب الذي لو وردته ... وبي نافض الحمى إذاً لشفاني

وقال عوف بن عطية الربابي التميمي:

شربن بحوّاء من ناجر ... فسرنا ثلاثاً فابنا الجفارا
وحلّلن دمخاً جلال العرو ... س أدنت على حاجبيها الخمارا

وقال آخر:

أمغتربا أصبحت في رامهرمز ... نعم كل نجديٍّ هناك غريب

فياليت شعري هل أسيرنْ مصعداً   ودمخ لأعضاد المطيّ جنيب

ويقع جبل دمخ بمنطقة القصيم.

١٤- ذَرَف: "ترف" قديماً جبل عظيم أسمر منحاز لوحده في براح من الأرض، وهو لبني سعد بن الحارث من أسد، وبه ماء يقال لها السّعدية، يقع الي الشرق عن جبل رمّان، ويحضن ذرف من الشمال الغربي تقع فرتاج، وهو الي الشمال عن مجرى الثلبوت "الشعبة" حالياً يشاهده الرائي على بعد خمسين كيلاً من كل اتجاه من سميراء شرقاً الي مويسل غرباً قال الشاعر:

أجنّي الرّهن من قبل تـرف   أسفله جدب وأعلاه قـرف

ويقع جبل ذرف "ترف" في منطقة حائل جنوبها ١٢٠ كيلاً.

١٥- رِجَام: "الشّعب" جبل مستطيل بناحية طخفة، وفيه ماء عذب لبني جعفر بن كلاب قال الشاعر:

إذا شربت ماء الرِّجام وبرّكت   بهوبجة الرّيّان قرّت عيونهـا

وقال الضبابي:

وغول والرِّجام وكان قلـبي   يحبُّ الرّاجزين الي الرِّجـام

وقال آخر:

كأن فوق المتن مـن سنامها   نقاء من طخفة أو رجامهـا

مشرفة أنيق على أعلامها

وقال آخر:

وطخفة ذلت والرِّجام تواضعت   ودعسقن حتى ماهن جنـان

وقال القتال لاكلابي واسمه عبيد بن المضرّحي الكلابي:

سقى الله ما بين الرِّجام وغمرة   وبئر دريـات بهـنّ حـنين

بماء الثُريا كلّما ناء راكـب   أهلُ يسح الماء فيه وجـون

وقال لبيد بن ربيعة العامري:

عفت الديار محلها فمقامهـا   بمنى تأبّد غولهـا فرجامهـا

وقال في موضع آخر:

فكأنّ معروف الدّيار بقـادم   فبراق غول فالرِّجام وشـوم

ويقع جبل الرجام في منطقة القصيم.

١٦- رَخّة: "رَخّا" جبل يقع بين قنا ويثقـب في أرض فـزارة قـال نهيكـة الغطفاني:

عصب دفعن من الأبارق من قنا   بجنوب رخّة فالرفاق فيثقب

وقد صغره جبيهاء الأشجعي فقال:

جنوب رخيات فجزع تناضب   مزاحف جرار من الغيث باكرا

ويجانب رخة رخيخ عن شرقها قال عامر بن الطفيل العامري:

ويوم رخيخ صبّحت جمع طيء   عنا جيج يحملن الوشيج المقوّما

وقال زيد الخيل الطائي:

غدت من رخيخ ثم راحت عشيّة   بحيران إرقال الهجين المجفـر

وتقطع رمل الأحورين براكب   صبور على طول السرُى والتهجُّر

ويقع جبل رخّة ورخيخ الي الجنوب عن حائل ٢٠٠ كيل وبجانب رخة أو "رخا" منهل يورد وقيل لي أنه أصبح بلدة ورخيخ يقع الي الشرق من رخة غرب جبل أدَبي.

١٧-رَقَدُ: "الرُخا" هضبة بين ساق الفرد، وحبس القنان، لبني وهب من أعيا من بني أسد قال الشاعر:

أحقاً عباد الله أن لست سائراً ... بصحراء شرج في مواكب أو فردا

وهل أرَيَنَّ الدّهر علياء عاقل ... ورقد إذا ما الآل شبَّ لنا رقدا

وقال زهير:

لمن طلل كالوحي عاف منازله ... عفا الرَّس منه فالرُّسيس فعاقله

فقفٌ فصارات فاكناف منعج ... فشرقيٌّ سلمى حوضه فاجا له

فهضب فرقد فالطَّويُّ فثادق ... فوادى القنان حزنه فمداحله

وقال الصمة بن عبد الله القشيري من بني بكر بن هوزان:

جلبنا الخيل من تثليث حتى ... أصبنا أهل صارات فرقد

ولم نجبن ولم نتكل ولكن ... فجعناهم بكل أشمَّ نهد

ألا أبلغ بنى جشم رسولاً ... فإن بيان ما يبغون عندي

وقال دريد بن الصمة الجشمي:

أغرنا بصارات ورقد وطرفت ... بنا يوم لاقى أهلها البؤس عليب

وقال الشماخ بن ضرار الذبياني:

ظلت تسوف بأعلى عينها علما ... من جوّ رقد رأته غير منساق

كادت تساقطني والرَّجل إن نطقت ... حمامة فدعت ساقاً على ساق

ويقع جبل رقد بمنطقة القصيم.

١٨- رَمَّانُ: جبل لأسد ثم لطيء، وهو من أشهر الجبال بعد أجأ وسلمى قال عزرد بن ضرار الذبيان، وقيل لأخيه جزء بن ضرار الذبياني:

وأسحم ميال القرون كأنه ... أساود رَمَّان السِّباط الأطاول

وقال أبو زبيد الطائي:

حُبِنٌ بأعلى خلِّ رَمَّان مخدر ... عفر مذاكي الأسد منه تحجرا

وقال عميرة بن جعل التغلبي:

ليالي إذ أنتم لرهطي أعبد ... برَمَّان لما أجدب الحرمان

وقال آخر:

أيا حبذا رَمَّان والجرع الذي ... تحفُّ به رَمَّان من كل جانب

فأعرض عن رَمَّان والقلب وامق ... لرَمَّان إعراض العدوِّ المحارب

وقال أنيف بن زبان الطائي:

وهيهات من رَمَّان من حل بالحمى ... أصول الغضا من دونها ونباها

الي أن قال:

وجئنا الي فرتاج سمعاً وطاعة ... نؤدِّي زكاة حين حان عقالها

وفي فيد صدَّقنا فجاءت وفودنا ... الي فيد حتى ما تعدُّ رجالها

فقالوا أغر بالناس تعطك طيء ... إذا وطئتها الخيل واجتيح مالها

دعوا لنزار وانتمينا لطيء ... كاسد الشرى إقدامها ونزالها

وقال أحد بني أسد:

وما كل ما في النّفس للنّاس مظهر … ولا كل ما لا نستطيع نذود

فكيف طلابي ودَّ من لو سألته … قذى العين لم يطلب وذاك زهيد

ومن لو رأى نفسي تسيل لقال لي: … أراك صحيحاً والفؤاد جليد

فيا أيُّها الرِّيم المحليّ لبانه … بكرمين كرمي فضّة وفريد

أجدّيَ لا أمشي برمّان خالياً … وغضور إلاّ قيل أين تريد

وقال عبد الله بن ثور العامري:

وقد أنبأتني الطّير لو كنت عايفاً … ولكنّني بالطّير لا أتعيّف

برمّان والعرجين أنّ لقاءنا … بعيداً وأن الموعد منها سيخلف

وقال أبو صخر الهذلي:

ألا أيها الركب المخبّون هل لكم … بساكن أجراع الحمى بعدنا خبر

فقالوا طوينا ذاك ليلاً وإن يكن … به بعض من تهوى فما شعر السّفر

خليليّ هل يستخبر الرِّمث والغضا … وطلح الكدا من بطن رمّان بالسّدر

وقال تميم بن أُبيّ بن مقبل العامري:

أرقت لبرق آخر الليل دونه … رخام وهضب دون رمّان أفيح

لجون شآم كلّما قلت قد مضى … سنا والقوارى الخضر في اللّيل جنّح

وأضحى له جلب بأكناف شرمة … أجل سماكيٌّ من الوبل أنضح

وأظهر في غلاّن رقد وسيله … علاجيم لا ضحل ولا متضحضح

والقى بشرج والصّريف بعاعه … ثقال روایاه من المزن دلح

ويقع جبل رمّان في منطقة حائل الي الجنوب عنها ٦٠ كيلاً.

١٩- الرّيّانُ: "الرّيّاضُ" جبل بين طيء وأسد، قال نصر الريان جبل أسود عظيم في بلاد طيء يوقدون فيه النار ويرى من مسافة ثلاثة أيام قال زيد الخيل الطائي:

أتتني لسان لا أسرُّ بذكرها … تصدّع منها يذبل ومواسل

وقد سبق الرّيّان منها بذلّة … فأضحى وأعلى هضبه متضائل

ويقع الريان في شرق جبل رمان يميل نحو الشمال ويعد منه وإلى الغرب والجنوب منه مياه وادي الرّحبة "الطرفاء"ومن الشرق القاع الذي يمتلئ بالماء في وقت الأمطار وهو الي الجنوب الغربي من جبل سلمى، والي الشمال عن ذرف "زرف" ويرى من مسافة تصل خمسين كيلاً من كل اتجاه وبحضنه الغربي آثار بلدة "سُدُوْمَا" وهو شرق شمال مدينة روضة رمّان بمنطقة حائل ٧٥ كيلاً جنوب عنها.

٢٠- أُرَيْكُ: "رَيْكُ" جبل عظيم يقسم بين قبيلة محارب وبطن بني الصادر من سليم، غرب النقرة جرت به وقعة عظيمة مشهورة قال النابغة الذبياني:

عفا ذو حسى من فرتنا فالفوارع … فشطّا أريك فالتّلاع الدّوافع

وقال بشامة بن عمرو "ابن الغدير" يصف ناقته:

فمرّت على كشب غدوة … وجازت فويق أريك أصيلا

توطأ أغلظ حزّانه … كخبط القويّ العزيز الذّليلا

وقال عمرو بن خويلد أخو عمرو بن كلاب:

فكنا بني أم جميعاً بيوتنا ... ولم يك منا الواحد المتفرد

نقيل إذا قيل اظعنوا قد أتيتم ... أقاموا وقالوا الصبر أقوى وأحمد

كأن أريكا والفوارع بيننا ... لثامنة من أول الشهر موعد

وقال حميد بن ثور الهلالي:

تجوب الدجى كدرية دون فرخها ... بمطلي أريك سبسب وسهوب

كأن الجمان القصل نيطت عقوده ... ليالي جمل للرجال خلوب

وقال طفيل الغنوي:

تأذين قصراً من أريك ووائل ... وماوان من كل تثوب وتحلب

ومن بطن ذي عاج رعال كأنها ... جراد يباري وجهة الريح مطنب

وقال الشماخ بن ضرار الذبياني:

رعى بهمى الدكادك من أريك ... الي أبلى مناصية حفير

وقال النابغة الذبياني:

نصحت بني عوف فلم يتقبلوا ... وصاتي ولم تنجح لديهم رسائلي

فقلت لهم لا أعرفن عقائلا ... رعابيب من جنبي أريك وعاقل

وقال أيضاً:

كأن حد وجها في الآل ظهراً ... إذا أفرغت من نشر سفين

أو النحلات من جبار قرح ... تربيهن يعبوب معين

ويقع أريك في أعلى جنوب القصيم.

٢١- **الرقاش**: هضاب حمر وهي الرقاشان لها مياه كثيرة وهما في أقصى بلاد عمرو بن كلاب من الجنوب، قال قاسم بن ثابت العوفي:

ألا ليت شعري هل تردون ناقتي ... بحزم الرقاش من متان هوامل

هنالك لا أملى لها القيد بالضحى ... ولست إذا راحت علي بعاقل

وقال يزيد بن الطثرية:

أمن أجل دار بالرقاشين أعصفت ... عليها رياح الصيف بدأً ورجعاً

وقال طهمان بن عمرو بن سلمة الكلابي:

سقى دار سلمى بالرقاشين مسبل ... مهيب باعناق الغمام دنوق

أغر سماكي كأن ربابه ... بخاتي صفت فوقهن وسوق

كأن سناه حين تقدعه الصبا ... وتلحق أخراه الجنوب حريق

وقال آخر:

سمعت وأصحابي تخب ركابهم ... لهند بصحراء الرقاشين داعيا

صويتا خفياً لم يكن يستبين لي ... على أنني قد راعني من واريا

ويقع هضاب الرقاش في عالية نجد.

٢٢- **الزيدي**: "هضب لبنى" قديما هضب أسود واسع فيه شعاب كثيرة ومياه في ديار بني عمرو بن كلاب، قال زيد الخيل الطائي:

فلما أن بدت أعلام لبنى ... وكنا لنا كمستتر الحجاب

وين نعفهن لنا رقيب ... أضاع ولم يخف نعب الغراب

وقال في مكان آخر:

وأحللتم من لبن دار وخيمـة — وكنتم بأطراف القناع بمرتع

فخرتم بأشياخ أصيبوا بخنعة — وتنسون شبّاناً أنيموا بضلفع

ويقع هضب الزيدي "لبن" في عالية نجد.

٢٣- سَلمَى: أحد جبلي طيء، وهي لبنى نبهان خصوصاً، وبها أودية وميـاه.

قال جرير:

تبلّغ بني النّبهان مني قصـائداً — تطالع من سلمى وهن وعور

إذا حلّ من نبهان أرباب ثلّـة — بأوساط سلمى دقّة وفجـور

وكانت جديلة من طيء تسكن سلمى، قال عبيد بن الأبرص الأسدي:

نبّئت أن بني جديلة أوعبـوا — نفراء من سلمى لنا وتنكبّوا

وقال آخر:

أما تبكين يا أعراف سـلمى — على من كان يحميكن حينـا

وقالت جارية من طيء:

لبرق على سلمى وأعلامها العلا — أقرُّ لعينيّ وأشفى لمـا بيـا

وقال الطرماح بن حكيم الطائي:

وأخرج أمّه لسواس سـلمى — لمعفور الظّبا ضرم الجنين

وقال آخر:

يارب مال لـك بالاجبـال — أجبال سلمى الشمّخ الطّوال

بغيـغ يـرتع بالعقـال — طام عليـه ورق الهـلال

ويقع جبل سلمى بمنطقة حائل شرقاً عنها ٦٠ كيلاً وهي أحد جبلي طيء.

٢٤- سَاقُ: جبل هضبة واحدة شامخة وهي لبني وهب من بني أسد، قال لبيد بن ربيعة العامري:

يصرّف أحناء الأمور تخالـه — بأحقاف ساق مطلع الشمس مائلاً

وقال زهير:

نشزن من الدّهناء يجتزن وسطها — شقائق رمل بينـهن خمائـل

فلما بدت ساق الجواء وصارة — وفرش وحمّا واهّن القوابـل

طريق وقال القلب: هل دون أهلها — ومن جاورت إلاّ ليال قلائل

وقال أيضاً:

عفا من آل ليلى بطن سـاق — فاكثبة العجالز فا القصيم

وقال تميم بن أبي بن مقبل العامري:

فليس لها مطلـب بعـدما — مررن بفرتاج خوصاً عجالا

سـكنّ القنـان بإيمانهـا — وساقا وعرقة سـاق شمـالا

وقال الحطيئة:

نظرت على فوت ضُحَيًّا وعبرتي — لها من وكيف الرّأس شنّ وواشل

الي العير تحدى بين قـوّ وضـارج — كما زال في الصُّبح الأشاء الحوامل

فاتبعتهم عـينيّ حـتى تفرّقـت — مع اللّيل عن ساق الفريد الجمائل

وقال الراجز:

يـا إبـلاً هـل تعـرفين سـاقاً

وضـلفعان المرتـع الرّقاقـا

وفوزة المشرفة الأنساقا

وقال خالد بن جعفر بن كلاب:

تركت بني جليمة في مكرٍّ ... ونصراً قد تركت لدى الشّهود

ومنّ سوف تأتي قارعات ... تبيد المخزيات ولا تبيد

وحيّ بني سبيع يوم ساق ... تركناهم كجارية وبيد

وقال أبو حية النمري:

حيّ الدّيار عراصهن خوالي ... بجماد ساق رسومهن بوال

محتلُ أحوية عليهم بهجة ... بسواء مشرفه بهم محلال

فإذا غشيتهم سمعت هوادراً ... وصواهلاً ورأيت أحسن حال

وترى بأفنية البيوت مصونة ... جرد يجلن معاً بغير جلال

كانوا بها فتقسمتهم نيّة ... شعواء ليس زيالها بزيال

ويقع جبل ساق بمنطقة القصيم.

٢٥- السّتّار: جبل أحمر مستطيل بالقرب من ضرية، الي الشرق من وادي الجريب "الجرير" حالياً، قال الشاعر:

ما هاج عينيك من الدّيار ... بين اللّوى وقنّة السّتّار

وقال غلام من بني عامر بن كلاب:

ألا يا سنا برق على قلل الحمى ... هنّك من برق عليّ كريم

لمتُ بحدّ المرفقين أشيمة ... كأنّي لبرق بالسّتار صميم

فهل من معير طرف عين جليلة ... فإنسان طرف العامري كليم

رمى قلبه البرق الملألئ رمية ... بذكر الحمى وهناً فظلّ يهيم

وقال القتال الكلابي:

عفا من آل خرقاء السّتّار ... فبرقة حسلة منها قفار

لعمرك أنّني لأحبُ أرضا ... بها خرقاء لو كانت تزار

وقال الحصين بن حمام المري:

فليت أبا شبل رأى كرَّ خلينا ... وخيلهم بين السّتّار فاظلما

نطاردهم نستنفد الجرد كالقنا ... ويستنقذون السّمهريَّ المقوّما

وجبل الستار يقع في منطقة القصيم.

٢٦- حِبْسُ القَنَانِ: "سِمَارُ بُقَيْعَاء" وهولبني أسد، قال لبيد بن ربيعة العامري:

درس المنا بمتالع فأبان ... فتقادمت بالحبس والسّوبان

وقال حميد بن ثور الهلالي:

لمن الدّيار بجانب الحبس ... كمخطّ ذي الحاجات بالنّقس

وقال آخر:

سقى الحبس وسميُّ السّحاب ولا تزل ... عليه روايا المزن والدّيم الهطل

ولولا ابنة الوهبي ريدة لم أبل ... طوال الليالي أن يحالفه المحل

وقال منظور بن فردة الأسدي:

هل تعرف الدّار عفت بالحبس ... غير رماد وأثاف غبس

كأنّها بعد سنين خمس ... وريدة تذري حطام اليبس

خطًا كتاب معجم بنقس

وحبس القنان يقع في منطقة القصيم.

٢٧- **سَنَامُ**: جبل شاهق أحمر له قمتان، وكل منهما فيه ماء قال الصمة بن عبد الله القشيري:

أحقاً عبد الله أن لست ناظراً   سنام الحمى أخرى الليال الغوابر

كأنّ فؤادي من تذكُّره الحمى   وأهل الحمى يهفو به ريش طائر

وقال النابغة الذبياني:

ترائب يستضيئ الحلي فيها   كجمر النّار بُذِّرَ بالظلام

كأنّ الشّذر والياقوت منها   على صدّاء فاترة البغام

خلت بغزالها ودنا عليها   أراك الجزع أسفل من سنام

وجبل سنام يقع في أعلى منطقة القصيم.

٢٨- **سُوَاجُ**:جبل اسود به ماء يسمى المها وآخر يسمى النناءة وهي لغني من باهلة، وهو أحد أجبلة حمى ضرية. قال النابغة الجعدي:

دعاهم صوت قرّة من سواج   فجنبى طخفة فالي لواها

وقال لبيد بن ربيعة العامري:

فلست بركن من أبان وصاحة   ولا الخالدات من سواج وغرّب

وقال الراجز:

يا ليتها قد جاوزت سواجا

وعاقلا حيث الحنى وعاجا

ورامتين عصبا أفواجا

وجاوزت عزلج والنّباجا

وانفرج الوادي لها انفراجا

يقع جبل سواج في منطقة القصيم.

٢٩- **سُوَيْقَةُ**: جبل في حمى ضرية على وادي الريان "مبهل حالياً" وهي الضباب، قالت جُمَلُ بنت الأسود الضبابية:

ألهفي على يوم كيوم سويقة   شفى غلَّ أكباد فساغ شرابها

وقد اقتتل حولها بكر وتغلب، واستداروا بها قال مهلهل:

غداة كأنّنا وبني أبينا   بجنب سويقة رحيا مدير

وقال ذو الرمة التميمي:

أقول بذي الأرطى عشيّة أتلعت   الي الركب أعناق الظباء الخواذل

لأدمانة من وحش بين سويقة   وبين الحبال العفر ذات السلاسل

أرى فيك من خرقاء يا ظبية اللوى   مشابه جُنِّبْتِ اعتلاق الحبائل

فعيناك عيناها وجيدك جيدها   ولونك إلا أنها غير عاطل

وقال بشر بن أبي خازم الأسدي:

كأنّ قتودها باريتات   تعطّفهنّ موشيٌّ مشيح

تضيّفه الي إرطاة حقف   بجنب سويقة رهم رريح

وجبل سويقة يقع في منطقة القصيم فضلاً أنظره في أيام العرب.

٣٠- **شرق جبل لطيء**: غرب أجأ وشرق تيماء، قال زيد الخيل الطائي:

منعنا بين شرق الي المطالي　　　بحيٌ ذى مكابرة عنود

وقال بشر بن أبي حازم الأسدي:

فما صدع بخبَة أو بشرق　　　على زلق زوالق ذي كهاف

تزلُّ اللُّقوة الشغواء عنها　　　مخالبها كأطراف الأشافي

وقال أيضاً:

غشيت لليلى بشرق مقاما　　　فهاج لك الرَّسم فيها مقاما

بسقط الكثيب الي عسعس　　　تخال المنازل منها وشاما

ويقع جبل شرق في منطقة حائل.

٣١- شُرْمَةُ: هضبة لبني فقعس من بني أسد الي الشرق من سميراء قال تميم بن أبي بن مقبل العامري:

أرقت لبرق آخر اللَّيل دونه　　　رهام وهضب دون رَمَّان أفيح

لجول شآم كلَّما قلت قد مضى　　　سناد القوادى الخضر في الماء جنح

فأضحى له جلب بأكناف شرمة　　　أجشٌّ سماكيٌّ من الوبل أفضح

وأظهر في غلاَّن رقد وسيله　　　علاجيم لا ضحل ولا متضحضح

وألقى بشرج والصَّريف بعاعه　　　ثقال رواياه من المزن دلَّح

وقال جرى بن كليب الفقعسي الأسدي:

وما فتئت خيل كأنَّ غبارها　　　سرادق يوم ذي رياح ترفْع

تأوب عليهم من أبان وشرمة　　　وتركب من أهل القنان وتفزع

وتقع شرمة في منطقة حائل.

٣٢- شُعَبَى: جبل منيفة متدانية منقادة بها مياه غبير، والمنبجس والعرفطانة، وهي من بلاد الضباب في حمى ضرية، قال الشاعر:

إذا شعبي لاحت وراها كأنَّها　　　فوالج بخت أو مجلَّلة دهم

تذكَّرت عيشا قد مضى ليس راجعاً　　　علينا وأيَّام تذكّرها سقم

وقال آخر:

أرحني من بطن الجريب وريحه　　　ومن شعبى لا علَّها الله بالقطر

وبطن اللَّوى تصعيده وانحداره　　　وقولهم هاتيك أعلامه الغبر

وقال جرير يهجو العباس بن يزيد الكندي:

سيطلع من ذري شعبى قواف　　　على الكندي تلتهب التهابا

أعبد حلَّ في شعبى غريباً　　　ألؤماً لا أبا لك واغترابا

وقال أيضاً:

واطلعت القصائد طود سلمى　　　وصدَّع صاحبي شعبى انتقامي

وقال ابن مهيبة:

جلبنا الخيل من شعبى تشكَّى　　　حوافرها الدَّوابر والنُّسورا

فلما أن طلعن بعين جعدى　　　وأهل الجوف أو قتلوا عرورا

ولم يك كلَّهم ليفيق حتى　　　يهارش كلبهم كلبا عقورا

وشعبي تقع في منطقة القصيم.

٣٣- مُتالع: "أُمّ سُنُونَ" حاليا جبل أحمر عظيم وهو لبني تميم، وقد وقع بقربه يوم من أيام العرب بين تغلب وتميم كانت الغلبة فيه لتغلب، قال ابن فوزع الكسري من بني تغلب:

لعمرك ما قاد الجياد على الوغى ... مقادين سيف فارس الخيل علقمة

أباح تميما يوم سفح متالع ... بخيل كأمثال القداح مسوَّمة

أصاب بها شهراً على كلّ علّة ... لها من تشكّيها أنين وحمحمة

فاوردها قبل الصباح متالعاً ... صحاحاً فجالت في العجاج مكلمة

وعندما أعتق علقمة النساء السبايا قالت إمرأة من بني مجاشع من تميم:

جزى الرّحمن علقمة بن سيف ... على النّعماء خير جزى مثاب

عن آل مجاشع وبني فقيم ... وأحياء البراجم والرّباب

وحيّي نهشل.وسراة سعد ... بسفح متالع ولوى إراب

حزن نواصاً منّا فراحت ... نساء الحيّ طاهرة الثّياب

ويقع جبل متالع أو أم سنون بمنطقة القصيم وهو غير متالع الموجود في منطقة حائل.

٣٤- شَابَةُ: هضبة حمراء من بلاد غطفان تقع بين حمى الربذة والسليلة، قال القتال الكلابي:

تركت ابن هبّار لدى الباب مسنداً ... وأصبح دوني شابة فأرومها

بسيف امرئ لا أخبر النّاس ما اسمه ... وان حفزت نفسي الي هومها

وقال أبو دؤاد الإيادي:

أوحشت من أسراب قومي تعار ... فأروم فشابة فالسّتار

فالي الدُّور فالمرورات منهم ... فحفير فناعم فالدّيار

وقال آخر:

ألا ليت شعري هل تغيّر بعدنا ... أروم فآرام فشابة فالحضر

وهل تركت إبلي سواد جبالها ... وهل زال بعدي عن قنينته الحجر

وقال بشر بن أبي خازم الأسدي:

فلأياً ما قصرت الطّرف عنهم ... بقانية وقد بلغ النّهار

بليل ماأتين على أروم ... وشابة عن شمائلها تعار

وتقع هضبة شابة في منطقة القصيم.

٣٥- ثَهْمَدُ: "ثَهْمَدُ" قديماً جبل أحد تحيط به أبارق قرب النسار وهو لغني في حمى ضرية، قال عمرو بن لجأ التميمي:

سقى ثهمداً من يرسل الغيث وابلاً ... فيروى وأعلاماً يقابلن ثهمدا

وما نزلت من برقة حول ثهمد ... سعاد وطود يترك الطّرف أقودا

وقال طرفة بن العبد البكري:

لخولة أطلال ببرقة ثهمد ... تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

وقال الأعشى:

أتنسين أيّاماً لنا بدحيضة ... وأيّامنا بين البديّ وثهمد

وقال تميم بن أبي بن مقبل العامري:

فامسيت شيخاً لاجيعا صحابتي ... ولا نازعاً من كلّ ما صابني بدّا

تزوّد ريّا أم سهم محلها   فروع النّسار فالبديّ فثمهدا

تراءت لنا يوم النّسار بفاحم   وسنّة ريم خاف سمعاً فأرفدا

ويقع جبل ثهمد أو شرثة في منطقة القصيم.

٣٦- شَطْبُ: جبل أسود عظيم في بلاد تميم شمال جبل ثهلان وقد جرى فيه يوم النصف، قال بشر بن أبي خازم الأسدي:

سائل نميراً غداة النّصف من شطب   إذ فضّت الخيل من ثهلان إذا رهفوا

وقال عبيد بن الأبرص الأسدي:

دعا معاشر فاسكّتْ مسامعهم   يا لهف نفسي لو تدعو بني أسد

وهم حماتك بالحمى حيث ولم   تترك ليوم أقام النّاس في كبد

كما حميناك يوم النّصف من شطب   والفضل للقوم من ريح ومن عدد

وقال أيضاً:

يا من لبرق أبيت الليل أرقبه   في عارض كمضيء الصُّبح لمّاح

دانٍ مُسِفٌّ دُوَيْنَ الأرضِ هَيْدَبُهُ   يكاد يدفعه من قام بالرّاح

كأنّ ريّقه لما علا شطبا   أقراب أبلق ينفي الخيل رمّاح

فمن بنجوته كمن بعقوته   والمستكنُّ كمن يمشي بقرواح

ويقع جبل شطب في عالية نجد.

٣٧- صَارَةُ: جبل في ديار بني أسد الي القرب من ساق، قال الشاعر:

خليليّ إن حانت بحمص منيّتي   فلا تدفناني وارفعاني الي نجد

ومرّا على أهل الجناب بأعظمي   وان لم يكن أهل الجناب على القصد

وإن أنتما لم ترفعاني فسلّما   على صارة فالقور فالأبلق الفرد

لكيما أرى البرق الّذي أرقْت له   ذرى المزن علويا وماذا لنا يبدى

وقال آخر:

سقى الله حيًا بين صارة والحمى   حمى فيد صوب المدجنات المواطر

أمين ورد الله من كان دونهم   اليهم ووقّاهم صروف المقادر

كأنّي طريف العين يوم تطالعت   بنا الرّحل سلاّف القلاص الضوامر

أقول لفقّام بن زيد أما ترى   سنا البرق يبدو للعيون النّواظر

فإن تبك للوجد الذي هيّج الجوى   أعنك وإن تصبر فلست بصابر

وقال لبيد بن ربيعة العامري:

فأجماد ذي رقد فأكناف ثادق   فصارة يوفي فوقها فالأعابلا

وقال زهير:

تربّع صارة حتى إذا ما   فنى الدّحلان عنه والإضاء

تربّع بالقنان وكلُّ فجٍّ   طباه الرّعى منه والخلاء

وقال أيضاً:

فلما بدت ساق الجواء وصارة   وفرش وحمّا والهن القوابل

وقال أوس بن حجر التميمي:

كأنّهم بين الشّميط وصارة   وجرثم والسُّوبان خشب مصرّع

وقال لبيد بن ربيعة العامري:

درس المنا فمتالع فأبان   وتقادمت بالحبس فالسُّوبان

فتعاف صارة فالقنان كأنَّها   زبر يرجِّعها وليد زمان

وقال الراعي النميري:

تبصَّر خليلي هل ترى من ظعائن   تجاوزن ملحوبا فقلن متالعا

جواعل إرمام شمالاً وصارة   يمينا فقطَّعن الوهاد الرَّوافعا

ويقع جبل صارة في منطقة القصيم.

٣٨- صَاحَةُ: جبل أحمر عظيم واقع بين وادي القرى ونفود دبيل العارض "الدَّحى"، وهي صاحتان هضبتان حمروان، قال عبيد بن الأبرص الأسدي:

لمن الدِّيار بصاحة محروس   درست من الإقواء أيُّ دروس

وقال سلامة بن جندل التميمي:

لأسماء إذ تهوى وصالك إنَّها   كذي جدة من وحش صاحة مرشق

وقال لبيد بن ربيعة العامري:

وحطَّ وحوش صاحة من رداها   كأنَّ وعولها رمك الجمال

وقال بشر بن أبي خازم الأسدي:

ليالي تستبيك بذي غروب   كأنَّ رضا به وهناً مدام

وأبلج مشرق الخدَّين فخم   يسنُّ على مراغمه القسام

تعرض جابة المدرى خذول   بصاحة في أسرَّتها السِّلام

وصاحها غضيض الطَّرف أحوى   يضوع فؤادها منه بغام

وقال تميم بن أبي بن مقبل العامري:

شبوب كأنَّ قرى ظهره   من الزَّيت بعد دهان دهن

مرابعه الحمر من صاحة   ومصطافه في الوعول الحزن

وقال امرؤ القيس:

لمن الدِّيار غشيتها بسحام   فعمايتين فهضب ذي إقدام

فصفا الأطيط فصاحتين فغاضر   تمشي النِّعاج بها مع الآرام

وقال منيخيس أحد بني المشنج اللبيي:

وإن تؤنس بطن الدُّبيل وحائل   ويبدو لنا من ركن صاحة حارك

ويقع جبل صاحة في منطقة القصيم.

٣٩- الصَّاقب: جبل أحمر ملتف الجوانب تلقاء ملحة، قال الحارث بن حلزة اليشكري:

إن نبشتم ما بين ملحة   والصَّاقب فيه الأموات والأحياء

وقال أوس بن حجر التميمي:

على السيِّد القرم لو أنه   يقوم على ذروة الصَّاقب

لأصبح رتماً رقاق الحصى   مكان النبيِّ من الكاتب

وجبل الصاقب يقع في منطقة عالية نجد.

٤٠- صُبْحَا: "يَذْبُل" قديماً، هضبة حمراء فيها مياه، وهي لبني قشير بها ماء يقال لها حليمة بالقرب من دمخ، وقيل هذه الهضبة لباهلة، قال الراجز:

قد طال ما مشى المطي يذبل

وهو مقيم والمطايا يا تنسل

وقال النابغة الجعدي:

مرحت وأطراف الكلاليب تتقى … فقد عبط الماء الحميم وأسهلا

فإن كنت تلحاه لتنقل مجدنا … لسرّة فانقل ذا المناكب يذبلا

وإني لأرجو إن أردت انتقاله … بكفّيك أن يأبى عليك ويثقلا

وقال تميم بن أبي بن مقبل العامري:

ولي الغرض من فرعي ربيعة عامر … عديد الحصى والسُّؤدد المتبجّح

هم ملئوا نجداً ومنهم عساكر … تظل بها أرض الخليفة تدلح

وهم ملكوا ما بين هضبة يذبل … ونجران هل في ذاك مرعى ومسرح

وتقع هضبة صبحا أو يذبل في عالية نجد.

٤١- ضِمَارُ: جبل أسود كبير فيه منهل ماء يسمى باسمة يقع في بلاد هلال وعقيل شرق هضبة "الدواسر" قال الشاعر:

أقول لصاحبي والعيس تهوى … بنا بين المنيفة فالضّمار

تمتّع من شميم عرار نجد … فما بعد العشيّة من عرار

ألا يا حبذا نفحات نجد … وريا روضه بعد القطار

وأهلك إذ يحلّ الحي نجداً … وأنت على زمانك غير زار

شهور ينقضين وما علمنا … بأنصاف لهنّ ولا سرار

تقاصر ليلهن فخير ليل … وأطيب ما يكون من النهار

ويقع جبل ضمار في عالية نجد.

٤٢- طِخْفَةُ: جبل أحمر طويل حذاؤه بئار ومناهل وهي لبني جعفر والضباب،

قال الشاعر الضبابي:

قد علمت مطّرف خضابها … يزلُّ عن مثل النّقا ثيابها

إن الضّباب كرمت أحسابها … وعلمت طخفة من أربابها

إذا السُّيوف ابتذلت صعابها

قال آخر يصف ناقة:

كأن فوق المتن من سنامها

عنقاء من طخفة أو رجامها

مشرفة النّيق على أعلامها

قال آخر:

وطخفة ذلّت والرّجام تواضعت … ودعسقن حتى ما لهن جنان

وقال مزاحم العقيلي:

فليت ليا لينا بطخفة فاللّوى … رجعن وأياماً قصاراً بمأسل

فإن تؤثرى بالودّ مولاك لا أقل … أسأت وإن تستبدلي أتبدّل

عذارى لم يأكلن بطّيخ بلدة … ولم يتجنّين العرار بنهلل

وقالت جُحَيْفَةُ الضبابية وقد أوعدها زوجها إن قالت بيتا ليقتلها:

دعوني وأبيات أقلهن ويحكم … وإن جمعت حربا سليم وعامر

نعم أنا من هضب القليب وجزجز … ومن طخفة الشماء لابد نافر

وقالت أم موسى الكلابية وقد زوجت في حجر اليمامة:

لله دري أي نظـرة نـاظر   نظرت ودوني طخفة ورجامها

هل الباب مفروج فانظر نظرة   بعينيّ أرضا عزّ عندي مرامها

وقال السمهري العكلي:

ونُبّئت ليلـى بـالغريين سـلّمت   عليّ ودوني طخفـة ورجامهـا

عديد الحصى والأثل من بطن بيشة   وطرفائها ما دام فيهـا حمامهـا

وقال ربيعة بن مقروم الضبي:

وقومي فإن أنـت كـذّبتني   بقولي فاسأل بقومي عليمـا

بنو الحرب يوماً إذا استلأموا   حسبتهم في الحديد القرومـا

وإذ لقيت عـامر بالنسّـار   عنهم وطخفة يوماً غشـوما

وفي طخفة كان يوم لبني يربوع من تميم على قابوس بن المنذر بن ماء السماء "فضلاً أنظر يوم طخفة في صدر الكتاب"، قال الشاعر:

وقد جعلت يوماً بطخفة خيلنا   لآل أبي قابوس يوماً مكـدّرا

وقال الفرزدق:

وفضل آل ضبّة كـل يـوم   وقـائع بـالمجرّدة العـوارى

وتقتيل الملـوك وإنّ منـهم   فوارس يوم طخفة والنسّـار

وقال أيضاً:

لعمري لقد لاقت من الشرّ جعفر   بطخفة أياماً طويلاً قصيرها

بطخفة والريّان حيث تصوّبت   على جعفر عقبانها ونسورها

وقال النابغة الجعدي:

ألا أبلغ بـني شـيبان أنّـي   وقد جلبت حرام لكم حداها

دعاها صوت قرة من سـواج   فجنبى طخفة فـالي وزاهـا

ويقع جبل طخفة في منطقة القصيم.

٤٣- طَمِيَّةُ: جبل أحمر منيع في بلاد فزارة، وقيل لمرة بن عوف وكانت قبل ذلك لبني كلب، قال زهير بن جناب الكلبي، وهو يوصي بنية، ويـذكر يوم حزاز حين أوقدوا النار في طمية:

أبنيّ إن أهلك فقد بنيت لكم بنيّـة

وتركتم أرباب سادات زنادكم وريّة

ولكلّ ما نال الفتى قد نلته إلا التّحيّة

ولقد شهدت النّار للسُّلّان توقد في طميّة

وقال عمارة بن عقيل في طمية وشطيب وذوقان:

أما قد قلت ويحك فارضـوني   الي أهل اليمامـة أو ضـريّة

فإن شـئتم الي أهـل المهيّـا   ففيهم كل مكرمـة وهيّـه

هموا ما بين دار بـني سـليم   الي مـارذ فيـد الي طميّـة

الي دار الحريش فبطن بـرك   بلاداً لا تصـنّفها الرّعيـة

وقال عمرو بن لجأ التميمي:

تأوّ بني ذكـر لزولـة كالخبـل   وما حيث تلقى بالكثيب ولا السهل

تحلّ وركن مـن طميّـة دونهـا   وجوفاء مما قد تحلّ بـه أهلـي

تريدين أن أرضى وأنـت بخيلـة ... ومن ذا الذي يرضى الأخلاء بالبخـل

وقال الحصين بن الحمام المرى:

ألم تعلمون يـوم حلـف طميّـة ... وحلفا بصحراء الشطّون ومقسما

ويقع جبل طمية في منطقة القصيم.

٤٤- طُوَيْقُ: جبل اليمامة الأشم لعدد من القبائل العدنانية على الكثرة وبـه أعداد كثيرة من المياه قال عمرو بن كلثوم التغلي:

فأعرضت اليمامة واشمخرّت ... كأسياف بأيـدي مصـلتينا

ويسمى العارض قال الشاعر:

وأكاد من شغفي بما أنشـدته ... أطوى اليك تهامة والعارضـا

ويسمى طويق، قال الشاعر:

ولو ان قلت طويق باح بسرِّه ... لم يعد ما هو شف عنه مجلجلا

ويقع جبل طويق في منطقة اليمامة يمتد من وسط نجد شمالاً حتى أقصى جنوبها.

٤٥- ظَلَمُ: جبل أسود كبير بجانبه ماء في بلاد عمرو بن عبد الله بن كـلاب قال معقل بن ريحان الكعبي من بين كلاب:

جلبنا الخيل من حوضا وخـوٌ ... نجوب اللّيل دائبـة النّقـال

ومن ظلم ومن جنبى شـراء ... ومما بين ذاك مـن المطـالي

ومن هضب القليب وجانبيـه ... نخبُ شطائبا خب السّـعالي

ويقع جبل ظلم في منطقة عالية نجد.

٤٦- عِرْنَانُ: جبل بين تيماء وبلاد طيء مما يلي جبال صبح من بلاد فزارة قال الشاعر:

قلت لعلاّق بعرنان: مـا تـرى؟ ... فما كان لي عن ظهر واضحة يبدي

وقال القتال الكلابي:

وما مغزل من وحش عرنان أتلعت ... بِسنَّتها أخلت عليها الأواعـس

وقال الحارث بن ظالم المري:

ملأن الأرض مكرمة وخـيراً ... الي ما بين وجرة والجنـاب

وقال بشر بن أبي خازم الأسدي:

كأني وأقتادى على حمشة السُّـرى ... بحربة أرطاة بعسـفان مـوجس

تمكُّـث شـيئاً ثم أنحـى ظلوفـه ... يثير التُّراب عن مبيت ومـكنس

أطاع له مـن جوعرنـان بـارض ... ونبذ خصال في الخمائل مخلـس

وقال أوس بن حجر التميمي:

خوار المطافيل الململمقـة الشّـوا ... وأطلائها صادمن عرنان مقبلا

وقال تميم بن أبي بن مقبل العامري:

من رمل عرنان أو من رمل أسـنمة ... جعد الثرى بات بالأمطار مد جونا

وقال إبراهيم بن على بن سلامة بن هرمة:

باتوا بادماء من وحش الجناب لما ... أحوى أُخَيْنس في أرطاته حزق

ويقع جبل عرنان غرب جبل أجأ بمنطقة حائل.

٤٧- **العَلَمُ**: العلم جبل شرق الحاجر وبه الرَّقْمُ "الرَّقْبُ" وهو لبني الصادر من مرة من غطفان، ويواجه القنوين تلقاء الحاجر، قال شبيم بن خويلد الفزاري:

حلّت أمامة بطن السِّتين فالرَّقما   واحتلّ أهلك أرضا تنبت الرَّتما

وقال كعب بن زهير المزني:

أتعرف رسما بين زهمان فالرَّقم   الي ذي مراهيط كما خطّ بالقلم

وجبل العلم يقع في منطقة حائل الي الجنوب عنها ٢٠٠كيل وبه حصل يوم الرقم فصلاً أنظره في صدر الكتاب.

٤٨- **عاجُ**: "ذُوعَاج" قديماً، جبل في بلاد محارب قرب ماوان وأريك، قال ابن ميادة (ثوبان بن سراقة الذبياني):

تحنُّ بذي عاج شيوخ محارب   لتصلب حتى قد أتاني حنينها

وقال طفيل الغنوي:

وخيل كأمثال السِّراح مصونة   ذخائر ما أبقى الغراب ومذهب

تأوّبن قصراً من أريك فوابل   وماوان من كلٍّ تثوب وتحلب

ومن بطن ذي عاج رعال كأنها   جراد يباري وجهة الرِّيح مطنب

وقال قراد بن حنش الصادري:

ما كان تغلب ذي عاج ليحملها   ولا الفزاري جوفان بن جوفان

لكن تضمّنه ألفاً فأخرجها   على تكاليفها حار بن سفيان

وقال القتال الكلابي:

لطية ربع بالكليبين دارس   فبرق فعاج غيّرته الرَّوامس

وما إن تبين الدّار شيئاً لسائل   ولا أنا حتى جنّي الليل آيس

ويقع جبل عاج ذو عاج بمنطقة القصيم.

٤٩- **عَسْعَسُ**: جبل أحمر مجتمع لبني جعفر بن كلاب في حمى ضرية وبقربه دارة عسعس لبني جعفر، قال جهم بن سبل الكلابي:

تهدّدني وأوعدني مريد   بنخوته وأورده الضّحاح

فلما أن رأى البرزي جميعاً   بدارة عسعس سكت النباح

وقال شاعر آخر:

ألم تسأل الرَّبع القديم بعسعسا   كأنّي أنادي أو أكلّم أخرسا

فلو أن أهل الدّار بالدّار عرّجوا   وجدت مقيلا عند هم ومعرّسا

وقال بشر بن أبي خازم الأسدي:

لمن دمنة عاديّة لم تؤنس   بسقط اللّوى بين الكثيب فعسعس

واللوى: هو "عريق الدسم" وقال جامع بن عمرو بن مرخية:

تربّعت الدّارات دارة عسعس   الي أجلي أقصى مداها منيرها

الي عاقر الأكوام فالأيم فاللّوى   الي ذي حسى روض مجيد يصورها

وقال الراجز:

أعدّ زيد للطّعان عسعسا

ذا صهوات وأديم أملسا

إذا على غاربه تألّسا

وقال ابن شوذب بسطام اليشكري:

وكان محلُّ فاطمة الرَّوابي   تتمَّت لم تكن لتحلَّ قاعا

بدارة عسعس درجت عليها   سوا في الرَّبيع بدءاً وارتجاعا

وقال بشر بن أبي خازم الأسدي:

غشيت لليلى بشرقي مقاما   فهاج لك الشَّوق منها سقاما

بسقط الكثيب الي عسعس   تخال منازل ليلى وشاما

وقال الحارث رومى الكلابي:

تركتم لأفراس الضِّباب نساءكم   وما قتلوا منكم بطخفة كالجزر

وهنَّ هم يعدنَّ ما بين محدث   الي عسعس يتركنكم سوءة الدَّهر

ويقع جبل عسعس في منطقة القصيم.

٥٠- عكَّاش: جبل أسود عظيم الي الشرق من طمية "وهو زوج طمية" حسب زعم الأعراب القدماء والمحدثين قال الشاعر:

تزوج عكَّاش طميَّة بعدما   تأيَّم عكَّاش وكاد يشيب

وهناك عكاش آخر جبل أسود بجواره مورد ماء بنفس الأسم وهو ماء عد، ويقع جبل عكاش الأول بمنطقة القصيم وعكاش الثاني يقع في منطقة حائل شرق مدينة حائل ٣٠ كيلاً.

٥١- عَرْضُ شمامُ: سلسلة جبال سود عالية يوازي بعضها بعضاً، به أودية ومياه وهو لباهلة، قال رجل من عقيل:

باهل زيجى عن نمير واخنس   إن نميراً لك أن تكبس

يا طاك واطيها بخف مطلس   وتنحسى وتنحسى وتنحسى

وتغرسى بالسُّود كل مغرس   وقيل ورد العرك المغلنطس

وأبنا شمام جبلان طويلان مشرفان على سخنين وسخنة قريتين ونخل لباهلة ثم قرى باهلة مريفق وعسبان وواسط وعويسجة والعوسجة والبطة، وذو طلوح أعلاه حصن النعمام بن المنذر، والقويع وجزالا والثرياء والجوزاء قال امرؤ القيس يذكر بني شمام وهو ببلاد طيء:

كأني إذ نزلت على المعلَّيَّ   نزلت على البواذخ من شمام

فما ملك العراق على المعلَّى   بمقتدر ولا الملك الشَّام

وقال لبيد بن ربيعة العامري:

فودِّع بالسَّلام أبا حريز   وقلَّ وداع أريد بالسَّلام

يفضِّله شتاء الناس مجد   إذا قصر السُّتور على البرام

فهل نبئت من أخوين داما   على الأيام إلاَّ ابني شمام

وإلا الفرقدين وآل نعش   خوالد ما تحدَّث بانهدام

وقال أوس بن غلفاء الهجيمي التميمي:

جلبنا الخيل من جنبي أريك   الي أجأ الي ضلع الرِّجام

بكل منفَّق الجرذان مُجْرٍ   شديد الأسر للأعداء حام

أصبنا من أصبنا ثم فئنا   على أهل الشُّريف الي شمام

وعرض شمام يقع في عالية نجد ويسمى الآن عرض القويعية.

٥٢- عَرْوَى: جبل أسود شاهق الي الشمال منه ماء في سواد باهلة قال أحد بني نمير:

فلما بدت عروى وأجزاع ماسل … وذو خشب كاد الفؤاد يطير

وقال تميم بن أبي بن مقبل العامري:

يا دار كبشة تلك لم تتغيّر … بجنوب ذي خشب فحزم عصنصر

فجنوب عروى فالقها دغشيتها … وهنا فهيّج لي الدّموع تذكّري

وقال النابغة الجعدي:

كطار بعروى ألجأته عشيّة … لها سبل فيه قطار وحاصب

وقال مزاحم العقيلي:

أليست جبال القهر قعساً مكانها … وأكتاف عروى والوحاف كما هيا

وجبل عروى أصبح بجنبه على الماء بلدة عامرة بنفس الأسم ١٣٣٦هـ

ويقع في عالية نجد:

٥٣- عُرَيْفَجان: "هضب الأشيق" قديماً لبني جعفر بن كلاب وهو هضب به ستة أمواه، هي الرّيان والرسيس ونخمرة وعرفجان والحائر وجمام، قال الشاعر:

ألا ليت شعري هل أبيتنّ ليلة … ومن نظري خلفي لوانى خالف

نظرت فطارت من فؤادي طيرة … ومن نظري خلفي لوانى خالف

الى قلّة الشيماء تبدو كأنّها … سماوة جلب أو يمان مقارف

ترى هضبها من جانبيها كأنّها … جريدة شول حول قوم عواكف

وقال يزيد بن الطثرية:

خليليّ بين المنحنى من مخمّر … وبين اللّوى من عرفجاء المقابل

قفا بين أعناق الهوى لمرّية … جنوب تراوي كلّ شوق مماطل

ويقع عريفجان هضب الأشيق بعالية نجد.

٥٤- العَسَيْبِيَات: "الشموسين" قديماً هضبتان حمراوان شاهقتان بقرب ماء المُضَيّح وهي لبني ربيعة بن الأضبط.

وقال العامري:

متى أنج من شعب الشّموسين لم أعد … اليه ولو منّيتماني الأمانيا

فلست أرى شمساً إذا هي ميلت … ولا قمراً حتى يتمّ ثمانيا

ويقع هضبتا العسيبيات الشموسين في عالية نجد.

٥٥- العَرْمَة: عارض اليمامة سلسلة جبال تمتد مسافة ثلاثمائة كيل وبها الكثير من المياه والأودية التي تفيض في السهول الواقعة بينها وبين الدهناء وهي لبني الأعرج بن سعد من تميم، قال الأعشى:

لمن الدّيار تعفّى رسمها … بالغرابات فأعلى العرمة

وقال أيضاً:

ترتع السّفح فالكثيب فذاقا … فروض القطا فذات الرّئال

وجبال العرمة تقع في منطقة اليمامة شرق الرياض.

٥٦- غَايِرُ: جبل أسود كبير شمال "هضب الدواسر" شمال شتير غرب الستار في بلاد عقيل، قال شبوح "مولى" المختار بن الخطاب الكلبي الخفاجي:

نظرت ومن دوني شُتَير ومقلتي … تجم مراراً دمعها ويفيض

لأونس أظعاناً بجو شُتَيّر … بدون لعيني والنّهار غضيض

قواصد أطراف السّتار لغائر … بواكر يحدو سيرهن قبيض

وجبل غابر يقع في منطقة اليمامة.

٥٧- غِسْلُ: جبال شمال غرب سميراء، وبه ماء يسمى غسلة، وهو لبني أسد، وبه قتلت بنو أسد حيان بن معاوية بن جعفر بن كلاب، فقال لبيد بن ربيعة العامري يرثيه:

أقول لصاحبيَّ بذات غسل   المأبى على الجدث المقيم

فانظر كيف سمك بانياه   على حيَّان ذي الحسب المقيم

وقال امرؤ القيس:

تربَّع بالسِّتار ستار غسل   الي قِدْرٍ فجاد لها الوالي

وجبل غسل يقع شمال غرب سميراء بمنطقة حائل.

٥٨- الْغَمْرُ: جبل أحمر طويل بينه وبين فيد عشرون ميلا، وهو لحي من بني أسد يقال لهم بنو مخاشن؛ وهو في حمى فيد بحذا توز قال الشاعر:

بنى الغمر أرعن مشمخرٌ   يغنيٌّ في طرائقه الحمام

وقال آخر:

فليت جبال الهضب كانت وراءه   رواسي حتى يأنس الناظر الغمرا

وجبل الغمر يقع بمنطقة حائل الي الشرق عن جبل سلمى.

٥٩- غَوْلُ: جبل أحمر عظيم ذو شعاب وشخاتيب كثيرة غربي حليت به هضب، وهو للضباب أو لضبة من بني كلاب وبه نخل وعيون، وفيه جرى يوم من أيام العرب يوم غول، قتل حثامة بن عمرو بن محلم الشيباني، قتله أبو سلمة طريف بن تميم التميمي. قال الشاعر:

على غول وساكن هضب غول   وهضب عوارم منّي سلام

وقال امرؤ القيس:

غشيت ديار الحيِّ بالبكرات   فعارمة فبرقة العيرات

فغول فحلِّيت فنفء فمنعج   الي عاقل فالجبِّ ذي الأمرات

وقال لبيد بن ربيعة العامري:

عفت الدِّيا محلُّها فمقامها   بمنى تأبد غولها فرجامها

وقال أعرابي:

الاليت شعري هل تغيَّر بعدنا   معارف ما بين اللّوى فأبان

وهل برح الرَّيّان بعدي مكانه   وغول وما يبقى على الحدثان

وقال بشر بن أبي خازم الأسدي:

أصوت مناد رميلة تسمع   بغول ودوني بطن فلج ولعلع

أم استحقب الشَّوق الفؤاد؟ فإنَّني   وجدّك مشغوف برملة موجع

وقال عامر بن الطفيل:

كأنك لم ترينا يوم غول   ولم يخبرك بالخبر الجنود

بما لاقت سراة بني لجيم   تعض سراهم فينا القيود

ويقع جبل غول في منطقة القصيم.

٦٠- غُرَبُ: سلسلة جبال سوداء بها مياه قرب الشريف من بلاد بني نمير، قال جران العود النميري:

أيا كبداً كادت عشية غُرَّبٌ   من الشّوق إثر الظاعنين تصدّع

عشيّة ما في من أقام بغرّب   مقاماً ولا في ما مضى متسرّع

وقال لبيد بن ربيعة العامري:

فأيُّ أوان ما تجيء منيّتي   بقصد من المعروف لا أتعجّب

فلست بركن من أبان وصاحة   ولا الخالدات من سواج وغرّب

قضيت لبانات وسلّيت حاجة   ونفس الفتى رهن بغمزة مؤدب

وقال مالك بن الريب المازني التميمي:

عليَّ دماء البدن إن لم تفارقي   أبا حردب يوماً وأصحاب حردب

سرت في دجى ليل فأصبح دونها   مفاوز حمران الشّريف فغرُّب

تطالع من وادي الكلاب كأنّها   وقد أنجدت منه فريدة ربرب

وقال الراعي النميري:

وسرت نساء لو رآهن راهب   له ظلة في قلّة ظلَّ رانيا

جوامع أنس في حياء وعفّة   يصدن الفتى والأشمط المتناهيا

بأعلام مركوز فعنز فغرّب   معاني أمّ الوبر إذ هي ماهيا

وتقع جبال غرب في عالية نجد.

٦١- **غَمْرَةُ**: هضبة حمراء فيها ماء تقع شرق السودة جنوب وداي الركا، فيما بين صاحة وعمايتين، وببطن الركا ماء قريب من صفا الأطيط، وهضبة ذي قدام ويظهر لك رأس سحام، قال امرؤ القيس:

لمن الدّيار عرفتها بسحام   فعمايتين فهضب ذي إقدام

فصفا الأطيط فصاحتين فغاسم   تمشي النّعاج بها مع الآرام

وقال الشمردل بن شريك التميمي:

سقى جدثا أعراض غمرة دونه   ببيشة ديمات الرّبيع هواطله

وما فيَّ حبُّ الأرض إلاّ جوارها   صداه وقول ظنَّ أنّي قائله

وقال ذو الرمة التميمي:

تفضين من أعراف لبن وغمرة   فلما تعرفن اليمامة من عفر

وقال عمرو بن مقاس المرادي:

ومِيٌّ ناسلين وهم جميع   حذار الشرّ يوماً قد دهيت

وقد علم المعاشر غير فخر   بأنّي يوم غمرة قد مضيت

فوارس من بني حجر بن عمرو   وأخرى من بني وهب حميت

متى ما يأتني يومي تجدني   شبعت من اللّذاذة واستقيت

وتقع هضبة غمرة في منطقة اليمامة.

٦٢- **فِتَكُ**: "فتق" جبل شرق أجا غرب سلمى يميل نحو الشمال لطيء، قال زيد الخيل الطائي:

منعنا بين شرق الي المطالي   بحيٍّ ذي مكابرة عنود

نزلنا بين فتك والملاقي   بحيٍّ ذي مداراة شديد

وصلْت سنبس طلح الغبارى   وقد رغبت بنصر بني لبيد

وقال عبد العزيز بن زرارة الكلابي:

فلما بدت جِلْدِيَّةُ من أمامنا   وفتك وجاوزنا بلاد تميم

وأعرض رعن من خفاف كأنّه ... نعائم ربد بينهن ظليم
بكيت بكا ذي الودعتين تلدُّه ... عن الثّدى رجزاء القيام هضيم
وإنّ الذي يرجو إيابي وقد أتت ... ركابي على خبت لغير حليم
فأصبحت قد ودعت نجداً وأهله ... وما عهد نجد عندنا بذميم

ويقع جبل فتك أو "فتق" الي الشرق عن حائل يبعد عنها ٢٠ كيلاً.

٦٣- قَنَا: "حبشي" جبل قرب سميراء شمالها، وبقربه ماء يقال لها الفناءة لبني جذيمة من أسد، أسفل وادي إرمام، قال محصن بن رئاب الجرمي:

يهيج عليّ الشّوق أن يجزأ الضحى ... فنا أو أرى من بعض أقطاره قطرا
فليت جبال الهضب كانت وراءه ... رواسي حتى يؤنس النّاظر الغمرا
يقول: ألا تهدى لأمّ محمد؟ ... قصائد عوراً ما أتيت إذاً عذرا
لبئس إذا ما سرت أن أبلغ المدى ... وما صنت عرضي إن هجوت به نصرا
ولكنّي أرمي العدا من ورائهم ... بصمّ تؤمُّ الرّأس أو تكسر الوفرا

ويقع جبل فنا في منطقة حائل إلى الجنوب الشرقي عنها.

٦٤- فَرِيْدَةُ دَمْخٍ: "بتيل" قديماً جبل أحمر في بلاد بني عمرو بن كلاب يناوح دمخاً قال الشاعر:

لعمرى لقد هاج الفؤاد لحاجة ... بقطّاعة الأعناق أم خليل
فمن أجلها أحببت عونا وجابراً ... وأحببت ورد الماء دون بتيل

وقال تميم بن أبي بن مقبل العامري:

لمن الدّيار بجانب الأجفار ... فبتيل دمخ أو بسفح جرار

وقال موهوب بن رشيد القريطي:

مقيما ما أقام ذري سواج ... وما بقى الأخارج والبتيل

وقالت جحيفة الضبابية:

وقد جعلوا دمخا شمالاً وجاوزوا ... بتيلاً وحاديهم على السيّر واظب

ويقع جبل فريدة دمخ "بتيل" في عالية نجد.

٦٥- قُصَايِرَةُ: جبل بقربه ماء في بلاد غطفان، قال النابغة الذبياني:

ألا أبلغا ذبيان عنّي رسالة ... فقد أصبحت عن مذهب الحقّ جائرة
فلو شهدت سهم وأبناء مالك ... فتعذرني من مرة المتناصرة
لجاءوا بجمع لم ير الناس مثله ... تضاءل منه بالعشيّ قصائرة

وقال عياد بن عوف المالكي الأسدي:

لمن ديار عفت بالجزع من رمم ... الي قصائرة فالجفر فالهدم
الي المجيمر فالوادي الي قطن ... كما يخطُّ بياض الرّقّ في القلم

ويقع جبل قصايرة شرق مدينة السليمي بمسافة ٢٥ كيلاً، أما الهدم فتقع الي الجنوب الشرقي من السليمي وتسمى الآن "بالهدايم" انظر لها في المواقع الأثرية، وتقع قصايرة والهدم بمنطقة حائل.

١١٩- قَنَا: جبل أحمر به مياه لبني مرة من فزارة، والي جانبه جبل قُني قال مسلمة بن هذيلة الفزاري:

رجال لو أن الصُّمّ من جانبي قنا ... هوى مثلها منها لذلت جوانبه

وقال عامر بن الطفيل الكلابي:

ولأبغيئكم قنا وعوارضا ... ولأوردنَّ الخيل لابة ضرغد

وقال نصيب:

أحب قناً من حب هند ولم يكن ... أبالي أقربا زاده الله أم بعدا

ألا إنّ بالقيعان من بطن ذي قنا ... لنا حاجة مالت اليه بنا عمدا

أروني قنا أنظراليه فإنني ... أحب قنا إني رأيت به هندا

وقال آخر:

لقد أنزلوني من عوارضتي قنا ... منازل ما قلبي لهنَّ بلائق

وقال النابغة الذبياني:

فإما تنكري نسبي فإنّي ... من الصُّهب السبال بني جناب

فإنّ منازلي وبلاد قومي ... جنوب قنا هنا لك بالهضاب

وقال محصن بن رئاب الجرمي:

يهيج عليَّ الشوق إن يجزأ الضُّحى ... قنا أو أرى من بعض أقطاره قطرا

فليت جبال الهضب كانت وراءه ... رواسي حتى يؤنس النّاظر الغمرا

وقال الشماخ بن ضرار الذبياني:

تربّع من جنبي قنا فعوارض ... نتاج الثّريا نوءها غير مخدج

وقال أيضاً:

تحالف يشكر واللؤم قدماً ... كما جَبَلاَ قنا متحالفان

وقال مقدام بن جساس الدبيري الأسدي:

كأنّها وقد بدا عوارض ... وأدبي في القتام رابض

وغاض من أبر بمن فائض ... وقطقط حيث يخوض الخائض

واللّيل بين قنوين رابض ... بجلهة الوادي قطا نواهض

وقال لهبكة الغطفاني:

عصب دفعت من الأبارق من قنا ... بجنوب رحّة فالرِّفاق فيثقب

وقال مسلم بن قرط الأشجعي:

تطّربني حب الأبارق من قنا ... كأن امرءً لم تجل عن دارة قبلي

فياليت شعري هل بعيقة ساكن ... الي السّعد؟ أم هل بالعواقر من أهل؟

فمن لا مني في حب نجد وأهله ... وإن بعدت دار فليم على مثلي

على قرب أعداء ونأي عشيرة ... ونائبة نابت من الزّمن المحل

وقال قيس بن زهير العبسي:

لن تهبطى أبداً جنوب مويسل ... وقنا قراقرتين والأمرارا

وقراقرتين صوابها فرافرتين على التثنية جبل لا يزال معروفاً بقرب قنا إسمه فرافرة، وقنا غرب مدينة السليمى والي الجنوب منه قُنَيٌّ، ويقع قنا وقني في منطقة حائل.

٦٧-قَطَنُ: جبل أحمر شديد الحمرة في بلاد بني أسد به ماء لهم، قال زهير بن أبي سلمى المزني:

قد نكّبت ماء شرج عن شمائلها ... وجوّ سلمى على أركانها اليمن

يقطعن أجواز أميال الفلاة كما ... يغشى النواتي غمار اللجّ بالسّفن

يخفضها الآل طوراً ثم يرفعها ... كالدوم يعصدن للأشراف أو قطن

وقال عباد بن عوف المالكي الأسدي:

لمن ديار عفت بالجزع من رمم ... إلى قصائرة فالجفر فالفدم

إلى الجيمر والوادي إلى قطن ... كما يخطّ بياض الرقّ بالقلم

وقال امرؤ القيس:

علا قطنا بالشيم أيمن صوبه ... وأيسره على الستار فيذبل

وقال الشماخ بن ضرار الذبياني يصف عقابا تنمي إلى وكر منيع في قطن:

تطارد سيد صارات ويوماً ... على خزّان قارات الجموع

تلوذ ثعالب الشرفين منها ... كما لاذ الغريم على التبيع

تعدّ العزّ في قطن غذاها ... إلى فرخين في وكر منيع

ترى قطعا من الأحناش فيها ... جماجمهن كالخشل النزيع

وقال أعرابي يتشوق إلى قطن:

سلّم على قطن إن كنت نازله ... سلام من كان يهوى مرّة قطنا

أحبّه والذي أرسى قواعده ... حبّاً إذا ظهرت آياته بطنا

يا ليتنا لا نريم الدّهر ساحته ... إلاّ سيذكر بعد الغربة الوطنا

انظر وأنت بصير هل ترى قطنا ... من رأس حوران بعد الغربة الوطنا

يا ويحها نظرة ليست براجعة ... خيرا ولكنها من غيرة قمنا

ويقع جبل قطن في منطقة القصيم.

٨٨- كبشات: جبال سود عددها ثمانية قرب جبل حليت في حمى ضرية ومن كبشة الضباب قربها بئر البكرة، قال الشاعر:

خشية أبوابها كالطيقان

أحمى بها الملك جنوب الريّان

فكبشات فجنوب إنسان

ويرد اسمها مفردة كبشة، قال الحارث بن عمرو بن حرجة:

ذكرت ابنة السّعدي ذكرى ودونها ... رحا جابر واحتل أهلي الأداهما

يحوم قطيات إذا السيل صاح ... فكبشة معروف فغولاً فقادما

ويقع جبال كبشات في منطقة القصيم.

٨٩- كير: جبل أحمر مع ميل إلى السواد يقع إلى الجنوب الغربي من الرس شمال جبل حزاز وإلى الشرق من إمّرة وهو لعبس قال عروة بن الورد العبسي:

أرقت وصحبتي بمضيق عمق ... لبرق في تهامة مستطير

سقى سلمى وأين ديار سلمى ... إذا حلّت مجاورة السّدير

إذا حلّت بأرض بني عليّ ... وأهلي بين إمّرة وكير

وقال بشر بن أبي خازم الأسدي:

أبي لابن المضلّل غير فخر ... بأصحاب الشّقيقة يوم كير

وقال أوس بن حجر التميمي:

لكنّ بفرتاج فالخلصاء أنت بها ... فحنبل فلوى سرّاء مسرور

وبالأيعم يوماً قد تحلّ بـــه   لدى خزاز ومنها تنظر الكبر

وجبل كبر يقع في منطقة القصيم.

٧٠- كَرْشُ: جبل أسود عظيم به ماء لبني قريط، قالت امرأة منهم:

أرى كرشا أرمى بأعظم صخرة   وأني إن صـابرتها لصبور

فهل تنجيَنّي من قريش عصابة   كأنهم فوق الرّجال صقور

وجبل كرش يقع في عالية نجد.

٧١- كَلْبُ: جبل جنوب الدلم من الخرج، وهو الذي رأت عليه زرقاء اليمامة جيش تبع عندما غزا جديسا: قال الأعشى:

ما نظرت ذات أشفار كنظرتها   حقاً كما صدق الذئبي إذ سجعا

إذ قلبت مقلة ليست بكاذبة   إذ يرفع الآل رأس الكلب فارتفعها

قالت أرى رجلاً في كفّه كتف   أو يخصف النعْل لهفي أيّة صنعا

ومما ينسب الي تبّع قوله حول ذلك.

ثم أخرى أبصرت ناظرة   من ذرى كلب بجو رجلاً

يخصف النعل فما زالت ترى   شخص ذاك المرء حتى الثّقلا

فنزعنا مقلتيها كي نرى   هل نرى في مقلتيها قبلا

فوجدنا كل عرق منهما   مودعاً حين نظرنا كحلا

ويقع جبل كلب في الخرج من منطقة اليمامة.

٧٢- مَتالعُ: جبل ببلاد طيء، ملاصق لأجأ بينهما طريق، وهو لبني جوين من حرم من طيء، ويقال له متالع الأبيض، وجبل أيضاً ببلاد طيء لبني صخر بن

الألف سنة الغامضة من تاريخ نجد

جرم من طيء بينه وبين أجأ ليلة يقال له متالع الأسود، ومتالع أيضاً جبل لغني في حمى ضرية يسمى الآن "أم سنون" سبق الكلام عنه قال زيد الخيل الطائي:

بني عامر هل تعرفون إذا بدا   أبو مكنف قد شدّ عقد الدّوابر

بجيل تضلُّ البلق في حجراته   ترى الأكم منه سجّداً للحوافر

ونحن هزمنا جمعكم بمتالع   نفاء ولم يسلم على شرُّ طائر

وكنتم إذا ألقى غنيّ سقيتها   من السُّمّ ما تصلى ظنور المحاذر

قتلنا غنياً يوم سفح محجّر   مجاهرة نفسي فداء المحاجر

ويوم قنى لا قى الكلاأبي عامر   أخاتقة ثبتاً قليل العواثر

وقال متمم بن نويرة التميمي:

فلو أن ما ألقى يصيب متالعاً   أو الرُّكن من سلمى إذاً لتضعضعا

ويقع جبلي متالع الأبيض والأسود بمنطقة حائل.

٧٣- مُحَجَّرُ: "المُسَمّى" جبل طوله رمال حجرية، وهو سلسلة جبال تمتد من الجنوب الي الشمال، من النفود الكبير "رمل عالج" الي فردتا الشموس، والنظيم واللحاة غربه من الجنوب حرة ليلى قال بشر بن أبي خازم الأسدي:

فعالية لاهمّ إلا محجّر   وحرّة ليلى السّهل منها فلوبها

وقال آخر:

ألا إنّ برقا لاح بين محجّر   وبين اللّوى برق لعيني شائق

سقى روضة الأجداد أول وبله   وآخره يسقى خليُّ الشّقائق

لقد نزّلوني من عوارضتي قنا   منازل ما قلبي لهنّ بلائق

ترى أدبيًا بالـك الله حـائلاً | وركن قنا من دون هضب الورائق

وهو الذي جرى فيه يوم لطيئ على غنى فقال زيد الخيل الطائي:

نحن صبحناهم غداة محجّـر | بالخيل محقبة على الأبـدان

فاسأل غراب بني فزارة عنهم | وأسأل بنا الأحلاف من غطفان

واسأل غنيًا يوم نعف محجّـر | وأسأل كلاباً عن بني نبـهان

وقال أيضاً يخاطب بني عامر:

ونحن هزمنا جمعكـم بمتالع | ففاء ولم يسلم على شرٍّ طائر

قتلنا غنيًّا يوم سـفح متالع | مجاهرة نفسي فداء المحـاجر

وقال طفيل الغنوي:

وهنَّ الأولى أدركن تبل محجَّر | وقد جعلت تلك التّنابيل تنشب

ويقع جبل المحجر المُسمّى بمنطقة حائل كما يوجد جبل آخر الي الغرب من سلمى يسمى "المُسمّى" به ماء وهو بين جبل أجأ وسلمى وهو الي سـلمى أقرب، ويقع في منطقة حائل أيضاً.

٧٤- مُلَيْحَةُ: جبل ببلاد طيء بقربه ماء. قال مرة بن همام الشيباني:

طال الشّقاء فقربا لي بـازلاً | وجناء تقطع بالرُّدافي السّبْسبا

وكأنّها بلوى مليحة خاضب | شقّاء نقنقة تباري غيهبـا

ومليحة تقع الي الجنوب الشرقي عن حائل الي الجنوب عن فتـك و الى الغرب عن سلمى والماء الذي بقربها يسمى الآن "أبو غر".

٧٥- مَاوَانُ: جبل أسود يقع الي الجنوب الغربي من النقرة وهو لبني محـارب، قال الشاعر المحاربي:

إن يدو ما وان فقد طال شـوقنا | الي الرُّكن من ماوان إن كان باديا

ولو كلّفتني قـود مـاوان قدتـه | قياد الـبعير أو قطعـت فؤاديـا

وفي ماوان بئر يحمل نفس الأسم قال الشاعر:

شربن من ماوان مـاءً مـرّاً | ومن سـنام مثلـه أو شـرّاً

ويقع على طريق الحج الكوفي قال الراجز:

كان بالحـاجر يـوم أسـعد | منه الي النّقرة قد تومى اليد

ثم الي مـاوان رحـا تعمـد | والله بالنُّزول فيهـا يحمـد

وقال عروة بن الورد العبسي:

وقلت لقوم في الكنيف تروَّحوا | عشيَّة بتنا دون مـاوان رزَّح

تنالوا الغنى أو تبلغوا بنفوسكم | الي مستراح من حمام مبَّـرح

ليبلغ عذراً أو ينـال رغيبـة | ومبلغ نفس عذرها مثل منجح

وقال أيضاً:

تداركَ عوذاً بعد ما ساء ظنَّها | بما وان عرق من أسامة أزهر

هم عيَّروني أن أمّـي غريبـة | وهل في كريم ماجد ما يعيَّـر

وقد عيَّروني المال حين جمعته | وقد عيَّروني الفقر إذ أنا مقتر

وقال طفيل الغنوي:

تأوَّ بن قصراً من أريك ووائل | وماوان من كلِّ تنوب ونحلب

ومن بطن ذي عاج رعال كأنها … جراد تباري وجهة الرِّيح مطنب

وقال حاجب بن حبيب الأسدي:

هل أبلغنها بمثل الفحل ناجية … عنس عذافرة بالرَّحل مذعان

كأنها واضح الأقراب حلأها … من ماء ماوان رام بعد إمكان

ويقع جبل ماوان وماءه بمنطقة القصيم.

٧٦- مُرَامِرةُ: جبل أسود فيه ماء رس يسمى الحفير، وهو جبل لأشجع، وقال أبو دؤاد:

فالى الدُّور فالمروراة منهم … فحفير فناعم الدِّيار

فقد أحسَّت ديارهم بطن فلج … ومصير لصيفهم تعشار

وقال الشماخ بن ضرار الذبياني:

عفت دفرة من أهلهات فحفيرها … فخرج المروراة الدَّواني فذورها

على أن للميلاء أطلال دمنة … بأسقف تسديها الصَّبا وتثيرها

وقال أيضاً:

فإن حلَّت الميلاء عسفان أو دنت … لحرَّة ليلى أو لبدر مصيرها

ليبك على الميلاء من كان باكيا … إذا خرجت من رحاحان خدورها

وماذا على الميلاء لو بذلت لنا … من الودّ ما يخفى وما لا يضيرها

وقال زهير بن أبي سلمى المزني:

تربَّص فإن تقو المروراة منهم … وداراتهم لم تقو منهم إذاً نخل

فإن تقويا منهم فإن محجَّراً … وجزع الحسا منهم إذاً قلما يخلو

ويقع مروراة على طريق الحج قال حميد بن ثور الهلالي:

ألا طرقت صحبي عميرة إنَّها … لنا بالمروراة المطلِّ طروق

بمثوى حرام والمطيُّ كأنَّه … قنا مسندا هبَّت عليه خريق

بداوية قفر ترود نعاجها … أجارع لم يسمع لهنَّ نغيق

أتمت ثلاثا بالمحصَّب من منى … وكلٌّ الي ماء الحساء يتوق

فلما قضيت النُّسك من كل مشعر … خرجن عجالي وقعهن رشيق

ويقع جبل مرامرة أو مرورات في عالية نجد ويوجد مرورات أيضاً بمنطقة حائل جنوب غرب فتك "فتق" شمال مليحة الي الجنوب عن حائل جبال سود نطيء وبها رأس شامخ.

قال فيها الطرماح بن حكيم الطائي:

ولست براء من مروراة برقة … بها آل سلمى والجناب مربع

٧٧- المُضَيَّحُ: جبل أحمر عال يقع على وادي الجريب "الجرير" وهو الوادي الذي يفضي سيله قرب وادي الرمة، وبه ماء وهو لبني ربيعة بن الأضبط، وهو متحصن، قال صبيح بن هبيرة الربعي:

لو زال أعلام المضيَّح لم يزل … قلبي من وجد بزلفاء غيَّر

نؤوم الضُّحى نوَّامة اللَّيل لم تكن … للؤم إذا ما نوَّم النَّاس تسهر

وتضحى على ظهر الفراش كأنها … علاة بريَّاها من اللَّيل مجمر

وقال الطرماح بن حكيم الطائي:

وليس بادمان الثَّنيَّة موقد … ولا نابح من آل ظبية ينبح

لئن مرَّ في كرمان ليلى فربما ... حلى بين ثلّي بابل فالمضيّح

وقال الراعي النميري:

تروحن من هضب الجفول فاصبحت ... هضاب شروري دونها والمضيّح

وجبل المضيح يقع في منطقة القصيم.

٧٨- مُنى: "مُنيةُ" هضبة حمراء فيها ماء واقعة بين نفء نفي وجبل حليت، وهي لبني زبان في أرض غنى، قال لبيد بن ربيعة العامري:

عفت الدّيار محلُّها فمقامها ... بمنى تأبّد غولها فرجامها

فمدافع الريّان يجري رسمها ... خلقاكما ضمن الوحيُّ سلامها

وقال شاعر آخر:

أتبعتهم مقلة إنسانها غرق ... كالغصن في رقرقان الغصن مغمور

حق تواروا بشعب والجمال بهم ... عن هضب غول وعن جنبي منى زور

وقال خالد بن سعد المحاربي:

كأني بالامرّة بين نفي ... وبين منى على كتفي عقاب

صيود للأرانب قد أهرّت ... ثعالب بين ريّان روابي

حبوت بها بني سعد بن عوف ... على ما كان قبل من غياب

وتقع هضبة منى أو منية في منطقة القصيم.

٧٩- المُوَشَّمُ: "القَنَانُ" قديماً سلسلة جبال سود فيها هضاب حمر وهو لبني أسد لبني فقعس منهم قال نمشل بن حري التميمي:

ضمن القنان لفقعس سوءاتها ... إنّ القنان لفقعس لمعمَّ

وقال زهير بن أبي سلمى المزني:

تبصَّر خليلي هل ترى من ظعائن ... تحمّلن بالعلياء من فوق جرثم

بكرن بكوراً واستحزن بسحرة ... فهن ووادي الرسكاليد للفم

جعلن القنان عن يمين وحزنه ... وكم بالقنان من محل ومحرم

وقال الشماخ بن ضرار الذبياني:

تربّع أكتاف القنان فصارة ... فأيّل فالماوان فهو زهوم

وقال زهير بن أبي سلمى أيضاً:

لسلمى بشرقيِّ القنان منازل ... ورسم بصحراء اللُّبيِّن حائل

وقال امرؤ القيس:

ومر على القنان من نفيانه ... فأنزل منه العصم من كل منزل

وتقع جبال الموشم "القنان" في منطقة القصيم.

٨٠- المُخَامِرُ: "هَضْبُ الأشْيَق" قديماً هضب أحمر فيه مياه عذبه وهي الريان والرسيس ومخمرة وعرفجاء والحائر وجمام، ومن مياهه النبعة والريان الذي يقع في أصل جبل أحمر طويل من أحسن جبال الحمى وربما هو الذي يعنيه جرير بقوله:

خليليَّ بين المنحنى من مخمّر ... وبين الحمى من عرفجاء المقابل

قفا بين أعناق الهوى لمريّة ... جنوب تداوي كلَّ شوق مماطل

ويقع هضب الأشيق أو المخامر في منطقة القصيم.

٨١- نَضَادُ: "النَّضَادِيَّةُ" جبل في طرف النير الشمالي الشرقي وهو لغاضرة قيس، قال الشاعر:

لو كان في حضن تضاءل ركنه … أو من نضاد بكى عليه نضاد

وقال كثير عزة الخزاعي:

كأنَّ المطايا تتقّي من زبانة … مناكب ركن من نضاد ململم

وقال قيس بن زهير العبسي:

اليك ربيعة الخير بن قرط … وهوباً للطّريف وللتّلاد

كفاني ما أخاف أبو هلال … ربيعة فانتهى عنى الأعادي

تظلُّ جياده يحمزن حولي … بذات الرِّمث كالحدا الصوادى

كأنّي إن ألحن الي ابن قرط … علقن الي يلملم أو نضاد

وقال سراقة السلمي:

حلت الي غنيٍّ في نضاد … بخير محلّة وبخير حال

ويقع جبل نضاد في عالية نجد.

٨٢- النِّيرُ: جبل أسود غرب ثهلان وبه أودية ومياه، شرقية لغني بن أعصر، وغربية لغاضرة بن صعصعة بن معاوية بن أبي بكر بن هوزان، قال جحدر اللص:

ذكرت هند: وما يغني تذكُّرها … والقوم قد جاوزوا ثهلان والنّيرا

على قلائص قد أفنى عرائكها … تكليفناها عريضات الفلازورا

وقال أبو هلال الأسدي:

اساقتك الشّمائل والجنوب … ومن علو الرِّياح لها هبوب

أتتك بنفحة من شيح نجد … تضوّع والعرار به مشوب

وقال حميد بن ثور الهلالي العامري:

الي النّير واللّعباء حتى تبدّلت … مكان رواغيها السّديف المسدّما

وقال توبة بن الحمير الخفاجي:

خليليَّ روحا راشد ين فقد أتت … ضريَّة من دون الحبيب ونيرها

وقال دريد بن الصمة القشيري:

مجاورة سواد النِّير حتى … تضمَّنها عريقة فالجفار

فلما أن أتين على أروم … وجدُّ الحبل وانقطع الامار

ويقع جبل النير في عالية نجد.

٨٣- وَارِدَاتُ: هضبات مرتفعة فيها ماء على يسار طريق حج البصرة المصعد الي مكة، قال جرير:

كأنهم بأمعز واردات … نعام الصيِّف زفَّ مع الرِّئال

وكان في واردات يوم من أيام العرب، من أيام حرب البسوس بين بكر وتغلب وكان لتغلب على بكر فضلاً أنظر يوم واردات في صدر الكتاب قال مهلهل بن ربيعة التغلبي:

أليلتنا بذي حسم أنيرى … إذا أنت انقضيت فلا تحورى

فإن يك بالذّنائب طال ليلى … فقد أبكي من اللّيل القصير

فإنّي قد تركت بواردات … بجيراً في دم مثل البعير

هتكت به بيوت بني عُبادٍ   وبعض الغشم أشفى للصُّدور

وقال آخر:

تركنا حيًّا يوم أرجف جمعه   صريعا بأعلى واردات مجندلا

وقال آخر:

ومهراق الدِّماء بواردات   تبيد المخزيات ولا تبيد

وقال امرؤ القيس:

سقى واردات والقليب ولعلعا   مُلِتٌّ سماكيٌّ فهضبة أيهبا

فمرَّ على الجبتين خبت عنيزة   فذات النِّقاع فانتحى متصوِّبا

فلما تولى من أعالي طميَّة   أبسَّت به ريح الصَّبا فتحلَّبا

وبعد حرب البسوس بين بكر وتغلب بأكثر من مئتي سنة حدثت وقعة في واردات بين بني كلاب وبني نمير كانت الغلبة فيها لبني كلاب، قال ناهض بن ثومة الكلابي:

صبحناهم بأرعن مكفهرٍّ   يدف كأنَّ رايته العقاب

أجشُّ من الصَّواهل ذي دويٍّ   تلوح البيض فيه والحراب

فاشعل حين حلَّ بواردات   وثار لوقعه ثَمَّ انصباب

وتقع واردات هذه بمنطقة القصيم،وهناك هضاب تسمى واردات أيضاً تقع شمال سَمِيْرَاءَ بميل نحو الغرب يناوحها من الجنوب جبل غسل ويمروادي توز "التوزي" في شرق واردات وتقع هذه الهضاب بمنطقة حائل.

٨٤- يَنُوفُ: "الينوفي" جبل لبني قريط بن عبد الله بن بكر بن كلاب يبطن واد يقال له مهزول به ماء تسمى الينوفية.

قال أحد بني عامر:

إذ كنت من جنبي ينوف كليهما   فناد بعزٍّ إن بدا أن تناديا

وقال ابن مرخية:

يضيء لنا العناب الي ينوف   الي هضب السُّفين الي السَّواد

وقال شاعر آخر:

وجاراه جنباتا ينوف كليهما   فناد بعزٍّ إن بدا أن تناديا

ريقع جبل ينوف في عالية نجد وهناك جبل ينوف وتسمى الآن "نوف" في منطقة حائل الي الغرب عن جبل فتق وهي التي ورد فيها بيت أمرئ القيس:

كأن دثاراً حلقت بلبونة   عقاب ينوفا لا عقاب القواعل

وقال آخر:

تمنى ينوفا جاهل وينوف   حمتها قنا من طيء وسيوف

وغير ذلك من الجبال والهضاب.

١٥- البنية السكانية:

السكان في هذه البقعة يكادون أن يكونوا من أنقى بقاع الجزيرة العربية في انتمائهم الي الأصل العربي إلا من يشابههم في موقعهم المنحاز في أرجاء الجزيرة العربية كمرتفعات اليمن وجبال السراة وغيرها وذلك لبعدهم عن السواحل البحرية التي قد يفد منها جماعات أو موجات غير عربية من الأمم

مجاورة من أفارقة وفرس وغيرهم لأن هذه البقعة ليس فيها مطمع للوافد اليهـا من بيئات أخرى وبمعنى أصح فإنها لا يصبر على ظروفها القاسية غير أهلها ومن غرس الله حبها في قلوبهم رغم صعوبة ظروفها وقساوة الحياة فيهـا ولا تكـاد تصل نسبة الوافدين اليها من خارجها ٠.٢% ممن وفدوا اليها من قبالة الساحل الأفريقي تحت ظروف قاسية أو من جاءوا اليها من بر فارس على الخليج العربي لغرض معين وهاتان الفئتان ممن كانوا يعملون بمناجم الذهب والفضة والحديد والنحاس أو المزارع أو من المسلمين الذين انقطعت بهم سبل الحياة على طريق الحج البصري أو الكوفي وهم من أرومات غير عربية أو ممن تسربوا عن طريق الحرمين الشريفين من الحجاج المسلمين من قوميات غير عربية، وقد مرّت على البقعة كغيرها من الأقطار الاسلامية من الحروب وما يعقبها من السبي والـرق حتى بين قبيلة وأخرى من قبائلها، فإذا انتصرت قبيلة على أخـرى أصبحت نساؤها سبايا ورجالها أرقاء للقبيلة المنتصرة كما حدث عند بزوغ الاسلام وربما بعده بقليل لتغلغل هذا المفهوم في عقول النـاس، وقـد رأينـا كيـف فعل الأخيضريون في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري بالقبائل العربية حين اضطهدوها مما اضطر الكثير من القبائل العربية للتخلي عن قبليتها والاختفاء تحت قناع الأخيضريين طلبا للنجاة من قتلهم وقد دامت دولتهم ما يزيد على ٢٣٠ سنة كما أدى هذا الوضع الي هروب عدد من القبائل بقبليتـها خـارج الحدود للنجاة بأنفسهم والمحافظة على قبليتهم والهروب من جـذورهم كما حدث لأهل قران سنة ٣١٠هـ وكما مر بنا ما فعله القرامطة الذين جاءوا بعد

الأخيضريين في محاربة القبائل والكيانات القوية على مدى أكثر من قرنين مـن الزمن ولا نغفل ما أحدثه القرامطة في طرق الحج من نهب وسلب وقتل وتشريد في الحجاج من العراق وبلاد ما وراء النهرين ومن تشرد من هؤلاء الحجاج ومن لاذ في التجمعات السكانية طلبا للنجاة ثم عاش في تلك التجمعات السكانية وما ساد هذه المنطقة بعد فترة القرامطة من اضطراب في الأمـن وتسلط بعض الكيانات والزعامات القبلية بعضها على بعض وما حدث من حروب طاحنة بينهم تركت خلفها الكثير من الرزايا حيث تبيد مجموعة رجال مجموعة أخرى ولا يبقى منهم سوى النساء والأطفال والشيوخ الـذين ربمـا يلجـأون الي التجمعات السكانية الأخرى لمواصلة مسيرة الحياة تحت ظروف قاسية قاتلة وقد يجهلون أو يتجاهلون أروماتهم وقبائلهم ويتناسونها فيعيشون في مجتمعهم الجديد غير عابئين بما كانوا عليه من قبلية أو غيرها مركزين على واقعهم الحـالي دون نظر الي الوراء، إذ أضفنا الي ذلك ما تعانيه المنطقة بين الحين والآخر من الجدب والمجاعات المميتة التي يهلك بسببها الكثير من السكان وتتشرد النساء والصبيان باحثين عمن يقدم لهم رمق الحياة دون أي اعتبار آخر، أما الذين يسـتطيعون النزوح الي ساحل الخليج العربي والعراق فإنهم لا يتأخرون عن ذلك في ظل هذه الظروف العسيرة كما حدث عام ٨٦٨هـ ١٤٦٣م حيث جلى الكثير مـن الناس للأحساء والبصرة، وفي عام ٩٣٩هـ ١٥٣٢م جلى الكثير من النـاس للأحساء والبصرة إذا ما أضفنا الي ذلك الأوبئة الفتاكة التي تحل في المنطقة مـن طاعون وجدري وحصبة فيهلك منها خلائق كثيرة ويبقى الأطفال والنسـاء

والشيوخ ومن لا عائل لهم فيبحثون عن لقمة العيش طلباً لاستمرارية الحياة تحت أي إعتبار دون الالتفات الي أصلهم وأرومتهم كما حدث في عام ٨٦٨هـ ١٤٦٢م حيث كثر الجدري والحصبة في بادية نجد وحاضرتها وهلك فيه خلائق كثيرة لا يحصى عددهم، وكما حدث ٩٨٤هـ ١٥٧٦م فقد وقع وباء عظيم في نجد هلكت فيه خلائق كثيرة، وكل هذه العوامل التي مرَّ ذكرها تجعلنا نصل الي قناعة تامة بعدة أمور منها: أن هذه البقعة لا يستطيع العيش فيها سوى أهلها الذين سرى حبها في دمائهم وامتلأت به عروقهم واستوطن في خلايا أفئدتهم وزينها هذا الحب في نفوسهم وتغلغل في سويداء قلب كل فرد منهم فعضوا عليه بالنواجذ، أو من أجبرتهم ظروف أشد وأقسى من ظروفها في وضع لا يملكون معه حرية الحركة والتنقل وهؤلاء حكمهم ليس في يدهم، ومنها أن سكانها جميعا من العرب الأقحاح سواء من كانوا عرباً أي سكان الحضر أو اعراباً وهم البدو الرحل عدا تلك النسبة الضئيلة السكانية المشار إليها فاننا نجدهم من:

أ- الحضر وفئاتهم:

الحضر هم العرب حسب الاصطلاح المتعارف عليه وهم سكان المدن والبلدات والقرى وهم من أبناء القبائل الذين فضلوا حياة التحضر على حياة التنقل والترحال طوع أنفسهم أو الذين اضطرتهم ظروف معينة على الاستقرار كظروف الفقر والعوز حيث لم تكن لديهم الابل التي يرحلون عليها أو أجبرهم ضعف العصبية القبلية أو قلة العصبية التي يعتمدون عليهما في حماية النفس

والممتلكات والذود عن الكيان حين يترلون في البراري أو فقدان هذه العصبية نهائيا كمن قتل رجال عصبته في وقعة أو حادثة ولم يبق غير الشيوخ والنساء والأطفال الذين لا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم وحماية ممتلكاتهم في تلك البيئة المضطربة فاضطرتهم الظروف الي التروح من البادية الي أقرب تجمع سكاني في ديارهم ليأمنوا بكنفه من الهلاك بدافع حب البقاء لأن مفهوم الدفاع عن النفس في المجتمع الحضري تختلف عنها في المجتمع القبلي كما سيأتي ذلك في باب الكيان الحضري والكيان القبلي، فالدفاع عن سكان المجتمع الحضري يعتمد على التعاون والتظافر والتكاتف للدفاع عن النفس في الكيان الحضري بصرف النظر عن الانتماء القبلي أو اللون أو الجنس في هذا الاطار تتكون القرى في أرض القبيلة من أفراد القبيلة نفسها لا يخالطهم فيها أحد إلا من جاءهم وسكن الي جوارهم بحكم الجوار بعد موافقتهم أو من نزح اليهم من أفراد قبيلة مجاورة وطلب النجدة منهم ففزعوا له وانقذوه مما هو فيه وسمحوا له بالسكن في القرى التابعة لهذه القبيلة وتحضر مع حضرها ثم تتطور هذه القرية فتصبح بلدة و تستوعب أكبر عدد من السكان وربما تحتوي على أكثر من سكان المدن من التجار وأصحاب الحرف طلباً للرزق في ميدان التجارة وممارسة الخدمات ثم تتسع البلدة شيئاً وتنمو وتكبر حتى تصل الي مستوى مدينة والتي تكون تركيبة السكان فيها أكثر اتساعاً حين يسكنها البدوي القادم من البادية والقروي القادم من القرية أو البلدة والحضري القادم من المدينة من المدن المجاورة كما يأوى اليها من يريد دفن رأسه بين الرؤوس لأي ظرف من الظروف كأن يكون منتهكا

تحت ظروف مالية قاسية بدين للغير أو يكون تحت طائلة فقر مدقع يجبره أن يتوارى عن ارثه القبلي ويقبع في هذا المجتمع الجديد لا يظهر فيه إلا أنه انسان وحسب بعد أن دفن ماضيه تحت الثرى الذي يحصل فوقه على لقمة العيش له ولأولاده، كما يتوارى في المدينة من له غريم يطارده ويترصده، فلو سكن في القرية أو البلدة لعرف وافتضح أمره لكنه في المدينة أكثر اختفاء وأمناً سيما إذا غير إسمه وشيئاً من سيماه كما يسرع للمدينة من يطارد الرزق قادماً من مناطق مختلفة، وغير ذلك من المسببات التي تجعل الناس يسكنون المدينة، ولهذا فكان سكان المدينة أكثر ارتباطاً بالمدينة منهم بالقبيلة والعصبية القبلية الذي يقل مفعولها وتأثيرها شيئاً فشيئاً حتى لا يكاد يذكر إن لم ينس نهائياً يختلف بعض الشيء عن سكان البلدة الذين يكون انتماؤهم مرتبطاً بالقبيلة مع التسامح في بعض الاعتبارات حسب نمو ونضوج درجة الوعي عندهم أما سكان القرى فإنهم أكثر ارتباطا بالقبيلة لعدة أمور منها حداثة عهدهم بالقبيلة والبداوة التي لم يمض بينهم وبينها سوى أجيال معدودة وثانيها قلة عددهم حيث لا يختلط بهم إلا القليل الذي يعرفون أصله وفصله أو الذي يجهلونه لسبب من الأسباب فيعتبرونه مجهولا وقد يكون ممن يمرون بظروف حياتية قاسية ولا يريد أن يبوح لهم بسره ويكشف عن هويته كما مرّ بنا سابقاً، وثالثهما احتكاكهم المباشر بالبادية وكثرة التذاكر بالقبيلة ومفاهيمها وعاداتها وتقاليدها وربما كان لنشأة هذه القرى سبب آخر يتعلق بالمدن نفسها بحيث يخرج منها مجموعة أو مجموعات ويكونون لهم قرى يستنبطون منها آبار الماء ويبدأون بزراعة الأرض

وغرس النخل وغيره ولا يلبثون أن ينتقل اليهم أعداد أخرى من سكان المدينة الذين ضاقوا من سكن المدينة أو ضاقت بهم من مختلف فئات السكان القريبين من المفاهيم القبلية أو البعيدين عنها والمتنصلين من القبيلة بالأمس بسبب الفقر أو الثأر وغيره من الظروف الطارئة، وبهذا يكون سكان هذه القرى الجديدة التي تصبح فيما بعد بلدان ومدنا يتكونون من فئتين من فئة لا تزال تتمسك بمفاهيم القبيلة وفئة لا تعير اهتماماً لهذه المفاهيم إما لأنها غير ذات أهمية عندها، أو لأنها بعيدة العهد بالارتباط القبلي حين عاشت بالمدينة فترة من الزمن واندثرت هذه الاعتبارات عندها أو لأنها قصدت إخفاء انتمائها للظروف القاسية المشار اليها آنفاً أو أن يكونوا من أفراد القبائل التي أخفت قبليتها تحت ضغط سلاح الأخيضرين حينما كانت هذه المنطقة خاضعة لهم في القرن الثالث والرابع وصدر القرن والخامس الهجري كما مرّ بنا في فصل سابق والذين ربما نبعت منهم تسمية الخضيريين نسبة الي الأخيضريين، وبذلك يكون بهذه القرى والبلدان والمدن فئتين من السكان من حيث التصاهر فقط كل فئة تتصاهر مع الفئة المماثلة لها، وإذا تصاهرت فئة ممن يتمسكون بالقبلية مع الفئة الأخرى التي لا تتمسك بالقبلية سقط حق الأولى في المصاهرة مع الفئة التي تتمسك بالقبلية، كما أن هناك اعتبارات أخرى عند الفئة المتمسكة بالقبلية قد يكون مبعثها الجهل أو النظرة القصيرة أو أي اعتبار آخر ربما يكون من رواسب العهد الجاهلي وهي احتقار بعض المهن وربما اكثرها واعتبار من عمل بهذه المهنة خارج عن فئتهم وعن أعراف القبيلة حتى ولو كان منهم، فامتهان هذه المهنة

هي الحد الوهمي الرفيع الفاصل بين مصاهرته لهم ومصاهرتهم له فمتى امتهن أي واحد أو مجموعة منهم إحدى هذه المهن فقد أصبح صانعا أخفى أصله وأصبح لا تجوز مصاهرته أخذاً وعطاء كأن يكون صائغاً أو نجاراً أو حداداً.. إلخ فإنه بعمله هذا لا محالة سيكون من الفئة الثانية في اعتبارهم المبني على الأعراق القبلية ويمكن أن يصبح من هذه الفئة أي إنسان حتى ولو لم يمارس أي مهنة من المهن وذلك لمجرد مصاهرته لأصحاب هذه المهن، وإنني أعرف أشخاصاً جرى عليهم ما ذكرت وعلى هذا فالمجتمع الحضري يتكون من ثلاث فئات من حيث التصاهر فئة تتمسك بالقبلية وتتعصب لها وهم أكثرية في سكان القرى والبلدات وتتناقص نسبتهم في سكان المدن ويتصاهرون مع بعضهم البعض وفئة لا تتمسك بالقبلية ولا يتعصبون لها وهم من أبناء القبائل العربيةالذين سكنوا المدن لقرون متعددة وساروا في طريق الحضارة من صناعة وزراعة ومهن مختلفة ويكثر عددهم في المدن والبلدات ويقل في القرى وهم يتصاهرون مع بعضهم البعض وهناك فئة ثالثة وهي ضئيلة نسبيا وهي الفئة التي قدم أفرادها من القارة الافريقية تحت ظروف قاسية بغيضة اختزلتهم من قبائلهم وأرومـاتهم هناك وجاءت بهم الي هنا وعاشوا تحت قساوة هذه الظروف ردحا من الزمن وهم ذوي البشرة السوداء ثم تنفسوا الصعداء بعد زوال تلك الظروف وهم يتصاهرون مع بعضهم البعض وهذا التمايز بين هذه الفئات في عملية التصاهر فقط وما عداه فلا تكاد تلمح ما يميز هؤلاء السكان بعضهم عن بعض وهو ما ينص عليه دين الاسلام الحنيف إلا في اعتبارات محدودة قد يلجأ اليها بعض

ضعاف النفوس من باب التفاخر والتعالي الذي يكون غالباً مرده الجهل وحب السيطرة، وفيما يتعلق بالتصاهر فإن للفقر والغنى دور في ذلك كما أن للمجاعات والمساغب التي مرت بالمنطقة دور هام حيث تنتفي هذه الفروق الوهمية ويحدث التصاهر من مختلف الفئات تحت ضغط الحاجة والجوع أو الرغبة والاصطفاء للزوجات من فئة الي فئة وقد ينشأ عن ذلك تغيير في المكانة والاعتبار في وجوه السكان.

ب- البدو وأقسامهم:

البدو هم الأعراب الرحل الذين يجوبون البراري والقفار على ظهور الإبل وصهوات الخيل وظهور الحمير متنقلين بأنعامهم يتتبعون مساقط الغيث ومنابت الكلأ في فصلي الشتاء والربيع متجمعين قرب مناهل الماء وقرب القرى في فصلي الصيف والخريف لا يستقر لهم قرار في مكان معين إلا انتقلوا منه إلي مكان آخر تبعاً لمصالحهم وقوام هذه الفئة من المجتمع القبيلة ثم العمارة فالبطن فالفخذ فالعشيرة فالفصيلة ولكل قبيلة من هذه القبائل الكبيرة جزء من الأرض ترى ملكيتها وهناك شبه حدود بين القبيلة والأخرى متعارف عليها بين هذه القبائل يكون في داخلها القرى التي أنشأها أفراد القبيلة وفروعها والتي سبقت الاشارة اليها آنفاً عند الحديث عن تكوين القرى وتتحرك هذه القبيلة ببطونها وأفخاذها وعشائرها في نطاق هذه الأرض المشار الي حدودها وذلك في حالة تساوي الأرض بالخصب أو وجود ما يغنيهم عن لانتقال الي أراضي الغير حتى ولو لم تكن مساوية لها، وإذا أخصب جزء من أرض هذه القبيلة وأجدب بعضها فإن الفروع التي في الأرض المجدبة تنتقل الي ذلك الجزء المخصب من أرض هذه القبيلة ويتراكمون في هذا الجزء المخصب وأحيانا يحصل احتكاك بين هذه الفروع على الكلأ حتى وهم من قبيلة واحدة كما قد لا تخلوا موارد المياه في فصلي الصيف والخريف من الاحتكاك لنفس الغرض، أما إذا أجدبت أرض هذه القبيلة أو تلك فانهم ينتقلون الي أرض مخصبة لقبيلة أخرى فإن كانت هذه القبيلة كبيرة وقوية فإن هذه القبيلة الوافدة لابد أن تستأذن من القبيلة صاحبة

الألف سنة الغامضة من تاريخ نجد

الأرض المخصبة حيث يتفق على ترتيبات المرعى والماء وإن كانت القبيلة التي أجدبت أرضها ضعيفة فإن القبيلة القادمة ربما ترعى في أرضها وتشرب من مائها دون استئذان والحق للأقوى كما هي سنة الحياة وغالبا ما يحصل الاحتكاك بين هذه القبائل من أجل المرعى والماء كما اسلفنا وقد يصل الأمر الي الحرب بين قبيلة وأخرى من أجل هذا الغرض وربما لجأت القبيلة المستضعفة الي الاستعانة بقبيلة أو قبائل أخرى لتساعدها على حماية أراضيها ومياهها وقراها من القبيلة القادمة، وربما فقدت القبيلة الضعيفة أرضها تحت جحافل هذه القبيلة القوية ولهذا فإن تكوين الكيان القبلي القوي ضرورة حتمية حتى تبقى هذه القبيلة قوية مرهوبة الجانب وكما أوضحت الكيان القبلي الذي يتكون أساساً من القبيلة التي قد تكون نواتها أبناء رجل واحد أو عدة رجال يجمعهم حلف واحد ويظهرون أقوياء ثم يلتئم حول هذه النواة فروع قبائل أخرى تحت إطار هذا الحلف وشيئاً فشيئاً حتى تنمو وتكبر وتقوى ثم تقوى حتى تصبح قبيلة مهيبة الجانب تتمتع بقوة ونفوذ قويين، وإما أن تكون نواتها مجموعة لأشتات قبائل من حلف سابق كان لقبائلها صولة وجولة على الساحة في يوم من الأيام حتى إذا هرمت هذه القبائل وضعفت بسبب تفكك كيانها أو بسبب الحروب الطاحنة التي تجري بين تلك القبائل ولم يبق منها غير تلك الشراذم الضعيفة اضطرتها ظروف الحياة الصعبة والصراع المرير من أجل البقاء أن تنضوي هذه الأشتات تحت حلف واحد ومسمى جديد وبهذا التجمع يكون لهذه القبيلة قوة ناشئة لا تلبث أن تنظم اليها فروع وأشتات أخرى من قبائل صغيرة أو ضعيفة أو

مستضعفة وتكبر شيئاً فشيئاً حتى تقوى وتحتل مكانها بين القبائل القوية الأخرى ولتكوين القبائل من هذا النوع حكايات يتناقلها الخلف عن السلف لا تخلو من الطرافة فإن كانت صحيحة كما تروى فإنها تدل على العلاقة الواهية بين أشتات تلك القبائل التي لا يجمع بينها سوى الحلف ومن ذلك ما يقال عن إحدى القبائل أنه عند تكوينها الأول قد اجتمع أناس ممن قبائل شتى وقال قائلهم: من لمس منكم قرن هذا الوعل من زعماء هذه المجموعات والعشائر وأفرادها قد أصبح من أفراد هذه القبيلة وتسمى باسمها وهذا بمنزلة الحلف ويشبه في مضمونة الأحلاف القديمة التي تعقد عند خوض الحروب مثل حلف المطيبين الذين كانت الرابطة بينهم من غمس يده في ذلك الاناء المملوءة من الطيب فإنه يصبح منهم له ما لهم وعليه ما عليهم وعن قبيلة أخرى يقال: إنه ما إن اجتمعت تلك الأشتات وبقايا تلك القبائل قال قائلهم: إنه من سكن هذا الموضع السهل فإنه يصبح من هذه القبيلة وعن قبيلة ثالثة يقال إنه قد تجمع أعداد كبيرة من قبائل شتى وبقايا قبائل وقال قائلهم: إنه من وضع حجراً فوق هذا الرجم من الحجارة فقد أصبح من هذه القبيلة أيا كان اساسه فلما ارتفع الرجم سميت القبيلة بهذا الارتفاع وهكذا دواليك من أمثال هذه الروايات، فإذا صحت هذه الرويات المتناقلة التي يتنقلها الأبناء عن الآباء والتي يعلل بها أسماء هذه القبائل فإن تكوينها في الأساس مبعثه الحاجة الي التعاون والتكاتف من أجل حماية النفس بصرف النظر عن أصل هذه الفئة أو تلك حتى إذا تكونت قبيلة كبيرة من هذا الخليط من بقايا القبائل والفئات الأخرى تناسى أفراد هذه

القبائل هذه البداية وصار هناك شيء آخر وادعى أفراد هذه القبيلة ما لم يكن لهم في الأصل، وأدعوا من الأعمال ما قد يصل الي مرتبة الخوارق خاصة إذا ظهر من بينهم رجال لهم مكانتهم أو أبطال شجعان في المعارك الدائرة بين بعضهم والبعض الآخر فهناك قبائل تبقى على تِرِّهَا حتى ولو كانت ضعيفة لا تريد أن تنضوي تحت كنف قبائل أخرى، أو أن هذه القبائل الكبيرة لا ترضى أن تدخلها معها لسبب أو آخر وتبقى مثل هذه القبائل مستضعفة حتى ولو كانت جمرة من جمرات العرب بقيت على سلامة أصلها من عشرات القرون وبقيت في مساكنها ومواطنها الأصلية منذ القدم حتى الآن، لكنها في نظر هذه القبائل القوية بالحلف قبائل ضعيفة وربما يصل الأمر الي درجة احتقار مثل هذه القبائل، وقد يتعدى الأمر أكثر من ذلك حين يلصقون بهذه القبائل المستضعفة ما يحط من شأنها من الألقاب أو ينعتونها بنعوت مهينة وقد لا يتصاهرون معها، وهناك فئة رابعة وهي ضئيلة العدد نسبيا تلازم هذه القبائل الكبيرة وتلتصق بها مع أن القبائل الكبيرة ينظرون اليهم نظرة مهينة ولا يتصاهرون مع أفرادها إطلاقا وهذه الفئة يرجح بعض الباحثين أنها بقية قبيلة محارب القبيلة القيسية العدنانية التي كانت تعيش على النمط الذي تعيش عليه هذه الفئة منذ ما قبل بزوغ الاسلام واستمر من يعتقد أنهم أحفادهم على نفس المسار الذي سارت عليه تلك القبيلة المشار اليها وبقي أجزاء هذه الفئة وخاصة في شمال وشرق ووسط المنطقة موضع البحث تحت كنف القبائل القوية في أماكن مختلفة وغير ذلك من الاعتبارات التي تكتنف هذه الفئةالتي يتطلب أمرها الي باحث قدير

يدقق البحث والاستقصاء عنها للعمل على الرفع من شأنها حتى تكون بمصاف مثيلاتها أو ينتشلها على الأقل من بؤرة هذه النظرة الخاطئة.

هذا موجز التركيبة السكانية القبلية والتي يتكون منها المجتمع القبلي وهو مجتمع يقوم على أن البقاء للأقوى والمكانة للأقوى ولهذا تكثر فيه النزاعات والمشاحنات التي تؤدي الي الحروب على أشياء لا تستحق ما يسفك في سبيلها من الدماء مثل النزاع على المراعي وموارد المياه يكون مبعثها في الغالب مساحة المرعى أو درجة الاستفادة من المرعى أو العناد على أمور تافهة قد تكون شرارتها تقدح من كلمة من طائش أو بيت شعر يقوله أو يرويه مستهتر، وقد تكون الشرارة من أيهم يشرب ويسقي مواشيه من الماء أولاً وغير ذلك من الأمور التي لا تدعو لنشوب النزاع واستعار الحرب، والدافع وراء ذلك حدة الطبع العربي وحب الذات ونوازع اثبات الوجود وضعف الوازع الديني فتقبس من شرارة صغيرة حتى تشمل القبيلة كلها بشرها ويتفانى الرجال وربما ضعفت القبيلة بسبب هذه الحادثة أو تلك وربما بقيت شراذم ضعيفة منها تبحث عن قبيلة قوية تنضوي تحت لوائها أو بقايا قبيلة أخرى تتحالف معها أو تبقى على هامش الحياة، أما جانب الاجتماعي فإن القبائل القوية بمختلف تكوينها المبدئي تتصاهر مع بعضها البعض والقبائل المستضعفة أو الضعيفة تتصاهر هي الأخرى مع بعضها البعض والفئة الرابعة تتصاهر مع بعضها البعض ويسري على المجتمع القبلي ما يسري على المجتمع الحضري من ناحية التصاهر وهو ما يتحكم فيه الفقر والغنى وما ينتج عن المجاعات والكوارث وما تخلفه الحروب من المآسي

وعندها تنتفي تلك الفواصل الوهمية وتتزوج المرأة من يؤمن لها لقمة العيش ويصونها عن الضياع أو التهلكةفضلاً أنظر كتابنا الحروب والمجاعات والأمراض وأثرها على التركيبة السكانية في نجد.

١٦-الكيان القبلي والكيان الحضري

ينقسم المجتمع في هذه المنطقة المعنية بالبحث الي قسمين رئيسين كما مر بنا أحدهما يختص بالفئة المستوطنة والثاني يخص الفئة المتنقلة ولننظر لكل واحد منهما على حدة.

أ) الكيان القبلي:

الكيان القبلي وعماده القبيلة، سواء أكانت هذه القبيلة الأم تتكون بنيتها من عصبة واحدة، أي أبناء رجل واحد، تكاثروا وصار لهم شوكة وزعامة، أو تكون هذه الزعامة لفرع من فروع هذه القبيلة التي ظهر من بين أفرادها زعيم قوي احتل مكانته بين قومه، إما لموقف بطولي وقفه أمام أعدائه، أو يكون هذا الزعيم صاحب رأي ثاقب، وقد يكون صاحب حظ يتيمنون به ويتباركون بقيادته والمسير خلف لوائه، وأحياناً يكون للثراء دوره في إسناد الزعامة متى كان الرجل يتمتع بإحدى الخصال السابقة، ولديه ثروة يستطيع بها أن يكون واجهة بارزة لقومه، يفتح صدره وبيته للغادي والرائح من والي هذه القبيلة سواء أكان هذا القادم ضيفاً أو مسترفداً أو لا جئاً، فتأخذ سمعة هذا الزعيم في الانتشار على ألسنة الركبان، يتحدثون عن كرمه ومجلسه ومن حوله من الرجال الأشداء من أفراد قبيلته وقد تبلغ الدعاية له ذروتها فتصل الي حد المبالغة فترى

منه "حسناً ما ليس بالحسن" وتتقلب سيئاته الي حسنات في أعين هؤلاء المروجين له، وقد يعقب ذلك منه محاولة لإثبات وجوده بالقيام في غزو لقبيلة أضعف منه شأناً سواء أكان هذا العمل بدافع ذاتي منه أو مدفوعاً من رجاله فيلتهم هذه القبيلة أو الفرع من القبيلة الضعيفة، فيكون لذلك الحدث دوياً هائلاً في القبائل القاطنة حوله، ثم يبدأ بفروع أو قبائل ضعيفة من حوله وذلك انطلاقاً من مبدأ عمرو بن معد يكرب الذي يقول: "اضرب الضعيف ضربة يطير من هولها جنان القوي" من هذا المنطق يبدأ انتشار أخبار هذا الزعيم، الي أن يصل الي درجة تؤهله من الاحتكاك بجيرانه الأقوياء، ويتفانى هو ورجاله لإثبات وجوده ويستميت رجاله لإثبات دورهم وترسيخ كيان قبيلتهم بقيادة وزعيمهم، فينطلق الشعراء والمهرجون للإشادة بمواقف أبطال هذه القبيلة بما قد يتجاوز المعقول، مما يغرس في عقول الآخرين حب الإنتماء لهذه القبيلة والاعتزاز بها، ويجعل القبائل الأخرى تنظر اليها بعين الإكبار والإجلال، وخاصة تلك القبائل البعيدة عنها وليس لهم احتكاك معها، وذلك بتأثير ما تناقله أفواه الركبان من أخبارها وأشعار شعرائها وبما يصوره بعض الرواة من جانب الدعاية والتشويق والمبالغة بما حدث، مما يجعل القبائل الضعيفة أو فروع القبائل المستضعفة تطلب اللجوء الي كنف تلك القبيلة القوية وحمايتها، ومن هذه الفروع والقبائل الضعيفة التي تنضم الي القبيلة القوية لتضيف لبنات جديدة الي بنيتها وتصطبغ بصبغتها وتكون معها.

وحيث أن حب البقاء للإنسان نفسه أولاً ثم لممتلكاته ثانياً، فإن الكيان القبلي بأمس الحاجة لهذين العنصرين الحيويين، فإن حماية الذات هو المطلب الأول الذي يعتبر عمود الكيان القبلي، ثم يأتي بعده حماية الممتلكات ولما كان هذا الكيان لايملك أسواراً أو قلاعاً يمكن أن تقف بوجه الأعداء وتساعد في الدفاع عن النفس والمال، فإن فرسان القبيلة ورجالها بمكان السياج والسور الذي يصد الأعداء عن هذا الكيان، وبالطبع زعيم القبيلة على رأس هؤلاء المدافعين، يقودهم في ميدان المعركة ويوجههم لمقارعة الغزاة، ويرسم لهم الخطط الكفيلة بالانتصار على الأعداء، سواء أكانت هذه الخطط نابعة من ذاته وبنات أفكاره، أو بمساعدة معاونية من رجاله، ممن لهم تجارب ميدانية ويتمتعون بالحنكة والعقل والدهاء، ومتى نجح في دحر المغيرين وتتبعهم في طريقهم ومحقهم عن آخرهم؛ ومن منطلق إثبات الوجود قد ينطلق هو ورجاله لمجازات هذه القبيلة التي غزت قبيلته إما بالاستيلاء على ممتلكاتهم من الأنعام والمتاع، أو بالإغارة على حيهم لنهب بيوتهم وأمتعتهم، وذلك عقاباً لهم وردعاً لأمثالهم، ومتى قويت شوكة هذا الزعيم، انضمت الي قبيلته القبائل الضعيفة التي تخاف سطوته ، أو تلك الفروع المتبقية من قبائل أخرى كان لها صولة وجولة في يوم من الأيام ثم تضعضعت مكانتها فبقى منها بعض العشائر أو المجموعات التي لا تستطيع حماية نفسها، هذه الفئات لا يبقى أمامها سوى أن تنضوي تحت كنف هذه القبيلة الجديدة التي أثبتت وجودها بقيادة هذا الزعيم القوي؛ إذ رب قوم أو قبيلة رفع مكانتها وسمعتها رجل واحد، وقد يأتي فرد أو أفراد أو فرع

وفروع من قبيلة أو قبيلة بكاملها من مواطن بعيدة وتدخل تحت مظلة هذه القبيلة القوية وتسمى بإسمها وقد لا تدخل قبيلة أو فرع من هذه الفروع الوافدة الي القبيلة القوية إلا بموافقة زعيمها وأحياناً تدخل في هذا القبيلة تدريجياً دون موافقة زعيمها وذلك حين تسكن بحكم الجوار أولاً ثم بالمصاهرة والنسب ومع مرور الوقت تدخل في حسابها، وقد يحلو لبعض الحضر أن يتجه لحياة أهل النجعة، ولتنفيذ هذه الرغبة فما عليه إلا أن يرحل متجهاً الي هذه القبيلة ويدخل تحت حمايتها، فليس هناك ما يمنع من انتقال من يرغب الحياة القبلية من أهل الحضر إلا أن ينتقل اليها، ولا من يرغب في حياة الحضر من القبيلة إلا أن ينتقل اليها دون أية قيود أو حواجز، ومتى اجتمعت هذه العناصر الوافدة الي القبيلة الأم ودخلت معها بحلف حماية أو جوار مع "دفع الشاة" أو يكون بحلف دم ولزم أصبحت منها وتسمت باسمها وصاهرتها وعدت من هذه القبيلة بالتدرج كما تقدم، وبذلك تنطمس هوية هذه العناصر الأولى، وأصبحت تعرف مع الأيام من صميم هذه القبيلة، ولهذا السبب فلا غرابة أن تسمع من أفراد أو أفخاذ قبيلة كبيرة عند اشتداد الأمر واحتدام النزاع أن ذلك الفخذ أو العشيرة أو الأفراد ليسوا من هذه القبيلة، مع أنهم في الإطار العام يعودون لهذه القبيلة التي ينتمي اليها هؤلاء وترد في هذه الحالة حكايات وأقوال قد تخرج هؤلاء من كيان هذه القبيلة وربما تجاوز ذلك الي جهل أصلهم.

ولهذا فالكيان القبلي يتكون من قبيلة واحدة أو من عدد من أفخاذ وعشائر وفروع من قبائل عربية مختلفة بعضهايعود الي الجذم القحطاني والبعض

الآخر ينتمي الي الجذم العدناني يلتف الجميع حول هذه الزعامة التي تنتمي الي أحد هذين الجذمين، من هذا يتضح أن الكيان القبلي يتكون من عدد من البطون والأفخاذ والفروع من قبائل مختلفة قحطانية وعدنانية يجمع بينهم اسم معين قوامه رباط الدفاع عن النفس والممتلكات في كيانهم المتنقل، وتأمين الكلأ والماء لأنعامهم، أو النزوح عن خطر محقق سيحل بهم الي مكان آمن كالجبال والأنفاد، وقد يبلغ حب السيطرة الي فرض نفوذهم على قبائل وحوس أراضيها لرعي كلئها وورود مناهلها وربما أخذوا عليهم الشاة بحيث يؤخذ على أهل كل بيت شاة كل سنة لرئيس القبيلة، خاصة إذا كانت هذه القبائل أضعف شوكة منها، ويتميز الكيان القبلي بالعصبية القبلية التي تكون بمكانة حزام الأمان الذي يشد أفراد هذه القبيلة ويحفظهم من التشتت والتهلهل ويجعل الفرد منهم يتفانى ويستميت للدفاع عن أي فرد من قبيلته مهما كان بعيداً عنه ومهما كانت مكانته الاجتماعية، المهم أن يكون منتمياً الي هذه القبيلة، ويمتاز معظم أفراد الكيان القبلي بالفطنة والحذر الشديد غير أن الغالبية منهم لا يهتمون بالجانب التعليمي ويصرفون جل اهتمامهم للجانب الدفاعي، ويتميزون بالطاعة التامة لزعيمهم في أكثر الأحيان، لا يعارضون له رأياً ولا يرفضون له طلباً، يحترمونه بما يوازي بعض الأحيان احترام الوالدين، وربما كانت طاعتهم له أكثر، كما أنهم يأنفون من بعض المهن ربما لجهل باتقانها ويمارسون بعضها خاصة من تحضر منهم وعرفوا أن هذه المهن لا تقوم الحياة بدونها وهي ضرورية كالهواء والماء وكذا المجتمع البدوي "ولا ريب أن استقرار القبائل في المدن والبلدات والقرى

قد أضعف من غلواء العصبية القبلية نظراً لاندماجهم في المجتمع واسهامهم في الحياة الاقتصادية والأعمال المهنية وتكوين علاقات مع أفراد آخرين ليسوا من عشائرهم، ومن ناحية أخرى فإن الدين الإسلامي الذي يدعو الي الأخوة والمساواة بين جميع السلمين قد أدى الي إضعاف العصبية القبلية حين عرفوا تعاليمه ووعوها" وأفراد القبيلة يؤدون الصلاة في العراء في الغالب أو في بيت من الشعر عند الضرورة في وقت المطر والبرد والهاجرة، وتبقى الزعامة في القبيلة متوارثة إلا إذا تخاذل الخلف عن أعمال السلف، انتقلت الي أحد أفراد هذا البيت ممن يرون فيه الكفاءة والمقدرة على قيادتهم، فإن لم يكن انتقلت الي بيت آخر ممن يرون فيه المؤهلات الضرورية، وقد تنشب صراعات على الزعامة: فينتزعها القوي من الضعيف ويبارك البقية له هذا الفوز.

(ب) الكيان الحضري:

يتصف الكيان الحضري بالتوطن والاستقرار، وعماد الحاضرة سواء أكانت مدينة أو بلدة،أو قرية ومهمته عمارة الأض بالمباني والصناعة وأحيانها بالزراعة، ويتكون سكان الكيان الحضري ممن أحب حياة الاستقرار، وفضل إمتهان المهن الحضرية من زراعة وصناعة وتجارة وأعمال أخرى من أفراد أو جماعات من القبيلة أو القبائل العربية المحيطة بهذه النقطة الحضارية كأن تكون بأرض قبيلة طيء أو أسد أو غطفان أو تميم أو بني كلاب أو كلب أو بني حنيفة أو قشير أو بني عامر..إلخ وربما جاء الي هذه المدينة أو البلدة أو القرية أفراد أو جماعات أو فروع من قبائل عربية أخرى بعيدة المواطن من هذه النقطة الحضارية

كأن تكون هذه الفئات جاءت من الجنوب الي الشمال أو من الشرق الي الغرب أو العكس وذلك لظروف معينة حكمت عليها، وقد ينتقل أفراد أو جماعات أو أفخاذ وفروع من سكان مدينة أو بلدة عربية مجاورة أو بعيدة ليحلوا في هذا المكان الجديد لظروف اضطرتهم لهذا الانتقال، أو يكون انتقالهم طلباً للأفضل، والكيان الحضري قوامه المدينة أو البلدة أو القرية كما أسلفنا وسكانه العرب كما جاء في معجم "لسان العرب" لابن منظور إذ ورد في مادة "عرب" "فمن نزل البادية أو جاور البادين وظعن ظعنهم فهم أعراب مفردهم أعرابي وجمعهم أعاريب، ومن نزل بلاد الريف واستوطن المدن والقرى العربية وغيرها ممن ينتمي الي العرب فهم عرب، وإن لم يكونوا فصحاء مفردهم عربي، وجمعهم عرب والأعرابي إذا قيل له يا عربي فرح بذلك وهش له، والعربي إذا قيل له يا أعرابي غضب".

ويعتمد الكيان الحضري على عدد من المهن والحرف كالزراعة بمختلف مناهجها، والصناعة بمختلف أنواعها، والتجارة بمختلف أصنافها، والحرف البلدية بمختلف فنونها، والخدمات العامة بمختلف طرقها، والعمالة بمختلف تخصصاتها، وهو كيان فاعل ومؤثر يعج بالحركة والنشاط طول يومه، منذ الثلث الأخير من الليل كما مر بنا وحتى تغيب الشمس، وربما امتد نشاطه لما بعد هذا الوقت، هذا المجتمع العامل الدءوب، تسوده روح الجماعة، ورابطته الدينية أقوى من غيره يؤدي أفراده الصلاة جماعة في مساجد تنتشر في جميع أنحاء المدينة أو البلدة أو القرية، يؤمها المصلون خلفاً بعد سلف، يقوم الدفاع عن هذا الكيان لا

على أساس الزعامة القبلية كما مر بنا، وإنما على أساس الروح الجماعية المعقودة بناصية الأمير، المختار من أهل القرية أو البلدة، أو المدينة على أساس مركـزه الاجتماعي أو ثرائه المادي يتصرف هذا الأمير بالتشاور مع أحد أو مجموعة من وجهاء المدينة أو البلدة كما يستعينون بالوسائل المتاحة لهم من إقامة الأسوار والقلاع حول المدينة أو البلدة أو القرية، للمحافظة على أمنها وسلامتها، وربما قاموا بالإضافة الي ذلك، بإقامة مايشبه الأبراج والقلاع في البيـوت المتناثرة خارج السور العام، وغالباً ما يكون موقفهم دفاعياً عن كيانهم وحماية ممتلكاتهم داخل كيانهم وخارجه مثل مواشيهم وسوارحهم لا يحاولون إيذاء أحد بغزوه في مكانه أو سلب أمواله وممتلكاته إلا نادراً ولكنهم لا يقبلون الظلم أو الضيم من أحد وموقفهم الدفاعي هذا جعلهم في نظر سكان الكيان القبلي أقـل منـهم سطوة وأضعف منهم شوكة، وإن كانت هذه النظرة في غير محلها، لأن سكان الحضر منشغلون عن مثل هذه الأعمال، بأعمالهم المدنية التي عكفوا على إنجازها كل في مجال اختصاصه،وقد شغلته أعماله عما سـواها بالإضـافة الي وعيه وإدراكه لعواقب مثل هذه الأعمال العدائية وتحريمه ما يعود منها من مكاسب مادية بفضل وعيه لما نصت عليه تعاليم دينه الإسلامي السمح، ولسكان الحضر اهتمام بالناحية الثقافية حيث تجد منهم القراء والكتاب الذين يحاولون نشر تعليم القرآن الكريم وعلومه، والقراءة والكتابة، والكيان الحضري يختلف عن الكيان القبلي الذي تكون الرابطة فيه منصبه على العصبية القبيلة بينما هذا يعتمد على الرابطة الحضرية للمدينةأو البلدة أو القروية بحيث يصبح الإنتماء الي المدينـة أو

البلدة أو القرية بدلاً من الإنتماء الي القبيلة وإن كان هؤلاء السكان ينتمون الي القبيلة أو القبائل العربية في الأصل إلا أن ذلك يصبح عندهم أمراً ثانوياً، فبدلاً من أن يقال. هذا الرجل من القبيلة الفلانية، يصبح في المجتمع الحضري يقال عنه إنه من المدينة أو البلدة أو القرية الفلانية أولاً وإذا أريد التعمق والتقصي عنـه بالبحث نسب الي قبيلة وإذا انتقل هذا الفرد من بلده الي بلد آخرقد ينسب الي بلده الأول كأن يقال "فلان الخرجي" أو ؟"فلان الرسى" أو "فلان الجـوفي" أو "القفاري" أو "الحوطى" أو "البقعاوي"..إلخ نسبة الي المدينة أو البلدة أو القرية التي يسكنها قبل أن يسأل عن انتمائه القبلي، ومتى كان انتمـاؤه الي كيانـه الحضري فقد لايعبأ بإنتمائه القبلي، ويوماً بعد يوم يقل هذا الاهتمام الي هـذا الإنتماء. ومع مرور الأجيال قد يضمحل انتماءه القبلي نهائياً. وربما لا يـدرك الأحفاد انتماء الأجداد فقد تصبح الأجيال المتعاقبة تجهل إنتمائها القبلي، بينما تحتفظ بإنتمائها الحضري، فيصبح الواحد يعرف نفسه أنه مـن أهـل المدينـة الفلانية أو البلدة الفلانية أو القرية الفلانية، أو المهنة الفلانية، ومن هذا المنطق تجد الآن من سكان المدن والقرى من يجهلون إنتماءهم القبلي، فلا يعرفون الي أي قبيلة تعود أرومتهم، مع أن أجداد أجدادهم قد عاشوا في هـذه المـدن أو القرى منذ عشرات القرون، ولكنهم رغم ذلك لا يعرفون إلا أنهم من أهل هذه المدينة أو البلدة أو جاء أجدادهم من المكان الفلاني، أو المنطقة الفلانية، وبذلك يكون إنتماؤهم القبلي قد ذاب واضمحل في الكيان الحضري، واستعيض عنـه بالإنتماء الحضري أو المهني، ولهذا فالكيان الحضري يتصف بالمسـالمة لتبحر

الروح القبلية منه ولذلك قد يكون مستهدفاً من قبل الكيان القبلي للإغارة على سوارحه أو السطو على ممتلكاته من بعض ضعاف النفوس وقطاع الطرق ولكنه يأبى الضيم وينفض غبار الذل الذي أعتبره فيه المجتمع القبلي بالدفاع عن نفسه واسترداد ما استلب منه بالوسائل التي يملكها، وقد يحتاج بعض الكيانات الصغيرة المحاطة بكيان قبلي قوي الي الحماية منه والإنطواء تحت مظلته من باب المعروف وحسن الجوار والتعاون حيناً وذلك من منطلق حديث الرسول صلى الله عليه وسلم "إن أسلم ليسوا بأعراب، هم أهل باديتنا ونحن أهل قاربتهم إذا دعوناهم أجابوا وإن استنصرناهم نصرونا" وقد يكون ذلك مقابل إتاوة معينة أو شيء متعارف عليه أحيانا أخرى "كقنو النخلة" على كل بستان، مثل "الشاة" التي تؤخذ على من يخضعون لمثل هذه الحماية في الكيان القبلي، أو ما يؤخذ على التجار أصحاب قوافل النقل من جُعْلٍ معين مقابل حماية تجارتهم وقوافلهم وتأمينها أثناء مرورها بأراضي تلك القبيلة من أي فرد أو أفرادها، وهو ما يسمى في الوقت الحاضر بالجمارك، ومن هذا المنطلق فأكثر إشارات المؤرخين تنصب على الكيان القبلي لما يحدث منه من مناوشات أو مشاغبات إزاء كيان قبلي مماثل أو ما ينال سكان الحضر من أذية أو ظلم منهم، أما الكيان الحضري فإن معظم تحركاته تنصب في دفاعه عن نفسه ضد اعتداءات الكيان القبلي: أو ما يحصل من نزاعات مع كيان حضري مجاور على أراضي وممتلكات ثابتة من آبار ونخيل وأراضي وقيعان وأودية ومزارع بعل وغيرها، أو ما ينشأ من تنافس على الزعامة بين كيان وآخر، أو مثارات لمواقف معينة وعادة لا تطول هذه

النزاعات في الغالب، وإن بقي منها حزازات كامنة في أغوار الصدور فإنها تبقى نظرية أكثر منها عملية فضلاً أنظر كتابنا "الحروب والمجاعات والأمراض".

من هذا يتضح الفرق الشاسع بين الكيان الحضري والكيان القبلي، وكلهما يقوم على التجمع المختلط من مختلف عناصر القبائل العربية غير أن الأول تكون رابطته المدينة أو البلدة أو القرية والثاني رابطته العصبية القبلية بالإضافة الي الرابطة الدينية الإسلامية لكلا الكيانين، وليس هناك ما يفصل الواحد عن الثاني، فمن أراد أن يحيا حياة التنقل والترحال من أهل الحضر فما عليه إلا أن يظعن مع أهل الوبر، ومن أراد حياة الاستقرار من البدو فما عليه سوى أن يلقي بعصى الترحال ويستقر عند أهل المدر دون قيود أو عوائق فضلاً أنظر كتابنا "الحضارة النجدية إيجابيتها وسلبيتها".

١٧-وقفة تأمل:

ما دام الوضع في المدن والبلدات والقرى بهذه المنطقة التي مررنا بها يتكون سكانها من قبائل عربية صميمة رئيسة وأفخاذ وفروع متعددة حلتها من نفس المنطقة أو انتقلت اليها من مكان مجاور أو بعيد نسبياً، وقد لا يتعدى نطاق هذه البقعة فما بال البعض من ذوي النظرة السطحية القصيرة لا تزل تطفح أمام انظارهم على السطح عند المصاهرة بالذات قضية ما يسمى بـ"الصانع والحر" أو ما يسميها البعض "الحضيري والقبيلي" أو ما يرمز اليها البعض برمز تقني هو "خط ١٠، ٢٢٠"!؟ حتى بين سكان المدينة الواحدة أو البلدة الواحدة على أساس أن أفراد هذه الفئة لا يحتفظون بتسلسلهم القبلي!؟

وكما جاء في الأثر فالناس مأمونون على أنسابهم، فلو انتمى الفرد أو المجموعة من سكان هذه المدن والقرى الي أي فرع من فروع القبيلةالتي تحيط بموطنه أو الي فرع قبيلة أخرى فلا يستبعد ذلك وإن لم يرجح ترجيحاً مؤكداً كما مر بنا من اختلاط فروع القبائل وانتقالها واستيطانها كأن يكون طائياً في المدينة أو البلدة أو القرية الواقعة في بلاد طيء أو أسدياً، أو باهلياً، أو بكرياً، أو بلويا بحكم الجوار، أو تغلبياً أو تميماً، أو جعدياً، أو جهنياً بحكم الجوار، أو حنيفياً، أو ذبيانياً، أو سلمياً بحكم الجوار، أو عامرياً، أو عبسياً، أو غطفانياً، أو قشيرياً، أو كلبياً، أو كلابياً،أو مزينياً بحكم الجوار، أو محاربياً، وغير ذلك من القبائل التي كانت تسكن هذه البقعة في صدر الإسلام، أو من القبائل العربية التي انتشرت في هذه البقعة في الفترة الوسيطة ما بين القرن الرابع الي القرن العاشر الهجري كأن يكون خالدياً أو خفاجياً، أو ربيعاً أو زعبياً أو عترياً أو فضلياً، أو لاميا أو هلالياً، أو من المنتفق، أو من القبائل العربية الحديثة، كأن يكون بلوياً، أو جهنياً بحكم الجوار، أو حربياً أو خالدياً، أو رشيدياً، أو سبيعياً، أو سرحانياً، أو سهلياً أو شمرياً، أو شرارياً، أو شلوياً أو ظفيرياً، أو عتيبياً، أو عازمياً، أو عجمياً، أو قحطانياً، أو مطيرياً، أو يامياً، بحكم الجوار، أو أي فرع من فروع القبائل الأخرى من سكان المدن والقرى الواقعة في نطاق مواطن كل قبيلة، أو جاءت اليها من منطقة مجاورة أو من الأقليات القليلة الوافدة من أفريقيا. إذا كانت هذه النظرة تحدث لسكان مدن وقرى في نجد قلب الجزيرة العربية ومنطلق العرب الي الأقطار العربية المجاورة، فماذا يمكن أن يقوله أصحاب هذه النظرة عن سكان

الحواضر والمدن والقرى العربية الأخرى مثل بغداد ودمشق وبيروت والقدس وعمان والكويت والمنامة والدوحة وأبو ظبي والقاهرة والخرطوم وطرابلس وتونس والجزائر والرباط ونواكشوط وغيرها من المدن والقرى المنتشرة على رقعة الوطن العربي الكبير هل يستطيع العربي هناك أن يعود بتسلسله الي القبيلة العربية التي انحدرت منها أصوله عبر هذه القرون؟ أم يبقى غير عربي حسب مفاهيم أصحاب هذه النظرة؟!! أو النظر بدون انصاف الي بعض القبائل والفروع على أنها أقل مستوى ومكانة من قبائل أخرى والترفع عن مصاهرتهم.

هذه المشكلة التي تبرز عند الزواج تخلق شرخاً عميقاً في بنية المجتمع لأنها تقوم على أساس التمييز المبني على العصبية، والتي نهانا ديننا الإسلامي عنها، وإذا كانت هذه النظرة قد ترسبت من إفرزات عدة منها بطبيعة الحال الجهل في الزمن الماضي، فقد أصبحنا اليوم في غنى عنها بما نملكه من وعي وادراك وسعة أفق بفضل الله ثم بفضل الدرجة الجيدة من المستوى التعليمي الذي بلغناه ومن الأولى أن نلتفت الي أمور مهمة لنا، نتسلح بالعلم والتقنية الذاتية لنصل بها الي ما نريد، وألا نولي مثل هذه الأمور من الاهتمام ما يصرفنا عن هدفنا الديني والحضاري الأسمى، سيما وأن المجتمع الدولي قد أصبح يحارب مثل هذه النظرة في أصقاع الأرض ويحتقر مؤيديها، فما بالنا نسمح لها لتتسرب في مجتمعنا فتحدث التصدع في بنيته في الوقت الذي نحن أحوج ما نكون فيه الي بنية متراصة، أمام أعدائنا المتربصين بنا، أعداء الأمة العربية والإسلاميةالذين يبحثون

عن أي ثغرة لينفذوا منها الي أعماقنا، ويحاولون النيل منا وتشتيتنا ثم إضعافنا أمام أطماعهم؟.

١٨- علم النسب:

يعتبر علم النسب من العلوم الشائكة خاصة في الوقت الراهن، وذلك عائد الي فترة الإنقطاع عن التدوين في القرون السبعة الأخيرة بالذات في الجزيرة العربية التي سادها بعض الظروف الغامضة حيث ذابت أحلاف قبائل بأكملها وتكونت أحلاف جديدة بمسميات جديدة، وليس هناك من رصد لهذه التحركات، وإنما إعتُمدَ في ذلك على الروايات الشفهية، وهذه تحتاج الى تحفظ وحذر لما يدخل فيها من هوى النفس والميول المترتبة علي القوة والضعف لهذه القبيلة أو تلك وعشيرة وأخرى، وما قد يحدث فيها من الخلط ما يفسدها فقد توصم قبيلة أو فخذ أو عشيرة بوصمة ما، في حادثة معينة وهي برئية مما ألصق بها، ويتم تناقل هذه الوصمة جيلاً بعد جيل وترسخ في أذهان الآخرين مما يصعب نزعه، وإذا رجع المرء الي أساسها لم يجد لها ما يؤيدها ومصدرها الوحيد قول: "يقولون" وما أسهل هذا المنطق لمن يكون في نفسه ما فيها من حزازات النفوس ونوازع الأهواء، وقد يكون مقامُ هذه القبيلة أو البطن أو الفخذ أو العشيرة التي حط من قدرها ذلك المُتقَوِّلُ الذي سارت مقولته وصدقت من دهماء الناس قد يكون مقامها رفيعاً أو على الأقل مثلها مثل غيرها، ومع مرور الوقت قد يُصَدَّق ما الصق بها ربما حتى من بعض أفرادها وهذا عامل نفسي مهم عميق التأثير، وقد تكون تلك القبيلة أو البطن أو الفخذ أو العشيرة من

الألف سنة الغامضة من تاريخ نجد

سائر القبائل إن لم تكن من أدناها وبفضل قول: "يقولون" والركون الي حادثة أو اختراعها وتكرار هذا القول والتركيز عليه حتى يتم تواتره وتصديقه بعد أجيال وبالتالي يرتفع شأنها، وهناك جانب هام جداً وهو موضوع التحضر الذي يخفف ويزيل الإرتباط القبلي كما سبق أن أشرت الي ذلك في الكيان الحضري والكيان القبلي فجانب التحضر وما ساد في الجزيرة العربية ومنطقة البحث بالذات من الحروب الطاحنة والكوارث الطبيعية من جدب قاتل لسنوات متوالية وما يداهمها من الأمراض الفتاكة التي تقضي على أعداد كبيرة من السكان وتترك خلفها الأطفال والإناث المشردين الذين يهيمون على وجوههم بحثاً عن مصدر البقاء، وقد يجهل بعضهم أصولهم وأرومتهم أو يتجاهلونها ويعيشون تحت أي ظرف وضمن أي أعتبار وبذلك قد تضيع أصولهم وأصول ذراريهم من بعدهم وقد جاء بكتاب نشوة الطرب: كانت العرب إذا شكوا في نسب الرجل أجالوا له القداح، وفيها صريح وملحق، فإذا خرج الصريح الحقوه بهم وإن كان دعيا، وإن خرج الملحق نفوه وإن كان صريحاً: (٢/٢٤٦/٧٩٧) فأي مقياس هذا؟ الذي يعتمد على الصدفة التي تخرج من القداح!؟.، وإذا علمنا أن تدوين علم النسب قد بدأ عند ما رفعت الشعوبية زباناها في صدر العهد العباس عندما دخلت العناصر الفارسية والتركية وغيرها بلاط الخلافة العباسية وبدأت هذه العناصر تفتخر على العرب وتحط من قدرهم والنيل من مكانتهم عند ذلك حدثت ردة الفعل العربية متصدية للشعوبية في دعواها وبدأ من لهم علم بأنساب العرب بتدوين ذلك كما سيأتي في فقرة لاحقة، وتوالت الخطوات التدوينية

نشطة بقية القرن الثاني والقرن الثالث بطوله وشطر من القرن الرابع، وهذا التدوين قد غطى معظم القبائل العربية الموجودة على الساحة آنذالك، ثم تفرع هذا العلم من تدوين القبائل الي البطون والأفخاد والعشائر والرهط.. إلخ، وإذا سلمنا بتحفظ، في أنساب العرب من قحطان وعدنان فما دون، فإننا يجب أن نكون أكثر حذراً وتحفظاً عن الفترة السابقة لذلك وأعني بها ما يتصل بنوح عليه السلام وما قبل ذلك، لأن التدوين قد حدث بعد قرن ونصف من البعثة النبوية علي صاحبها أفضل الصلاة والسلام وما جاء قبلها الي عهد عدنان وقحطان لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقف بنسبه الي عدنان، لكن العرب كان لا يزال فيهم من النسابين الذين يتناقلون ما يعرفونه عن الأنساب شفهياً كابراً عن غابر،بما في الرواية الشفهية من ثغرات وهنات وتفاوت، وأحياناً تتواتر الرواية لأكثر من راوية وتكون نسبة صحتها أكثر، ويمكن الأطمئنان اليها أكثر، وأحياناً يشوها الإختلاف ويكثر فيها كلمة "وقيل" خاصة في تسلسل عمود النسب عند الإختلاف على اسم شخص أو أشخاص في عمود النسب، سيما وأنه تكثر عند العرب الألقاب والكنى التي يجري حولها الإختلاف، وإذا تجاوزنا ذلك الي ما قبل عدنان وقحطان الي عهد خليل الله إبراهيم عليه السلام ثم عهد نوح عليه السلام وعهد أبينا آدم عليه السلام نجد أن النسابين من العرب والمسلمين قد اعتمدوا للأسف الشديد علي ما يرويه أحبار اليهود بالنقل مما جاء في التوراة والتوراة المنقول عنها محل نظر كما سيأتي في فقرة لاحقة، وما كعب الأحبار ووهب بن منبة وعبد الله بن أبي إلا يهوداً أسلموا وبدأوا ينقلون للنسابة

من العرب والمسلمين ما جاء في التوراة على علاته فدونوا كل ما نقل عنهم على اعتبار أنها حقيقة مسلم بها، ومن المؤسف أن نرى في (وقتنا الحاضر) الضحك المبكي من رفع بعض القبائل والبطون والأفخاذ والعشائر والأسر سلسلة نسبها الي نوح عليه السلام وربما الي آدم عليه السلام: مع أن هناك بون شاسع من الأزمنة السحيقة التي لا يعلم مداها إلا الله ومن الصعب بل المستحيل حصر عمود النسب في تلك الأزمنة الغابرة وهناك سؤال يقول: متى وجد الأنسان على سطح الأرض؟ فقد تم تقدير عمر الأض بـ ٤.٥ بليون سنة أما فيما يتعلق بأول ظهور للإنسان على ظهر الأرض فعلينا أن نتذكر ببساطة أنه منذ ٤٠٠٠٠٠ ألف سنة كان بالفعل إنسان يشبه الإنسان الحالي، بينما تم اكتشاف أشكال إنسانية أقل تطوراً وتقول الأبحاث الحالية أنها تعود الي خمسة بلايين سنة مضت (١٧٢/ ٢١٢).

وهناك ما يدعو الي الإعتقاد أن الإنسان الذي نعرفه اليوم كانت له نفس الصفات التشريحية منذ ٣٥٠٠٠٠ ثلاثمائة وخمسين ألف سنة (١٠٦/ ٢١٢).

أي أن مادة الإنسان الحمضية موزعة خلال جسمه في نحو ٦٠٠٠٠ ستين ألف مليار جزئية وهذا العدد التقريبي الوسطي للخلايا الحية التي يتكون منها جسم الإنسان البالغ، والشيء المُحيِّر أن هذا الجزيء عبارة عن خطين ملتف أحدهما على الأخر بشكل لولبي يتكونان من ذرات مرصوصة بشكل زاجم متساوية تربطها أربطة مستقيمة (٨٦/ ١٠٣).

وبذلك يحمل شريط D.N.A أو (الحمض النووي الريبوزي اللااكسجيني) في الخلية الإنسانية والذي يصل طوله الي أكثر من متر إختلافات وراثية، تمد الفرد بخصائصه وصفاته بما يجعله مختلفاً عن غيره من الناس، وفي رأي آخر أن هذا الشريط يبلغ طوله ١١٠سم ويحمل جميع الخصائص الوراثية والصفات التي يحملها الإنسان، ولم يقتصر على الإنسان وحده وإنما هو موجود في الحيوان والنبات أيضاً.(٧٨/ ٢١٢).

وهنا يبرز سؤال يقول: متى عاش نوح عليه السلام؟ نوح يتوقع أنه عاش بين الألف الثالثة وأوائل الألف الثانية قبل الميلاد وقد حدد علماء الآثار حدود الألف الثالثة قبل الميلاد تحديداً عرّفها كحدٌ فاصل بين أحداث ما قبل الطوفان وبين أحداث مابعده (٢٧٥/١٧٠).

وقد ثبت علمياً الآن بأن الطوفان لم يكن عاماً، وما طوفان نوح عليه السلام إلا أحد الفيضانات التي حدثت في بقاع مختلفة من العالم وأدت الي الجهة التي حدثت فيها (١٢٠/ ١٠٣).

وليست قصة الطوفان التي ذكرها الله تعالي في القرآن الكريم والقائلة بأن الله قد أهلك به ما كان حيا على وجه الأرض من حيوان ونبات إلا من كان مع نوح وقفا على المسلمين، بل هي قصة شائعة في أكثر بقاع الأرض، تحدثت عنها أقوام كثيرة وروتها بأشكال مختلفة، إذ ذكرها السومريون ٣٥٠٠قبل الميلاد على أحد الألواح التي عثر عليها سنة ١٩٥٦م وتسمى هذه الألواح نوح (زيو سودرا) (ZIUSUDRA) كما تسميه الكتابات البابلية ٢٠٠٠ق.م (أوتنا

بشتيم) (UTNAPISHTIM) وقد ذكرت قصة الطوفان علي اللوح السومري الحادي عشر، وهناك قصة شائعة في الهند جاء ذكرها في (البرهمنا) أحد كتب الهنادكة وقد كتب في القرن الثامن قبل الميلاد، وجاء ذكرها في إيران واليونان وهي أكثر شيوعاً في جنوب شرق أسيا ماليزيا وبولينيزيا، أما في أمريكا الشمالية والجنوبية فروايات الطوفان كثيرة، هذه معتقدات الأقوام القديمة بشأن الطوفان، وبعضها مأخوذ من البعض الأخر مع إضافات اقتضتها الأوضاع الخاصة لكل قوم؛ وإذا رجعنا الي التوراة وكل ما فيها من تواريخ مأخوذة عن الكلدانيين والآشوريين والسومريين والمصريين نجدها لا تخرج في أمر الطوفان عما أسلفنا، وقد ذكر القرآن الكريم الطوفان بإختصار على إعتبار أنه حادث تاريخي بعدد من الآيات التي أشارت الي الطوفان حيث ورد ذكر نوح عليه السلام في أكثر من أربعين موضعاً من القرآن الكريم ويبدو واضحاً أن الطوفان كان محلياً (في المنطقة التي يعيش فيها نوح وقومه) وأن الذين أغرقوا هم الذين كانوا من قوم نوح لا غيرهم، وهذا هو المعقول، وإذا كان ما حدث في مكان محدود من الأرض.(١٢٦- ٢٤١/ ٢٦٢).

وطبقاً لقصص التوراة كان هناك بالقطع طوفان عالمي ولكنه مع ذلك أبقى علي كائنات قليلة وهؤلاء وجدوا المأوى مع نوح في سفينته ومعهم حيوانات تنمى الى الأنواع التي دخلت في السفينة (١٦٩/ ١٠٣).

لقد بدأ الحديث عن أصل العرب بين الأخباريين أو كتاب الأخبار الأول في صدر الإسلام عند أثنين من هؤلاء هما عبيد بن شرية الجرهمي وهو يمني، ووهب بن منبه وهو يمني (٨١/ ١٦٩).

فالحديث عن تأصيل النسب شئ، والمغالات في هذا التأصيل شيء آخر، قد يكون من المعقول أو المنطقي أن يعرف أبناء أسرة أو عشيرة نسبهم بشئ من الدقة النسبية الي حدود معينة أما أن يرفع هذا النسب تأصيلاً الي عهد سام بن نوح وفي بعض الأحيان الي عهد آدم الأب الأول للبشرية فأمر لابد أن يدخل فيه قدر كبير من النحت والخيال وفي الواقع فإنه لا يوجد مما تركه سكان شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام سواء في مجال الآثار أو المخلفات المادية أو في مجال النقوش والشعر ما يشير الي اعتقادهم في هذا النسب الذي يصل الي سام بن نوح (٨٤/ ٦٨).

وما يهمنا في هذا المقام هو موضوع النسب وكونه قد انحصر في ذرية نوح دون سواهم، وقد جاء في الآية الكريمة قوله تعالي: ﴿ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ ﴾ (هود ٤٨) وجاء في آية أخرى قوله تعالي: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ (يونس ٧٣).

وهذا يدل على وجود ذرية لمن مع نوح من المؤمنين الذي صدقوه وهبطوا معه الي الأرض بعد الطوفان في موطنه فضلاً عن الأقوام في المناطق

الخارجة عن الرقعة التي يسكن فيها نوح وقومه، وقضية فناء الأقوام بكاملها عدا ذرية نوح فيها نظر لأن مصدرها التوراة الموضوعة بأقلام أحبار اليهود وما جاء في سورة الصافات من قوله تعالي: ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴾ (الصافات٧٧)، قد لا يعني هلاك البشرية ما عدا ذرية نوح سيما وأن الآيات القرآنية الأخرى يفهم منها أن الطوفان قد حدث في المنطقة التي يقطن فيها نوح وقومه وليس في المناطق المعمورة من العالم القديم على ظهر الكرة الأرضية كما سبقت الإشارة اليه وبالتالي فإن الأقوام والحضارات التي كشفت عنها الأحافير الحديثة قد أثبتت أن هناك العديد من البقاع المعمورة من الكرة الأرضية وقد تعاقبت فيها تلك الحضارات منذ أزمنة سحيقة وحتى الآن منها على سبيل المثال جنوب شرق آسيا وغربها وشمال أفريقيا وشرقها ووسطها وشرق أوربا وجنوبها وشرق وغرب أمريكا الشمالية وشمال وغرب وشرق أمريكا الجنوبية هذه البقاع الشاسعة من العالم والعامرة بالبشر بحضارات متعاقبة متواصلة من غير المحتمل أن تكون البشرية فيها قد فنيت عقاباً للكفار من قوم نوح الذين يسكنون في بقعة معينة من هذه الكرة الأرضية حيث لا يوجد دليل من القرآن على ذلك، وقد أطلق أغلب المفسرين القدامى الطوفان على الأرض عامة دون أن يحددوا المكان الذي حدث فيه هذا الطوفان معتمدين في ذلك على ما جاء في التوراة الموضوعة أما سيد قطب في ظلال القرآن فقد قال عن الطوفان: الطوفان الذي لم ينج منه الا من أراد الله له النجاة وقدر له الحياة وتتضمن قدرة الله بأن يجعل من ذرية نوح عمار لهذه الأرض وخلفاء ولا يغيب عن ذهن القارئ أن أولئك العلماء

الأجلاء رحمهم الله كانوا مجتهدين في تفاسيرهم لكن المفهوم العام عن الأرض في ذلك الوقت أنها مسطحة مستوية محصورة في بحار قد لايعلمون ما بعدها ويؤيد ما أشرت اليه ما جاء في كتب الجغرافيين في ذلك العهد وما رسمه الأدريسي من خريطة الأرض التي يتصورها حسب مفهوم ذلك الزمن هذا المفهوم قد يكون انسحب على المفسرين الذين تصوروا الأرض على تلك الهيئة قبل أن يثبت علمياً أن الأرض كروية تدور حول محورها.

من هذا نخلص الي أن البشرية الموجودة على سطح الأرض من أجناس مختلفة ليست بالضرورة أن تكون كلها من ذرية نوح، وهذا لا ينفي أيضاً أن ذرية نوح قد انقطعت وإنما بقي لهم بقية من بين هؤلاء الشعوب، وما تقسيم ذرية نوح الي سام، وحام، ويافث، إلا من وضع أحبار اليهود في الكتابات التي دونوها تحت ضغط معانات الأسر البابلي ليجعلوا أنفسهم من صفوة البشر وبالتالي "شعب الله المختار" كما يتصورون ويزعمون مما سيتضح في مكان آخر من هذا الفصل بأراء علماء آخرين.

تنسب السلالات الي إبراهيم عليه السلام وأجداده التسعة عشر حتى فترة حياة آدم عليه السلام الطويلة بشكل بعيد عن التصديق في حالة (متوشيلا) نجد رقم ٩٦٩ سنة مقارنة بإمتداد حياة إبراهيم عليه السلام التي كانت ١٧٥ سنة فقط، كانت النتيجة المستقاة من التوراة أن إبراهيم قد ولد بعد عام ١٩٤٨ سنة بعد أن استطاع آدم التعرف على نوح عليه السلام (الذي ولد بعد آدم بـ١٠٥٦ سنة وتوفى بعد ذلك بـ١٠٠٦ سنة) وقد جمع هذه السلالات

التوراتية المشار اليها هنا قساوسة (أحبار) القرن السادس قبل الميلاد (١٧٠/ ٢١١) ترى في أي فترة زمنية يجب أن نضع إبراهيم؟ تشير التقديرات الحالية أنه ربما عاش إما في القرن الثامن عشر أو التاسع عشر قبل الميلاد، فإذا قبلنا التقدير الثاني وربطناه بالمعلومات التوراتية التفصيلية حول الفترة التي تفصل آدم عن إبراهيم طبقاً للتوراة لوجدنا أنه من الواجب أن نضع آدم عند فترة تقترب من القرن الثامن والثلاثين قبل الميلاد (٣٨٠٠٠) ويتوافق هذا التقدير تماماً مع المعلومات التي يتضمنها التقويم التوراتي، وبذلك يستنتج أن ظهور الإنسان خلال القرن السابع والثلاثين أو الثامن والثلاثين قبل الميلاد، وإذا عبرنا بأرقام صحيحة أربعة وخمسون أو ثلاثة وخمسون أو ثمانية وخمسون قرناً(٥٨٠٠) قبل زماننا هذا (١٧١/ ٢١٢).

والتقويم اليهودي الذي يحدد بداية الخلق أنه حدث منذ ٥٧٤٢ خمسة آلاف وسبعمائة وأثنين وأربعين سنة مضت (الحساب يبدأ في الثلث الأخير من عام ١٩٨١ بعد الميلاد) وبالحساب طبقاً للتقويم التقليدي نرى أن الإنسان قد ظهر على وجه الأرض منذ ٥٧٤٢ سنة مضت وإذا اسقطنا منه ١٩٨١ سنة يصبح الباقي ٣٧٦١ سنة تقريباً، وهذا يناقض الحقيقة بوضوح (١٦٩/ ٢١٢).

وقد تمت كتابة هذه الأعمال (من اليهود) للعهد القديم بلغات عديدة في فترة تزيد عن تسعمئة سنة وكانت تقوم أساساً على الرواية الشفوية(١٥١/ ٢١٢).

وهكذا يبدو أن توراة موسى عليه السلام قد تكونت من رويات جمعها (محررون) ثم وضعوا ما جمعوه جنباً الي جنب، أو أنهم واء مـوايين القصص بغرض التناسق(١٥٤/ ٢١٢).

وعهد إبراهيم الخليل عليه السلام ١٩٠٠- ١٨٥٠ قبل الميلاد وعهد موسى (بن عمران) عليه السلام ١٣٠٠- ١٢٣٣ قبل الميلاد.

وقد دونت التوراة، توراة الكهنة فأضفوا عليها القدسية وفرضوها على أتباعهم في عهد السبي البابلي تحت ضغوط التشريد والتقتيل والسبي ما بين عام ٥٩٧، ٥٨٦- ٥٣٨ قبل الميلاد وقد دامت مدة السبي حوالي ٢٠٠ مئتي سنة حيث تم سبي ٢٠٠١٥٠ نسمة من الرجال والنساء والأطفال، وكلما تعمقنا في دراسة التوراة وتتبعنا الظروف التي رافقت وضعها، كلما زاد اعتقادنا بأنه يجب على المؤرخ ألا يتخذ من التوراة مصدراً يُعَوّلُ عليه في تدوين تاريخ الأحداث القديمة، وبالطبع فإن هذه التوراة غير التوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام في حياته ١٣٠٠- ١٢٣٣ق.م، أما العرب في الجزيرة العربية فإنهم عرب تهودوا بتأثير المبشرين لا يهود مهاجرون مثل أُبيّ بن كعب، وكعب بن الأشرف النبهاني الطائي (٦٤٩/ ١٧٠) إن الهدف الأول الذي كان يهدف اليه (الحاخامون) في التوراة التي دونوها هو تمجيد الزمرة اليهودية (المأسورة) التي يعيشون في وسطها وهم منها وجعلها صفوة الأقوام البشرية المختارة (شعب الله المختار) التي اصطفاها الرب من دون بقية الشعوب ولتحقيق هذا الهدف كان لابد لهم من إرجاع أصل هذه الجماعةالي أقدس شخصية في التاريخ القديم أي

إبراهيم الخليل عليه السلام الذي كان صيته قد عم جميع أرجاء عالم تلك الأزمان (٣٦٨- ٣٦٩/ ١٧٠).

يقول العالم الألماني الدكتور (مورتكارت) في كتابه (تاريخ الشرق الأدنى القديم) لا يمكن الإعتماد من الناحية العلمية على أساطير التوراة إذ برهنت الأبحاث الأثرية على عدم صحة أكثر الأساطير التي وردت فيها كما توجد أبحاث تبرهن عكس هذه الأساطير (٣٧٠/ ١٧٠).

ويقول الأستاذ "شبل" في كتابه "مشكلة اليهود العالمية" وانفرد اليهود بأقدامهم على رفع سجل تاريخهم الي منزلة التقديس ونجاحهم نجاحاً لا يباري فيه بإيهام مئات الملايين من البشر على مدى الأحقاب والعصور بأن تاريخهم كتاب مقدس مصير من لا يصدقه أو يناقشه مناقشة علمية عقاب الله في الدنيا والأخرة(٣٧١/١٧٠).

لهذا يتضح ما لليهود وما وضعوه في توراتهم من آثار لا تستند على حقيقة بما في ذلك موضوع الأنساب وخاصة في حصر البشرية في أبناء ذرية نوح سام وحام ويافث مما ينافي الحقيقة التي تتضح يوماً بعد يوم فيما يكتشف من آثار وكتابات في الأحافير للحضارات القديمة.

إن أقدم كتابة نعرفها هي الكتابة المسمارية ومصدرها سومير ويمكن أرجاع هذه الكتابة الي ما قبل ٣٥٠٠قبل الميلاد (١٣٠/١٧٠).

إن التاريخ المكتوب لما حققته البشرية لا يغطى أكثر من ٦٠٠٠سنة بينما وجد الإنسان على وجه هذه الأرض منذ فترة نستطيع تقديرها بمليون سنة

وأن الستة آلاف سنة الأخيرة تسمى تاريخ الجنس البشري (١٣١/ ١٦٩) وقد وجد مؤخراً موضع قرب مدينة سكاكه بشمال المملكة العربية السعودية يسمى "الشُوَيْحِطِيَّة" آثار بشرية تعود الي مليون ومئتي ألف سنة ١.٢٠٠.٠٠٠.

وأمام هذه الأزمنة السحيقة قد يضمحل التصديق بما جاء في التوراة ونقله نسابة العرب فيما يتعلق بالفترة الواقعة بين إبراهيم عليه السلام ونوح عليه السلام والمحددة بحوالي ٣٠٠ سنة.

وإن قال قائل أن الأعمار في ذلك الوقت كانت أطول مما هي عليه اليوم بدليل ما جاء في القرآن الكريم عن نوح عليه السلام أنه عاش يدعو قومه تسعمئة وخمسين عاماً، فإن هذا قد لايكون عاماً للبشر وقد يوجد من المعمرين حتي زماننا هذا، وقد احتوى كتاب المعمرين للسجستاني على بضع مئات من المعمرين من العرب لمختلف العصور وتراوحت أعمار بعضهم ما بين ٤٠٠-١٠٠سنة لكن هؤلاء نسبة ضئيلة إذا ما قورنت بالأعمار العادية التي تعد بمئات الآلاف وربما الملايين من البشر.

في أثناء ظهور الحركة الشعوبية في العصر العباسي حين أخذ الفرس يمجدون أصلهم ويتعالون به على العرب، فكان رد الفعل عند العرب أن قابلوا ذلك بتمجيد مماثل للأصل العربي وللصفات العربية إما بإرجاع هذا النسب الي سام بن نوح فهو يمثل عنصر الأسرائيليات التي بدأت تتسرب عبر الكتابات العربية آنذاك وبخاصة إذا عرفنا أن عدداً من الكتاب كانوا إما من أصل يهودي أو متأثرين بالكتابات و الأخبار الإسرائيلية، مثل عبيد بن شريه الجرهمي ووهب

بن منبه وهو يهودي وأبي عبيدة معمر بن التيمي بالولاء وأبوه يهودي وهي حكايات ربما عكست تصور العرب آنذاك ولكننا لا يمكن أن ننظر اليها الآن كحقائق علمية (٨٦- ٨٧/ ١٦٩).

١٠- من كتبوا عن الأنساب:

كما أسلفت فإن الكتابة عن الأنساب في بدايتها لم تكن جادة وشاملة عندما بدأها عبيد بن شريه الجرهمي في عهد معاوية بن أبي سفيان، وإنما كانت بمنزلة المتعة وزيادة المعرفة بأخبار اليمنية أو القحطانية التي كان يشجعها بنو أمية في تلك الفترة، ثم صارت بعد ذلك تصدياً ورداً متحدياً لظاهرة الشعوبية التي نشأت في أحضان الخلافة العباسية من فارسية وتركية ورومية وغيرها، فقد نشطت الكتابة عن هذا الجانب حتى بلغت الذروة، ويعتبر من كتبوا عن الأنساب في القرن الثاني والثالث الهجريين الثامن والتاسع الميلاديين هي الركيزة التي بني عليها من جاء بعدهم ونقلوا عنها وربما أضافوا اليها ما فات سابقيهم أو ما استجد من فروع ثم سارت بعد ذلك على وتيرة واحدة ينقلها الخلف عن السلف، بما حفظ لهذا العلم تلك الركيزة التي استمرت عدة قرون تستمر وتنقطع حتى انقطعت قروناً أخرى الي أن أستونفت في نهاية القرن الرابع عشر وبداية القرن الخامس عشر الهجري العشرين الميلادي، وإذا كان النسابون قد دونوا فروع جذمي العرب الرئيسين القحطاني والعدناني من قحطان وعدنان وما دونهما بمعرفة عربية وعلى قدر من الانضباط النسبي الجيد الي حد ما، فإن مادونوه عما قبل قحطان وعدنان قد اعتمدوا فيه على غيرهم من أهل الكتاب

الذين وثق هم أولئك المدونون الي درجة كبيرة بكل ما قالوه، وهم يحسبونهم على علم، وأن الكتاب الذي ينقلون عنه هو ما أنزل على موسى عليه السلام، وما دروا أنه من تلفيق أحبار اليهود وكتبتهم ويناقض الحقيقة والواقع في معظم مواده ويهمنا منه ما يتصل بالنسب، فصار مأخذاً على أولئك المدونين المجتهدين الذين أخذوا الأمور على علاتها دون تمحيص أو توقع لما قد يحدث من الغش والخداع والتدليس ولعدم وجود البديل الذي يمكن الإعتاد عليه، وهذه أسماء من كتبوا في هذا المجال التي بلغت الكتب التي كتبت فيه أكثرمن مئة كتاب نورد منها:

١- عبيد بن شَرْيَة الجرهمي ت ٦٧هـ ٦٨٦م.

أخبار اليمن وأشعارها.

٢- ابن البختري وهب بن وهب القرشي ت ١٨٠هـ ٧٩٦م.

نسب ولد إسماعيل بن إبراهيم الخليل.

٣- أبو يقظان النسابة وهو (سحيم بن حفص ت ١٩٠هـ ٨٠٥م.

كتاب النسب الكبير: إياد، كنانة، أسد بن خزيمة، الهون بن خزيمة، هذيل بن مدركة، قريش بن طابخة، قيس بن عيلان، ربيعة بن نزار، تيم بن مرة.

٤- هشام بن محمد بن السائب الكلبي ت ٢٠٤هـ ٨١٩م.

كتاب النسب الكبير (جمهرة النسب) معد، كنانة بن خزيمة،أسد بن خزيمة، هذيل بن زيد، مناة بن تيم، تيم الرباب، عكل ، عدي، ثور، أطحل مزينة بن ضبة قيس عيلان، غطفان، باهلة، غني، مزينة، سليم، عامر بن

صعصعة، مرة بن صعصعة، الحارث بن ربيعة، نضر بن معاوية، سعد بن بكر، ثقيف، محارب بن خصفة، فهم، عدوان، ربيعة بن عامر، وإياد، عك.

٥- معمر بن المثني ت ٢٠٨هـ ٨٢٣م

كتاب القبائل.

٦- القاسم بن سلام ت ٢٢٤هـ ٨٣٨م.

كتاب النسب.

٧- مصعب بن عبد الله الزبيري ت ٢٣٣هـ ٨٤٧م

كتاب النسب الكبير

٨- محمد بن إسحاق ت ٢٣٤هـ ٨٤٨م

السير والمغازي.

٩- محمد بن حبيب النسابة ت ٢٤٥هـ ٨٥٩م

مختلف القبائل ومؤتلفها.

١٠- الزبير بن بكارت ٢٥٦هـ ٨٦٩م

كتاب أخبار النسب.

١١- أحمد بن يحى البلاذري ت ٢٧٩هـ ٨٩٢م

كتاب الأنساب.

١٢- محمد بن يزيد المبرد ٢٨٥هـ ٨١٧٠م

نسب قحطان وعدنان.

١٣- ابن غنام الكلابي القرن الثالث الهجري العاشر الميلادي

كتاب النسب.

١٤- ابن النطاح (محمد بن صالح) القرن الثالث الهجري العاشر الميلادي

كتاب أفخاذ العرب.

١٥- علي بن أحمد العلوي العقيقي القرن الثالث الهجري العاشر الميلادي

كتاب النسب.

١٦- محمد بن الحسن بن دريد ت ٣٢١هـ ٩٣٣م

اشتقاق أسماء القبائل.

١٧- أحمد بن محمد بن عبد ربه ت ٣٢٨هـ ٩٣٩م

اليتمية في الأنساب.

١٨- الحسن بن أحمد الهمداني ت ٣٣٤هـ ٩٤٥م

الإكليل.

١٩- قاسم بن الأصبغ البياني الأندلسي ٣٤٠هـ ٩٥١م

كتاب النسب.

٢٠- علي بن الحسين (ابو الفرج الأصفهاني) ت ٣٥٦هـ ٩١١٩م

كتاب جمهرة النسب.

٢١- عبد الله بن محمد الفرضي الأندلسي ت ٤٠٣هـ ١٠١٢م

كتاب مشتبه النسب.

٢٢- علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي ت ٤٥٦هـ ١٠٦٣م

جمهرة أنساب العرب.

٢٣- يوسف بن عبد الله بن عبد البر الأندلسي ت ٤٦٣هـ ١٠٧٠م

القصد والأمم الي أنساب العرب والعجم.

٢٤- أحمد بن عبد العزيز البجّي ت ٤٨٨هـ ١٠٩٥م

تذكرة الألباب باصول الأنساب.

٢٥- محمد بن أحمد الأبيوردي (الشاعر) ت ٥٠٧هـ ١١١٣م

كتاب ما اختلف وأتلف من أنساب العرب.

٢٦- أحمد بن محمد بن إبراهيم الأسعري ٥٥٠هـ ١١٥٥م

التعريف بالأنساب.

٢٧- محمد بن موسى الحازمي الهمداني ت ٥٨٤هـ ١١٨٨م

عجالة المبتدئ في الأنساب.

٢٨- محمد بن أسعد الحسيني ت ٥٨٨هـ ١١٩٢م

تاج الأنساب.

٢٩- إسماعيل بن جعفر الصادق ت ٦١٤هـ ١٢١٧م

الموجز في النسب.

٣٠- ياقوت بن عبد الله الرومي ت ٦٢٦هـ ١٢٢٨م

المقتضب في النسب.

٣١- محمد بن رضوان ت ٦٥٧هـ ١٢٥٨م

شجرة الأنساب.

٣٢- الملك الأشرف عمر بن يوسف بن رسول ٦٩٦هـ ٢٤١٦م

طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب.

٣٣- ابن فضل الله العمري ت ٧٤٩هـ ١٣٤٩م

مسالك الأبصار في ممالك الأمصار/ قبائل العرب.

٣٤- أحمد بن عبد الله القلقشندي ت ٨٢١هـ ١٤١٨م

نهاية الأرب في معرفة قبائل العرب.

٣٥- أحمد بن علي المقريزي ٨٤٥هـ ١٤٤١م

البيان والأعراب عما بأرض مصر من الأعراب.

٣٦- محمد بن أحمد الحسيني النجفي القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي

بحر الأنساب.

٣٧- حسين بن محمد الرفاعي، القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي

تذييل بحر الأنساب.

٣٨- محمد أمين السويدي ١٢٤٦هـ ١٨٣٠م

سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب.

ومن ألف عن قبيلة بذاتها

١- أبو اليقظان النسابة (سحيم بن حفص) ت ١٩٠هـ ٨٠٥م

نسب خندف وأخبارها.

٢- الهيثم بن عدي ٢٠٧هـ ٨٢٢م

نسب طيء.

٣- عبد الملك بن هشام ٢١٣هـ ٨٢٨م

أنساب حمير وملوكها.

٤- علان الشعوبي في عهد المأمون

نسب النمر بن قاسط.

نسب تغلب بن وائل.

٥- علي بن محمد المدائني ت ٢٢٥هـ - ٨٣٩م

نسب قريش

٦- مصعب بن عبد الله الزبيري ت ٢٣٣هـ ٨٤٧م

نسب قريش.

٧- الزبير بن بكار ت ٢٥٦هـ ٨٦٩م

أنساب قريش.

٨- أحمد بن الحارث الخزازت ٢٥٨هـ ٨٦٩م

نسب الحارث بن كعب.

٩- أحمد بن محمد الجهمي القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي

أنساب قريش.

١٠- خراش الشيباني القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي

أخبار ربيعة وأنسابها.

١١- أبن النطاح (محمد بن صالح) القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي

أنساب أزدعمان.

١٢- على بن الحسين (أبو الفرج الأصفهاني) ٣٥٦هـ ٩١١٩م

نسب بني شيبان.

نسب بني تغلب.

نسب بني كلاب.

١٣- مؤرج بن عمر السدوسي ٣٧٤هـ ١٧٠٤م

مختصر أنساب قريش.

١٤- علي بن إبراهيم بن محمد الكاتب ٣٨٤هـ ٩٩٤م

نسب بني عقيل.

١٥- عبد الرحمن بن علي الديبع القرن التاسع الهجري والخامس عشر الميلادي

نشر المحاسن اليمنية في خصائص اليمن ونسب القحطانية.

١٦- محمد أبو الهوى الصيادي القرن الرابع عشر الهجري التاسع عشر الميلادي

الروض البسام في أشهر البطون القرشية بالشام.

أما من كتبوا عن فصيلة من الفصائل فمنهم:

١- أحمد بن أبي طاهر ت ٢٨٠هـ ٨٩٣م

جمهرة بني هاشم.

٢- الحسن بن سعيد السكري القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي

أنساب بني عبد المطلب.

٣- أحمد بن يحى المنجم ٢٢٧هـ ٨٤١م

أخبار آل منجم ونسبهم.

٤- على بن الحسين (أبو الفرج الأصفهاني) ٣٥٦هـ ٩١١٩م

نسب بني عبد شمس.

٥- المنتصر بالله الحكم الأموي ٣١١٩هـ ٩٧٦م

أنساب الطالبيين والعلويين.

٦- محمد بن أحمد الأيوردي ٥٠٧هـ ١١١٣م

قبة العجلان في نسب آل سفيان.

٧- عبد الرحمن بن محمد الأنباري ٥٧٧هـ ١١٨١م

الجوهرة في نسب النبي صلي الله عليه وسلم وأصحابه.

٨- إسماعيل بن جعفر الصادق ٦١٤هـ ١٢١٩م

غنية الطالب في نسب آل طالب.

٩- الفخري

أنساب الطالبيين.

١٠- أحمد بن عبد الله الطبري ٦٩٤هـ ٢٤١٤م

خلاصة سير سيد البشر.

١١- أحمد بن علي الحسيني ٨٢٨هـ ١٤٢٤م

عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب.

١٢- عبد الرحمن السيوطي ٩١١هـ ١٥٠٥م

العجالة الزرنبية في السلالة الزينبية.

١٣- عبد الله بن محمد الرفاعي

صحاح الأخبار في نسب السادة الفاطميين الأخيار.

١٤- مزاحم بن سالم باوزير

رفع الحجاب عن نسب آل باوزير.

١٥- عبد السلام بن الطيب القادري الحسيني

الإشراف على نسب الأقطاب الأربعة الأشراف.

١٦- الدرر السني في بعض من في فاس من النسب الحسني

١٧- محمد بن أحمد المسناوي

نتيجة التحقيق في بعض أهل الشريف الوثيق.

١٨- محمد بن طاهر الحسيني (ابن بحر) ١٠٨٦هـ ١٦٧٥م

بغية الطالب في ذكر أولاد علي بن أبي طالب.

١٩- محمد بن خليل الطرابلسي

البهجة القدسية في الأنساب النبوية.

٢٠- الأمير شكيب أرسلان ١٣١١٩هـ ١٩٤٦م

نسب آل أرسلان.

أما من كتبوا عن فئة فهم:

١- الهيثم بن عدي ٢٠٧هـ ٨٢٢م

أ- تاريخ الأشراف الكبير.

ب- تاريخ الأشراف الصغير.

٢- علي بن محمد المدائني ٢٢٥هـ ٨٣٩م

- كتاب أشراف عبد قيس.

- كتاب من نسب الي أمه.

٣- أحمد الحارث الخزاز ٢٥٨هـ ٨٧٠م

كتاب الأشراف.

٤- أحمد بن يحي البلادزي ٢٧٩هـ ٨٩٢م

أنساب الإشراف.

٥- أحمد بن محمد الرازي الأندلسي ٣٤٤هـ ٩٥٥م

أنساب مشاهير أهل الأندلس.

٦- يوسف بن عبد الله بن عبد البر ٤٦٣هـ ١٠٧٠م

الأنباه الي قبائل الرواه.

٧- عبد الله بن علي اللخمي الرشاطي الأندلسي ٥٤٠هـ ١١٤٥م

إقتباس الأنوار والتماس الأزهار في أنساب الصحابة ورواة الأخبار.

٨- أحمد أمين الشنقيطي

المعلقات السبع وأنساب قائلها.

٢٠- الإعتبار الوهمي:

كما سبق أن أشرت آنفاً في فقرتين سابقتين: وقفة تأمل ونظرة فاحصة عن محتوى هذه المنطقة من السكان قديماً وحديثاً وتركيبتهم السكانية، وخاصة الحضر الذين تحضروا منذ أمد طويل، فكما مرَّ بنا أن هناك قبائل عربية تحضرت منذ القرن الأول الهجري وما بعده وقلّة نسبة من استمر من أفرادها في حياة البادية مقابل ارتفاع نسبة من تحضر منها؛ وبدأت هذه القبائل بالتدريج تميل إلي حياة التحضر والأستقرار في مواطنها أو في مناطق مجاورة، واستنبطت آبار المياه وزرعت الأرض وغرست بساتين النخيل وبدأت القرى والبلدات والمدن تنتشر في طول نجد وعرضها، كما حصل تغيير جذري للقبائل العربية في القرن الرابع الهجري أيام انتشار نفوذ القرامطةعلى إجزاء كبيرة من المنطقة إن لم يشمل نجد بأكملها حين اختفت قبائل بأكملها إلا من تحضر منها، فإنهم بقوا في أرضهم، أما الذين استمروا على باديتهم فإنهم قد تعرضوا لهزات عنيفة جعلت البعض منهم ينضم إلي جيوش القرامطة رغبة في المكسب، أو تقية وقائية من شرهم أو ضرائبهم (الأتاوات) التي كانوا يفرضونها على القبائل التي لا تنضم لهم كما رأينا في مكان آخر من هذا الكتاب والبعض الأخر قد رحل ونزح عن المنطقة الي أقطار أخرى من الوطن العربي، وحتى من انضموا الي القرامطة قد عصفت بهم ظروف الحياة حتى انتقلوا الي شمال أفريقيا كما مرَّ بنا، لقد ذهب معظم هذه القبائل ولم يبق منهم إلا القليل لذين كونوا بدورهم تحت ظروف التمزق والقلة بكيانات جديدة وبأسماء جديدة أما بأسم أحد فروع القبيلة الأم أو بأسماء

جديدة ليس لها علاقة في أي من القبائل القديمة وعماد هذه التكوينات الجديدة الأحلاف القبلية وحلت هذه القبائل محل القبائل القديمة في مواطنها أو أضافت اليها أجزاء أخرى بقوة السلاح، هذه القبائل أو الكيانات الجديدة تكونت وفق أحلاف دفاعية لحماية كيان القبيلة ونسائها وذراريها وأموالها، وهذه الأحلاف لم تكن مكتوبة وإنما هي أحلاف اصطلاحية يتفق عليها مشافهة حسب العرف القبلي بمعنى أن هذا الفرد أو الجماعة من أيٍ كان ينضم لهذه القبيلة بحيث يكون له مالها وعليه ما عليها وتتم المصاهرة والألتئام بموجب هذا الحلف العرفي القبلي الشفهي، هذه فئة البادية أما الفئة الثانية وهي الحاضرة الذين استقروا وتحضروا من هذه القبائل منذ أمد طويل وأصبح أهتمامهم في حماية أنفسهم كما سبق أن بينت ذلك في فقرة الكيان الحضري وينصب اهتمامهم في هذا الجانب دونما اهتمام الغالبية منهم بما يتعلق بقبائلهم السابقة التي ربما أضمحل بعضها إما بالنزوح من مواطنها الي مواطن أخرى أو من القبائل التي قد ذابت وانضمت بقاياها الي الكيانات القبلية الجديدة وتغير اسمها إضافة الي العامل الديني التابع مما جاء في القرآن الكريم في قوله تعالي "إن أكرمكم عند الله أتقاكم" وقوله صلى الله عليه وسلم "إذ جاءكم من ترضون دينه وحسبه ونسبه فزوجوه" أو ما في معناه: فقدم الدين على سواه فصار التزاوج من هذا المنطلق إذا توفر الدين والخلق والإستقامة، ومن القبائل التي اختفت من الساحة على سبيل المثال لا الحصر قبائل نمير، وقشير، وضبة وأسد وغني وبني كلاب وعبس وذبيان وغطفان وجعدة والحريش وأفناء من طيء وأفناء من تميم وبني كعب والرباب وغيرهم

من عشرات القبائل التي لم يعد لها ذكر منذ القرن الرابع الهجري القرن التاسع الميلادي، بقيت تلك الكيانات الحضرية محافظة على وضعها حيناً ومنسقة مع الكيانات القبلية بالتفاهم الذي يتم وفق تبادل المنافع والمصالح المشتركة ومنها على سبيل المثال تأمين الماء من قبل الحضر المقيمين لمواشي القبائل الرُّحَّل في فصل الصيف، حيث ترد مواشيهم على أهل القرى الواقعة في نطاقهم، كل واحد أو مجموعة من البادية تروى مواشيها على بئر وآبار رفيق لها من الحضر والنيَّل من ثمرة نخلة، وقد ينزل بجانب النخل مقابل هذه الخدمة يقدِّم البدوي لرفيقة وربما قريبه الحضري شيئاً من إبله للسني: أو من مواشيه للذبح والإقتناء أو من منتجات الألبان ومشتقاتها هذا الوضع تتبعه القبائل قريبة النجعة الذين يعيشون حول البلدان والقرى أما بعيدي النجعة فإن مواشيهم ترد على الموارد المتواجدة في قلب الصحراء وأحياناً تعصف الظروف بتلك القبائل المحيطة بالكيانات الحضرية ويسود سوء التفاهم وغيره فتفرض القبيلة أو القبائل على الكيانات الحضرية نوعاً من الإتاوة من التمر والحب تدفع سنوياً مقابل كف الأذي عن ذلك الحضري أو مساعدته في حالة مهاجمته من غيرهم، وقد يكون الكيان الحضري قوياً بحيث لا تستطيع قبيلة من هذه القبائل فرض الإتاوة عليه، وقد يكون الكيان ضعيفاً فتغزوه قبيلة أخرى من غير المحيطين بهذا الكيان وتسلب مواشي أهله وقد تنهب زروعهم سيما إذا كان الكيان غير قوي كما سبق أسلفنا لا يستطيع الدفاع عن نفسه أو منقسم على نفسه داخلياً، فأحياناً قد نجد في الكيان الحضري الواحد عدة زعامات غير متكافئة مما يجعل الآخرين

يطمعون به ويأخذون مواشي أهله أو يهاجمونهم في عقر دارهم وينهبون ممتلكاتهم، وكما مرَّ بنا أنفاً، فإن معظم الحوادث والإحتكاك بين الكيان الحضري والكيان القبلي في منطقة لبحث ناتج عن إغارة القبائل على مواشي الحضر واسترداداها من المغيرين، هذا الأمر يحدث عندما لا توجد سلطة قوية تستطيع منع مثل هذه الغارات، وقد استمرت هذه الأحداث منذ أمد بعيد وحتي عهد قريب كلما غابت السلطة القوية عن الساحة عادت هذه الغارات على ما كانت عليه في خِضَمّ هذه الأحداث يبقى الحضري الذي عاش في قريته أبأ عن جد عبر القرون المتعاقبة أو انتقل من بلدة أو مدينة أخرى لظروف معينة إما أن يكون قد نزح تحت ضائقة الفقر والعوز وثقل الدَّين الذي لا يستطيع الوفاء به إذا لم يكن لديه من الممتلكات ما يفي بدينه، أو يكون قد أنتقل بتأثير المرض الفتاك الذي يداهم المجتمعات بين الحين والآخر أو يكون قد جلا تحت ضغط الخوف من القتل إثر دم إرتكبه فهرب لإتقاء جريرته ولدي حالات من هذا النوع سيما وأن صاحب الثأر سيتابعه في كل مكان مما يضطره الي إخفاء نفسه في المكان الذي يحل فيه وقد يطول هذا الإختفاء، وإخفاء نفسه حتي على أولاده وربما يموت وهم لا يعرفون من أيِّ قبيلة هم لأن الناس في ذلك الوقت كانوا يأخذون الثأر من أيِّ واحد من أفراد القبيلة أو أبناء العائلة أتي وجدوه، إذا عجز صاحب الشأن من الظفر بثأره من الفاعل مباشرة فإنه يذهب الي أيِّ واحد ممن يمت اليه بصلة القرابة فيأخذ ثأه منه، فإذا لم يكن للإنسان عصبة في موطنه الجديد تحميه وتساعده علي من يريد به شراً فإنه يبقى متخفياً، وكثير من

هذه الفئة يبقى مخفياً حقيقة أمره، وشخص بهذا الوضع قد تضطره ظروفه القاسية الي أن يصاهر ما تيسر له، وقد يموت دون أن يعلم أبناؤه عن أصلهم والأرومة التي يعودون اليها، وإذا نظرنا بعين الإعتبار الي تلك المسافات البعيدة آنذاك على غير ما هي عليه اليوم، فالمكان الذي يبعد ١٠٠ كيل يعتبر بعيداً، أما مسافة ٣٠٠ كيل فهو بعيد جداً وإذا ابتعد ٥٠٠ كيل فهو النائي جداً، وعندما يصل الي ١٠٠٠ كيل فما فوق فيعتبر في طرف الدنيا حسب مفهوم ذلك الوقت: هذه الإعتبارات وغيرها لها أثر كبير الي جانب الاعتبارات الاخرى مثل قدم التحضر وممارسة الأعمال الحضارية التي يتقنها الحضر، أو التخفي بتأثير المشاكل الأخرى هذه الجوانب قد نتج عنها طبقة إجتماعية يسميها البعض من ذوي النظرة السطحية القصيرة في بعض المناطق "بالصُنّاع" "ويعنون أصحاب المهن والصناعات ومن يصاهرهم، وإذا عدنا الي التاريخ وجدنا الأشراف من قريش، وقريش معروفة بشرفها وتقدمها بين القبائل ولو لم يشرفها الله إلا بظهور صفوة الخلق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم منها، هذه القبيلة نجد الكثير من أشرافها البارزين يعملون بالمهن والصناعة إذا كان هذا وضع الأشراف من قريش فما بالك بسائر الناس منهم فضلاً عن القبائل الأخرى التي لها باع طويل في مجال الصناعة والمهن (فضلاً انظر فقرة المهن).

والصناعة هي عماد تقدم الأمم، وما تفوقت الدول الكبرى وسيطرت على العالم وبالذات الدول المتخلفة إلا بالصناعات والتقنية تلك الدول المتخلفة التي يعتقد بعض أفرادها أن من يعملون بالصناعة والمهن هم من الطبقة الدنيا

الألف سنة الغامضة من تاريخ نجد

الذين لا يصاهرهم أبناء القبائل، هذا الإعتبار قد يدل على ضيق الأفق والنظر الي خط وهمي فاصل بين هذه الفئة وتلك، مع أن الجميع يعودون الي أرومات عربية واحدة بعضها قد تحضر وعمل بمجالات المهن الحضارية وبعضها فضل حياة البادية والترحال وبقى مترفعا عن المهن والصناعات وكل ما يمت اليها بصلة واعتبر من يعمل بها من الطبقة التي لا يحبذ مصاهرتها مع أنه في الواقع يمارس بعض المهن التي لها مساس بحياته، لكن الوعي الصناعي قد أخذ طريقه ولله الحمد الي عقول الكثير من الناس فبدأ أبناء القبائل بممارسة الصناعات والمهن، وهذا تساوي من الناحية العملية والمنطقية أبناء القبائل ومن يسمونهم الصناع وباستمرار هذا الوعي وتطوره قد يزول هذا الإعتبار الوهمي الذي يقسم المجتمع الي طبقتين متمايزتين خاصة فيما يتعلق بالمصاهرة، سيما وأن الكثير من الناس من الفئتين يعملون بالصناعة جنباً الي جنب، بالإضافة الي إحضار البعض منهم زوجاتهم من الأقطار العربية الأخرى من سوريا والأردن مصر والمغرب والأقطار الإسلامية من الباكستان والهند وتعدى ذلك الي البلدان الأجنبية مثل بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية وغيرهما وقد نجد الزوجان (العديلان) الذين تزوجا من أحد هذه الأقطار أختين شقيقتين من أسرة واحدة أحدهما زوجها من أبناء القبائل والآخر من الصناع وهذا إن دل على شيء فإنما دل على البدء بالإنفتاح ورحابة الأفق التي بدأت تتبلور لدى الكثير من الناس مما قد يخفي هذا التمييز الطبقي بعد فترة من الزمن إن شاء الله.

٢١- الصناعات والحرف عند العرب:

لقد دفعت حاجة الإنسان الي المعادن لاستخراجها واستخدامها في أموره الحياتية من حربية وزراعية ومنزلية وقد حدث ذلك بين أهل الحضر في الغالب لمعرفتهم في ذلك أما البادية فتنقصهم المهارة الفنية في هذا الشأن، وقد اشتهرت الجزيرة العربية بعدد وفير من المعادن من بينها معدن الحديد الذي كان متوفراً في مضارب قبيلة بني سليم التي اشتهرت بصهره وتنقيته وأول من عمل بالحديد الهالك بن مراد بن أسد بن خزيمة،وقد ذكر ابن قتيبة في المعارف الصناعات التي يقوم بها الأشراف من قريش فقد كان سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يبري النبل، والعوام أبو الزبير وعثمان بن طلحة وقيس بن مخرمة خياطين، والزبير بن العوام وعمرو بن العاص وعامر بن كريز جزارين، والعاص بن هشام أخو أبي جهل والوليد بن المغيرة حدادين وكان عتبة بن أبي وقاص نجاراً، وكان عبد الله بن جدعان نخاساً (يبيع الرقيق) له جوار يساعين ويبيع أولادهن.(٥٧٥- ٥٧٦/ ٢١٣)، وكان سعد بن سهل جدُّ قصي لأمه، وقصيُّ أحد أجداد النبي صلى الله عليه وسلم، كان سعد حداداً وهو أول من حلّى السيوف بالفضة والذهب، وكان أهدى الي كلاب والد قصي: مع ابنته فاطمة والدة قصي سيفين محلين فجعلا في خزانة الكعبة (١٢٢/ ١٦٥)، فإذا كان هذا حال أشراف قريش فكيف حال سائرهم وإذا كانت قريش وهي بين القبائل العربية شرفاً وسودداً بظهور النبي صلى الله عليه وسلم منها فما بالك بالقبائل العربية الأخرى التي كانت تعمل بالصناعات والتعدين ومختلف المهن حيث

برعت في عدد من الصناعات الحديدية وغيرها، وكانت أسلحة العرب على ما يبدو ذات أهمية للفرس، ولعل ذلك قد يكون مرده الي رغبتهم في الحد من مقادير الأسلحة التي وجدت تحت تصرفهم لا أكثر، غير أن هذا لا يمنع من وجود سبب أخر هو أن العرب آنذاك كانوا قد بلغوا بصناعة الأسلحة وآلات القتال درجة رفيعة، وأن هذا التقدم في التقنية العسكرية هو الذي اهتمام الفرس بصورة خاصة: ومن الجدير بالذكر أن خسرو عند ما طالب إياس بن قبيصة الطائي بميراث النعمان بن المنذر وخزائنه رد عليه إياس أنه استودعها عند هانئ بن مسعود الشيباني وكان النعمان عندما خاف من خسرو استودع صهره هانئ بن مسعود الشيباني من بطن ثعلبة بن بكر بن وائل متاعه ودورعه وسلاحه، ومما يلفت النظر في هذا أن خسرو لم يرد وضع يده على مقتنيات النعمان وثروته فحسب بل وعلى أسلحته لا الشخصية منها بل خاصة دورع الحديد التي قيل في إحدى الروايات أنها بلغت الأربعمائة درعاً وفي رواية أخرى ثمانمائة.(١٤٧/ ١٦٨)، فقامت الحرب في يوم ذي قار من أجل هذه الأسلحة.

وقد عرف أهل اليمامة صناعة التعدين في وقت مبكر وذلك لما أودعه الله كذلك في بلادهم من كنوز طبيعية من أهمها الذهب والفضة ومارس بعضهم هذه المهنة بأنفسهم فقد ذكر ياقوت أن في معدن العيصان أناس من بني حنيفة وبني نمير وغيرهم ممن يعمل في التعدين (من المعادن التي سيأتي ذكرها وعددها أربعين معدناً) ولاستخراج هذه المعادن وغيرها لابدَّ من صناعة الأدوات الحديدية التي يتم استخدامها لهذا الغرض وسواه من الأغراض:

١- ومن هذه الأدوات المعاول: واحدها المعول، وهو ما يثار به الأرض وقد ذكره الحطيئة في شعره فقال:

ما كان ذنبي إذا فلّت معاولكم ... من آل لأي صفاة أصلها راسي

وقال في موضع آخر:

يثيران جوناً ذا ظلال كأنه ... حديد البقاع هيجته المعاول

٢- الجلمان وهو المقراض (المقص الكبير) الذي ذكره عنترة بن شداد بقوله:

حرق الجناح كأن لحيي رأسه ... جلمان بالأخبار هش مولع

٣- الإزميل وهو ما يحفر به على الخشب وغيره وقد ذكره عبدة بن الطبيب التميمي بقوله:

عيهمة ينتحي في الأرض منسمها ... كما أنتحى في أديم الصرف إزميل

٤- فأس المسحل وهو حديدة اللجام المعترضة في فم الفرس قال فيه عنترة:

سلس المعذّر لاحق أقرابه ... متقلبٍ عبثاً بفأس المسحل

٥- المبرد وهو ما يبرد به الحديد، ويكون المبرد من حديد الفولاذ قال عنترة:

وتخال أنفاسي إذا رددتها ... بين الطلول محت نقوش المبرد

٦- المنجل وهو ما يحصد به الزرع ونحوه قال فيه عنترة:

بنواظر زرق ووجه أسود ... وأظافر يشبهن حدَّ المنجل

٧- الجفان: وهي القدور الكبار وهي أكبر ما يكون من القصاع وربما صنعت من خشب الشيزى والأبنوس. (ما يصنع من الخشب يقدم فيه الطعام ولا يطبخ

به، أما ما يطبخ به فالقدور النحاسية أو الحديدية أو البُرْم) قال حسان بن ثابت الأنصاري:

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى ... وأسيافنا يقطرن من نجدها دما

وتنقسم الصناعة في ذلك الوقت الي عدد من التخصصات منها ما يقوم علي الحديد ومنها ما يقوم على الذهب والفضة ومنها ما يقوم على الأخشاب وغير ذلك من المواد المستخدمة آنذاك وتكون لمختلف الأغراض منها:

١- صناعات آلات الحرب:

لقد أسهم العرب إسهاماً فعالاً في صناعة أدوات الحرب (كما مرَّ بنا) وتنقسم الي قسمين أسلحة الهجوم وهي العصا والمقلاع والسهم والقوس والرمح والسيف والفأس، وأسلحة الدفاع وهي الترس والمجن والخوذة والبيضة والدرع والجرموق وهو جورب من النحاس كان يلبس على الرجل والمنطقة، وقد أشار الي صناعة السلاح واستخدامها الشعراء العرب منهم عبد الله بن الحر الجعفي:

وأبيض قد نبهته بعد هجعة ... فقام يشد السرج والمرء ناعس

عليه دلاص كالأضاة وبيضة ... تضيئ كما يذكى من النار قابس

وقال في موضع آخر:

علينا دلاص من تراث محرق ... وترك جلا عنها مداس الصياقل

ومطردات من رماح ردينة ... وأتراس جون علقت بالشمائل

ومن أشهر هذه المصنوعات:

١- السيوف وهي من أشهر أدوات الحرب، والسيف هو السلاح الرئيس للقتال، وقد برعت به بعض القبائل العربية منها قبيلة عدوان حيث ذكرها شاعرها ذو الأصبع العدواني بقوله:

السيف والرمح والكنانة والنبل ... جياداً محشورة منعا

قوم أفواقها وترصها ... أنبل عدوان كلها صنعا

وما رواه ابن إسحاق أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث سعيد بن زيد الي نجد ليبتاع له الخيل والسلاح، والسيوف الجيدة هي المصنوعة من الحديد النقي ومن الفولاذ وأنواع السيوف كثيرة منها ما يكون له حدٌ واحد ومنها ماله حدين قال الحصين بن حمام المري:

بكل رقاق الشفرتين مهند ... وأسمر عراص المهزة أرقب

وقال الحطيئة:

مثابرة رهواً وزعت رعيلها ... بأبيض ماض الشفرتين صقيل

ويقال لحديدة السيف النصل، قال قيس بن الخطيم:

إذا سقمت نفسي الي ذي عداوة ... فإني بنصل السيف باغ دواءها

وظُبَة السيف شفرته قال عنترة:

مرت أوان العيد بين نواهد ... مثل الشموس لحاظهن ظُباء

والإفرند جوهر السيف قال عنترة:

إذا لم أروي صارمي من دم العدا ... ويصبح من إفرنده الدم يقطر

وقال الأخنس بن شهاب التغلبي:

حليلاي هو جاء النجاء شملة ... وذو شطب لا يجتويه المصاحب

والسيوف السريجية منسوبة الي سريج أحد بني معرض بن عمرو بن أسد بن خزيمة، قال محمد بن حبيب هو أحد بني معرض بن عمرو بن أسد بن خزيمة، قال حريث بن عناب الطائي:

ببيض خفاف مرهفات قواطع ... لداود فيها إثره وخواتمه

وزرق كستها ريشها مضرحية ... أثيث خوافي ريشها وقوادمه

وهناك سيوف لها أسماءاً اشتهرت بها منها "الصمصامة" وهو سيف عمرو بن معد يكرب الزبيدي، وذو الفقار" وهو سيف على بن أبي طالب رضي الله عنه و "ذو الراحة" وكان للمختار بن أبي عبيدة، و "ذو الحيات" وهو سيف الحارث بن ظالم وقد نقش عليه صورة حيتين، و "ذو النون" وهو سيف مالك بن زهير نقش عليه صورة سمكة، و "مخذم" و "رسوب" وهما سيفى الحارث بن أبي شمر الغساني قال علقمة بن عبدة:

مظاهر سربالي حديد عليهما ... عقيلا سيوف مخذم ورسوب

و"رسوب" كان للرسول صلى الله عليه وسلم و "مرسب" سيف خالد بن الوليد رضي الله عنه، ومن أسماء السيف: الحسام والمرهف والمخذم، والمجزار، والقاضب والهزام وغيرهما كثير، ويسمى السلاح المؤنسات وهي: الفرس والسيف والرمح والبيضاء والترس والقوس قال الشاعر:

ولست بزمّيلة نأنأ ... خفي إذا ركب العود عودا

ولكنني أجمع المؤنسات ... إذا مالرجال استخفوا الحديدا

٢- الرمح:

والرمح سلاح يستعمل للطعن وهو من الأسلحة التي استخدمت قديماً وقد ذكره الكثير من الشعراء قال عنترة:

فشككت بالرمح الطويل ثيابه ليس الكريم عن القنا بمحرم

وقال مزرد بن ضرار الذبياني:

ولو في بني الثرماء حلت تحدبوا عليها بأرماح طوال الحدائد

وقال زهير بن أبي سلمي:

إذا فزعوا طاروا الي مستغيثهم طوال الرماح لإضعاف ولا عزل

ويتكون الرمح من ثلاثة أجزاء: وهي القناة والسنان والزج:

١- القناة: هي القائم (عصا الرمح) الذي يدخل في أعلاه السنان ويثبت بأسفله الزج وأجوده عند العرب ما كان أصم غير أجوف مطرد معتدلاً ليس فيه أعوجاج أملس لإلحاء عليه ولا نتوء، صلباً غير يابس مرناً يضطرب اهتزازاً، لدناً لينا يرضى صاحبه، ويلذُّ الكف كلما هُزَّ مثقفاً مقوماً وعقده صلبة ليست خوارة وكعوبه بطراوة صحيحة وفضلوا من ألوانه الأحمر والأسمر لأن كلا منهما يدل على الصلابة والنضج قال عمرو بن كلثوم:

بسمر من قنا الخطي لدنٍ ذوابل أو ببيض تعتلينا

وقال تميم بن أبي بن مقبل العامري:

أو اهتزاز رديني تداوله أيدى الرجال فزادوا مسه لينا

وقال المزرد:

ومطرد لدن الكعوب كأنما تغشاه منباع من الزيت سائل

وهي تصنع عادة من نبات الوشيج والزان والقصب الهندي المستورد قال زهير بن أبي سلمي:

وهل ينبت الخطى إلا وشيجه وتغرس إلا في منابتها النخل

والوشيج يأتي من الخط جهات البحرين وعمان (الأحساء وساحل الخليج العربي الي عُمان) قيل نه ينبت فيه وقيل أنه يرد اليه ويُقوم ويثقف في هذه المنطقة قال الخطفي المحاربي:

ويوم رجيج صبحت جمع طيء عنا جيج يحملن الوشيج المقوما

والمران يتخذ منه قناة الرمح وهو صلب لين قال قيس بن الخطيم:

ترى قصد المران تهوى كأنها تذرع خرصان بأيدي الشواطب

ب- السِّنان:

وهو النصل ويصنع من الحديد وهي صناعة محلية في المجتمع العربي وقد بلغت حدَّ الشهرة منها الشراعيَّة نسبة الي رجل يدعى شرعاً قال عوف بن الأحوص:

قناة مذرب أكرهت فيها شراعياً مقالمة ظماء

وهناك ما يسمى "القعضبية" نسبة الي قعضب رجل من قشير كان يصنعها قال الأعشي:

ولُدنٌ من الخطي فيها أسنة دخائر مما سنَّ أبرى وشرعب

وقال الحطيئة:

يجلى بفتيان الوغى بأكفهم ... ردينية سمر أسنتها حمر

وكان فتيان الحرب يصلحون الأسنة ويجلونها قال سلامة بن جندل التميمي:

بالمشرفي ومصقول أسنتها ... صم العوامل صدقات الأنابيب

يجلو أسنتها فتيان عادية ... لا مقرفين ولا سود جعابيب

زرق أسنتها حمراً مثقفة ... أطرافهن مقيل لليعاسيب

وقال عميرة بن جعيل التغلبي:

جمعت ردينياً كأن سنانه ... سنا لهب لم يستعن بدخان

وكانت الأسنة تصنع "بذي بحر" واد في نجد بديار قبيلة بني كلاب.

ج- الزج:

والزج هو الحديدة التي تكون في أسفل الرمح (أو الطرف الثاني) يثبت به على الأرض ويستعمل عند الحاجة وقد تعددت أسماء الرماح منها:

١- الرُّدَيْنِيةُ: وهي منسوبة الي رُدَيْنَةَ إمرأة السمهري وكانا يقومان القنا بخط هجر (الأحساء) قال الحطيئة:

يجلى بفتيان الوغى بأكفهم ... ردينية سمر أسنتها حمر

وقال عنترة:

تصبح الردينيات في حجباتهم ... صياح العوالي في الثقاف المثقب

وقال الحصين بن الحمام المري:

يهززن سمراً من رماح ردينة ... إذا حركت بضت عواملها دما

٢- السَّمْهَرِية: وهي رماح منسوبة الي سَمْهَر أو السَّمْهَرِيُّ وهو زوج ردينة وكانا يقومان ويثقفان القنا بخط هجر وقد بلغ سمهر وزوجته ردينة شهرة واسعة عندما أتقنا صناعة الرماح حتى بلغا شأواً بعيداً من الشهرة التي بلغت أنحاء الجزيرة العربية قال الحطيئة:

فما إن كان عن ود ولكن ... أباحوها بصم السمهري

وقال الحصين بن الحمام المري:

نطاردهم نستنقذ الخيل كالقنا ... ويستلبون السمهري المقوما

٣- الخَطِّية: نسبة الي الخط قال ياقوت: الخط أرض تنسب اليها الرماح الخطية وهو خط عمان ومن قرى الخط القطيف والعقير وقطر وهي مواضع كانت تجلب اليها قنا الرماح من الهند فتقوم فيه وتباع على العرب، وقال أبو حنيفة: الخطي الرماح ونسبته الي الخط البحرين (الأحساء الي عمان جنوباً وعين الجبل شمالاً) واليه ترفأ السفن إذا جاءت من أرض الهند وليس الخطي الذي هو الرماح من نبات أرض العرب فتقوم به، وتخضع قناة الرمح لعملية تثقيف بواسطة الثِّقاف وهو حديدة تكون للقوس والرِّماح يقوم بها الشيئ المعوج وقال أبوحنيفة: الثقاف خشبة قوية قدر الذراع في طرفها خرق يتسع للقوس ويدخل منه على شحوبتها ويغمز منها حيث ينبغي الغمز حتى تصير ما يراد منها ولا يفعل بالقسي والرماح إلا مدهونة أو مضهوبة على النار (مضهوبة تمرر على النار حتى تسخن) قال عروة بن الورد العبسي:

بكل رقاق الشفرتين مهند ... ولدن من الخطي قد طر أسمرا

وقال النابغة الذبياني:

لهن عليهم عادة قد عرفتها　　　إذا عرض الخطي فوق الكواثب

وقال عمرو بن كلثوم التغلبي:

بسمر من قنا الخطي لدن　　　ذوابل أو ببيض يعتلينا

٤- اليَزَنِيَّة: نسبة الي سيف بن ذي يزن الملك اليمني، قال أبو ذؤيب الهذلي:

وكلاهما في كفه يزنية　　　فيها سنان كالمنارة أصلع

٣- صناعة الدروع:

وتنسب الدروع الي داود عليه السلام، وتُبَّع ملك اليمن، ومحرّق ملك الحيرة أو الملك الغساني وهم يريدون بذلك القدم وجودة الصنعة(داود عليه السلام في القرن العاشر قبل الميلاد، وتبع بعده والمحرق في القرن الرابع الميلادي) كما تنسب الي سلوق بلدة باليمن، والدروع الحطمِيّة منسوبة الي حطمة بن محارب بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن عبد القيس بين قصي بن كلاب، وقيل لكيز بن عبد القيس بن أفصى قال ابن الكلبي: هي منسوبة الى حطم وهو أحد بني عمرو بن مرثد من بني قيس بن ثعلبة (أنظر صدر هذا الفصل لتري أهمية الدروع العربية وجودة صنعها وأنها كانت السبب في معركة ذي قار) والدروع أسلحة للدفاع والوقاية من ضربات السيوف وطعن الرماح قال الحطيئة:

يمشون في نسج داود كأنهم　　　بُزْلُ طلي أدمها بالزفت طائيها

وقال كعب بن زهير:

شم العرانين أبطال لبوسهم　　　من نسج داود في الهيجا سرابيل

وقال الحطيئة ينسبها الي سليمان بن داود (سلاَّم):

فيه الرماح وفيه كل سابغة　　　جدلاء مبهمة من نسج سلام

وقال النابغة الذبياني ينسبها الي سليمان بن داود (سليم):

وكل صموت نَثْلَة تُبَّعِيَّة　　　ونسج سليم كل قضاء دائل

وللدروع عدة أسماء منها: اللبوس، والسربال، والخرصان، والنثرة، والبيضاء، والشلشل، والسرد، واليلبُ، والمفاضة، والسابغة، والموضونة، وعن اللبوس قال زهير:

عليها أسود ضاريات لبوسهم　　　سوابغ بيض لا تخرقها النبل

وقال عنترة:

تركوا اللبوس مع السلاح هزيمة　　　يجرون في عرض الفلاة المقفر

وعن السربال قال الحطيئة:

وحثة الركض والسربال ساجعة　　　الي نداء بظهر الغيب تثويب

وعن الخرصان قال الشاعر:

سم الصباح بخرصان مسومة　　　والمشرفية نهديها بأيدينا

وعن النثرة يقول ثعلبة بن صعير:

تنق كجلمود القذاف ونثرة　　　تقف وعراض المهزة عاتر

وقال ثعلبة بن عمرو العبدي عن البيضاء:

بيضاء مثل النهي ريح ومده　　　شآبيب غيث يحفش الأكم هائف

وعن الشلشل قال زبان بن سيار المري:

أعددتها لبني اللقيط وفوقها ... رمحي وسيف صارم وشليل

وعن السرد قال عبيد بن الأبرص الأسدي:

كلون الماء أسود ذو قشور ... تسجن تلاحم السرد الدلاص

وعن اليلب قال عمرو بن كلثوم:

علينا البيض واليلب اليماني ... وأسياف يقمن وينحنينا

وقال النابغة الجعدي عن المفاضة:

ومنهته حتى لبسن مفاوضة ... مضاعفة كالنهي ريح وامطرا

وقال كعب بن زهير عن السابغة:

بيض سوابغ قد شكت لها حلق ... كأنها حلق القفعاء مجدول

وقال عنترة بن شداد:

إذا مشوا في السابغات حسبتهم ... سيولاً وقد جاشت بهنَّ الأباطح

والموضونة هي مقاربة النسيج المضاعفة الحلقات حيث تربط حلقات الدرع بعضها ببعض بمسامير محكمة الصنع تكون نتوءاً تصد ضربات السيوف والرماح وتسمى المسامير الحرابي قال قيس بن الأسلت الأنصاري:

أعددت للأعداء موضونة ... فضفاضة كالنهي بالقاع

وقال الحطيئة في ذات الحرابي:

كالهندواني لا تثني مضاربه ... ذات الحرابي فوق الدارع البطل

٤- صناعة القسي:

القوس والسهم سلاح يستعمله المشاة وراكبوا الخيل، فالقوس هو الذي تمسك باليد، ويشدُّ وترها شداً قوياً ليرمي السهم الي الهدف المراد رميه، وتتكون القوس ممن خمسة أجزاء عدا الوتر وهي:

السيتان، والذراعان، والمقبض، وللقوس نصفان أعلى وهو ما يكون في جهة السماء للرامي، وأسفل وهو الذي يتجه نحو الأرض والأعلى عبارة عن الجزء الذي يبتدئ من نهاية السِّيَة العليا الي مقدار عرض إصبع من المقبض ويتضمن الذراع الأعلى وما بقى من المقبض فهو الجزء الأسفل،ووسط القوس يسمى كبد القوس أما الوتر، فيصنع من الجلد وأحسنها ما كان من جلد الإبل غير السمينة وزعموا أن أول من عمل القسي من العرب رجل من الأزد أسمه ماسخ، والأقواس الماسخية منسوبة اليه، وللقوس عدة أسماء منها: العطائف، والصفراء، والهتوف، والنفيحة، والفرع، قال ذو الرمة في العطائف:

وأشقر بلّي وشيه خفقانه ... على البيض في أغمادها والعطائف

وقال الشماخ بن ضرار الذبياني عن الصفراء:

مطل بزرق ما يداوي رميُّها ... وصفراء من نبع عليها الجلائز

وقال المزرد:

نعت صباحي طويل شقاؤه ... له رقميات وصفراء ذابل

وعن الفرع قال راشد بن شهاب اليشكري:

ونبل قران كالسيوف سلاجم ... فروع هتوف لا سقي ولا نشم

وقال مليح الهذلي عن النفيحة:

أنا خوا معيدات الوجيف كأنها   نفائج نبع لم تربّع ذوابل

وأنواع القسي متعددة منها القسي الماسخية التي سبق ذكر نسبتها الي ماسخ، قال عنها الشماخ بن ضرار الذبياني:

عنس مذكرة كأن ضلوعها   أطرحناها الماسخي بيثرب

وقال آخر:

كقوس الماسخي أرن فيها   من الشرعبي مربوع متين

وقال الأعشي:

منعت قياس الماسخية رأسه   بسهام يثرب أو سهام بلاد

ومنها قسي زارة، وهي إمرأة ما سخة من الأزد، ومنها القسي الرضوية نسبة الي جبل رضوى الذي تؤخذ من أشجاره القسي وقيل هي منسوبة الي رضوى إمرأة، ومنها القسي العصفورية وهي منسوبة الي رجل يسمى عصفوراً ويتخذ القوس من أغصان الأشجار منها النشم، والسراء والتألب، والنبع والشوحط، والضال، والنبع شجر أصفر العود رزينة ثقيلة في اليد، وإذا تقادم أحمر وكل القسي إذا ضمت الي قوس النبع كرمتها قوس النبع لأنها أجمع القسي للشدة واللين في أغصانه، وهناك شجر القرض لها سوق غلاظ، وشجر العرعر شجر جبلي عظيم يسميه البعض السرو وشجر الدلب والتنضب والطلح وتتخذ من أغصان هذه الأشجار الأقواس والسهام، قال المبرد: النبع والشوحط والشريان شجرة واحد، فما كان منها في قلة الجبل فهو النبع وما كان في

سفحة فهو الشريان وما كان في الحضيض فهو الشوحط أما النشم فهو شجر جبلي تتخذ منه القسي قال أمرؤ القيس:

عارض زوراء من نشم   غير بانات على وتره

وقال ساعدة بن جؤية:

يأوي الي مشمخرات مصعدة   شم بهن فروع البان والنشم

وعن السراء قال زهير بن أبي سلمي:

ثلاث كاقواس السراء ومسحل   قد أخضر من كس الغمير حجافلة

وقال ساعدة بن جوية عن التألب:

فأزال ناصحها بأبيض مفرط   من ماء إلهاب عليه التألب

وقال دريد بن الصمة القشيري عن النبع:

وأصفر من قداح النبع فرع   به علمان من عقب وضرس

وقال ثعلبة بن عمرو العبدي:

وصفراء من نبع سلاح أعدها   وأبيض قصال الغريبة جائف

وقال الأعشى عن الشوحط:

رجاداً كأنها قصب الشو   حط يحملن شكة الأبطال

وقال تميم بن أبي بن مقبل العامري:

زعانق شوحط صم مقاطعها   مكسوة من خيار الريش تلوينا

وقال الشماخ بن ضرار الذبياني عن السدر:

نحوها القواس من فرع ضالة   لها شذب من دونها وخرائز

٥- صناعة السهام:

السهم واحد النبل وهو ما يرمي به الهدف وللسهم عدة أجزاء:

١- الفوق أو الكز، ٢- الشرحان، ٣- الأطرة، ٤- الُخفَو، ٥- المذبح أو الخصر، ٦- الزافرة، ٨- الرِّصفَة، ٩- الرُعظ، ١٠- النصل أو الحديدة، ١١- الظُّبة، ١٢- القراران، ١٣- الكلية، ١٤- السنخ وأجود السهام التي صنعها العرب سهام بلام، أو سهام يثرب وهما بلدان من حجر اليمامة، وقد اشتهرت قبيلة عدوان بصناعة السهام قال الأعشي:

فأملها حتى ترون عطاشها ... فأرسل فيها من كنانته سهماً

وقال ذو الأصبع العدواني:

فقوم أفواقها وترصها ... أنبل عدوان كلها صنعا

ثم كساها أسود أحم فينانا ... وكان الثلاث وتبعا

والأسهم الرقميات منسوبة الي جبال الرقم وهي جبال بديار غطفان حيث تصنع السهام هناك. (وجبال الرقم الآن تسمى حبل العَلْم في منطقة حائل يقع جنوب حائل بمسافة ٢٠٠ كيل) قال المزرد:

لِنَعْتُ صباحي طويل شقاؤه ... له رقميات وصفراء ذابل

والجفير أو الكنانة وهي جُعْبَةُ السهام، قال أوس بن حجر التميمي:

وحشو جفير من فروع غرائب ... تنطع فيها صانع وتنبلا

تخيرن أنضاء وركبن أنصلاً ... كجمر الغضا في يوم ريح تزيلا

فلما قضى في الصنع منهن فهمه ... فلم يبق إلا أن تسن وتعقلا

كساهن من ريش يمان ظواهراً ... سخاماً لؤاماً لينَ المس أطحلا

وقيل ان يُرَيشَ السهم يسمى القِدْح فإذا رُيشَ وركب فيه نصله سُمّي نصلاً، والسهام التي لا نصال لها ويرمي لتبلغ الغاية(للتدريب) تسمى المغالي قال عنها المزرد:

الي صبية مثل المغالي وحزمل ... رواد ومن شر النساء الحزامل

وقال عنها القداح:

له طحر عرجون كأن مضيفها ... قداح براها صانع الكف نابل

وتستعمل السهام المسمومة ليتضاعف خطرها وربما تستخدم السهام لأشعال الحرائق، ومن مشاهير رماة العرب عمرو بن عبد المسيح الطائي الذي قال عنه امرؤ القيس:

رُبَّ رام من بني ثعل ... مخرج كفيه من ستره

٦- صناعة الترس والبيضة:

الترس من سلاح المتوقي بها وجمعه أتراس وتروس، وقيل الترس هو المجن، فالترس هو الصغير والمجن هو الترس الكبير وهناك الدَّرَقة وهي ترس من الجلود، ويقال للترس الجَوْب قال الشاعر:

كأن شمسانا زعت شموساً ... دروعنا والبيض والتروسا

وقال لبيد بن ربيعة العامري:

فأجازني منه بطرس ناطق ... وبكل أطلس جوبة في المنكب

الترس من أدوات الحرب التي تتخذ للوقاية قال النابغة الجعدي:

وبطن كظهر الترس لو شل أربعـــا ... لأصبح صفواً بطنه ما تجرجـرا

وقال المزرد:

وجوب يري كالشمس في طخية الضحى ... وأبيض ماض في الضريبة قاحل

وكانوا يصنعون الترس من الخشب وكان يلون أحياناً بألوان مختلفة على هيئة دوائر في النصف وكثيراً ما كانوا يغطونه بالجلد ويغمسون الجلد في الزيت حتى لا يتشقق أو يصنعونه كله من الجلد الثخينة كجلود الأبل والبقـر، قـال عنترة:

فرأيتنـا مـا بيننـا مـن حـاجز ... إلا المجن ونصل أبيض منصـل

والجحف ضرب من التروس واحدها جحفة وهي من جلود الإبل مقورة قـال عنها الأعشى:

لسـنا بعـير وبيـت الله حـائرة ... لكن علينا دروع القوم والجحف

وقال عنترة:

فـدون بيتـك أسـد في أناملـها ... بيض تقد أعالي البيض والجحف

وكان المحارب يحمل الترس بحزام جلدي على ظهره فإذا جاءت المعركة نزعه ليستعمله بيده اليسرى بإدخال اليد تحت سيرين من الجلد في مؤخرة الترس وقبض على سير على حافته، وكان الترس يستعمل لحماية المحارب من السـهام والرماح والسيوف والحجارة فيتقي به ضربات خصمة ثم أخذوا يصنعون الترس من الحديد وبعض الأتراس دائرية على هيئة قرص ومعظم أنواع الأتراس عنـد العرب من هذا النوع.

البَيْضَةُ: وهي غطاء الرأس، استخدمها المحاربون لحمايـة الـرأس مـن ضربات السيوف والحجارة والعصي وما شابه ذلك، وخيرها ما صـنع مـن الحديد وتسمى دلامصة، أي سهلة لينة قوية صلبة بحيث تتكسر عنها الحجـارة قال الشاعر:

ونَسْـبغَةُ في تركـة حميريـة ... دلامصة ترفضُ عنها الجنادل

وكانوا يتفننون في صناعة البيض ويزخرفونها وربما طلوهـا بالـذهب والفضة، قال خداش بن زهير العبسي:

الضارب البـيض المـتقن صـنعه ... يوم الهياج بكل أبيض صـافي

ويقال لمقدم البيضة وقيل أعلاها القونس، قال حسيل بن سبيح الضبي:

بمطـرد لـدن صـحاح كعوبـه ... وذي رونق عضب يقط القوانسا

وقال الأصمعي: القونس مقدم البيضة، وقال النضر: القونس في البيضة سنبكها الذي فوق جمجمتها وهي الحديدالطويلة في أعلاها، والجمجمة ظهر البيضة والبيضة التي لا جمجمة لها يقال لها الموأمه قال عبيـد بـن الأبـرص الأسدي:

يسبق الألف بالمدجج ذي القونس ... حـتى يـؤوب كالتمثـال

٢- الصناعة النحاسية:

والنحاس ضرب من الصفر، وهو معدن أحمر اللون صالح للإستعمال في أمور كثيرة، والصفر النحاس الجيد، والعبلاء معدن الصفر في بلاد قيس ومنـها

يستخرجونه، والنوع الثاني من النحاس هو الأحمر وهو أقل جودة من الأصفر وأكثر استعمالاً، والشَّبه النحاس يصبغ فيصفر قال المرار:

تدين لمزرور الي جنب حلقة ... من الشبه سواها برفق طبيبها

ويصنعون من النحاس مختلف الأواني للطبخ وتقديم الطعام وأواني الشرب وحفظ بعض الأطعمة وغير ذلك.

٣- صناعة البرونز:

إذا جمع النحاس مع القصدير نتج عن ذلك معدن آخر هو البرونز وهو معدن صلب، وقد توصل القدماء الي صنعه، وكانوا يصنعون منه السلاسل والأسلحة وآلات الضرب وآلات الحفر والتماثيل.

٤- صناعة الرصاص:

الرصاص معدن ثقيل كان معروفاً منذ عهد بعيد وأول من اسقط بالرصاص من ملوك العرب ثعلبة بن امرئ القيس بن مازن الأزدي، والرصاص ضربان، أسود وأبيض، فالأسود هو الرصاص، والأبيض الرصاص الأسرب أو القلعي وهو الآنك، وقد عرف الرصاص بثقله، قال عبيد الأبرص الأسدي:

لزاد المرء آيس من عقاب ... وعند الباب أثقل من رصاص

وقد استخدم العرب الرصاص في كثير من الأغراض والصناعات.

٥- صناعة الذهب:

الذهب هذا المعدن الثمين الذي استخرجه العرب من الجزيرة العربية من مناجم كثيرة (مفصلة في فصل التعدين) والتبر الذهب كله، وقيل هو من الذهب

والفضة وجميع جواهر الأرض، وقيل ما استخرج من المعدن قبل أن يصاغ قال الشاعر:

كل قوم صبغة من تبرهم ... وبنو عبد مناف من ذهب

وقال الشماخ بن ضرار الذبياني:

ثمان من الكوري حمر كأنها ... من التبر اما اذكى على النار خابز

والعسجد هو الذهب، وقيل هو اسم جامع للجوهر كله من الدر والياقوت وكذلك العقيان قال عنترة:

وخذي كلا ما صنعته من عسجد ... ومعانيا رصعتها بالجوهر

والعقيان هو الذهب، وقيل هو الذهب الخالص الذي لا يستذاب من حجر وإنما ينبت نباتاً (أي يخرج من نفسه صافياً) والسحالة ما تحاتُّ من المبرد، ويقال لتراب الذهب السحالة والشذر صغار اللؤلؤ والسيراء الذهب الصافي والنضير والنضار والأنضر إسم الذهب والفضة قال الأعشى:

إذا جردت يوماً حسبت خميصة ... عليها وجريال النضير الدلامصا

والسَّام عروق الذهب والفضة في الحجر واحدته سامة.

٦- المصنوعات الذهبية:

لقد برع الصائغ العربي في منطقة البحث بصياغة الحلي من الذهب والفضة وهو ما تزين به المرأة نحرها وعنقها وأذنيها ومعصمها وأسفل ساقيها قال عبد الله بن سليم من بني ثعلبة:

ويزينها في النحر حلي واضح ... وقلائد من حبلة وسلوس

١- الحجال: والحجل حلية غليظة من الذهب أو الفضة أو المعدن ونحوه وتضعه المرأة بأسفل ساقها من فوق الكعب مثل الخلخال ويختلف عن الخلخال بأنه ليس له حلقات وزوائد فهو مصمت به تضلعات وأشكال ونقوش على حوافة وعند طرفية، قال جرير:

يبدين من خلل الحجال سوالفا   بيضا تزين بالجمال المذهب

وقال:

ليالي ترتجيك بنيل حسن   صموت الحجل قانية الخضاب

وقال ذو الرمة:

كأن حجولهن أوت اليها   ظباء الرمل باشرت المغارا

وقال المعري:

الحجل للرجل والتاج الرفيع لما   فوق الجبين ونظم الدر للعنق

٢- الخاتم: وهو حلية تضعه المرأة بأصابع يدها يكون من الذهب والفضة والمعدن ويكون بفص وبدون فص (والذي بدون فص يسمى محبساً) قال المتنبي:

فلم لا تلوم الذي لامها   ولا فصُّ خاتمه يذبل

وقال:

ويلحظها نكرت قناتي راحتي   ضعفاً وانكسرت خاتماي الخنصرا

٣- القرط للصبيان: كان بعض الصبيان من الطبقة المترفة وأبناء الملوك يلبسون القروط في آذانهم قال أمرؤ القيس:

أتبع الولدان أرخى منزري   إبن عشر ذا قريط من ذهب

٤- السمط: وهو نظيم من مختلف الأحجار والذهب والخرز وغيرها وتعلقه المرأة بجيدها، قال عمرو بن الإطنابة الخزرجي:

إنما همهن أن يتحلين   سموطا وسنبلا فارسيا

من سموط المرجان فصل بالشذ   ر فأحلى بحليهن حليا

٥- الدملج: والدملج حلية من الذهب أو الفضة أو المعدن أو العاج تضعه المرأة في معصمها وهو أوسع من السوار ومرادف له قال طرفة بن العبد:

كأن البرين والدمالج علقت   على عشر أو خروع لم يخضد

وقال الحطيئة:

وإنّ حلَّ منها الرحل قارب خطوها   أمين القوى كالدملج المتعضد

وقال ذو الرمة:

كأنه دملج من فضة نبه   في ملعب من عذاري الحي مفصوم

وقال:

تشكو البرى وتجافي من سفائفها   تجافي البيض عن برد الدماليج

والذبل وهي أساور وأمشاط تعمل من ظهر السلحفاة البحرية وقد تحلت بالفتح والذبل نساء بني قشير وجرم اليمامة.

٦- السوار: وهو حلية من الذهب أو الفضة أو المعدن أو العاج ونحوه وتلبسه المرأة بمعصميها وهو أضيق من الدملج قال ذو الرمة:

هجان جعلن السور والعاج والبري   على مثل بردي البطاح النواعم

وقال ابن المعتز:

غزال صفا مـاء الشباب بخده ... فضاقت عليه سوره ودمالجه

وقال ابن زيدون:

يعذبها عض السوار بمعصم ... أبان لها أن النعيم عذاب

وقال ابن حيوس:

لمفعمة بيوت الحي طيباً ... ومفعمة الأساور والخلاخل

ولم تقتصر المصوغات الذهبية على الحلي وأدوات الزينة بل تعدتها الي صياغة الأثاث والآنية والصحاف كما قام الصائغ العربي بعمل قبيعة السيف من الذهب والفضة وزين السيف بهما وزينت الدروع والدرق بالذهب وقام الصانع بعمل الزينة للرأس ومنها التيجان وان ملوك العرب يضعون التيجان على رؤوسهم وكانت تلك التيجان ترصع بالياقوت والزبرجد لكن جُلّ المصوغات كانت من نصيب المرأة من مصاغات وعقود تكون للصائغ بصماته الواضحة ليس فيما يتعلق بالذهب لوحده لكن ذلك يمتد الي الجواهر الأخرى واللؤلؤ والجمان وهو خرز الفضة وغيره قال امرؤ القيس:

فأسبل دمعي كفصّ الجمان ... أو الدر رقراقه المنحدر

وقال في موضع آخر:

مبتلة كأن الضناء حليها ... على شادن من صاحة مترببِ

محال كأجواز الجراد ولؤلؤ ... من القلقي والكبيس الملوب

والمبتلة المكتنزة اللحم الضامرة الكشح، والأنضاء الحلي ما دق منه ولطف، والمحال: ضرب من الحلي يصاغ مفقراً على تفقير وسط الجرادة والجوز

وسط الشيء، والقلقي ضرب من القلائد المنظومة باللؤلؤ والكبيس حلي يصاغ مجوفاً ثم يحشى طيباً ثم يكبس والملوب العطر الملاب وهو نوع من الطيب، قال المرقش الأصغر:

تحلين ياقوتاً وشذراً وصيغة ... وجزعاً ظفاريا ودراً توائما

قال النمر بن تولب:

أناة عليها لؤلؤ وزبرجد ... ونظم كأجواز الجراد مفصل

وقال الأعشي:

إذا فتلت معصما يارقين ... فُصّل بالدر فصلا نظيرا

وحل زبرجدة فوقه ... وياقوتة خلت شيئاً نكيرا

وقال الراعي النميري:

جماناً وياقوتاً كأن فصوصه ... وقود الغضا سدّ الجيوب الروادع

وقال ذو الرمة:

كأن عرى المرجان منها تعقلت ... على أم خشف من خباء المشاقر

وقال أبو تمام:

كالدر والمرجان ألف نظمه ... بالشذر في عنق الكعاب الرود

وقال كثير:

ولو أن حي أم ذي الودع كله ... لأهلك مالاً لم تسعه المسارح

وقال عمر بن أبي ربيعة:

لزبرجد من الجمان به ... سلس النظام كأنه جمر

وبدائــد المرجــان في قــرن   والــدر والياقوت والشذر

قال عنترة:

شكا نحرها من عقدها متظلما   فواحربا من ذلك النحر والعقد

٧- اليارق: وهو السوار العريض من الذهب أو الفضة من حلي اليدين للمرأة وقد يرصع بالدر قال الأعشي:

إذا قلدت معصماً يارقين   فصل بالدر فصلاً نظيماً

وقد عرف هذا النوع من الحلي باسم الجبارة قال الأعشي:

أرتك كفاً في الخضاب   ومعصماً ملء الجبارة

٨- الوشاح: من حلي النساء كرسان من لؤلؤ وجوهر منظما مخالف بينهما معطوف أحدهما على الآخر تتوشح به المراة، وقيل ينسج من أدم عريض ويرصع بالجواهر وتشده المرأة ما بين عاتقها وكشحها عاتقها الأيمن وكشحها الأيسر أو العكس.

٩- الخلخال: وهو من الحلي التي تستعملها النساء يوضع في أسفل الساق فوق الكعب يصاغ من الذهب والفضة وتعرف الخلاخيل في مجتمع اليمامة بالبرى وله زوائد وجلاجل وحلقات تحدث صوتاً عند المشي قال امرؤ القيس:

كأني لم أركب جواداً للذة   ولم أتبطن كاعباً ذات خلخال

وقال ذو الرمة:

صمت الخلاخيل جود ليس يعجبها   شبح الأحاديث بين الحي والصخب

وقال:

كأن بين القرط والخلخال   منها نقاً نطق في الرمال

وقال كثير:

ويجعلن الخلاخل حين تلوي   بأسؤقهن في قصب خدال

وقال جرير:

لها قصب ريان قد شجيت به   خلاخيل سلمى المصمتات وسورها

وقال عمر بن أبي ربيعة:

نخص غضيض الطرف مضطمر الحشا   عبل المدملج مشبع الخلخال

وقال خالد بن يزيد بن معاوية:

تجول خلاخيل النساء ولا أرى   لرملة خلخال يجول ولا قلبا

وقال أبو تمام:

يعفني إن ضقت ذرعاً بهجره   ويجزع إن ضاقت عليه خلاخله

وقال أبو نواس:

وكم قتيل ولا سلاح له   غير الخلاخيل والدماليج

وقال المتنبي:

ما طال عن ثغر الرجال جآذر   ومن الرماح دمالج وخلاخل

وقال جرير:

لقد طال ما صدن القلوب بأعين   الى قصب زين البري والمعاقد

وقال المثقب العبدي:

ومن ذهب يلوح على تريب   كلون العاج ليس بذي غضون

والناجد أحد ألوان الحلي وهي المكللة بالفصوص وهي قلائد من لؤلؤ وذهل أو قرنفل ويكون عرضها شبراً تأخذ ما بين العنق الى أسفل الثديين، وتنوع الحلي لدى المرأة معدنا وصياغة وقد ورد فيه من الشعر العربي الكم الكثير منذ عهد امرئ القيس ومن جاء بعده من الشعراء، وتنسب صناعة الشنوف والقروط الى يثرب بلدة في اليمامة قال الشاعر:

وأجدرنا أن ينفخ الكير خاله — يصوغ القروط والشنوف بيثربا

١- القرط: جمعها أقراط وهو حلي الأذن ويقال له الرعاث قال عبيد بن الأبرص الأسدي:

ناطوا الرعاث لمهوى لو يزل به — لا ندق دون تلاقي اللبة القرط

وقال النمر بن تولب:

وكل خليل عليه الرعاث — والحبلات كذوب ملق

وإذا كان القرط بحبة واحدة يقال له خرص والخرص الحلقة من الذهب والفضة، والقرط حلية من الذهب أو الفضة وغير ذلك وتعلقه المرأة في شحمة الأذن من أسفلها قال ذو الرمة:

والقرط في حرة الذفرى معلقة — تباعد الحبل منها وهو مضطرب

وقال:

بعيدات مهوى كل قرط عقدنه — روان الخصور مشرفات الحقائب

وقال كثير:

من الشم مشراف ينيف بقرطها — أسيل إذا ما قلد الحلي واضح

٦- الشنف: والشنف حلية من ذهب أو فضة وهو نوع من الأقراط وهو ما يعلق في أعلى الأذن قال المرقش:

يهدلن بالآذان من كل مذهب — له ربذ يعيابه كل واصف

وقال الحطيئة:

إذا هم بالأعداء لم يثن همه — كعاب عليها لؤلؤ وشنوف

وكان هناك تفنن في صناعة الأقراط والشنوف والخروص.

٧- صناعة الفضة:

الفضة من المعادن المعروفة، والصريف الفضة الخالصة، وتسمى الفضة اللُجَيْن، قال عبيد بن الأبرص:

وظباء كأنهن أباريق — لجين تحنو على أطفال

وقال الأعشى:

والمكاكيك والصحاف من — الفضة والضامزات تحت الرجال

والوذيلة مرآة الفضة، قال المرقش الأصغر:

أرتك بذات الضال منها معاصماً — وخداً أسيلاً كالوذيلة ناعما

والجمان خرز الفضة يعمله الصاغة وتنظم منه العقود أو تفصل به قال الحطيئة:

والماء يركب جانبيه كأنه — قسب الجمان وطرفه مقصور

وقال في موضع آخر:

تذكرها فارفض دمعي كأنه — نثير جمان بينهن فريد

وتسمى الفضة الرِّقة والوَرِقُ والرقة والوَرَق الدراهم المضروبة من الفضة.

٨- صناعة اللؤلؤ:

اللؤلؤ وهو ما يستخرج من الأصداف والكبار منه يسمى الدر والصغار منه يسمي الشذر، ويدخل في صناعة الحلي كـالعقود، وفصوص الأساور والخواتم والأقراط يوضع في القرط لؤلؤتين وتسمى متومة، ويسمي العقد السمط وهو الخيط ما دام فيه اللؤلؤ وغيره، وقال طرفة بن العبد:

وفي الحي أحوى ينفض المردشادن   مظاهر سمطي لؤلؤ وزبرجد

وقال الأعشى:

يطوف بها ساق علينا متوم   خفيف ذفيف ما يزال مفدما

وقال عمر بن الاطنابة الخزرجي:

إنما همهن أن يتحلين   سموطا وسنبلا فارسيا

من سموط المرجان فصل بالدر   فأحسن بحليهن حليا

وصغار اللؤلؤ يسمى الشذر قال امرؤ القيس:

غرائر في كنّ وصونٍ ونعمة   يحلين ياقوتاً وشذراً مفقرا

٩- صناعة الخرز والعقيق والجزع:

والخرز فصوص من حجارة واحدها خرزة، والعقيق خرز أحمر يتخذ منه فصوص الواحدة عقيقة، والجزع ضرب من الخرز، وقيل هو الخرز اليماني وهو الذي فيه بياض وسواد وتشبه به العين، وأجوده ما ينسب الي ظفار قال المرقش الأصغر:

تحلين ياقوتاً وشذراً وصيغة   وجزعاً ظفاريا ودراً توائماً

ويستعمل عقداً يوضع حول العنق وفصاً لتزين الخواتم والجزع من الأحجار النفيسة وهو يشبه العقيق بل هو نوع منه وأجود الجزع البقراني، قال امرؤ القيس:

فأدبر كالجزع المفصل بينه   بجيد معم في العشيرة مخول

وقال في موضع آخر:

كأن عيون الوحش حول خبائنا   وأرحلنا الجزع الذي لم يثقب

١٠- الحلي المصنوعة من العاج:

وتوضع في معصم اليد ولعلها من زينة النساء الثريات لأنها غالية الثمن نسبياً وتصنع من ناب الفيل ويعمل منها على هيئة سوار فتجعله المرأة في يدها قال جرير:

وإن سواد الليل لا يستفزني   ولا الجاعلات العاج فوق المعاصم

١١- صناعة الياقوت والزبرجد:

والياقوت والزبرجد من الأحجار الكريمة ترصع بها الحلي ويتخذ منهما العقود، وكان يصنع ويثقب ويصقل بواسطة الصاغة وتستورد خامات الياقوت والزبرجد من (سرنديب – سريلنكا) قال أمرؤ القيس:

غرائر في كن وصون ونعمة   يحلين ياقوتاً وشذراً مفقرا

وقال قيس بن الخطيم:

وجيد كجيد الرئم صافي يزينه   توقد ياقوت وفصل زبرجد

وقال الأعشي:

لـه أكاليـل باليـاقوت فصـلها   صواغها لا ترى عيباً ولا طبعاً

٢٢-المنتجات الاقتصادية:

تكون المنتجات الاقتصادية من عدة عناصر زراعية وحيوانية وصناعية عليها يرتكز الاقتصاد المحلي ولكل عنصر من هذه العناصر مكانته في سد حاجة الاستهلاك المحلي بل ويصدر منها للأقطار المجاورة التي يجري التبادل التجاري معها مثل الشام والعراق ومصر والبحرين "الأحساء" ومكة المكرمة والمدينة المنورة والطائف وتمثل هذه المنتجات الاقتصادية ما يلي:

أ- الحبوب:

و تتمثل بدرجة رئيسة كما مر بنا من القمح بأنواعه الهش بنوعية "الهَلْبا" و "القُرَيْطا" و "المُعَيَّة" وهذه الأنواع تصلح للطحن والنوع الثاني الصلب بنوعية "اللُّقَيْمِيَّة" و "المُتَلَيْقِمَة" وهذان النوعان لا يصلحان للطحن وإنما يتم هرسهما هرساً ثم جرشهما ليكونان جريشا أو طبخهما هريساً دون جرش؛ وتكون غلة القمح بنوعيه الهش والصلب الغذاء الرئيس الأول للطبقة الغنية في المجتمع وتختلف درجة القمح من مكان الي آخر فقمح اليمامة مشهود له بالجودة مثله مثل بعض مناطق أخرى ويجلب منه طعام الطبقة الغنية في مكة المكرمة والمدينة المنورة وغيرها، أما الطبقة المتوسطة في نجد وبعض الطبقة الغنية فإنهم يخلطون القمح بالشعير بنسبة ١- ٢ فيكون خليطاً أو "بغيثاً".

الألف سنة الغامضة من تاريخ نجد

النوع الثاني من الحبوب هو الشعير بأنواعه منها نوع يسمى "الجُهَيْلي" ويبدو أنه أقدمها وله سنبلة غليظة قصيرة مكتنزة بالحب متراكب بعضه على بعض والثاني يسمى "أَبادَوْسَة" وسنبلته أطول من الأول ويتراكم حبه أقل والنوع الثالث وهو "السُّلْت" وهذا النوع تطير عنه قشوره فيصبح لونه أحمر كلون "القمح" ويصلح للهرس أكثر مثله مثل القمح الصلب والشعير بأنواعه الثلاثة هو طعام الطبقة الفقيرة من السكان وهو أكثر محصولاً وأقل مئونة عند الزرع وأقصر عمراً من القمح وأرخص سعراً عند البيع وقد لا يصدر منه إلا القليل نظراً لرخص سعره والقمح والشعير من غلة الشتاء، والنوع الثالث من الحبوب هو الذرة بأنواعها البيضاءوالصفراء والحمراء، والبيضاء والصفراء أوفر غلة من الحمراء وذلك لاكتناز سنابل الأولى والثانية وقلة حبوب سنابل النوع الثالث وهذه الأنواع الثلاثة تجرش ويطحن ويتخذ منها الطعام للطبقة المتوسط والفقيرة والنوع الرابع من الحبوب هو الدخن بأنواعه الثلاثة "الدُّقْسَة" و "الحِصْنيَّة" أو "المَلَيساء" والدخن العادي والنوع الأولُ أجودها وأطيبها طعماً وألذ نكهة وأكثر فائدة غذائية وهو يطحن في الغالب أما النوع الثاني والثالث فهي تهرس على الأغلب وتطحن في بعض الأحيان وهذه الأنواع الثلاثة هي طعام الطبقة الفقيرة والذرة والدخن بأنواعه من غلة الصيف والخريف تزرع تلك الغلات الزراعية الآنف ذكرها قرب منابع العيون والآبار في المدن والبلدات والقرى كما مر بنا ومحصولها يتوفر في سنوات الخصب ويقل في سنوات الجدب أو عند حلول الكوارث الطبيعية والبيئية كما سيأتي لاحقاً وفي حالة توافر

الانتاج بطبيعة الحال يحصل رخص في الأسعار مما يشجع على تصدير الفائض عن الحاجة الي المناطق التي تحتاج الي المواد الغذائية مثل مكة والمدينة من المناطق المتاخمة لها من نجد كما تمتار البادية من هذه الغلات الزراعية من المدن والقرى فينقلون بعض ميرتهم معهم ويستودعون ما لا يريدون حمله عند رفاقهم من الحضر إذا كانت مضاربهم غير بعيدة من تلك القرى والمدن وكلما احتاجوا كمية منها أحضروها من رفاقهم، هذه المادة الغذائية المتمثلة في الحبوب تمثل إحدي الركائز المهمة مع التمر لسكان الحاضرة وتمثل هي والتمر واللبن ومشتقاته غذاءً بالنسبة لسكان البادية.

ب- التمور:

تعتبر ثمار التمور الركيزة الثانية بعد الحبوب من حيث الكمية المنتجة والقيمة الغذائية لفئات الشعب، ويعتبر التمر أقل أنواع الأطعمة تعرضا للتلف والعطب أو التسمم حتى لو ترك مدة طويلة بالمقارنةمع مثيلاته من الأطعمة الأخرى لذلك يقال في المثل "التمرة ما عليه لا حوس" كما يعتبر التمر حافظاً لبعض المواد الغذائية كالسمن، وقد ثبت علمياً أن التمر يقتل البكتريا التي تلامسه وتسبب عطبه بينما لا تقاومها أي "البكتيريا" الأطعمة الأخرى ولذلك يبقى التمر أقل عرضة لتلف من غيره من الأطعمة وللتمر أنواع وأصناف عديدة منها الفاخر الممتاز وهذا يكون غالي الثمن وهو من نصيب الطبقة الغنية والمترفة وبعض شرائح الطبقة المتوسطة ممن يحبون ترفيه أنفسهم ونوع متوسط الجودة وهذا ما تناله الطبقة المتوسطة والنوع الثالث الرديء وهو غذاء الطبقة

الفقيرة لأنه الرخيص الثمن وقد تعرضت لأنواع التمربشيء من التفصيل في كتابي "النخلة العربية أدبيا وعلميا واقتصاديا" وقد صدر الكتاب. وينتج التمر بكميات كبيرة وهذا التقسيم على أساس التعميم لا التخصيص حيث يوجد بعض أفراد من الطبقة الغنية لا يأكلون إلا من النوع الرديء على الرغم من ثرائهم ويوجد بهذه المنطقة بمختلف نواحيها ما يربو على مئة وخمسين نوعاً من التمر من هذه الأنواع ما هو موجود منذ زمن بعيد فيما قبل بزوغ الاسلام كما سبقت الاشارة الي ذلك مثل القسب والصفرى والبرني و العجوة والدقلة ومنها ما نبت بطريقة عفوية عند فلاح ما وظهرت هذه النبتة أو النبيتة فاخرة التمر فانتشرت وهي تحمل اسم الفلاح الذي نبتت عنده وصار اسمها نبتة فلان أو دقلة فلان كما تعرف في الوقت الحاضر "نبتة سيف" و "دقلة زامل" وغيرهما هذا ويكتز التمر عند الحضر بحياض مبنية داخل الغرف يكتز بها بكميات كبيرة وذلك للتمر العادي متوسط الرطوبة والدبس أما التمور الفاخر الرطب كثيرة الدبس فلا يمسكه سوى أوعية مبنية من الجص داخل الغرف تسمى "الجصّة" ويوضع بأسفلها مجارى خاصة حتى يتسرب منها الدبس ولا يؤدي الي تصدع الجصّة وتحطمها كما يوضع التمر بأوعية من النحاس أو الجلد أما ما يخص البادية أو يراد نقله من مكان الي آخر فإنه يكتز في أوعية من سفيف الخوص تسمى الواحدة "خَصَفَة" وتجمع على خصف أو "قَلّة" وهي أصغر منها وتجمع على قلل أو قلال وأوعية كبيرة من جلود الإبل وهي العيبة وتكون هذه الكمية بأي نوع من هذه الأوعية بمقدار فردة حمل البعير "أي حوالي ٨٠ كيلاً بوزن

الوقت الحاضر" وينتج من التمر الجيد أثناء تخزينه كميات طيبة من الدبس وهو عسل التمر: له استعمالات خاصة عدا قيمته الغذائية، والتمر ذو قيمة غذائية جيدة فإذا توفر التمر واللبن فإن أغلب الناس لا يريدون مزيداً على ذلك خاصة في النهار عند الحضر والبادية إذا توفر لهم التمر الي جانب اللبن فيعتبرون ذلك غداء كافيا وأغلبهم يعيش على اللبن لوحده خاصة في زمن الربيع وما تيسر معه من أي طعام ويستخرج من التمر النوى أو "القصم أو العبس" وهو مادة غذائية ممتازة للمواشي خاصة المجترة كالإبل والبقر والماعز حين يكسرو يخلط مع أعلافها فهو نافع لها ومدر للبن كما أنه قد يستعمل طعاماً للإنسان في أوقات المجاعات كما سيأتي ذلك في موضعه والتمر طعام جاهز للأكل على الدوام يتخذ منه زاداً للغزو والمسافرين والحجاج حيث يتناوله الإنسان وهو سائر على ظهر مطيته ويحتوي على كثير من العناصر الغذائية كما ثبت ذلك عمليا في الوقت الحاضر وهو سهل التجهيز والنقل والتخزين والتصدير للأقطار المجاورة متى كان هناك الفائض الكافي منه وينتج بكميات كبيرة كما أسلفنا يكتفي الفلاح منه ما يكفيه على مدار السنة ويبيع الباقي بالنقد والمقايضة ويشري الفلاحون الذين لديهم كميات كبيرة من التمر وكان لملاك النخيل والبساتين الواسعة المكتظة بالنخيل قيمة إجتماعية كبيرة لدرجة تؤهل بعضهم للوجاهة إذا كان لهم فضل على الآخرين بمقدار ما يملكون من بساتين النخيل يستوي في ذلك نظرة السكان الحضر والبدو المحيطين بالبلد وذلك لاحتياج الناس اليهم في كثير من الأوقات خاصة في سنوات الشدة والعوز ويحفظ التمر لمدة سنة كاملة

في حالة جيدة والطيب منه إذا كان مكنوزا بطريقة محكمة يبقى الي سنتين وربما ثلاث سنوات في بعض الأحيان غير أن نكهته تتغير بعض الشيء وإن كان يحتفظ بمادته الغذائية كما هي عليه وكميات التمر المنتجة أغلبها يستهلك محلياً ويصدر منه كميات كافية الي مكة خاصة من المناطق المتاخمة لها مثل بيشة.

جـ - الألبان:

تعتبر الألبان ومشتقاتها إحدى المصادر الغذائية الموسمية الرئيسة وهي إحدى دعائم الاقتصاد في البادية ففي أشهر الربيع وأوائل أشهر الصيف يكاد يعتمد المجتمع الرعوي على الألبان وما تيسر معها من أي طعام إن لم يكن اللبن هو الغذاء المفضل عند الغالبية من السكان ويستخرج من اللبن كما هو معروف السمن بعد استخلاصه من الزبد كما يستخرج من اللبن الأقط "البقل" وهو اللبن المجفف بعد أن يبخر ما يحتويه من ماء بغليه على النار ويجمع في فصل الربيع كميات كبيرة من السمن الحيواني الممتاز "السمن العربي أو العرابي" يدخر السكان منه ما يكفي لحاجتهم لمدة عام والباقي يباع ضمن المنتجات السنوية في فصل الربيع للبادية، ويحفظ السمن بأوعية جلدية كبيرة وصغيرة ومتوسطة معدة لذلك ومعني بها هي الأنحية والعكك لمدة عام كامل وربما أكثر لا يحدث فيها أي خلل في الرائحة أو الطعم أو اللون رغم اختلاف فصول السنة أما في الحضر فبالاضافة الي ما ذكر هناك أوعية من الفخار تسمى "الدِّن" يحفظ فيه السمن لمدة سنة أو أكثر ويستعمل التمر المعالج أو دبس التمر لحفظ السمن وصيانته من التأثر "بالبكتريا" أو المؤثرات الأخرى فيربون تلك الأوعية الجلدية والفخارية

حتى يقلل من نضح السمن مع مسامها ومن تسرب المواد و "البكتيريا" المؤثرة فيه من الخارج الي السمن نفسه فيحفظه في الحالتين، أما الأقط أو اللبن المجفف فهو كذلك مادة غذائية مهمة يحتفظ بها لمدة طويلة تبلغ العام قبل أي يبدأ فيها التلف إلا ما جفف في آخر فصل الربيع ويسمى "الصريم" فقد يحتفظ بقيمته الغذائية لأكثر من ذلك وربما بلغ سنتين أو ثلاث سنوات وذلك لصلابته وحموضته فيصعب أكله وإنما يعاد مرسه بالماء ويتخذ منه شراباً في أشهر الصيف والخريف إذا قل اللبن الطازج أو عدم ويختزن الناس من الأقط ما يحتاجونه لمدة عام والباقي يبيعونه من ضمن منتجاتهم الشتوية، ونظراً لأن البادية كثيري التنقل والترحال ويصعب عليهم حمل أمتعتهم بكاملها فإنهم يحملون الضروري منها ويختزنون الباقي عند رفاقهم في الحضر من السمن والأقط والطعام والتمور ويأخذون من المخزون بقدر حاجتهم لذلك توجد علاقة وثيقة بين سكان البادية والحاضرة قوامها المصلحة المتبادلة والمشتركة كما مرّ بنا فالبدو يشربون من آبار الحضر صيفا وخريفاً ويودعون عندهم الزائد من أمتعتهم، والحضر ينتفعون من منتجات البدو الحيوانية مثل السمن والأقط والأغنام والإبل واستئجار إبل السني من رفاقهم البدو وهكذا ترى أن الألبان ومشتقاتها تمثل جانباً مهماً في البيئة الرعوية من حيث الجانب الغذائي.

د- الثروة الحيوانية:

تمثل الحيوانات الحية أحد أعمدة الاقتصاد الرعوي وهي بصفة رئيسة الإبل والأغنام، أما الخيل فإن بيعها لم يكن بدرجة سابقتيها وإن كان يجلب

منها للأقطار المجاورة أعداداً كبيرة منها لكنها أقل من الإبل وما يباع بين القبائل هو للاقتناء وليس للمتاجرة، وغالبا ما يكون البيع بالمقايضة تباع خيل بإبل حيث يباع الرأس من الخيل بعدد من الإبل قد تبلغ العشرات والخيل المنتقات المعروفة عادة تكون غالية الثمن نادرة البيع تتوالد من سلالات جيدة في مرابط أناس معروفين كالحكام وزعماء القبائل والفرسان والبيوتات التي تملك مرابط الخيل وقد يمتنع بيعها إلا ما يؤخذ بالكسب في ميادين المعارك، وتحت قعقعة السلاح ودوي البنادق، أما الإبل فإنه يباع منها اعداداً كبيرة في الأسواق المحلية للاستعانة ببعضها في حمل الأثقال واستخدام بعضها في السني وذبح القليل منها للأكل وهي سلعة تجارية ثمينة كما يصدر منها الي الأقطار المجاورة أعداداً هائلة لاستخدامها في مختلف شئون الحياة لأن نمط الحياة في كثير من الأقطار حينذاك تكاد أن تكون متشابهة من حيث استخدام الحيوانات من خيل وإبل وحمر لمختلف متطلبات الحياة، وتنمو الإبل وتتكاثر بالتوالد في سنوات الريف والخصب وتحتفظ بعض البيوتات الحضرية وبعض القبائل بسلالات ممتازة معرية من الإبل سواء منها ما يمتاز بسرعة الجري وخفة الحركة وهو المعني بالأمر بالدرجة الأولى أو ما هو معد لحمل الأثقال أو ما يخصص للسني وتشتهر بعض القبائل بالإبل النجيبة وهذا معروف منذ أقدم العصور وذلك لتواجد هذه السلالات الجيدة عندهم كما تتكاثر الإبل بالإضافة الي ما سبق عن طريق السلب والنهب من قبائل أخرى كما يمثل ذلك أحد الأهداف الرئيسة في الغزو والمناوشات التي تجرى بين قبيلة وأخرى أو بين زعامة قبيلة وكيان حضري كما

أسلفنا فقد جرى في حوادث ٨٦١هـ - ١٤٥٦م بين عنزة والظفير في أرض السر عندما دارت الدائرة على الظفير وأتباعهم وكسبت منهم عنزة أعداداً كبيرة من الإبل وغيرها وكما حدث عام ٨٧٧هـ - ١٤٧٢م بين آل مغيرة والدواسر على الخرج والهزم آل مغيرة واستولي الدواسر على إبلهم وأغنامهم. وكما حدث عام ٩٥٥هـ - ١٥٤٨هـ عندما أغار آل نبهان من آل كثير على العينة وأخذوا لهم نحو عشرين بعيراً وغير ذلك كثير من هذا القبيل وتعتبر الإبل الثروة الحيوانية الأولى التي تنشب الحروب وتدور المعارك من أجل الحصول عليها بين القبائل والكيانات ويسمونها "العَلْيَ" و "زِيْنَة القُرَى" أي الحليب و "عطايا الله" وألبانها تشرب حليباً طازجاً والأغنام أجود منها لبناً كما يستفيدون من شحومها وأوبارها وجلودها في عدد من الأغراض سيتم التنوية عنها في موضعها وينتفع بأثمانها العالية من النقد المتوفر من الذهب والفضة ومن المقايضة بالسلع الثمينة الأخرى، أما البقر فإن إقتناءها يتوقف على الحضر وهو محتقر عند البدو وحتى عند بعض الحضر فإن أعداد البقر محدود بالنسبة للأنعام الأخرى ويستخدم ذكور البقر الثيران لحرث الأرض والسني أما الأناث فتستخدم للحليب وربما السني أيضا وتعيش الأبقار قرب الأرياف والمزارع وقرب المدن، أما الأغنام بنوعيها الضأن والماعز فتحتل المرتبة الثالثة بعد الخيل والإبل من حيث الجزالة والقيمة المعنوية والمادية والفردية لكنها تعتبر القاعدة الأساسية للثروة الحيوانية والقيمة الغذائية، فمنها الألبان ومشتقاتها المشار اليها آنفاومنها اللحوم المتوافرة ومن جلودها الأوعية المتعددة الأغراض

ومن أصوافها وأشعارها المنسوجات المختلفة، إذا فهي دعامة مهمة للقاعدة العريضة من الناس ينالها كل إنسان وينتفع بها ويمتلكها أفراد الطبقة الفقيرة والغنية كل على قدر طاقته وهي سريعة النمو والتكاثر ففي خلال سنتين أو ثلاث سنوات من الريف يمتلئ المراح منها ويقولون عنها "الغنم غنيمة" ولكنها أيضاً سريعة الذهاب قصيرة الخطوة لا تقطع المسافات الطويلة كالإبل إلا على مراحل وحينما تكون في حالة جيدة ويمكن أن تنفق وتذهب إذا تتابعت عليها سنتين من الدهور ومع ذلك فإنها سلعة رائجة في الأسواق المحلية وأسواق المدن والأمصار المجاورة في حالة اختيار الفتيان السمان منها وجلبت إثر فصل الربيع عندما تكتنز بالشحوم الي بلاد الحرمين مكة والمدينة في مواسم الحج والأضاحي والي الاحساء والعراق والشام ومصر و للغنم النجدية ميزة خاصة منذ أمد بعيد من حيث جثالة أجسامها وطعم ونكهة لحومها وذلك لطيب ونقاوة مراعيها وتمثل الأغنام بنوعيها رافدا من روافد البنية الاقتصادية في البيئة الرعوية بصفة خاصة وحتى في البيئة الزراعية لها شأن كبير.

هـ- الأصواف والأوبار والأشعار:

تمثل هذه العناصر الثلاثة جانبا مهما من الانتاج الحيواني فأوبار الإبل وأصواف الضأن وأشعار الماعز تمثل العمود الفقري لصناعة النسيج المحلي في الأقطار المجاورة نظراً لاعتماد هذه الصناعة عليه لقلة أو ندرة الخامات الأخرى المستخدمة في النسيج كالقطن والحرير والكتان ومن هذا المنطلق فإن صناعة النسيج ترتكز على مادة الصووف الخام الحيوانية من أوبار الإبل وأصواف

وأشعار الغنم وتبعاً لذلك فإن المادة سواء بنتفها من الإبل عندما يحين حتها لأوبارها في آخر فصل الربيع أو الضأن والماعز بجز أصوافها وأشعارها في آخر فصل الربيع أيضا ويكون نتيجة ذلك كميات هائلة من هذه المادة الخام التي تصنف وتنظف من عوالقها ما أمكن وتعزل ألوانها ويستخدم جزء منها في صناعة النسيج المحلي ويصدر جزء منه الي الأقطار المجاورة على هيئة نسيج أو خيوط أو صوف خام ولأصواف الأغنام النجدية جودة ومتانة معروفة عند أصحاب مصانع النسيج في الأقطار المجاورة نظراً لطول الشعر ومتانته ونعومته وتعد هذه المادة الخام من الركائز المساعدة في منتجات البيئة الرعوية.

٢٢- الحِرَفُ:

١- دباغة الجلود:

حرفة الدباغة من الحرف المهمة عند العرب على نطاق واسع وهي حرفة يعمل بها الرجال والنساء وقد بلغوا بهذه الحرفة مرحلة متقدمة، وكان النعمان بن المنذر ملك الحيرة يبعث لسوق عكاظ كل عام (لطيمة) وهي عيرٌ تحمل البز والمسك من العراق في جوار رجل شريف من أشراف العرب يجيرها له حتى تبلغ هناك ويشترى بثمنها من أدم الطائف ما يحتاج اليه حيث اشتهرت الطائف بدباغة الجلود، كما اشتهرت اليمامة بدباغة الجلود أيضاً نظراً لغناها بأنواع الماشية، وحرفة الدباغة من الحرف الهامة التي وجدت في أماكن كثيرة من شبه جزيرة العرب حاضرة وبادية ودخلت عملية الدباغة تراكيب كثيرة منها القرظ وهو ورق شجر يقال له السلم يدبغ به الأدم ويجمع من السلم موضع باليمامة سمي باسمه وهو أجودما تدبغ به الأهب (الجلود) في أرض العرب ويطحن القرض بحجر الطواحين ثم يستعمل في الدباغة، وقد قامت على دباغة الجلود صناعات جلدية متعددة تتطلبها الحاجة إذ يقوم الدباغون ببيع ما يدبغونه من الجلود الي التجار، وقد يحوله الدباغون الي أوعية للحفظ وأحذية وسيور وغير ذلك من المصنوعات الجلدية أو يقوم بمهمة التحويل أناس متخصصون بحرفة الخرازة، وتصنع من الجلود قِرَبُ الماء التي يخزن فيها أو يحمل ، والأوعية التي يحفظ فيها السمن والعسل والسويق والطيب وغيره من أدوات النقل والتخزين

والأحذية وكانت صناعة النعال في بني نمير، وكان جعفر بن حيسان التميمي حذاءاً ماهراً في زمنه ومن أشهر النباتات المستعملة في الدباغة:

١- الأرطي: وهو شجر ينبت بالرمل والأديم يقال له أديم مأروط.

٢- الحُلَّبُ: نبت ينبسط على الأرض له ورق صغار يدبغ به.

٣- الدهنا عشبة حمراء لها ورق عراض يدبغ به.

٤- السلمة: شجر ذات شوك يدبغ بورقها وقشرها ويسمى ورقها القرظ كما أشير أعلاه وهو أجود ما تدبغ به الأهب في أرض العرب.

٥- الشث: نبت طيب الريح يدبغ به.

٦- الصرف: شجر أحمر يدبغ به الأديم.

٧- الظيان: شجر يدبغ به وأديم مظَّين مدبوغ بالظيان.

٨- العفص: يستعمل للدباغة ويتخذ منه الحبر.

٩- العرنة: وهو شجر الطمخ يجيئ أدمة أحمر.

١٠-الغرفة: شجر يدبغ به.

١١- القرنوة: نبات عريض الورق ينبت في ألوية الرمل ودكادكه ورقها أغبر.

١٢- القرضم: قشر ثمر الرمان يدبغ به.

١٣- النحب: قشور ورق السدر.

١٤- الكرمع وهو ثمر الأثل يدبغ به أدم مكرمع.

وللجلود أسماء هي:

١- النبئة: الجلد أول ما يدبغ.

٢- الأفيق: الجلد الذي لم تتم دباغته.

٣- المحرم: الجلد الذي دبغ ولم يتمرن.

٤- الأديم: الجلد ما كان.

والجلود بعد الدباغة لها أسماء هي:

١- الحَوَر: وهي الجلود البيض الرقاق تعمل منها الأسفاط.

٢- القضيم: الجلود البيض الرقاق يكتب بها.

٣- النصع: جلد أبيض.

٤- النطع: من الأدم معروف.

٥- السِّبت: جلود البقر وكل جلد مدبوغ بالقرظ.

٦- المذاهب: سيور تموه بالذهب.

٧- الأرندج: الجلد الأسود المدبوغ بالعفص.

المنتجات من السيور وغيرها:

١- الشِّسْعُ: سير من الجلد يضفر على هيئة أعنه النعال.

٢- السريحة: قدة من الجلد.

٣- الجديل: الزمام المجدول من أدم.

٤- القطيع: السوط من الجلد.

٥- الأصبحي: السوط من الجلد المفتول فتلاً محكماً.

٦- النعال: وهي الحذاء من الجلد.

إذاً فالمنتجات الجلدية كثيرة منها الأحذية، والسياط، وورق الكتابة والتروس، والسروج، واللجام، والرسن، الغرز، والأصيص، وهو الدَّنُّ مقطوع الرأس، والبدرة وهي وعاء النقود من جلد السخلة إذا فطم، والشكوة للماء، والشكوة للبن، والعكة للسمن، فإذا فطمت فمسلها للبن بَدْرَةُ، وللسمن مِسْأد، فإذا جذعت فمسلها للبن وطب وللسمن نَحي، والجراب وعاء هو المزود، والحَمِيتُ وعاء للمسن كالعكة، وهو النحي فإذا جعل فيه الرب فهو الحميت الدَّنُّ ما عظم من الرواقيد والراقود: دَنٌّ من الجلد طويل الأسفل كهيئة الأردية، والزِّقُّ من الأهب كل وعاء اتخذ لشراب ونحوه، والزير الدَّنُّ والجمع أزيار، والسطيحة المزادة التي من أدمين تكون كبيرة وتكون صغيرة وهي من أواني المياه والعيبة من جلد البعير المدبوغ وعاء كبير يوضع فيه التمر وغيره والسقاء: جلد السخلة إذا أجذع ولا يكون إلا للماء والشكوة جلد الرضيع وهو للبن، فإذا كان جلد الجذع فما فوق سميَّ وطبا، والعكة للسمن كالشكوة للبن، والقربة من الأساقي وهي المخرزة من جانب واحد، والإقتيز: الدَّن الصغير، والمزادة تكون من جلدين ونصف وثلاثة جلود وسميت المزادة لأنها تزيد على السطيحة، والمسأد من الزقاق أصغر من الحميت، والمصرف إناء يحقن فيه اللبن، والقشع بيت من الجلد، فإذا كان من أدم فهو الطرف، والطِّراف ليس له كفاء وهو من بيوت الأعراب واستخدمت الجلود في صنع القباب التي تضرب للملوك وللسادة والأشراف إمارة على الرئاسة والسيادة وتصبغ جلوده بلون أحمر في الغالب وكانت غالية لذلك لم يستعملها إلا أصحاب الجاه والمال.

٢-من أعمال المرأة: (فضلاً أنظر كتابنا "إسهامات المرأة في الحياة العامة"

تعددت أوجه أعمال المرأة التي كانت ذات يد فاعلة دائبة العمل منتجة خادمة مجتمعها ومنفعته ولها نشاط مستمر ومؤثر ويتمثل في عدة أوجه منها.

١-الماشطة:

وهي التي تقوم بمشط شعور النساء ووضع المعاجين العطرية في شعورهن وضفرها الي جدائل وقرون وتسمى المرأة التي تقوم بهذا العمل الماشطة.

٢-الوصل:

وهو وصل شعر المرأة بشعر مستعار وهذا ما نهى عنه الإسلام لما فيه من الغش وتسمى من تقوم بهذا العمل الواصلة. (ما يشبه الباروكة اليوم).

٣- التنميص:

وهو إزالة الشعر وتلميع الوجه بالدهن وغيره وتسمى من تقوم به النامصة.

٤-تزجيج الحواجب:

وهو محاولة جعل الحواجب زجاً وذلك بتزيينها بالنتف والقص وتسمى من تقوم بهذا العمل بالمزججه (في هاتين الفقرتين يماثل عمل المكياج).

٥- الوشم:

ويقوم الوشم على ضرب الإبرة تحشو مواضعها بالنؤور، وهو حصى مثل الإثمد الذي يستعمل للكحل وتبقى نقوش الوشم على المواضع التي تكون

عليها في ظاهر الكفين والمعصمين وأسفل الوجه والخدين تسمى من تقوم بهذا العمل الواشمة، قال لبيد:

أو رجع واشمة اسف نؤورها   كففاً تعرض فوقهن وشومها

وقد قالت اليمامة أخت رياح بن مرة من طسم "إني كنت آخذ حجراً أسوداً فأدقه واكتحل به فكان يقوى بصري" وتعني بذلك الإثمد.

٣- الخياطة والتطريز:

وحرفة الخياطة تحويل الأقمشة الى كسوة وصنع الثياب والعمائم، وهي حرفة تروج في المدن، أما في البادية فتقوم المرأة بعمل الضروريات. والخياطة والتطريز كانتا مهنتين تحترفهما وترتزق منهما عند الضرورة مثل الأرامل والفقيرات اللواتي تدفعهن الحاجة والفاقة الى هذا العمل وكذلك السبايا وهن من قبائل عربية أخرى جرى سبيهن في الحروب والغارات التي كانت قائمة قبل بزوغ الرسالة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام وما تلى ذلك، وتدعى هذه السبية بالأمة بعد أن كانت حرة باعتبارها إجتماعياً من حساب الرقيق تباع وتشترى قال الشاعر عن الخياطة:

فهن بالأيدي مقيساته   مقدراته ومخيطاته

٤- حرفة الطحن:

وتعمل المرأة بصفة عامة بالطحن لما يخص بيتها، لكن ما يتعلق بالارتزاق من مهنة لطحن هذه تعمل بها فئة من النساء بدافع الحاجة والعوز وتستعمل الرحى في ذلك وقد كثر ذكر الرحى في الشعر العربي قال عنترة:

ودرنا كما دارت على قطبها الرحى   ودارت على هام الرجال الصفائح

وقال زهير بن أبي سلمى:

فتعرككم عرك الرحى بثغالها   وتلقح كشافا ثم تحمل فتتئم

وقال محرز بن المكعبر الضبي:

دارت رحانا قليلاً ثم صبحهم   ضرب يصيح منه جُلّة الهام

وقال عمرو بن كلثوم:

يكون ثفالها شرقي نجد   ولهوتها قضاعة أجمعينا

٥- حرفة الخبازة:

هذه الحرفة من الحرف التي تقوم بها المرأة في بيتها بصفة رئيسة وتقوم بها للإرتزاق من النساء المسنات من ذوات الحاجة اللواتي يصنعن الخبز ويحملنه بأوعية على رؤوسهن ويسعين به على المنازل لتوزيعه، وقد اشتهرت عجوز اسمها خولاء في بني سعد بن مناة من تميم، ورغيف الخولاء يضرب به المثل في الشؤم، وكان من شأنها أنها مرت في الحي وعلى رأسها كارة خبز، فتناول رجل من على رأسها رغيفاً، فاشتكت الي جارها، فثار معه قومه ضد الرجل الذي اختطف الرغيف وحدث بين قومي الرجلين قتال أسفر عن عدد كبير من القتلى.

٦- الغناء والموسيقى:

كانت مهمة الغناء تقوم بها الجواري والقيان، وهي حرفة من الحرف التي احترفتها المرأة، وتقوم هذه الحفلات بمناسبة العودة من الأسفار، أو الزواج،

والختان، وغير ذلك من المناسبات، أما في بيوت الأغنياء والمترفين فتقوم الجواري بالغناء في الكثير من الأوقات ومن القيان والمغنيات: هريرة، وخليدة، اللتان شبب بهما الأعشي بقوله:

ودع هريرة إن الركب مرتحل ... وهل تطيق وداعاً أيها الرجل

وقد دخل في هذا الفن الكثير من الأمور من حضارات الأمم التي يوجد منها مثل تلك المغنيات وخاصة من فارس ومن ذلك أسماء الآلات الموسيقية والملابس والرياحين وغيرها التي ذكرها الشعراء في شعرهم من ذلك قول الأعشي:

لنا جلسان عندها وبنفسج ... وسنبز والمرزجوش منمنما

وشاهسفرهم والياسمين ونرجس ... يصبحنا في كل دجن تغيما

ومستقق سنين دون وبربط ... يجاوبه صنج إذا ما ترنما

وقال طرفة بن العبد:

إذا نحن قلنا أسمعينا انبرت لنا ... على رسلها مطروقة لم تشدد

وقال عبدة بن الطبيب:

تدري حواشيه جيداء آنسة ... في صوتها لسماع الشرب ترتيل

وقال معقر بن أوس البارقي:

فباتوا لنا ضيفا وبتنا بنعمة ... لنا مسمعات بالدفوف وسامر

ومن الآلات الموسيقية القُصّاب قال فيه الأعشى:

وشاهدنا الورد والياسمين ... والمسمعات بقصابها

ومنها المزمار الكبير (الزمخر) قال فيه النابغة الجعدي:

حاجر كالأقمار فُحٌّ حنينها ... كما نفخ الزمّار في الصبح زمخرا

ومنها المزهر: وهو العود الذي يضرب به قال أمرؤ القيس:

لها مزهر يعلو الخميس بصوته ... أجشُّ إذا ما حركته اليدان

ومنها الكران: وهو العود وقيل الصنج قال لبيد:

صعل كسافلة القناة وظيفه ... وكأن جؤجؤه صفيح كران

ومنهاالبربط: وهو العود أعجمي قال الأعشي:

وبربطنا معمل دائم ... فقد كاد يغلب إسكارها

ومنها المؤتمر الذي قال فيه لبيد:

بصبوح صافية وجذب كرينة ... بمؤتمر تأتاله إبهامها

ومنها الأجوف الذي قال فيه عبيد بن الأبرص الأسدي:

ومسمعه قد أصحل الشرب صوتها ... تأوى الي أوتار أجوف محنوب

ومنها الصنج الذي قال فيه الأعشي:

ترى الصنج يبكي له شجوه ... مخافة أن سوف يدعى بها

٧- مهنة الرعي:

كانت مهنة الرعى مما تقوم به المرأة من الطبقة المتوسطة والفقيرة لغنمها في بيئة الرعي، وتعتبر إحدى واجباتها، كما تقوم المرأة بمهمة الرعى من ذوات المكانة لمال أهلها مثلما حدث عندما تخاصمت فتاتان الي أبنه الخس: فقالت الأولى: إبل أبي ترعى الإسبلح، فقالت ابنة الخس: رغوة وصريح وسنام

واطريح، قالت الأخرى: مرعي إبل أبي الخُلّة، قالت ابنه الخس: سريعة السدرة والجرة، أما الرعى كمهنة فإن المرأة تقوم بها تحت ضغط الحاجة والعوز لـذوى المكانة والجاه ويسمى الأجر الذي يدفع لها "الرِّعْيَةُ"، وبعد ذكر الحرف الـتي كانت تقوم بها المرأة نعود الي الحرف التي كان يقوم بها الرجـل ومـن هـذه الحرف.

٨- الحدادة:

ويقوم بها الرجال تشاركهم في ذلك المرأة بما تستطيع عمله ويقوم الحداد بصنع العديد من المستلزمات التي يتطلبها المجتمع من ذلك.

١- أنواع العتاد والسيوف القساسية المنسوبة الي معدن الحديد في جبل قساس باليمامة.

٢- عرفت عند العرب السيوف الحنيفية التي يرجح نسبتها الي بني حنيفة وكان للنبي صلى الله عليه وسلم سيف حنيفي.

٣- اشتهرت اليمامة (بلاد ويترب) القريتان من حجر (الرياض الحالية) باعداد السهام الجيدة، ونقل ياقوت عن أبي عبيدة:

أجود السهام التي وصفها العرب في الجاهلية سهام بلاد ويترب بلـدان عنـد اليمامة قال الأعشي:

منعت قياس الماسخية رأسه   بسهام يترب أو سهام بلاد

ووصف سهام يترب بدقة الصناعة بالريش وسهام بلاد، وقد جهز الحجاج بن يوسف الجند من سهام يترب ويُعِدُّ المحترفون السهام مـن شجر

النَّشَب عند ماء باليمامة لبني كلاب قرب جبل النير (جبل أسود قرب الدوادمي واليمامة كانت تطلق على كل منطقة نجد كما تقدم) القسي من شجر النبع الذي ينبت بأعالي الجبال (كما سبق ذكره) ونسبت القسي والسهام الي حجر قال الشاعر:

اعتدت للأبلج ذي التمايل   حجرية خضبت بسم ماثل

وقال آخر:

توئي حيث قال القلب منه   بحجري ترى فيه اضطمار

وحدائد حجر (أي سيوفها) مقدمة في الجودة قال رؤبة بن العجاج:

حتي إذا توقدت في الرزق   حجرية كالحجر من سن الدلق

وافتخر الرامي (وَزَرٌ) من بني العنبر التميمي بقوسه التي نسبها الي حجر وقد دافع فيها عن إبله في الصحراء بقوله:

قوسي تنقاها من النبع وزر   ترن إن تنازع الكف الوتر

حجرية فيها المنايا تستعر   تحفزها الأوتار و الأيدي الشعر

واشتهرت اليمامة بمصنوعاتها الحديدية مثل الأسنة القعضبية نسبة الي قعضب رجل من بني قشير كان يعملها، ونسبت الدروع الحطمية الي حطم أحد بني عمرو بن مرثد من بني قيس بن ثعلبة من أهل اليمامة، وصنع المقراض من المعدات الحديدة للقطع صنعه بنو خفاجة حي من بني عامر مشهورين لهذه الصنعة قال الأعشي:

وأدفع عن أعراضكم وأعيركم   لسانا كمقراض الخفاجي ملحبا

٩- الصياغة:

مارس الصاغة في اليمامة إعداد حلي المرأة وما يلزم لها من إظهار زينتها، كالقلادة وهي ما يجعل في العنق من حلي ونحوه والشنف وهو ما يعلق في أعلى الأذن والقرط ما يعلق بأسفلها وتكون من ذهب أو فضة (كما أشير الي ذلك) ونسبت صناعتها الي أهل يترب باليمامة قال الشاعر:

وأجدرنا أن ينفخ الكير خاله　　يصوغ القروط والشنوف بيترب

والعسجدية من اليمامة سوق الذهب ومن الصاغة من يتجول فيمر على أهل البادية في منازلهم.

١٠- صناعة النسيج:

لقد توفرت المادة الخام لهذه الحرفة بكثرة الحيوانات في اليمامة كالإبل والغنم فقامت حياكة ونسج البرود من أوبار الإبل وأصواف الضأن وشعر الماعز وعرفت حياكة البرود عند قبيلة بني نمير باليمامة قال الشاعر:

نميراً جعلت لحوك البرود　　وحذّ النعال وصنع اللبب

ونسب نسج البرود وحياكتها الي ثرمداء بالوشم من اليمامة عند الشعراء حيث أشار الي ذلك حميد بن ثور الهلالي:

ما بال برديك لم تمسس حواشيه　　من ثرمداء ولا صنعاء تحبير

وقد استمرت حرفة الحياكة في الوشم الي عهد قريب يقول مقبل الذكير (١٣٣٠هـ- ١٩١١م) أن الوشم مشهور بالنسيج من الخامات والصوف الي مدة لا تبعد أكثر من مئتي سنة حيث أخذ هذا العمل يضعف حتى تلاشي قبل

مئة سنة تقريباً (يعني ١٢٣٠هـ) واستمرت الحاجة الي حياكة بيت الشعر أو الخيمة والملابس والفرش سواء في الحاضرة أو البادية، وقامت بجانب حرفة الحياكة حرفة الخياطين وحرفة الصباغين وحرفة الغسالين ومارست النساء بعض هذه الحرف في البادية لتوفير احتاجات اسرهن من تلك المصنوعات ولقد عرف العرب طريقة استخراج وتحضير الأصباغ من بعض النباتات ويميلون الي اللون الأصفر كثيراً وقد أشتهرت باليمامة شجر الحرض وهو الأشنان الذي يتخذ منه القلي للصباغين حيث يحرق رطباً ثم يرش بالماء على رماده فيعقد فيصير قلياً وعرف الأشنال الذي يغسل الناس به الثياب.

١١- حرفة التجارة:

ومن الحرف اليدوية حرفة النجارة وهي ضرورة لكل أمة من الأمم لا سيما الحضر أهل العمران، فلابد لأهل الحاضرة من السقف لبيوتهم والأبواب لدورهم وأهل البادية لأبدلهم من العمد والأوتاد لخيامهم وبيوتهم الشعرية لرماح والقسي والسهام ومادة هذه الأشياء من الخشب وإعدادها بالصورة لمطلوبة لا يتم إلا من قبل النجار.

١٢- حرفة الجريد والخوص:

وفي نخيل اليمامة الكثير من خامات هذه الحرفة القائمة على الجريد والخوص ويقوم الفلاحون عادة أو غيرهم من المحترفين لهذه المهنة باعداد الصناعات المنتجة من جريد النخل وخوصه كالحصر والسلال واستخدام بنو حنيفة الظُلّة من جريد النخل، كما اشتهر أهل الوشم باعداد الجلال وهي أوعية

التمر واحدها جلة وذلك لحفظ التمر حتى نسبت اليهم، وسمي أهـل اليمامـة (الدوخلة) وهي الزبيل من الخوص والوشحة وأعدت من الخوص العديد مـن الأوعية لنقل الخبز واللحوم والخضروات وأشياء أخرى متعددة للنقل والحفـظ كلها من خوص النخل.

١٣- حرفة الجمع والإلتقاط:

وهي حرفة تقوم على جمع الحطب، والتقاط بعض ثمار الأشجار وولاية اليمامة بمساحتها الواسعة (نجد كلها) غنية بأشجار الوقود إضافة الي ما تـوفره أشجار بساتينها من مخلفات يُشعَلُ أكثرها للوقود وقد أشاد الشـاعر بحطب الدهناء القريبة من اليمامة بقوله:

لقد كان بالـدهنا حيـاة لذيـذة   ومحتطب لا يشترى بالـدراهم

وعاش بعض الناس على بيع الحطب، فكانوا يجمعونه في البراري والجبال ويأتون به الي المدن والقرى لبيعه ومن هذه الحرف جمع (نبات القصاص) لغسل شعر الرأس ويجمع من منابته في أصول الكمأة بالصحراء (منابت الكمأة وقـد يكون ما يسمى الجُرَيِّد وهو ملازم لنبات الكماة) وجمع (الحرض) أو الأشنان وهو الذي يغسل الناس به الثياب (بمنزلة الصابون) وشجرته ضخمة ربما استظل بها ولها حطب (وهي شجرة معروفة حتى الآن من فصيلة الرمث كان الناس يستعملونها لغسل الثياب حتي ورود الصابون نحو عام ١٣٥٠- ١٩٣٠م وقد أدركت الغسيل بالاشنان عام ١٣٦٥هـ ١٩٤٥م) قال الزبيدي: ولم نر حرضاً (اشنانا) أشد وأنقى بياضاً من حرض اليمامة، وقد يحرق رطباً ثم يرش بالماء

يصير قليا للصباغين وخصصت له أسواق يجلب اليها لحاجة الناس اليه في غسل اليدين وتنظيف الملابس؛ ويجمع في بعض السنين ثمر شجر الحنظل فيكسر ويجمع حبه الهبيد (ويعالج بالغسل عن مررته ويضاف اليه الملح ويحمص ثم يؤكـل) وجمع ثمر العشر لتحوله الي مادة سكرية وعده البكري بما خصت بـه جزيرة العرب (العشرة من كبار الشجر له ورق عريض له صمغ حلو يسمى سكر العشر) حين قال: سكر العشر باليمامة وهو من أجود ما يتخذ من نواره وهـو نور حسن كأنما نقش نقشاً، واستخدم كما يظهر ضمن بعض المركبات الطبية التي عرفها العرب من بيئتهم، فبعد جمعه من شجره يصار الي تصفيته وتقطيره لتحويله الي مادة سائلة، فقد ذكر أن سكر العشر ملين محرك للـبطن وذكـره السعودي بأنه مسهل وقامت مهنة جمع ملح الطعام من المواد الطبيعية المتوفرة في أجزاء من ولاية اليمامة يقول الهمداني: وملح الحاجر قرارة بين أكثبه في وسط القرارة غدير، والقرارة سبخة وملح نحيت أبيض وأحمر وفي وسط ذلك غـدير طوال قراره الملح ينسل منه زَبدٌ أبيض خفيف وهو أعذب الملح فيجفف فيصير ملحاً ومن المواقع الموجودة فيها الملح القصيبة وعقار الملح في عقيق بني كعـب باليمامة، وجمع مادة كحل العين من حكاكة أحجار المحالي الموجودة في العلاة باليمامة (وتعرف الآن بالتصغير بالعُلَيَّة في جبل عارض اليمامة فوق إقليم الفرع والخوطة والحريق) ويقول ياقوت: وبها المحالي وهي حجارة بيض يحك بعضها ببعض ويكتحل بتلك الحكاكة، ومن الحرف الموجودة في اليمامة حرفة إعـداد الرُّحِيّ واحدها رَحَى حيث تقطع من جبال اليمامة وغيرها ثم يـتم تهـذيب

صخورها من جبل رأم في شرق اليمامة بينها وبين يبرين (ومناطق أخرى) وتستخدم الرّحى لطحن الحبوب سواء ما يدار بواسطة الإنسان أو الكبيرة التي تدار بواسطة الحيوان وهي من الحرف النافعة المربحة في ذلك الزمن.

١٤- حرفة البناء:

وهي من حرف أهل اليمامة وغيرهم في وقت مبكر البناء بالطين والحجارة حيث القصور والآطام عن قبيلتي طسم وجديس ووصف أهل اليمامة بأنهم أهل مدر وممن مارس حرفة البناء بالطين طلق بن علي الحنفي الذي شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك يقول طلق: قدمت على رسول الله (ص) وهو يبني مسجده والمسلمون يعملون فيه، وكنت صاحب علاج وخلط وطين فأخذت المسحاة أخلط الطين ورسول الله (ص) ينظر الي ويقول: إن هذا الحنفي لصاحب طين.

١٥- حرفة العطارة وتجميل الشعر:

وهي من الحرف التي أشارت النصوص الي وجودها في اليمامة وتلحق بها حرفة الحلاقة والحجامة، ويختلف أهل المدن في طريقة وتنظيم شعر رؤوسهم وحلاقتها عن أهل البادية الذين يدهنون شعورهم ويتركونها تتدلى فوق الأكتاف على شكل ضفائر وجدائل، فقامت حرفة العطارين، وكان الشاعر يزيد بن الطثرية القشيري يتردد على الحلاقين لترجيب شعره وتزيينه حتى حلقها أخوه ثور فقال قصيدة منها:

ترفق بها يا ثور ليس ثوابها ... بهذا ولكن غير هذا ثوابها

الألف سنة الغامضة من تاريخ نجد

ألا ربما يا ثور باتت تنوشها ... أنامل رخصات جديد خضابها

فراح بها ثور ترف كأنها ... سلاسل يرق لينها وأنسكابها

ورحت براس كالصخيرة أشرفت ... عليها عقاب ثم طار عقابها

وقد أصبحت ظاهرة ترجيل الشعر عند فتيان بني قشير عادة، كما تعهد جرير دهن رأسه وكان حسن الشعر، ويصل الي العطارين لا أسواق اليمامة ما يجمعه الباعة من نبات القصيص الذي يغسل به الرأس وغيره من أدوات التجميل.

١٦- حرفة الكراء أو النقل:

قامت حرفة الكراء في ولاية اليمامة بسبب مرور الكثير من الطرق التجارية عبرها، منها الطريق الذي يمر بين اليمن والعراق وبين اليمن والبحرين وبين عمان والحجاز وهذا عمل الناس بمهنة تأجير وإكراء الرواحل لنقل الناس والبضائع عبر طرق اليمامة وقد تحاشى بعض أصحاب هذه الحرفة طلب زوجة الفرزدق تأجيرها ظهر بعير ليحملها الي عبد الله بن الزبير خوفاً من هجاء الفرزدق، ولم يستجب لها إلا رجل من بني عدي يقال له زهير بن ثعلبة وكان يعمل في الكراء، وعمل هلال بن الأسعر التميمي في حرفة نقل أحمال التجار بالأجر على ظهور إبله ويقول في ذلك: قدمت المدينة وعليها رجل من آل مروان فلم أزل على إبلي وعليها أحمال التجار حتى أُخِذَ بيدي وقيل لي: أجب الأمير قال: قلت لهم: ويلكم إبلي، وأحمالي!!؟ فقيل لي لا بأس على إبلك

وأجمالك، ويظهر أن تجارة الجلود ما بين اليمن والعراق واليمامة كانت مصدراً مستمراً للعمل لأصحاب هذه الحرفة قال أحدهم:

والله للنوم بجرعاء الحفر ... أهون من عكم الجلود في السفر

وقد استمرت عملية نقل أهل اليمامة لتجارة الجلود حتى القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) فقد أشار الرحالة ناصر خسروا اليها عندما كان بالأفلاج من اليمامة بقوله: وأخيراً أتت قافلة من اليمامة لأخذ الأدم وحمله الي الحسا، واختص بعض أهل اليمامة باكراء النجائب لركوب الناس فقط عند انتقالهم من بلد الي آخر، ويظهر الإعتناء بالأبل المعدة لهذا الغرض، إذا تختار في الغالب من النجائب التي هي من خيرة الأبل في بلاد العرب فكان لبعض بني الدّيل بن بكر بن وائل نجائب فارهة يكروها الناس للركوب، وقد أشار ناصر خسروا الي أن أجرة الجمل لمسافة مئتي فرسخ (٦٠٠ميل) بدينار واحد ولكنه مع ذلك أجّر علي نفسه وأخيه وكتبه ثلاثين ديناراً الي البصرة مؤجلة.

١٧- حرفة الطب والعرافة:

وقد اشتهر باليمامة أناس مارسوا حرفة العرافة وعرفوا بـ(العرافين) والعراف (وهو المنجم والكاهن) وعراف اليمامة المشهورة هو ابن مكحول وقيل رباح بن عجلة الذي قال فيه الشاعر:

جعلت لعراف اليمامة حكمه ... وعراف حجر إن هما شفياني

وقال عروة بن حزام العذري:

وما بي من خبل ولا بي جنة ... ولكن عميّ يا أخي كذوب

أقول لعراف اليمامة داوني ... فإنك إن داويتني لطبيب

وعراف نجد هو الأبلق الأسيدي التميمي وذكر باليمامة رجل يقال له سام كان من أكثر الناس معرفة بالطب، وقد داوى الأبلق، رجل من بني أسيد بن عمرو التميمي الشاعر جريراً من حمرة أصابته فتورم وجهه، وكان الأبلق يداوي من الحمرة فلما برئ منها كافأة جرير بأن زوجه ابنته، وكان لبعض بني عقيل معارف طبية اشتهروا بها منها معرفتهم لعلامة من به عسر هضم للطعام وقد نقلت بعض معارفهم الطبية عن قرة بن سراج العقيلي أحد شيوخ بني عقيل في البادية في زمانه.

١٨- حرفة الجزارة:

والجزارة أو القصابة إحدى الحرف المعروفة في اليمامة، ففي سوق اليمامة كان يباع اللحم عند القصابين فقد اشترى مروان بن أبي حفصة (في القرن الأول الهجري) لحماً يكفيه بنصف درهم واستمرت هذه المهنة يعمل بها قطاع من السكان من أبناء القبائل التي تحيط بمدن اليمامة وأكثر ما تتوفر هذه المهن في المدن التي يباع فيها اللحم أما في القرى والبادية فإن كل إنسان يقوم بما يحتاج اليه من هذه المهنة وإن عمل بها أحد فمن باب المساعدة وغالباً لا يأخذ على ذلك أجراً وربما أعطي لحمة من الذبيحة في بعض الحالات.

٢٤- الحركة التجارية:

لقد تأثرت الحركة التجارية باليمامة بالمبادرة الطبية التي قام بها الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز رحمه الله(٩٩- ١٠١هـ) حينما اسقط ضريبة

المكس التي فرضت على المبيعات الداخلية فأصبحت اليمامة مقصداً للتجار الأمر الذي أدي الي أن أصبح بعض أهلها من الأثرياءوكبار التجار، يصف ابن قتيبة ديار بني عقيل في اليمامة بأنها: ذا "نعم ظاهرة وخير كثير" وكان التجار يجتمعون في كثير من مواقع استخراج المعادن في اليمامة، كما يجتمع باعة الذهب والمتاجرون فيه بسوق العسجدية من اليمامة، وغيرها من الأسواق التي قامت قرب معادن الذهب، ولجودة حدائد (سيوف) حجر فقد حملها التجار الي أسواق اليمن والبصرة فأصبحت من صادرات الولاية، وقد عرض الحدادون في أسواق اليمامة ما صنعوه وأعدوه من الأدوات الحربية كالسيوف القساسية وسهام "بلاد ويترب" المصنوعة في اليمامة وأقواس حجر والرماح وأسنتها، فهذه الأدوات لم تنل شهرتها إلا بعد استخدامها وتداولها بين الناس في الولايات الإسلامية الأخرى، وكانت أسواق الحدادين من الأسواق التجارية المتميزة في ولاية اليمامة، وقامت في أسواق اليمامة دكاكين العطارين الذين يبيعون ادوات ومواد العطارة وما يدخل في تركيب مواد الزينة والعلاج حتى كان في المجتمع من يحترف مهنة تزيين الشعر عند العطارين (كما مرَّ بنا) فكان المحدِّث يحى بن أبي كثير عطاراً في اليمامة، وإدريس من ولد عجل بن لجيم ممن عمل بالعطارة، وحتى النساء في اليمامة كان منهن من تبيع الطيب، فقد كانت إمرأة باليمامة تمارس العمل بالتجارة والتجار يترددون على منزلها، وكانت أم جرير الشاعر تبيع في سوق هجر وغيرهن ممن مارسن التجارة و لم يتوقف الأمر على هذا، بل شمل الحوالات المالية، وكان البيع يتم بالنقد والمقايضة (سلعة بسلعة) كما كان

يتم بالمؤجل، فيحيا بن طالب الحنفي كان يشتري غلات السلطان من قرى اليمامة لمدة مؤجلة، ثم يبيعها ويسدد بثمنها، فقد باع منه على والي اليمامة بثمن مؤخر، فتراكم عليه الدين فباع ممتلكاته ورحل الي العراق وأبو نخيلة السعدي (التميمي) كان يشتري حوائج بيته بأثمان مؤجلة من ماعز الكلابي الذي كان يعمل بقالاً في اليمامة فكثر الدين على أبي نخيلة فما طل فشكاه ماعز الي والي اليمامة غير أن التجارة تأثرت بالثورات والفتن الداخلية والخارجية فقد تعطلت الحركة التجارية عند ظهور (النجدات) عام ١١٩هـ ـ ٦٨٥م حيث نهبوا الخضارم وقطعوا طرقها التجارية، وأعادت ثورة المهير الداخلية عام ١٢٦هـ ـ ٧٤٣م الي اليمامة النزاع بين القبائل فأخذوا يغير بعضهم على بعض، وأدى ذلك الي أن شلت التجارة، وضعف المردود الإقتصادي منها، كما سبب تسلط الأخيضريين على جزء من إقليم اليمامة ابتداء من عام ٢٥٣هـ ـ ٨٦٧م الي تراجع تجارها وتعطل مواردها الطبيعية خاصة من المعادن ورحيل بعض أهلها عنها.

أ- الأسواق التجارية في اليمامة:

قامت باليمامة أسواق تجارية كثيرة أبرزها:

١- سوق حجر ويسمى سوق اليمامة وهو من أسواق العرب المشهورة والتي يحضرها من قرب من العرب ومن بعد (كما سيأتي في ذكر الأسواق).

٢- سوق الفلج (الأفلاج) وقد بلغت دكاكينه ٤٠٠ دكان وحانوت ويكثر فيه أهل اليمن، وهو شديد التحصين، سمك سوره ذراعاً ومحاط بالخندق والحجارة وعليه أبواب الحديد ووصف لكبره بأنه مدينة عظيمة.

٣- سوق الخضرمة (الربيعية) من اليمامة.

٤- سوق الحائط بالفقي (سدير) من اليمامة.

٥- سوق جماز بالفقي (سدير) من اليمامة.

٦- سوق حزبة ويقال لها خزبات (وخزبة موضع باليمامة بين عمايتين والعقيق أي بين وادي الدواسر وحصاة قحطان).

٧- سوق أكمه وهي بلدة كبيرة بفلج (الأفلاج) من اليمامة.

٨- سوق حربة قال عنه البكري: سوق من أسواق العرب في عمل اليمامة.

٩- سوق العسجدية قال عنه ياقوت: هي سوق يكون فيها العسجد وهو الذهب من هذه الأسواق ما يكثر رواده في فصل معين كسوق حجر الذي يكون فيه العرب جمعاء يوم عاشوراء (العاشر من المحرم) الي آخر شهر محرم ويقام فيه بجانب البيع والشراء المفاخرة، وانشاد الشعر وبقى هذا السوق حتى آخر العصر الأموي.

وعرفت المسميات التجارية في أسواق اليمامة في وقت مبكر مثل السمسار، والصيرفي، قال الأعشى:

واصبحت لا استطيع الكلام   سوى أن أراجع سمسارها

وقال سويد بن أبي كاهل اليشكري:

الألف سنة الغامضة من تاريخ نجد

ولسانا صيرفيا صارما   كحسام السيف مامس قطع

ويتم البيع في هذه الأسواق بالبيع بالنقد، والمقاصة مثل استبدال القمح بالتمروغير ذلك من المنتجات الزراعية والحيوانية، ومن أهم صادرات اليمامة التمور والقمح، وأجود أصناف القمح الحنطة وتسمى بيضاء اليمامة وحمل منها للخلفاء والي مكة، وأصبحت من غذاء الطبقة المترفة والموسرة في الأكثر لغلاء ثمنها بالنسبة للفقراء فعرضت للبيع في سوق الحنطة والطعام في كل من مكة والمدينة، وفي عهد الخليفة هارون الرشيد، (١٧٠- ١٩٣هـ ٧٨٦- ٨٠٨م) وصلت تمور اليمامة الي أسواق اليمن، فقد ذكر الصنعاني: أن كل مخلات (وعاء تمر) فيها ستة أمداد (مكيال يساوي رطل) تمر من تمر اليمامة تباع في غاية الرخص، وذكرنا ناصر خسرو أن ألف المن (المن كيل معروف وهو رطلان) من التمر إذا كثر باليمامة يباع بدينار، وأنه تقاضى أجور نقشة خط على محراب المسجد بالفلج (الأفلاج) باليمامة مئة مَنْ التمر، وعرفت سدوس بغزارة انتاجها من الرمان وأنها تستطيع أن توفى ما يحمله التجر من رمانه على الألف رحلة ولكنه ربما بيعت ١٠٠ رمانة بدرهم.

ب- التجارة الخارجية:

أتاح موقع اليمامة على ملتقى مجموعة من الطرق في الجزيرة العربية لأهلها الإستفادة مما تحمله القوافل التجاريةالتي تسلك تلك الطرق، خاصة القوافل المتجهة الي اليمن والعراق والبحرين وفارس، فقامت لهم جاليات تجارية باليمامة واختص بعضهم بالتجارة في سوق الفلج (الأفلاج) وهو من أكبر

أسواق ومحطات اليمامة التجارية، كما أن أهل اليمامة أنفسهم المغرمين بالتجارة قد أقاموا مراكز تجارية على الطرق التي تربط اليمامة والعراق، أما البحرين التي تربط باليمامة بطرق تجارية عامرة.

فقد تاجرت قبيلة عبد القيس من البحرين (الأحساء وما جنوبها الي عمان وشمالها الي عينين الجبيل حالياً) مع اليمامة والحجاز بالمنسوجات القطرية والملاحف والطيوب الهندية والأسلحة وحمل أهل البحرين الي اليمامة السمك المملوح محمولاً في الجلال (جمع جله وعاء من الخوص للتمر وغيره) وعرضت في أسواق اليمامة من منسوجات هجر وتمورها والرماح والأسنة من الخط، وجاء الي أسواق اليمامة من الهند الحديدوالسيوف والعود والمسك والياقوت ومن خراسان: الثياب القطنية والقز والأبريسم (نوع من الحرير) ومن اليمن: الرماح اليزنية، والثياب الغالية، والعقيق الشديد الحمرة، والذي يعمل من أنواعه الواح وصفائح وقوائم السيوف ونصب السكاكين والمداهن (قوارير الدهن والطيب) والجلود، وخاصة جلود البقر وقد أصبحت اليمامة من أكبر محطات تجارة أدم وجلود اليمن الشهيرة، فقصدها بعض تجار الهند لتجارة الجلود ومصنوعاتها، كما عرفت في أسواقها الرحال المنقوشة (الرحل الشداد للإبل لغرض الركوب للرجال والنساء) التي يحسن أهل اليمن صناعتها، واللؤلؤ العماني، وجلب الي اليمامة من فارس ماء الورد وأنواع من الثياب والبسط والفرش الثمينة وغيرها من البضائع.

٤- الأسعار:

ولإلقاء ضوء على أسعار السلع لابد من معرفة العملة المتداولة والعملة السائدة آنذاك هي الدينار الذهب والدرهم الفضي وأجزاؤه والدرهم يساوي ٦ دوانق، والدانق يساوي قيراطين، والفلس ويساوي مليماً واحداً، وتشير النصوص الي رخص الأسعار الغذائية المتوفرة في سوق اليمامة ومن الأمثلة على ذلك:

١- أن أعرابياً باع شاته في إحدى قرى اليمامة بدرهمين ثم احتاج الي الجلد فباعوه عليه بدرهمين.

٢- أن مسلم بن عمرو بن قتيبة الباهلي اشترى فرسه من رجل بألف درهم.

٣- اشترى الفرزدق مئة بعير من صدقات بكر بمبلغ ٢٥٠٠ درهم وهذا يعني أن ثمن البعير الواحد يساوي ٢٥ درهماً.

٤- أن الشاعر مروان بن أبي حفصة وقد نزل به ضيوف وهو في اليمامة فأرسل غلامه ليشتري زيتاً بفلس، وكان يشترى من الجزار ما يكفيه من لحم بنصف درهم، وقد أعاده عليه مرة بنقصان دانق (يساوي سدس الدرهم).

٥- أما الشاعر ذو الرمة (غيلان بن عقبة التميمي) فقد بلغت قيمة الثوب الذي يلبسه مئتي دينار، ويدل ذلك على إرتفاع أسعار الملابس جداً مقارنة بالمواد الغذائية.

٥- الأطعمة:

وتتكون الأطعمة من عدد من الأصناف العادية سهلة التجهيز أو المجهزة طبيعياً وهي على النحو التالي:

١- الخبز وهو من أشهر الأطعمة، وهو المأكول الشعبي وكان يباع لدى البقالين في الأسواق إضافة الي ما يصنع في البيوت، فمروان بن أبي حفصة اليمامي كان يشترى خبز من البقال وهناك من كان يخبز لنفسه في البيت أو المزرعة أو يؤجر على خبزه ومن مارس هذه المهنة الحولاء، خبازة في بني سعد بن زيد بن مناة بن تميم (مرّ ذكرها) وكانت تحمل الخبز على رأسها سواء للبيع أو لتسليمه الي مؤجريها.

٢- السويق: وهو طعام يتخذ من مدقوق الحنطة والشعير وعرف السويق بأنه طعام المسافر والعجلان وحمله الحجاج الي مكة حين سفرهم الطويل لخفة حملة وسهولة إعداده.

٣- الخلاصة: وهي طعام يعد من السويق يخلط معه التمر ويلقي في السمن.

٤- لحم الطيور وهي من مآكل الطبقة المترفة فقط، فقد قُدّم على مائدة الحكم بن أيوب عندما كان نائباً للحجاج (في اليمامة).

٥- الصِّير: وهو السميكات المملوحة قال فيها جرير:

كانوا إذا جعلوا صيرهم بصلاً   ثم استووا كنعداً من مالح جذفوا

وهذا النوع من السمك كان يحمل من البحرين.

٦- اللحم المشوي: وقد اعتاد أهل اليمامة أن يقدموا اللحم المشوي للضيف.

٧- التمر مع الزبد: وهناك من أضاف اليه اللبن وتقدم هذه الوجبة للضيف إكراماً له.

٨- التمر والسمن ودقيق الحنطة وهو مما يقدم للضيوف، ويوضع التمر في إناء ويضاف اليه السمن ثم يخلط جيداً ويضاف عليه دقيق الحنطة فيصبح أكلة لذيذة وأحب أهل البادية هذه الأكلة لأنها لذيذة الطعم سريعة الإعداد، وقد وصفها الأصمعي للخليفة هارون الرشيد في حديثه عن أهل البادية.

٩- الخزير: وهو دقيق يعصد، وقيل هو بلال اللحم عصيدة أو مرقة من بلالة النخالة قال جرير:

يعدون قد نفخ الخزير بطونهم   رغداً وضيف بني عقال يخفع

١٠- الأقط: وهو ما يتخذ من اللبن المخيض ثم يترك حتى يمصل ويجمد.

١١- الثريد: وهو ما يهشم من الخبزويبل بمرق القدر وغيره وغالباً ما يكون الثريد من اللحم والخبز.

١٢- اللَّوية: وهي كل قليل يدخر من اللحم والشحم والتمر والأقسط، وكانت بعض نساء تميم تدخرها وكانت مما يتحف به الضيوف تقدمه المرأة لضيفها أو زائرها قال شاعر من بني ذهل بن شيبان.

قلت لذات النقبة النقية   قومي فغدينا من اللوية

١٣- المضيرة: وهي طبخ اللحم باللبن البحت الصريح الذي قد يَحذُ اللسان حتى ينضج اللحم وكانت إحدى الأكلات التي تتضمنها مائدة زياد الحارثي أحد ولاة اليمامة في العصر العباسي.

ج- المنتجات الصناعية

لم تكن المنتجات الصناعية كما هي عليه اليوم من الضخامة والكثرة، ولكن كانت هناك منتجات تفي بحاجة السكان من متطلبات حياتهم لا يستوردون من خارج المنطقة إلا أشياء لا وجود لمثلها وليس هناك ما يقوم مقامها وربما بعد فترة صنعوا مثلها أو على الأقل قاموا بصيانتها وليس أدل على ذلك من صيانتهم للأسلحة النارية وتطويرها وصناعة بعض أجزائها وفضلاً عن هذا فإنه يوجد عندهم فائضاً من السلع المصنوعة بهذه المنطقة يتم تصديرها وجلبها للمناطق والمدن والأمصار المجاورة لها مثل المدينتين المقدستين مكة والمدينة والأحساء والعراق والشام، هذه السلع التي تصنع من خامات البيئة المحلية وبأيد محلية يتم الاستفادة من أثمانها ويجوز لنا أن نقول أن هذه المنطقة لديها الاكتفاء الذاتي من انتاج السلع التي يحتاجونها والتي تقوم المهن التي مررنا بها آنفا بصنعها ومن هذه المنتجات على سبيل المثال لا الحصر:

أ- المصنوعات الخشبية:

وتشمل المصنوعات الخشبية على أبواب المنازل وشبابيكها وأقفالها "ضباها ومزاليجها" ورفوف المنزل "وأخلته" مفردها "خلال" ومقدمات المباني البارزة والصناديق باختلاف أحجامها ودرجات صنعها والمباخر المداخن التي يدار بها البخور وأحجامها ودرجات صنعها والمحال والبكرات بمختلف أحجامها وأشكالها ومحاورها والدراج بمختلف أحجامها وأعصية المساحي و "المناسيف" و "الفواريع" على اختلاف أحجامها وأطوالها و "المهابيش" مفردها

مهباش أو "ميحف" لهرس الحبوب وأمداد الكيل ومحاجن "حوازل" لاخراج التراب وغيره من قاع البئر وعراقي الغروب وقوالب اللبن أو "الملبان" و "الياجم" أو "الكوابين" لدق الحب والأقداح الخشبية بمختلف أحجامها وأشكالها والصحاف الخشبية بمختلف أحجامها وأعماقها وأشكالها وصناديق التحف الخاصة بالنساء بمختلف أحجامها وأشكالها والهوادج و "البواصير" النسائية بأشكالها واحجامها والمغازل والأنوال للنسيج وأعمدة بيوت الشعر وأرتادها وأشدة الركائب الجميلة بأشكالها ودرجاتها وأدوات حمل الأثقال من حدائج ومسامات وأشظة الأحمال وبكرات متح الماء من البئر وعراقي الدلاء ومحاور البكرات وصناديق حفظ الملابس والأدوات والأواني وغيرها من الأشياء الثمينة وأقتاب الابل للسني وإخراج الماء وأزرار عدة السني ومقابض بعض السكاكين والخناجر والمخالب ومقابض السيوف وأغمادها والخناجر ومحاجن "حوازل" شبكات العلف والحطب وتخشيبة البنادق وإن كانت مقابض السيوف وتخشيبة البنادق ومقابض الخناجر والسكاكين والمخالب مشتركة بين الحداد والنجار إلا أنها غالباً ما يعملها النجار وغير ذلك من المصنوعات الخشبية.

ب- المصنوعات الحديدية:

وتشمل المصنوعات الحديدية ما يأتي فبالنسبة للفلاح المساحي والمحاريث و "المناسيف" مفردها منساف أداة يقطع بها الأرض ويحرث بها وأعمدة الحديدة "العتلة" والمخالب والمناجل والسكاكين بأحجامها وأطوالها و "الفواريع" وغير ذلك من أدوات الحرث وشق الأرض أما بالنسبة للمحارب فالسيوف بأنواعها

وأطوالها والرماح بأنواعها وأطوالها والخناجر بأحجامها والبندقية بأجزائها والدروع بأنواعها وأطوالها والسلاسل وألجمة الخيل وشكائمها وحذائها وخوذة الرأس وأقفال الحيول ومفاتيحها والمسامير ومفاتيح الاقفال وغيرها من المنتجات الأخرى.

ح- المصنوعات النحاسية:

ومن منتجات الحداد النحاسية بالاضافة الي منتجات الحدادة وتشمل أواني الطبخ من قدور بمختلف إتساعاتها وأحجامها وأواني حمل الماء وتخزينه بما تروّى بها المرأة على رأسها "المرواة" باحجامها و "المراكي" وعاء كبير لتخزين الماء مفردها "مركاة" و "سُمُوَّر" وذلك لتسخين الماء بكمية كبيرة يوقد بجوفه الفحم وسط انبوب بوسط الماء والكلمة روسية والأرباريق بمختلف احجامها وأواني شرب الماء وغيره من السوائل الطاس أو الطاسة مؤنثة بمختلف أحجامها وأشكالها المنقوشة منها وذات الحلق والعادية والمطبقة بأحجامها وأنواعها المختلفة والتحف النحاسية المخصصة للزينة وغير ذلك من المنتجات النحاسية.

د- المصوغات:

تشتمل المصوغات على الحلي النسائية وهي خاصة بالمرأة من أولها الي آخرها لا ينال الرجل منها سوى أشياء لا تكاد تذكر مثل حلية السيف والخواتم الفضية وما عداها فهي من نصيب بنت حواء وهي إما أن تكون ذهبية أو فضية وتشمل القلائد الذهبية والفضية للعنق والأزرار الذهبية والفضية في جيب الثوب والأقراط للأذنين والزمام للأنف والهامة للرأس والأساور

للمعصمين والمعاضد للعضدين والخواتم للكفين والحجال والخلاخل لأسفل الساقين وتطعيم "البريم" الجلدي بفصوص من الذهب والفضة وغير ذلك من المنتجات التي تتفنن المرأة باقتنائها إضافة الي صيانة هذه المنتجات وإصلاح ما يحتاج الي اصلاح منها.

هـ- المنسوجات الصوفية:

ومن أهم منتجات النسيج شقائق بيوت الشعر التي يتكون منها البيت الشعري والمفروشات العادية السوداء "العدل" والمفروشات من الأنسجة الصوفية الملونة والمزخرفة بأشكالها وألوانها الممتازة والجذابة مثل البسط الصوفية والسباح الصوفية والوبرية والأغطية الجميلة من نفس الأصناف المزركشة وأوعية الأحمال الفراد جمع فرده والخروج العادية والمنمقة للحمير والخروج المزركشة بالألوان ذات "الدلال" العثاكيل المتدلية والسفائف للابل والدويرع للمطية وأغطية الهودج من المنسوجات المزخرفة والأوعية المزخرفة المزدات أو "مزاود" مفردها مزادة وهي بمنزلة الحقائب وأوعية النقل الحب وغيره على الحمير وهي أكبر من فردة البعير وأقل من الأثنتين وتسمى الواحدة "رزمة" تجمع على رزم وسروج الخيل ونسيج الولية أو البردعة للحمار ووثر البعير لتقي ظهره احتكاك الشداد أو المسامة عند نقل الأحمال ومناقل التبن والزرع من النسيج الصوفي الأسودالثخين والحبال الصوفية التي يتكون منها أطناب بيت الشعر وشكائم وارسنة الابل والخيل وعقل الابل وقيدها وهجرها وغير ذلك من المنسوجات مثل الجوارب الصوفية والوبرية التي يتكون منها نوع من الأحذية

الواقية من البرد وتسمى "زرابيل" وغير ذلك من متطلبات الحياة من هذه من المنتجات.

و- المصنوعات الجلدية:

كما سبقت الإشارة الي المصنوعات الجلدية فمن منتجاتها القرب بمختلف أحجامها والشكاء أو "السعن" وأوعية اللبن من صملان وسقاء وأوطاب وشكاء بمختلف أحجامها وأوعية السمن والعسل كالأنحية والعكك و "المكرش" والظروف بمختلف أحجامها وأشكالها وأوعية إخراج الماء من الآبار الغروب والدلاء "والاقلاص" وأوعية نقل الماء بالقرب الكبيرة الروي مفردها راوية وسيور القد سواء ما كان يستخدم "سريح" أحد حبلى الدلو كما أشرنا اليه في موضع آخر أو ما يتخذ لأسر الاقتاب وغيرها من الأشدة والحدج وهو رطب حتى إذا جف أمسك أشد الامساك وكان الأسرى قديما يربطون بالقد وهو رطب فإذا جف على الايدي والارجل فهو بمنزلة الحديد ومن المصنوعات الجلدية المفارش الجلدية الناعمة من الأدم المدبوغ أو المفارش الجلدية التي يبقى بها صوفها "جاعد" تجمع على جواعد وشرائح بيوت الأدم من الجلد المدبوغ وأوعية الملابس والتحف من الجلود المدبوغة وأوعية النقود البدر مفردها بدرة ومنفاخ كير الحداد من الجلد المدبوغ وصدر "الدويرع" على شداد المطية وحقائب المطية من الجلد المدبوغ والأحزمة التي تشد الظهر أثناء العمل من الجلد المدبوغ وسبت الأحذية الجلدية سواء العادي منها أو المبطن بجوارب صوفية أو وبرية "زرابيل" وأوعية نقل التمر الكبيرة مثل العياب الصغيرة الجراب

وأوعية نقل الطعام "القلص" أو السفرة وغير ذلك من المنتجات الجلدية التي تشمل مختلف الأغراض بالاضافة الي صيانة هذه المنتجات وإصلاح ما يحتاج الي إصلاح.

ز- منتجات الخوص:

تشمل منتجات الخوص المفارش العادية البيضاء الناصعة والمزركشة بمختلف أنواعها وأحوالها والقفف بمختلف أحجامها والزنابيل والزبلان والمكاتل بمختلف أنواعها وأحجامها وأواني نقل التمر وتخزينه من خصف وقلل ومناقل وسفر الطعام التي توضع تحت صحون وصواني الطعام بأنواعها وكبرها وصغرها والأطباق بمختلف أنواعها وأحجامها والسلال بمختلف أحجامها والتحف الصغيرة المنمقة بالألوان المختلفة والمتخذة كعلب للأشياء الثمينة أو الهدايا وغيرها و "مناقل" أو "وقر" وهي التي يحمل بها التمر أو الطين الجاف والسماد البلدي من مكان لآخر ولمختلف الأغراض وحبال الخوص وغير ذلك من المنتجات العديدة التي تخدم مختلف الأغراض.

ح- منتجات الخرازة:

تركز منتجات الخرازة على خرازة الأحذية والنعال بصفة رئيسة وخرازة الغروب والدلاء والقرب بأحجمها المختلفة والجرب مفردها جراب والبدر وغيرها من المنتجات الجلدية التي يحتاجها السكان.

ط- منتجات صناعة الالياف:

تتركز صناعة الالياف في الحبال الغليظة والدقيقة بمختلف درجات غلظها وأطوالها منها الحبال الطوال كالأرشية والأشطان وما ينسج من الحبال المتوسطة من انسجة خاصة بحمل الحطب والعلف وغيره ويتخذ من حبال الياف النخل أحجام عديدة وأطوال متعددة لمختلف الأغراض للشد والربط في أعمال الفلاحة والأحمال وغيرها وتعتبر النخلة المصدر الرئيس للالياف في المنطقة يأتي بعدها الياف خوصها الذي يتخذ منه الحبال كما أسلفنا وهناك نبت يسمى "المِصَيّع" له خاصية في صناعة الالياف لكنه يتجه لصناعة النسيج حيث ينسج منه مع حبال النخل الدقيقة مفارش "المدات" أو "البواري" جمع مدة أو بارية ومنتجات الالياف لا يكاد يستغنى عنها أحد.

ى- منتجات الخياطة:

تتركز منتجات الخياطة على خياطة الملابس الرجالية والنسائية وثوب الرجل وقميصه وسراويله هي القابلة للخياطة أما ما يلف على الجسم كالرداء والعمامة والأزار والمرط فلا يحتاج الي خياط والثوب الرجالي على نوعين أحدهما ثوب أكمامه غير واسعة وطولها الي نهاية الكف وطول الثوب الي الكعبين وهو الثوب الرئيس للرجل يلبسه طول الوقت والنوع الثاني ثوب مثل الأول من حيث بدنه ويختلف عنه بأكمامه الفضفاضة الطويلة التي تنتهي بمثلث يكاد يصل الي الأرض وهذا لا يستخدم إلا في المناسبات للزينة ويلبسه صغار الذكور والشباب وغالباً ما يبقى ثوب الرجل بنوعيه ايضا غير مصبوغ وهناك

من يصبغه بالزعفران أو ما يقارب لونه سواء في ذلك الثياب المخيطة أو الأزار والرداء والمرأة كذلك لها نوعان من الثياب أحدهما يشبه ثوب الرجل العادي وهو الذي تلبسه المرأة دائماً وثوب آخر فضفاض تلبسه فوق ثوبها العادي له أكمام فضفاضة واسعة وذيل يجر من خلفها على الأرض غير أن ثياب المرأة تصبغها بمختلف الألوان الأسود والأحمر والأخضر والأزرق والأصفر وما بينهما من الألوان والثوب الفضفاض يستخدم للزينة وستر مفاتن المرأة كالصدر والأرداف بالاضافة الي الملابس التقليدية القديمة كالازار والريط والرداء والخمار وغيرها وتتركز خياطة ملابس المرأة بالذات على النقوش والتطريز على جيب الثوب وتوشي حواشي أكمام ثوبيها بنقوش جميلة وبألوان زاهية وتعتني بذلك أشد الاعتناء ذلك جزء من جمالها وتلبس الثوب العادي منذ أن تكون طفلة حتى آخر عمرها أما الثوب الفضفاض فلا تلبسه إلا بعد أن تكبر وينهد ثدياها حتى تصبح عجوزاً وبالاضافة الي هذين النوعين من الثياب هناك ثياب رقيقة خاصة بالنوم تلبسها المترفات من النساء أما السراويل فلا تعرفها المرأة ويلبسها الرجل لوحده نظراً للأعمال التي يمارسها مثل ركوب الخيل والابل وغيرها بهذا نرى أن منتجات الخياطة تتركز على ملابس الرجل والمرأة المخيطة عدا الملفوفة التي سبقت الاشارة اليها.

٢٥-الملابس والمنسوجات:

لباس العرب القميص والحلة والإزار والشملة والعباءة والعمامة وثيابهم على الاجمال قصيرة الي أسفل الركب، ومن لباسهم البرود والبياض والحبرة،

وهي ضرب من البرود فيه حمرة، وأول من لبس الخز الأدكن من العرب عبد الله بن عامر، وأول من لبس الدراريع السود المختار بن أبي عبيد، والدراريع جمع دراعة وهي قميص طويل، أو جلباب من القطن والتيل مفتوحة الصدر الي الوسط وفي فتحتها أزرار، وكانت بيضاء، أو على الوان أشهرها البنفسجي، وقد صارت مع الزمن ملبس الوزراء حتى أصبحت وكأنها زيٌ خاص بهم، وأول من لبس الطيلسان بالمدينة جبير بن مطعم؛ أما القلانس والسراويل والأقبية فهي فارسية ولم يلبسها العرب إلا في عهد الخليفة المنصور العباسي سنة ١٥٣هـ ٧٦٩م حيث أمر المنصور رجاله أن يلبسوا القلانس الطويلة وهي صغيرة، وأن يعلقوا لسيوف على أوساطهم فأقبل الناس على هذه اللباس مما جعل أبو دلامة يقول:

وكنا نرجّي من إمام زيادة   فزاد الإمام المصطفى في القلانس

تراها على هام الرجال كأنها   دنان يهود جللت بالبرانس

واشتهرت اليمن بصناعة المنسوجات وأشهرها الحلل اليمانية والثياب السعيدية، واختصت سحولا والجريب بالبرود والشروب وهي منسوجات رقيقة تصنع من الكتان ، وقطر والمعافر وصحار وتصديرها للبلاد الأخرى، واشتهرت المعافرية نسبة الي مدينة وقبيلة، والبرود السحولية نسبة الي مدينة وقبيلة، الجيشانية نسبة الي مدينة وقبيلة، وكانت نجران تصنع الأنسجة الحريرية وتتاجر في الجلود وصنع الأسلحة وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد صالح أهل نجران على ألفى ٢٠٠٠ حلة تدفع على مرحلتين، ولم يال أهل مكة من الإشتغال

بالصناعات فكان العوام أبو الزبير خياطاً، وكان عثمان بن أبي طلحة الذي دفع له النبي صلى الله عليه وسلم مفتاح الكعبة خياطاً وكذلك قيس بن مخرمة، وكان أبو بكر الصديق وطلحة بن عبيد الله وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهم برازين (بياعى أقمشة)، ومن أنواع المنسوجات المستخدمة في الملابس:

١- الديباج وهو النسيج المتخذ من الإبريسم (فارسي معرب) وهو نوع من الحرير وقد أشار اليه عدد من الشعراء منهم الأعشي يقول:

وكل زوج من الديباج يلبسه   أبو قدامة محبواً بذاك معا

وقال ذو الرمة:

تمزق من ديباج لون كأنه   شريح بأثياب الثياب البرانك

وقال جميل بثينة:

إذا حميت شمس النهار إتقينها   بأكسية الديباج والخزذي الحمل

وقال البحتري:

وأخضر موشي البرود وقد بدا   منهن ديباج الخدود المذهب

٢- الإبريسم: نوع من الحرير والأسم فارسي معرب قال فيه ذو الرمة:

كأنما اعتمت ذري الأجبال   بالقزو الإبريسم الهلهال

طي برود اليمن الأسمال   يطرحن بالمهامة الأغفال

٣- السندس: وهو رقيق الديباج ورفيعه، قال يزيد بن خذاق الشني:

وداويتها حتى شتت حبشية   كأن عليها سندساً وسدوسا

وقال أعشى همدان:

عولين ديباجاً وفاخر سندس ... وبخز أكسية العراق تحفف

٤- الأستبرق وهو غليظ الديباج ولم يختلفوا فيه.

٥- الدِّمَقس: وهو الحرير ويقال الإبريسم.

قال أمرؤ القيس:

فظل العذاري يرتمين بلحمها ... وشحم كهداب الدمقس المفتل

٦- الخز: وهو نسيج من الصوف والأبريسم وقد لبسه الصحابة والتابعون؛ قال فيه الأعشى:

تري الخز تلبسه ظاهر ... وتبطن من دون ذاك الحريرا

وقال ذو الرمة:

إذا الخز تحت الأتحميات لثنه ... بمردفة الأفخاذ ميل الماكم

وقال عمر بن أبي ربيعة:

يمشين في الخز والمراحل أن ... يعرف آثارهن مقتفر

وقال الفرزدق:

لبسن الفرند الخسرواني ودونه ... مشاعر من خز العراق المفوف

وقال أبو الأسد الشيباني:

فما مضت سنة حتى رأيتكم ... تمشون في القز والقوهي واللين

فصرن يرفلن في وشي العراق وفي ... طرائف الخز من دكن وطارون

وقال المرار بن منقذ:

وتطا الخز ولا تكرمه ... وتطيل الذيل منه وتجر

٧- الأضريح: ضرب من الخز يصبغ بالأحمر

قال النابغة الذبياني:

تحييهم بيض الولائد بينهم ... وأكسية الأضريح فوق المشاجب

٨- الرَّدَن: ضرب من الخز الأحمر والأصفر:

قال عدي بن زيد العبادي:

ولقد ألهو ببكر شادن ... مسها الين من مس الردن

٩- الحرير الخسرواني ويستورد من العراق.

١٠- الكتان: وعرفت الأنسجة اليمانية المصنوعة من الكتان في كل مكان من جزيرة العرب، وقد كان لباس الأغنياء والوجهاء وتعطي أنسجة الكتان برودة خاصة في الصيف.

ومن أشهر هذه المنسوجات:

١- البرود: واحدها البرد والبردة وهوما يلتحف به، وقيل إذا جعل الصوف شقة وفيه هدب فهي البردة، وإذا كان غير ذلك فهو برد، والبردة الشملة المخططة، والبردمعروف من الوشي والعصب، والبردة كساء مربع أسود تلبسه الأعراب ويشترك في لبسه الرجال والنساء قال ذو الرمة:

به ملعب من معصفات نسجنه ... كنسج اليماني برده بالوشائع

وقال:

بنينا علينا ظل أبراد يمنه ... على سمك أسياف قديم صفافا

وقال:

إذا كافحتنا نفحة من وديقة ... ثنينا برود العصب فوق المراعف

وقال:

ملاحك بالبرد اليماني وقد بدا ... من الصرم أشراط له وهو رائح

وقال الفرزدق:

طواهن ما بين الجواء ودومة ... وركبانها طي البرود من العصب

وقال وضاح اليمن:

وتلبس من بز العراق مناصفا ... وأبراد عصب من مهلهة الجند

وقال يزيد بن مفرغ الحميري:

وبرود مدنرات وقز ... وملاء من أعتق الكتان

وللبرود عدة أسماء بعضها نابع من لونه، والبعض الآخر من وشيه أو خطوطه، وغير ذلك من الميزات التي يتميز بها كل نوع ومنها:

١- السّيراء: ضرب من البرود، وقيل ثوب فيه خطوط صفر تعمل من القز كالسيور، قال الشماخ بن ضرار الذبياني:

فقال إزار شرعبي وأربع ... من السّيراء أو أواق نواجز

وقال المرقش الأكبر:

كسية السيراء ذات علالة ... تهدى الجياد غداة غب لقائها

وقال النابغة الذبياني:

صفراء كالسيراء أكمل خلقها ... كالغصن في غلوائه المتأود

٢- الخال: وهو ضرب من برود اليمن الموشية. قال ساعدة بن جؤيّة:

يلبرين دمعاً على الأشفار منحدراً ... يرفلن بعد ثياب الخال في الردم

وقال الشماخ بن ضرار الذبياني:

وبردان من خال وتسعون درهما ... على ذاك مقروض من الجلد ماعز

وقال آخر:

كأن كشوحهن مبطنات ... على فوق الكعوب برود خال

٣- الحبرة: ضرب من برود اليمن، مُنَمّر والجمع حبرات وحبر قال الحطيئة:

وغيث جماديٌّ كأن تلاعه ... وحزانه مكسوة حبرات

وقال النابغة الذبياني:

يدير علينا كأسه وشواءه ... مناصفة والحضرمي المحبرا

وقال الحطيئة:

تراها بعد دعس الحيّ فيها ... كحاشية الرداء الحميريّ

٤- السحل: وهو ضرب من البرود اليمانية: وقال فيه النابغة الذبياني:

وناجية عديت في متن لاحب ... كسحل اليماني قاصد للمناهل

وقال طرفة بن العبد:

وبالسفح آيات كأن رسومها ... يمان وشته ريدة وسحول

٥- الفوف: وهو القطن، والأفواف ضرب من عصب اليمن وهو ثياب رقاق من ثياب اليمن موشاة، قال عنترة:

وغادرن مسعوداً كأن بنحره ... شقيقة برد من يمان مفوف

٦- القطر: وهو ضرب من البرود، وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: كان متوشحا بثوب قطري، وقال أيمن: دخلت على عائشة رضي الله عنها وعليها درع قطري ثمنه خمسة دراهم؛ والبرود القطرية حمر لها أعلام فيها بعض الخشونة تصنع في قطر على ساحل عمان قال الشاعر:

كساك الحنظلي كساء صوف   وقطريا فأنت به تفيد

٧- المرحل: ضرب من برود اليمن، سميٌ مرحلاً لأن عليه تصاوير الرحل، وماضاهاها، قال أمرؤ القيس:

فقمت به أمشي تجر وراءنا   على أثرينا ذيل مرط مرحل

٨- الوصيل: وهو ضرب من برود اليمن، الواحد منها وصيلة أول من كساها الكعبة كسوة كاملة تُبعُ اليمن فقد كساها الأنطاع ثم كساها الوصائل وهي ثياب حمر مخططة.

٩- الشرعبية:ضرب من برود اليمن منسوبة الي شرعب قال الشماخ بن ضرار:

فقال إزار شرعبي وأربع   من السيراء أو أوق نواجز

١٠- المهاصيري: ضرب من برود اليمن.

٢- الثياب كذلك لها عدة أسماء منها ما هو منسوب الي المصدر وبعضها من نوع القماش والبعض الي اللون أو الوشي منها:

١- القوهي: وهو ضرب أو نوع من الثياب البيض فارسي منسوب الي (قوستان) قال نصيب:

سودت فلم أملك سوادي وتحته   قميص من القوهي بيض بنائقة

٢- القهز: وهو ضرب أو نوع من الثياب تتخذ من صوف المرعزي وقيل هي ثياب صوف كالمرعزي وربما خالطها حرير وقيل هو القز بعينه وأصله بالفارسية (كهزانه).

٣- القرام: وهو ثوب من صوف ملون فيه ألوان من العهن وهو صفيق يتخذ ستراً، وقيل القرام ستر فيه رقم ونقوش قال عنترة:

اكرُ عليه مهري كليماً   قلائده سبائب كالقرام

٤- العمرية: ثياب مصبوغة بالشرف وهو طين العمر وثوب مشرف مصبوغ بالشرف.

٥- المقدم: ضرب من الثياب المشبع حمرة. قال عنترة:

وبكل مرهقة لها نفذ   بين الضلوع كطرة الفدم

٦- الورد: ضرب من الثياب المصبوغة حمرة دون المضرج (أخف منه لونا).

٧- الطبل: ضرب من الثياب به وشي على هيئة الطبول.

٨- المجسد: والجساد الزعفران، وثوب مجسد إذا صبغ بالزعفران والثوب المجسد المشبع بالعصفر والزعفران.

قال الحطيئة:

إذا النوم ألهاها عن الزاد خلتها   بُعَيد الكرى باتت على طي مجسد

وقال:

طفلة الأطراف زين جيدها   مع الحلي والطيب والمجاسد والخمرُ

الي عجز البيت اضطراب)

وقال قيس الخطيم:

من اللائي إذا يمشين هونا   تجلببن المجاسد والبرودا

٩- القِسِّيَّة: وهي ثياب من الكتان مخلوط بحرير يؤتي بها من مصر وهي نسبة لبلدة يقال لها القس على ساحل البحر.

١٠- اللاَّذ: ثياب حرير تنسج في الصين واحدها لاذة.

١١- المشبرق: وهو الرقيق من الثياب، مثله المشمرخ، والهفاف وكلها من الملابس الرقيقة.

١٢- البصم وهو ثوب كثيف الغزل.

١٣- الحصيف: وهو ثوب محكم النسج صفيقه.

١٤- الحنيف: وهو ثياب غليظة جداً.

١٥-الخصف: وهي ثياب غليظة جداً.

١٦- الصفيق: وهو ثوب بيِّن الصفاقة كثيف النسج.

١٧- الموجح: وهو ثوب غليظ كثيف الغزل.

١٨- الدرقل: وهو ثوب متوسط من الكتان.

١٩- الدعلج والزراقي وهي ثياب من الكتان.

وعن اللباس بصفة عامة قال الأحيمر السعدي التميمي:

قل للصوص بني اللخناء يحتسبوا   بزَّ العراق وينسوا طرفة اليمن

ويتركوا الخزو الديباج يلبسه   بيض الموالي ذووا الأعناق والعكن

أ- ملابس الرجال

١- أول ملابس الرجال العمامة، وهي كساء يلف فوق الرأس، العَمار والعَمارة كل شيء يوضع على الرأس من عمامة وقلنسوة وتاج، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه، العمائم تيجان العرب وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قوله: جمال الرجل في عمامته، وجمال المرأة في خضابها، ومن العمائم ما يصير له ذؤابة ترسل على الظهر ولا يلبسها إلا الأشراف من القوم، وعدت من لباس الطبقة العالية والمترفة، فرمز لبسها الي رخاء حياة لابسها وغناهم وفضل السادة الأشراف لبس العمائم الصفراء، ولهذا صبغ الزبرقان بن بدر التميمي عمامته باللون الأصفر، أما عمامة الشاعر العجاجي فهي من الخز الحريري واستفاد الشاعر القحيف العقلي من عمامته حين وصل بها حبل دلوه لإخراج الماء من البئر واعتبرت العمامة في المجتمع رمزاً يدل على الرجال ورجولتهم وقد ذكر العمامة عدد من الشعراء منهم الشاعر ذي الرمة بقوله:

إذا نحز الإدلاج ثغرة نحره   به أن مسترخي العمامة ناعس

وقال:

فلما رأيت الدار غشيت عمامتي   شآبيب دمع لبسه المتلثم

وقال جرير:

ترى منه العمامة فوق وجه   كأن على صحيفته صقالا

وقال كثير:

وهاجرة ياعز يتلف حرها   وركبانها من حيث لَيُّ العمائم

وقال عمر بن أبي ربيعة:

وأضحوا جمعياً تعرف العين فيهم … كرى النوم مسترخي العمائم ميل

١- العصابة: نوع من العمائم أقل ثخانة من العمامة وتلف على الرأس قال عنها ذو الرمة:

زحول برجليها نمور برأسها … إذا أفسد إلا دلاج لوث العصائب

وقال الفرزدق:

وركب كأن الريح تطلب منهم … لها سلبا من جذبها للعصائب

٢- القلنسوة: من ملابس الرأس للرجال وخاصة كبار السن، وكان الشاعر جرير يحرص على لبسها، وتميزت ملابس الرجال في اليمامة بالبياض، إذ كانوا يلبسون ثيابهم نظيفة في المناسبات، فإبراهيم بن عربي والي اليمامة يصعد على المنبر وعليه ثياب بيض، وأول من أمر بلبس القلانس الخليفة العباسي المنصور عام ١٥٣هـ ٧٦٩م كما مرَّ بنا (وهي بمنزلة الطاقية أو الكوفية في وقتنا الراهن)، قال الرماح:

يقولون حج البيت واجتنب الصّبا … وصل الضحى والبس طوال القلانس

٣- البرنس: والبرنس ثوب رأسه منه ملتزق به، وقد كان جرير يرتدي برنساً من الخز (الحرير) كما لبس ثياب الخز عمارة بن عقيل الخطفي، وكان عبد العزيز بن زرارة الكلابي يقف في سوق حجر اليمامة وعليه مقطعات خز.

٤- قميص: وهو كساء يلبس للرجال أكثر من النساء (وهو بمنزلة الثوب الان) قال فيه ذو الرمة:

اخائفة زولاً كأن قميصه … على نصل هندي جزار المضارب

الألف سنة الغامضة من تاريخ نجد

وقال:

بأشعث منقد القميص كأنه … صحيفة سيف جفنه متخرق

وقال:

أغر لجيمي كأن قميصه … على نصل صافي نقية اللون صارم

وقال:

طويل القميص لا يذم جنابه … نبيل إذا نيطت عليه الحمائل

٥- الجُبَّة: كساء رجالي يكون على الصدر بدون أكمام ويكون في الغالب من الصوف ويتخذ للدفء والزينة، وقد يكون سابغاً مشقوق (مفتوح) المقدم يلبس فوق الثياب قال خزرج بن عوف الخفاجي:

فعثرت أعثر في مقادم جبتي … لولا الحياء أطرتها إحضارا

وقال امرؤ القيس:

وصيرني القرح في جبة … تخال لبيساً ولم تلبس

وقال أحد بني أسد:

فأفلتني منها حماري وجبتي … جزى الله خيراً جبتي وحماريا

٦- عباءة: وهي كساء يكون فوق الثياب وغالباً يكون من الصوف وتتخذ للدفء وحسن المظهر والهيئة.

قال جرير:

أناس يخالون العباءة فيهم … قطيفة مرعزي يقلب نيرها

وقال المعري:

أجدك لا ترضى العباءة فيهم   ولو بان ما تسديه قبل عباء

٧- الحَبِرة: جمعها حبرات، وهي التي كانوا يجرون أسافلها تيها وفضلوا بمجالسهم الخاصة لبس الثياب الرقاق الناعمة، وقد اقتنى المحلق من بني عامر بن صعصعة الحبرة للمناسبات، والحبرة ثوب من قطن أو كتان مخطط كان يصنع باليمن وقد احتفظ الشاعر جرير بالثياب الثمينة التي تعطى له من الخلفاء ليلبسها في مواسم الأعياد وإجتماعات الناس، وقد أهدى حاكم اليمامة هوذة بن علي الحنفي الي حامل رسالة الرسول صلي الله عليه وسلم ثياباً صنعت بهجر كما قال الحطيئة عن بزّ هجر وقد أُهْدِيَ الي الشاعر جرير مئة حلة منه (الحلة الثوب الجيد غليظاً أو رقيقاً، وقيل الحلة اللباس لكامل كما سيأتي) ولبس حُرْق الحنفي (أحد عمال نجده الحنفي) الثياب المصمتة (وهي الثياب التي لا يخالط لونها لون آخر).

٨- الرداء: وهو كساء يلبس وهو أحد أجزاء اللباس العربي، فالرداء والإزار والرداء يوضع أعلي الكتفين ويغطى الي الحقوين، والإزار ما يكون على الحقوين وأسفل، والرداء مشترك بين الرجال والنساء لكنه للرجال أكثر، قال أبو تمام:

حلة سابرية ورداء   كحسا القبط أورداء السحاج

٩- الإزار: وهو كساء يشد على الحقوين فما دون وهو مشترك بين الرجال والنساء ويتخذ من الأقمشة الناعمة كالحرير والكتان والقطن قال ذو الرمة:

وعيناء مبهاج كأن إزارها   على واضح الأعطاف من رمل عازف

وقال كثير:

تلوث إزار الخز منها برملة   رداح كساها هائل الترب مورها

وقال:

لهم أزر حمر الحواشي يطونها   بأقدامهم في الحضرمي الملسن

١٠- الحُلة: كل ثوب جديد تلبسه غليظ أو رقيق، ولا يكون إلا إذا كان ثوبين، والحلة هي القميص والأزار والرداء ولا تكون أقل من ثلاثة اثواب قال عنترة:

وبدر قد تركناه طريحاً   كأن عليه حلة أرجوان

١١- السراويل: كساء رجالي أصله فارسي يلبس تحت الإزار وربما استغنى عن الإزار به خاصة عند الركوب على الخيل قال ذو الرمة:

ما سمعته سرداً سوى سروال   وكيف لا وإنما أدلالي

قال قيس بن عبادة:

أرد لكيما يعلم الناس أنها   سراويل قيس والوفود شهود

وإلا يقولوا غاب قيس وهذه   سراويل عاديّ نمته ثمود

١٢- الطيلسان وهو كساء خارجي يرتدي فوق الملابس بمكانة العباءة ويتخذ للدفء والزينة وغالباً ما يكون من نسيج الصوف والطيالس عدة أنواع منها:

أ- الخميصة: وهو كساء أسود مربع له علمان بالمرعزي والصوف ونحوه قال الأعشى:

إذا جردت يوماً حسبت خميصة   عليها وجريال النضير الدلامصا

٢- البتُّ: وهو كساء غليظ مربع أخضر وهو من وبر وصوف وهو ضرب من الطيالس، وكان الشاعر جرير يلبس البت، كما لبسه الشاعر أبو نخيلة، وكان لباس جرير في مترله قميصاً غليظاً وملاءة صفراء (الملاءة الملحفة أو مايفرش على السرير).

٣- السندس: وهو البزيون ويتخذ من المرعزي والسندس (ضرب من الحرير) قال يزيد بن خذاف الشني:

وداويتها حتى شتت حبشية ... كأن عليها سندساً وسدوساً

٤- الطاق: وهو ضرب من الملابس وقيل وهو الطيلسان الأخضر.

٥- القطيفة: وهو دثار مخمل غليظ يرتدي به.

وعن الطيلسان قال أعشى همدان:

وليس عليك إلا طيلسانا ... نصيبيّ وإلا سحق نيم

فقد اصبحت في خزّ وقزّ ... تبختر ما ترى لك من حميم

١٣- الفرو: وهو من إهاب (جلود مدبوغة بشعرها) تلبسه طبقة لا تعتني بملابسها، وكان مروان بن أبي حفصة يلبس فرو كبش وقميصه وعمامته من الثياب الخشنة (رغم رغد عيشه).

١٤- الثياب الزراقية: وهي ثياب من كتاب أبيض، أو كل ثوب رقيق وقد ظلت تستخدم طيلة العصر الأموي.

١٥- نعل: وهي ما يلبس في القدم يتخذ من الأدم والسبت ولا يلبسها إلا المترفون من القوم قال ذو الرمة:

حواري النبي ومن أناس ... هم من خير وطيء النعالا

وقال كثير:

لهم أزر حمر الحواشي يطونها ... بأقدامهم في الحضرمي الملسن

وقد أشتهر أشراف بني عقيل بلبس النعال الرقيقة قال شاعرهم:

وجدت بني خفاجة من عقيل ... كرام الناس مسمطة النعال

١٦- لباس الشطار: وللشطار زي خاص، الشطار واحدهم شاطر، والشاطر من أعيا أهله خبثاً وهو المنحرف عن طريق الأستواء وهم طائفة من أهل الدعارة والتخلع، وقيل هم الفتاك: كانوا يمتازون بملابس خاصة وزي خاص يتكون من طُرّة مصفقة وكُمّان واسعان وذيل مجرور ونعل مطبق.

ب- ملابس النساء

تختص المرأة بأكبر عدد من الملابس ولها في ارتدائها ترتيب خاص كما جاء في كتاب الأغاني ج ١٦ص ٢٥٠ تكون مرتبة كما يلي:

١- الرداء: وهو الأعلى من اللباس (بمترلة العباءة في الوقت الحاضر)

٢- الخمار: وهو غطاء الرأس (بمترلة الشيلة في الوقت الحاضر)

٣- الدرع: وهو ما تحت الرداء (بمترلة الثوب أو الفستان في هذا الزمن)

وجاء هذا الترتيب مستقي من القصة التالية: عند ما زفت نائلة بنت الفرافصة الكلبية الي الخليفة الراشدي الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه، يروي أن عثمان عندما احتلى بها قال لها: إطرحي عنك الرداء، فطرحته، فقال:

إطرحي خمارك، فطرحته، فقال: إنزعي درعك، فنزعته، ثم قال لها: حلّي إزارك، فقالت: ذاك لك، وتتكون ملابس المرأة من عدة أنواع بدءاً بالرأس.

١- البرقع: وهو كساء نسائي يوضع على الوجه وبه فتحتان للعينين ويكون من القماش الرقيق ويغلب عليه اللون الأسود ومن خلال فتحتي البرقع تنظر المرأة وكان البرقع من الملابس التي تحرص لمرأة على لبسه حتى أصبح من الملابس اللازمة لهن قال الشاعر:

ترى البيض يألفن البراقع غيرها   ولكنها بالحسن منها أدلت

وكانت ليلى الأخيلية من بني عقيل لا ترى إلا متبرقعة وهي التي شبب بها توبة بن الحمير فقال:

وكنت إذا ما جئت ليلى تبرقعت   فقد رابني منها الغداة سفورها

وقال ذو الرمة:

جزى الله البراقع من ثياب   عن الفتيان شراً ما بقينا

يوارين الملاح فلانرها   ويخفين القباح فيزدرينا

وقال آخر:

مبرقعة كالشمس تحت سحابه   أو البدر في جنح من الليل مظلم

وقال المتنبي:

خف الله واستر ذا الجمال ببرقع   فإن لحت ذابت في الخدود العواتق

وقال أبو فراس الحمداني:

وإن حجبت عنى النوى أم مالك   لقد ساعدتها كلة وبراقع

وقال ابن حيوس:

فقد حملت جمالاً واعتدالاً   تجنبها البراقع والغلائل

٢- المخنق: وهو كساء نسائي يوضع على الرقبة وأعلى الصدر ويرصع بالحلي والجواهر وغيرها من الخرز والودع والنقوش قال المتنبي:

بلاد إذا زاد الحسان بغيرها   حصى تبرها يثقبنه للمخانق

٣- النقاب: أو الخمار وهو كساء نسائي تغطى به المرأة وجهها وشعرها ورأسها، قال توبة بن الحمير:

تزداد في العين إبهاجاً إذا سفرت   وتحرج العين فيها حين تنتقب

٤- الإتب: وهو ثوب قصير رقيق، تلبسه المرأة على بشرتها مباشرة تحت ثيابها، وقيل الأتب برد أو ثوب رقيق يؤخذ فيشق وسطه ثم تلقيه المرأة على عنقها من غير جيب ولا كمين، وهو الاتب أو العلق، والوذر، والأتب درع المرأة وهو قصير الي نصف الساق (وهو بمنزلة الشلحة اليوم) قال النابغة الذبياني:

والبطن ذو عُكَنٍ لطيف طيه   والإتب تنفجه بثدي مقعد

وقال عمر بن أبي ربيعة:

تمشي الطراء على هوينها   تبدو غضاضتها من الإتب

٥- الدرع: الدراعة والدرعة والمدرعة والدرع ضرب من الثياب مشقوق المقدم تلبسه النساء، ودرع المرأة قميصها وهو الثوب الصغير تلبسه الجارية في بيتها، والدرع ثوب تجوب فيه المرأة وتجعل له يدين (وهو بمنزلة الفستان اليوم).

٦- المحول: والمحول ثوب صغير تجول فيه الجارية، والمحول ثوب يثني ويخاط من أحد شقية وتجعل له جيب تجول فيه المرأة، وقيل إن المحول للصبية، والدرع للمرأة وهو معنى قول أمرؤ القيس ويعني أنها بين الصبية والمرأة عندما وصفها بقوله:

الي مثلها يرنو الحليم صبابة　　　إذا ما اسْبَكَرّت بين درع ومجول

٧- النصيف: والنصيف ثوب تتجلل فيه المرأة فوق ثيابها كلها وسمي نصيفاً لأنه نصف بينها وبين لناس فحجز أبصارهم عنها قال النابغة الذبياني:

سقط النصيف ولم ترد إسقاطه　　　فتناولته واتقتنا باليد

٨- الأكياش: والأكياش ضرب من برود اليمن ترتديها المرأة مثل البرود العادية، قال عمر بن أبي ربيعة:

فاذا شخوص كنت أعرفها　　　في المسك والأكياش والعصب

٩- العصب: والعصب كساء نسائي وهو ضرب من برود اليمن، سمي عصباً لأن غزله يعصب ثم يدرج ثم يصبغ ثم يحاك، وهناك برود الرقم والعصب مشترك بين الرجال والنساء قال جرير:

فيوما سرابيل الحديد عليهم　　　ويوماً ترى خزاً وعصباً مخيرا

وقال كثير:

لبسن ثياب العصب فاختلط السدى　　　بنا وبهم والحضرمي المخصرا

وقال:

إذا حلل العصب اليماني أجادها　　　أكف أساتيد على النسج درب

لها طرر تحت البنائق إذ نبت　　　الي مرهفات الحضرمي المعقرب

المعود بالحضرمي المخصر، والمعقر يعنى النعال الحضرمية.

١٠- المطرف: المطرف واحد المطارف وهي أردية من خز مربعة لها أعلام وقيل ثوب مربع من خزّ له أعلام وهو ما جعل بطرفيه علمان. قال ذو الرمة:

وإنا ليجزي بيننا حين نلتقي　　　حديث له وشي كوشي المطارف

١١- الازار: والإزار كساء يشدُّ على الحقوين وما دونهما وهو مشترك بين الرجال والنساء فلكل منهم لون يميزه. (أنظر أزار الرجال).

١٢- البريم: والبريم حبل من أدم من ثلاثة فروع مجدولة له ألوان متعددة تشده المرأة علي وسطها من تحت ثيابها على بشرتها مباشرة قال منظور بن مرشد الأسدي:

ملء البريم متأق المخلخل　　　فأردفت خبلاً على خبالي

وقال الفرزدق:

مخصرة لا يجعل الستر دونها　　　إذا المرضع العوجاء جال بريمها

١٣- الوشاح: والوشاح كساء يتشح به الرجل والمرأة بحيث يكون على عاتقه من يسار الرقبة ومن تحت يده اليمن ثم يعقد طرفيه على صدوره، والوشاح للمرأة كذلك نسيج من أديم يرصع بالجواهر وتشده المرأة بين عاتقها وكشحها ويتوشح الرجل بسيفه قال ذو الرمة:

عجزاء ممكورة خمصانة قلق　　　منها الوشاح وتم الجسم والقصب

وقال:

غراء يحرس وشاحاها إذا إنصرفت   منها على أهضم الكشحين منخضد

وقال كثير عزة:

تزيف كما زافت الي سلفاتها   مباهية طي الوشاح ميود

١٤- الرّيط: والريطة الملاءة إذا كانت قطعة واحدة و لم تكن لفقتين وهي كساء نسائي، وقيل الريطة كل ملاءة غير ذات لفقين كلهما نسيج واحد، وقيل كل ثوب لين رقيق ولا تكون الريطة إلا بيضاء، قال أوس بن حجر:

لبسن ريطا وديباجاً وأكسية   شتى بها اللون إلا أنها فور

وقال الفرزدق:

بأرض خلاء وحدنا وثيابنا   من الريط والديباج درع وملحف

وقال ذو الرمة:

هز القنالان وما تخضدا   يركضن ريط اليمن المعضدا

وقال:

ثلاثة أحوال وحولاً وسنة   كما جرت الريط العذارى الموارح

وقال كثير:

كسين الربط ذا الهدب اليماني   خصوراً فوق أعجاز ثقال

وقال العريان بن سهيلة النبهاني الطائي:

يرفلن في الريط والمروط كما   تمشى نعاج الجميلة الميد

والمقصود بالنعاج المها أو بقر الوحش.

١٥- المرْط: وهو كساء من خز أو صوف أو كتان، وقيل هو الثوب الأخضر، وجمعه مروط، وهو ثوب غير مخطط يؤتزر به ويتلفع به، قال امرؤ القيس:

خرجت بها أمشى تجر وراءنا   على أثرينا ذيل مرط مرحل

وقال الحكم الخضري:

تساهم ثوباها ففي الدرع رأدة   وفي المرط لفاوان ردفهما عبل

وقال ذو الرمة:

أناة كأن المرط حين تلوثه   على دعصة غراء من عجم الرمل

وقال:

أناة تلوث المرط عنها بدعصة   ركام وتجتاب الوشاح فيقلق

وقال عمر بن أبي ربيعة:

فنهضنا نمشي تعفي بروداً   ومروطا وهنا على الأثار

١٦- السُبوب: مفردها السُبُّ وهو ثوب رقيق من الكتان يجاء بها من مصر وطولها ثمان في ست (لعلها أشبار أو أذرع).

قال عبد الله بن سلمة:

وناجية بعثت على سبيل   كأن بياض منحره سبوب

وقال علقمة بن عبدة الفحل التميمي:

تتبع أفياء الظلال عشية   على طرق كأنهن سبوب

١٧- السابري: والسابري من الثياب الرقاق، وكل ثوب رقيق سابري، قال ذو الرمة:

فجاء بنسج العنكبوت كأنه ... على عصويها سابري مشبرق

وقال عنترة:

وبطن كطي السابرية لين ... أقب لطيف ضامر الكشح مدمج

١٨- السّلاب: والسُّلُبُ ثياب سود تلبسها النساء في المآتم؛ وسلبت المرأة وهي مسلب إذا كانت الثياب السود للحداد، قال لبيد:

يخمشن حرَّ أوجه صحاح ... في السُّلُب السود وفي الامساح

وقال عنترة:

وما كنت أخشى أن أموت ولم تقم ... قرائب عمرو وسط نوح مسلَّب

١٩- النّطاق: والنطاق شقة أو ثوب تلبسه المرأة ثم تشد وسطها بحبل ثم ترسل الأعلى الي أسفل الي الركبة والأسفل منه ينجرُّ على الأرض وليس لها حجز: ولا نيفق ولا ساقان.

٢٠- الشعار: والشعار هو الثوب الذي يلي الجسد، قال المرار بن منقذ:

تطا الخز ولا تكرمه ... وتطيل الذيل منه وتجر

وترى الريط مواديع لها ... شعر تلبسها بعد شعر

٢١- النصع: والنصع ضرب من الثياب شديد البياض قال الشاعر:

مجتاب نصع يمان فوق نقبته ... وبالأكارع من ديباجه قطع

٢٢-السّيال: وهي ثياب غليظة تصنع من الكتان (وهو نبات يزرع في المناطق المعتدلة ويتخذ من اليافه النسيج المعروف بالكتان) وتصبغ ثياب الكتان بالزعفران فتكون صفراء برتقالية.

٢٣- الشملة: وهو كساء يشتمل به، وقيل مئزر من صوف أو شعر يؤتزر به وتلبسه بعض فتيات البادية، وقدأشار الي هذا النوع من اللباس الشاعر حبيب بن زيد حين قال:

تعرض نسوة بقصور حجر ... مليحات التخلب والدلال

لِرَبّات الشّمال أو دعندي ... وأحلى من مزعفرة السّيال

٢٤- الشوذب: وهو ثوب طويل ولعله كان يلبس داخل البيت.

٢٥- البرد: وهو كساء مخطط وهو من الأكسية التي يلتحف بها وتلبس لزينة في الحاضرة والبادية.

٢٦- العباءة: وهي كساء واسع مشقوق بلا كمين يلبس فوق الثياب وهو مشترك بين الرجل والمرأة، وقد فضل سحيم باليمامة الأعرابية في لباس البرد والعباءة على النساء الحضريات وهن يلبسن الريط بقوله.

أحب الي القلب الذي لج في الهوى ... من اللابسات الريط يظهرنه كيدا

٢٧- الشرعبي: وهو كساء له ذيل طويل يجر من الخلف ولونه أصفر.

٢٨- البقيرة: وهو برد يشق ويلبس بلا كمين ولا جيب: قال الأصمعي: تلقيه المرأة في عنقها، وقيل البقيرة يلبسها الصبيان، وقيل أن البقيرة من لباس النساء اللواتي يعملن في البيوت (للخدمة)غير أن الأعشي عده من لباس الفتيات النعمات المترفات.

٢٩- العلقة: وهو ثوب بلا كمين وتلبسه النساء الحرائر وتنسجه المرأة من حاجات بيتها،فكانت مي التميمية تنسج علقتها بيدها وكان بعض النساء

بفضل الوشي والتخطيط في الملابس خاصة ما كان منها موضع الحوكة، فالثوب المعضَّد وهو المخطط في موضع عضدي لابسه أو وشيه من جوانبه من خلال نساء أهل اليمامة. ولبس بعض الفتيات الملابس الحريرية على الجسم مباشرة ويرتدين فوقه ملابس صنعت من الخز (وهو نسيج من صوف وابريسم نوع من الحرير أو ابريسم خالص) ويظهر ذلك في قول الأعشى:

ترى الخز تلبسه ظاهراً ... من دون ذاك الحريرا

واختص في لبس هذا اللون من الثياب نساء طبقة الأثرياء والمترفين.

٣٠- الثياب المرصصة: وهي أكسية تكسو المرأة بحيث لا يرى منها إلا عيناها وتلبسها فتيات بني عقيل، وقيل إن الترصيص لبس نساء بني عقيل.

٣١- الغلالة: وهو لباس اختصت بلباسه الجواري والإماء وتلبس تحت الثياب.

٣٢- الوثْر: ويُعَدُّ من الجلد حيث يقدُّ على هيئة شرائح عرض الشريحة الواحدة ما بين أربع أصابع الي شبر، وتلبسه الجارية قبل أن تدرك الحلم ويظهر أن طوله لا يصل الي نصف الساق.

٣٣- الشوذر: وهو ثوب قصير الكمين، وقيل برد يشق ثم تلقيه المرأة على عنقها من غير كمين ولا جيب، وقيل هو الملحفة معرب، وقيل ثوب تجتابه المرأة والجارية الي طرف عضدها قال الطماح العقيلي:

وما هن إلا ذات وثر وشوذر ... مغار ابن همام على حي خثعما

جُويرية ما أخلفت من لفافة ... ولا الثدي منها ما عدا أن تحلما

تعلقتها وسط الجواري غريرة ... وما حلّيت إلا الجمان المنظما

٣٤- القويع: والقويع قلنسوة تعمل من الخوص وتلبسها النساء العاملات في الحقول وغيرها.

ج- الوشي

والثياب الموشاة منها ما يكون مستورداً من بابل بالعراق أو بلاد الشام أو الهند والصين وفارس ومنها ما يكون محلياً وتحمل الملابس النسائية والرجالية أنواعاً من الوشي الذي يحليها ومن أنواع هذا الوشي:

الأتحم، والمُرجَّل، والمُسهَّم، والخال، والسِّيراء، والعقل: والمُعضَّد، والحَبِر، والقِرام، والسَّبح، العهْن، والعقم، والمُقطَّع، والمعين، والمُحفَّد، والمكعَّب، والمخلَب، والمنمنم: والمضرَّس والموشح، والنمش.

هذا الوشي يتمثل في الزخارف والخطوط التي تحمل أسماء منها: الأتحمي، والدفني، والمبرقش، والمسيَّر، والعباءة المخططة، والمرسَّم، والمعضَّد والمسهَّم، والنبق وهذا تفسيرها.

١- الأتحمي: ثياب مخططة للنساء.

٢- الدفني: ثياب مخططة للرجال قال الأعشى:

الواطئين على صدور نعالهم ... يمشون في الدفني والإبراد

٣- المبرقش: يشتق اسمه من البرقشة وهو شبه نقش بألوان شتى.

٤- المسير: ثوب مخطط بخطوط تعمل من القزّ كالسيور.

٥- العباءة المخططة: وهي ضرب من البرود مخططة وتسمى السبوح وأنشد ابن الأعرابي:

وإني وإن تنكر سيوح عباءتي شفاء الدُقَى يا بكر أمّ تميم

وقال القطامي:

لما وردنا بنياً واستبت بنا مسحنفر كخطوط السيح منسحل

٦- المسهم: البرد المخطط قال أوس بن حجر التميمي:

فإنا رأينا العرض أحوج ساعة الي الصون من ريط يمان مسهم

وقال ذو الرمة:

كأنها بعد أحوال مضين بها بالأشيمين يمان فيه تسهيم

٧- المرسم: وهو ثوب عليه رسوم وتفويف.

٨- التميق: وهو ثوب منقوش ومنمق.

ومن الملابس التي تعزى الي الوشي:

١- العقل: وهو ضرب من الوشي، وقيل هو ثوب أحمر موشي يجلل به الهودج، قال علقمة بن عبدة الفحل التميمي:

عقلا ورقماً تظل الطير تخطفه كأنه من دم الأجواف مدموم

٢- المعضد: وهو ثوب المخطط على شكل العضد، وقيل هو الذي وشيه في جوانبه على موضع العضد قال زهير أبي سلمى:

فجالت على وحشيها وكأنها مسربلة من زارقي معضد

وقال الحطيئة:

وتضحى الجبال الغبر دوني كأنها من الآل حفت بالملاء المعضد

ومن المنسوجات التي تتخذ منها الملابس في ذلك الوقت:

١- التزيديات: نسبة الي تزيد بن حيدان بن عمران بن لحاف بن قضاعة.قال فيها علقمة الفحل:

رَدَّ الإماء جمال الحي واحتملوا فكلها بالتزيديات معكوم

٢- الجيشانية: نسبة الي جيشان بن غيدان بن حجر من اليمن قال عبيد بن الأبرص:

وأبناؤنا زعنا الحديث أو انساً عليهن جيشانية ذات أغيال

٣- الجونية: نسبة الي الجون من قبيلة الأزد.

٤- السحولية: نسبة الي بلدة سحول باليمن.

٥- السديرية: نسبة الي موضع بأرض كندة (بنجد).

قال الأعشي:

وبيداء قفر كبرد السدير مشاربها داثرات أجن

٦- القطرية، نسبة الي قطر على ساحل عمان (قطر الحالية).

٧- المعافرية: نسبة الي قبيلة معافر بن مُرّ وهو فيما يروي أخو تميم بن مُرّ.

٨- القسية: نسبة لبلدة يقال لها القس في مصر على ساحل البحر الأحمر.

٢٦- **النسيج:**

قامت المرأة العربية بغزل الصوف والشعر والوبر ونسجه وصنع الخيام من هذه المنسوجات، يستوى في ذلك سيدات القوم وأواسطهم وأفقرهم وكان الغزل يعتبر مسلاة للمرأة وأداة لهوها، ومن أمثال العرب في ذلك "نعم لهو الحرة المغزل" و "لا تعدم صانعة ثلة" قال جندل بن مثني الحارثي:

كأنه الصحصحان الأنجل   قطن سخام بأيدي غُزّل

ومن أدوات النسيج الرئيسة التي تستعملها المرأة العربية:

١- المغزل: وهو الأداة التي يغزل بها الشعر والصوف والوبر وهي أداة يدوية ويسمى المغزل الدرّارة، قال عبد الرحمن بن دارة:

لئن أنتم لم تثأروا بأخيكم   فكونوا نساء للخلوق وللكحل

وبيعوا الردينيات بالحلي واقعدوا   عن الحرب وابتاعوا المغازل بالنبل

٢- الوشيعة: وهي المنسج قصبة من طرفها قرن يدخل الغزل في جوفها وتسمى السهم.

٣- المشيعة: وهي ما يلف على المغزل.

٤- الثناية: وهي ما يثنى عليها الثول.

٥- العدل: وهي خشبة لها سنان مثل المنشار يقسم بها السدي ليعتدل.

٦- الصِّيصَةُ: وهي شوكة الحائك التي يسوى بها السَّداة واللُّحمة وتجمع على صياصي، قال دريد بن الصمة القشيري:

فجئت اليه والرماح تنوشه   كوقع الصياصي في النسيج الممدد

وقال الحطيئة:

وإن ضُربت بالسوط صرت بنا بها   صرير الصياصي في النسيج الممدد

وقال فضالة بن شريك:

ما بال بردك لم يمسس حواشيه   من ثرمداء ولا صنعاء تحبير

ومن منتجات النسيج بالاضافة الى الملابس الستور والملاحف والنمارق والفرش

ومن أسماء الستور:

١- الحجلة: والحجلة مثل القبة وجمعها حجال وليس لبيوتهم ستور ولا حجل.

٢- الخدر: والخدر ستر يمدُّ للجارية في ناحية البيت والجمع خدور.

٣- الرجائز: وهي مراكب النساء دون الهودج مفردها رجيزة.

٤- الدرنوك: والدرنوك ضرب من الستور والفرش.

٥- السجف: ويعبر عن الستر ولا يسمى سجفا إلا أن يكون مشقوق الوسط كالمصراعين للباب.

٦- الشَفُّ: والسَّفُّ: الثوب الرقيق والستر الرقيق يرى ما وراءه ويجمع على شفوف.

٧- القرام: والقرام ستر أحمر يستتر به.

٨- الكلّة: وهي الستر الرقيق يخاط كالبيت يتوقى به من البق والكلة غشاء من ثوب رقيق يتوقى به من البعوض قال المثقب العبدي:

ظهرن بكلة وسدلن أخرى   وثقبن الوصاوص بالعيون

٩- النجود: وهي الثياب التي تنجد بها البيوت والنجود والستور تعلق على الحيطان يزين بها. ومن أسماء الملاحف:

١- الإزار، أو الملحفة: وكانت ملحفة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي يلبسها مع أهله مورسه (مصبوغة بالورس) حتى أنها لتردع (يبقى أثر صبغها) على بشرته.

٢- البرد: واحدها بردة، وقد عرفت البرد على أنها أكسية يلتحف بها قال عبيد بن الأبرص الأسدي:

أو مهرة من عتاق الخيل سابحة   كأنها سحق بردين بأرماح

وقال قيس بن الخطيم:

من اللاتي يمشين هونا   تجلببن المجاسد والبرودا

٣- البرجد: وهو كساء ضخم مخطط قال طرفه بن العبد:

أمون كألواح الأران نصأتها   على لاحب كأنه ظهر برجد

٤- الجلباب: وهو القميص ثوب أوسع من الخمار دون الرداء تغطي به المرأة رأسها وصدرها. قال قيس بن الخطيم:

كأن القرنفل والزنجبيل   وذاكي العبير بجلبابها

٥- الحلة: للرجال وهي رداء وقميص وتمامها العمامة.

٦- العطاف الإزار والرداء سميا عطافاً لوقوعه على عِطْفَي الرجل وهما ناحيتا عنقة قال الحطيئة.

من البيض كالغزلان والغُرّ كالدمى   حسان عليهن المعاطف والأزر

وأسماء النمارق:

١- الأريكة: والجمع أرائك وهي سرير في حجلة والأرائك والفرش في الحجال، وقيل هي سرير منجد مزين في قبة.

٢- الحشية: وهي الفراش المحشو.

٣- الدرنكة: وهي البسط ذات الخمل وقيل الطنفسة.

- الرفرف: وهو البساط أو الستر.

- الزرابي: وهي البسط وكل ما بسط يتكئ عليه وقيل النمارق.

- الطنفسة: قيل النمرقة، وقيل الرَّحل.

- العبقري: وهي البسط التي فيها الأصباغ والنقوش.

- المخشبة: وهي الوسادة من الأدم.

- النمط: وهو ضرب من البسط تجمع على أنماط.

قال ربيعة بن مقروم الضبي:

جعلن عتيق أنماط خدوراً   وأظهرن الكرادي والعهونا

وقال عبيد الأبرص الأسدي:

عالين رقما وأنماطا مظاهرة   وكله بعتيق العقل مقرون

وقال زهير:

علون بأنماط عتاق وكله   رقاق حواشيها مشاكهة الدم

٢٧- العطور:

لقد عرف العرب العطور منذ زمن مبكر بدليل ما تحمله كتب اللغة من مفردات العطور وما جاء بأشعارهم الكثيرة التي سنورد نماذج منها في هذه الفقرة، ومن أشهر الطيوب التي ورد ذكرها في أشعارهم المسك والعنبر والكافور والمندلي واليلنجوج والغالية والسُّكّ والخلوق والند والصندل والزعفران والقرنفل والزنجبيل والزباد وغيرها. وهذه العطور بعضها يتخذ على هيئة بخور مثل الند والصندل واللبان والمندلي وعود القماري (نسبة لبلدة بالهند اسمها قماري) واليلنجوج والرند والكافور والعرعر ومنها ما يكون على هيئة سائل يخلط معه بعض الزيوت والدهون مثل القرنفل والزنجبيل والخمرة ومنها ما يكون على هيئة معجون مع بعض الزيوت والمراهم مثل العنبر والمسك والزعفران والكافور وحب الهال والصندل والزباد ومنها ما يكون من مخلوط عدة عناصر عطرية وعجنها ببعض الزيوت مثل الغالية، ومنها ما يكون من عدة عناصر عطرية تخلط وتجفف على هيئة حبوب مثل السُّك والعنبر والندّ، وقد ميز العرب بين عطور الرجال وعطور النساء، فللرجال المسك والغالية والسُّك وللنساء الخَلوق والخُمْرة والزعفران بالإضافة الى ما تستخلصه النساء من الأعشاب والشجيرات البرية العطرية كالعرار والنفل والخزامى والخطمي والبختري والسكب والحبق والشيح والقيصوم والعبيثران والجعدة والجثجاث والعرفج وغيرها من الأشجار والشجيرات العطرية ولو ألقينا نظرة على بعض هذه لعناصر العطرية كما جاءت في مصادرها الخاصة لتبين لنا أنها تتكون من:

١- **العنبر**: وللعنبر مصدران حيواني وبناتي؛ فالحيواني يؤخذ من حوت العنبر، وهو حوت بحري لبون ضخم عظيم الهامة يصل طول الذكر منه ٢٠متراً ووزنه أطنان، أما الأنثى فطولها بين ١٠- ١٣متراً ويبلغ رأس حوت العنبر نحو ثلث جسمه وهو يعيش جماعات في البحار الأستوائية وشبه الإستوائية يرأس كل مجموعة ذكر معَمَّر ومعه ٣٠- ٨٠ أنثى وهو مصدر العنبر الرمادي، وهو مادة من عقيدات معوية لهذا الحوت تفرزها الرخويات رأسيات الأرجل التي يتغذى بها ويفرزها مع برازه بشكل كتل متراصة شمعية ذات لون رمادي داكن تطفو على الماء، وتقذفها الأمواج الى حيث يحصل عليها الناس إما على السواحل أو طافية في جوف البحر وهي مؤلفة من العنبر وهو من أقدم العطور المعروفة منذ زمن بعيد أما النوع الثاني النباتي فهو جنس أشجار برية وزراعية من فصيلة [illegible]قليات يستخرج من لحاء سوقهابالحي ميعة عنبرية ذكية العرف ويسمى بالعنبر الشائع.

٢- **المسك**: والمسك هو الآخر له مصدران، حيواني ونباتي، فالحيواني ناتج عن تركيب كيمائي معقد أسمر اللون تفرزه غدة بين السُّرَّة والأعضاء التناسلية لغزال المسك وهو غزال معروف في مناطق مختلفة من العالم القديم، وللمسك في شكله يشبه قوام العسل ولون أحمر بُنِّيّ فاذا جفّ فإنه يشكل كتله قاسية محبة بنية مائلة الي السواد ذات رائحة قوية جداً، أما النوع الثاني فهو المسك النباتي، وهو نبات حولي مهده البلاد الحارة، ساقه منتصبة تعلوا من ٦٠- ١٨٠سم أوراقه متناوبة؛ ثماره قرون اسطونية مضلعة تحضن حبوباً كروية الشكل عرفها عرف

المسك، والمسك الداري منسوب الي دارين بلد بالبحرين (دارين معروفة الأن بالمنطقة الشرقية).

٣- الزُّباد: ومصدره حيواني، يستخرج من حيوانات مفترسة لاحمة من فصيلة القطط أجناسها١٦ نوعاً أشهرهاالزَّباد، والرباح والنمّس وأنواعها كثيرة، ومواطنها المناطق الحارة من العالم القديم، وتتميز بغددها الدهنية التي تفرز دهن الزُّباد المسكي العرف في أجربة خاصة مركزها بين السرة وملتقى الفخذين.

٤- الغالية: وهي خليط من عناصر عطرية، فالغالية هي المسك والعنبر يعجنان بالبان مع بعض الزيوت والدهون وتكون على هيئة عجينة لينة وكانت من طيب الرجال.

٥- الخَلوق: هو ضرب آخر من خليط من العناصر العطرية تكون معظم أجزائه الزعفران ويكون على هيئة معجون طري وهو من طيب النساء.

٦- الخَمْرَة: وهي أخلاط من الطيب على هيئة معجون عطري طري وهو من طيب النساء.

٧- السُّك: وهو قرص من أخلاط طيب يتم بعد عملية معقدة إذ يدقُّ الرَّامِكُ وينخل ويعجن بالماء ويعرك عركاً شديداً ثم يمسح بدهن الخيري (دهن نوع من الزهور) لئلاً يلصق بالإناء ويترك ليلة ثم يسحق المسك ويلقمه ويعرك عركاً شديداً ويقرص ويترك يومين ثم يثقب ويترك عاماً وكلما عتق طابت رائحته.

٨- ما يتبخر به أو يستخرج منه الزيوت العطرية مثل العود (عود القماري) والصندل، والكافور، والمندلي، والرند، والعرعر، وغيرها من النباتات التي ينمو

بعضها ببلاد العرب وخاصة جنوبها (أرض الطيوب والبخور) أو في أقطار العالم القديم.

٩- ما يتبخر به أو يتخذ من تركيبة مواد عطرية أخرى من المواد الراتنجية العصارة التي تتجمد بعد أن يتبخر منها الماء على هيئة كتل وحبيبات) مثل البان والمر وغيرها فمصدرها أشجار تفرزها سيقانها إما طبيعياً حيث يتشقق القشر وتخرج المادة منه على هيئة سائل صمغي يتجمد على هيئة كتل أو أن هذا التشقق يحصل بفعل الإنسان حين يفرض لحاء ساق الشجرة لتفرز هذه المادة وتتجمد ثم يجنيها.

١٠- ما يتخذ من تركيبة من عناصر عطرية مختلفة نباتية وحيوانية يتطيب به على هيئة بخور مثل اليلنجوج، أو ما يكون على هيئة دهن سائل أو عجينة رخوة يتطيب بها ويرُجَّلُ بها الشعر ويمشط.

١١- ما يستخرج من النباتات الأخرى، كالأزهار والرياحين والأعشاب والشجيرات من زيوت عطرية، أو ما يكون على هيئة طبيعية بالإضافة الي هذه الأعشاب والأزاهير رطبة أو مجففة التي تضاف الي مساحيق عطرية أخرى فيكون على هيئة عجينة أو سائل يتم التطيب به على الجسد مباشرة أو تشبع به النساء شعور رؤوسهن.

١٢- ما يتخذ من عناصر في أنواع أخرى من العطور كالزنجبيل والقرنفل وحب الهال (الهيل) وغيرها وهذه العناصر نباتية يتخذ من جذورها وحبوبها وأزهارها عناصر عطرية، وغير ذلك كثير وما دمنا في جو العطر والعطور فلا

بأس من نقل القارئ ولو لبضع دقائق لترويح ذهنه في هذه الطرفة التي تتعلق بالطيب والتطيب: يروى أن كثير عزة قدم الي سكينة بنت الحسين المدينة فاستنشدته من جيد شعره فأنشدها قصيدته التي منها:

وما روضة بالحزن طيبة الثرى ... يمجُّ الندى جثجاثها وعرارها

بأطيب من أردان عزة موهنا ... إذا أوقدت بالمندل الرطب نارها

فقالت له على رسلك، ألا تعلم لو أن زنجية نتنة رائحة الأبطين فعلت كما فعلت صاحبتك لأصبحت أردانها كما ذكرت ولكن خير من قولك قول صاحبك إمرئ القيس حيث قال عن زوجته الطائية:

خليليّ مرا بي على أم جندب ... لنقضي لبانات الفؤاد المعذب

ألم تريـاني كلما جئت طارقا ... وجدت بها طيباً وإن لم تطيب

فطأطأ كثير برأسه.

وقد تعرض الشعراء لأنوع العطور في أشعارهم كما أسلفنا وهذه نماذج مما قاله بعض الشعراء: قال عبيد بن الأبرص الأسدي:

وبيت يفوح المسك من حجراته ... تسديته من بين سر ومخضوب

وقال عنترة بن شداد:

يبيت فتاة المسك تحت لثامه ... فيزداد من أنسامها أرج الند

وقال الحطيئة:

لأسيلة الخدين جازئة لها ... مسك يعلُ بجيبها وعبير

وقال الصمة بن عبد الله القشيري:

أتت بريح المسك خالط عنبراً ... وريح الخزامى باكرتها جنوبها

وقال الراعي النميري:

لها فأرة ذفراء كل عشية ... كما فتق الكافور بالمسك فاتقة

وفأرة المسك هي الوعاء الذي يحتوي على المسك والمأخوذ من جوف الغزال.

وقال ذو الرمة:

كأنه بيت عطار يضمنه ... لطائم المسك يحويها وتنتهب

وقال:

كأن سحيق المسك ريّاً ترابه ... إذا هضبته بالطلال هواضبه

وقال أبو دهبل الجمحي:

تجعل النَّدَّ واليلنجوج والمسك ... صلاءها على الكانون

وقال عبد الله بن المعتز:

وكأنما سطعت مجامر عنبر ... أوفُتّ فأر المسك فوق ثراك

وقال كثير عزة:

إذا ما خبت في آخر الليل خبوة ... أعيد لها بالمندلي فتثقب

وقال:

يباشرن فأر المسك في كل مجمع ... ويشرق جادي بهن مفيد

وقال:

يغادي بفأر المسك طوراً وتارة ... ترى الدرع مرفضاً عليها لثيلها

وقال:

عبيراً ومسكاً ماله الرشح دارعاً ... به مجمراً وعارض يتفصد

وقال:

تأرج الحي إذ مرت بظعنهم ... ليلى ونمّ عليها العنبر العبق

وقال عمر بن أبي ربيعة:

وعنبر الهند والكافور خالطة ... قرنفل فوق رقراق له أشر

وقال:

والعنبر الأكلف المسحوق خالطة ... وزنجبيل ورندها جه السحر

وقال:

تضوع المسك الذكي وعنبر ... من جيبها قد شابه كافور

وقال:

كأن كافوراً ومسكاً خالصاً ... عُبقابها بالجيب والأردان

وقال أبو تمام:

كأن العنبر العَدَنيّ فيه ... وفار المسك مغضوض الرضاب

وقال:

وحتى تكادي تمسحين مدامعي ... ويعبق في ثوبيَّ من ريحك الند

وقال:

إذا سارت الأحداج فوق نباته ... تفاوح مسك الغانيات ورنده

وغير ذلك كثير مما يملأ المجلدات فلا يكاد شاعر من الشعراء إلا وذكر أحد أنواع الطيب أو كثير منها كل حسب تناوله لهذا النوع من الطيب.

ونختتم هذه الفقرة الخاصة بالعطور بما يخص المرأة منها من إعتناء المرأة بزينتها إضافة الي ما تتطيب به من هذه العطور بإلمامات تاريخية في هذا الصدد:

١- لقد نقشت المرأة الوشم على كفيها وأسفل وجهها وأسفل خديها وكانت حرفة الوشم في نساء بني الحارث بن كعب كما سبق وأن اشرنا الي ذلك في فقرة سابقة.

٢- كما وضعت الخضاب على كفيها بنفسها أو تقوم به الخاضبات اللاتي يمتهن بمثل هذا الفن وخاصة في المناسبات كالزواج من فتيات الأثرياء والطبقة المترفة.

٣- المشاط: ويكون من المسك والطيب كما تقدم، وتقوم الماشطات بمهمة تسريح شعور الفتيات والنساء وإظهاره بالطريقة التي تعجبهن، ومن أشهر الماشطات في اليمامة أم منظور (وهي عجوز عرفت بحجر بطريقة تصفيفها لشعر العروس وحلوقها ويظهر أنها عاشت حتى العصر الأموي فقد سمع بها مصعب بن الزبير وحملت اليه وهو في العراق نحو عام ٧٠هـ) وكانت هذه العجوز تضفر الشعر وتجعل بينه الطيب قال الشاعر:

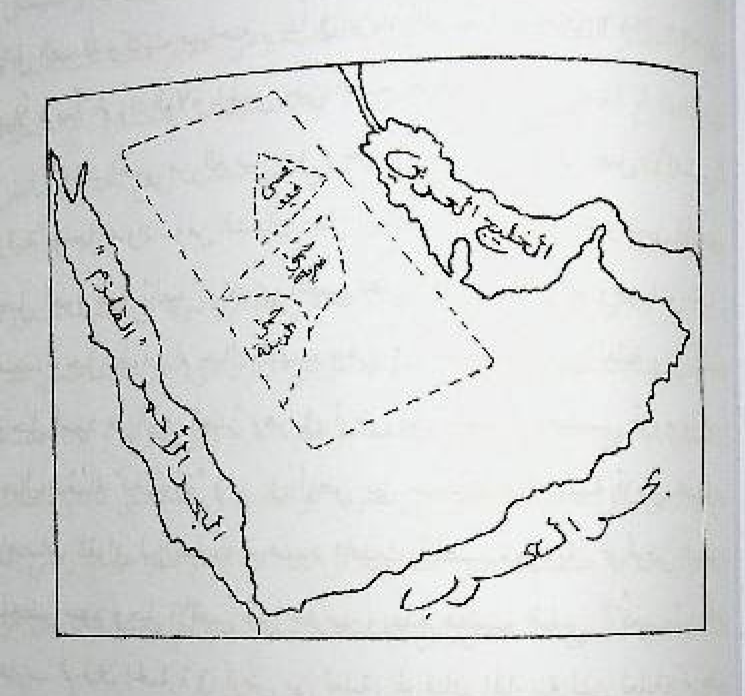
ما أنس لا أنس منها نظرة سلفت ... بالحجر يوم جلتها أم منظور

٤- لقد توفرت في أسواق العطارين باليمامة مستلزمات الزينة للمرأة وممن مارس مهنة العطارة والتزيين أم برثن وهي إمرأة من بني حنيفة.

وقد استمرت المرأة منذ ذلك التاريخ الضارب في القدم وحتى قبيل عصر النفط نحو عام ١٣٧٠هـ ـ ١٩٥٠م وهي على تلك الطريقة العريقة المتعارف

عليها ثم حصلت نقله للمرأة غيرت المرأة طريقة تزينها وعطورها بمـا ورد الي البلد من العطور وطريقة التجميل الغربية.

شكل رقم (٦)



مخطط تقريبي يبين موقع الأهمية التي كانت قائمة منذ العهد الراشدي حتى نهاية القرن الثاني الهجري وتبيان ذلك في الفصل التالي.

٢٨- الأحمية:

١- حمى الرَّبَذَةُ: هي التي جعلها عمر بن لخطاب رضي الله عنه حمى لإبل الصدقة وكانت مساحته بريداً في بريد "البريد فرسخان ١٢× ١٢= ١٤٤ ميلاً مربعاً" ثم زاد الولاة بالحمى حتى أصبح أضعافاً.

ويحد الحمى من الغرب جبل رحرحان، ومن الشرق جبل الأقعس "أم رقيبة" وجبل ماوان، ومن الشمال جبل أريك الأحمر والأسود ومن الجنوب جبل أسود البرم 'العبد" ويحتوى الحمى على جبل رحرحان وهو لبني ثعلبة بن سعد، وجبل الجواء، ثم جبال القهب وهي في ناحية ديار بني ثعلبة وبني أنمار: وجبل أسود هو البرم 'العبد" وهو في أرض بني سليم ثم جبلى أروم وآرام، ثم جبال اليَعْمُلَة "الجِنْدُوَرَة' وهي في أرض بنى سليم وناحية أرض محارب، وهضاب القواني لبني سليم، ثم عمود المحدث "الصمعودية" ثم أرض محارب للخضر منهم وجبل الأقعس لبني محارب وبعده هضب البلس "كُعَيب" في أرض محارب ثم قنان الحمارة في أرض بني ثعلبة؛ ثم قنان الهاربية لبني ثعلبة، ثم هضب المنحر في أرض ثعلبة قال الحكم الخضري المحاربي:

صاحيّ ألم تشيما بارقاً تضح الصُّراد به فهضب المنحر
ركب النَّجاد وظلَّ ينهض مصعداً نهض المعبَّد في الدَّهاس الموقر

ومن مياه الحمى مدينة الربذة بآبارها العديدة، ثم ماءة الغرافة بأبرق الغراف قرب الجواء، ثم الجفر، جفر القهب الذي ذكره وزر بن الجعد أخو صخر بن الجعد الخضري بقوله:

الألف سنة الغامضة من تاريخ نجد

يان غديئة والشمس طفل بعيني مضر حي يستخيل
اجفر بنعف القهب تحتى وقد خنس القريْب والبنيل

ثم حفائر المهذى ذا بقر "بقّار" الكديد وهي حفائر عادية عذاب، ثم المباءة، ثم الخضرمة ثم ماء الأقعسية، ثم ماء مغيثة "العميرة" ثم الخميرة الجواء ثم ماء الهاربية في قنان الهاربية وهي لبني ناشب. ويقع الحمى بأعلى منطقة القصيم.

٢- رحمى ضَرِيَّة: وهو أكبر الأحماء ويقع من ضرية الي المدينة المنورة بأرض منبات كثيرة العشب سهلة الموطئ وأول من أحمى هذا الحمى عمر بن الخطاب رضي الله عنه لإبل الصدقة وظهر الغزاة (إبل الغزاة) وكان حماه ستة أميال من كل ناحية من نواحي ضرية الواقعة في وسط الحمى فكان ذلك إلى صدور خلافة عثمان رضي الله عنه الى ان كثر النعم فأمر عثمان رضي الله عنه أن يزاد في الحمى ما يحمل إبل الصدقة فاشترى مياه بني ضبينة كان أدنى من ماء على ضرية ثم توسع بعد ذلك.

يحد الحمى من الشمال جبل حزاز إمِرَّة؛ ومن الجنوب جبل النير وجبال الطولة ومن الشرق جبل واردات ووادي الرشا، ومن الغرب جبل خشارق جبل أحامر وجبل شعبا وجبل أحمرة ومن جبال الحمى جبل الستار وجبل ثهلان في ديار بني غني، وجبل الريَّان؛ وجبل الأشيق، وهضبة الشيماء، وجبل مردمة وجبل طخفة لبني زبّان، جبل النتاءة، وجبل أسود العين، وجبل متالع، وجبل النائعين في أرض كاهل من أسد، وعمود العمود في أرض بني عبس،

وجبل سنيح لعبس أيضاً، ثم جبال الزهاليل لبني عدي من فزارة، ثم جبال العشار لبني بحتر من بني عامر بن لؤى، وهضاب الوقبي لبني الأضبط، وجبل الأقعس في بلاد بني كعب بن كلاب، وجبال القطبيات في بلاد بني بكر بن كلاب، وجبل حلّيت، وجبل منى، وجبلا قادم وقويدم، وجبل الرجام، وجبل عسعس، وجبل الشطون،قال الحكم الخضري المحابي:

سقى الله الشُّطون شطون شعر | وما بين الكواكب والغدير

ومن مياه الحمى نفء "نفى" وهو الذي يقول فيه امرؤ القيس:

فغول فحلّيت فنفء فمنعج | الي عاقل فالجبُّ ذي الأمرات

وماء قنيع وكان للعباس بن يزيد ثم ماء لبني الأدرم من قريش وهي حفيرة، ولعبس في الحمى ستة أمواه منها مجح والبئر الي جوف أبرق خترب، وماء الفروغ، ومن أمواه بني أسد الحفر بقرب النائعين، والحمير، الذئبة، وعطير في أصل بيدان، ومياه الأشيق وعددها ستة: مياه والتي اقتسمها بنو عبيد وبنو زبان بعد خصومة فصار لبني عبيد الريان والرسيس ومخمرة وصارعر فحماء والحائر وصمام لبني الريان، وماءة المطوية لبني مالك بن حمار، والعتريفيَّة لبني شمخ بالبطان، فمياه فزارة الداخلة في الحمى أحد عشر منهلاً أكثرها فيه قرى، ونخيل، ودخل من مياه الضباب في الحمى بنوقاسط وبنو الباهلة، وبنو الأحمسيَّة، ولهم ستة أمواه، منها ما يقال له: حسيلة في هضاب ملس في ظهر شعبى، ولهم البردان وهو سيد مياههم، ولهم البُغَيْبِغَةُ، ولبني محارب من المياه في الحمى غبير في وادي المياه بين شعبى ورملة بني الأدرم، وماء يقال له غبار، وأحساء كثيرة في

وادي المياه، لبني سعد بن سنان بن الحارث من بني محارب بن خصفة، قال الخضري المحاربي:

رجا الغيث حول ماء غبير | آخر اللُّيل مثل زحف الكبير
السحر الفؤاد حين رآه | نازحاً برقة حنين الزُّجير

ولبني بكر بن كلاب ماءان وهما، الشطون وخضرة تخالد بين الأقعس والقنيات، وماء علجز، ومياه بني جأوة بن معن الباهلي في غرب ثهلان منها أجيفة والأجفر والعوسجة، ولبني جأوة أيضاً بشرقي ثهلان مياه المعضد وبحمر والقتادة وغربية والبنخاء ومياه المطالي قرب ثهمد، ومياه سويق، ومياه رجام العذب وهو لبني جعفر.

ويوجد بالحمى من القرى، ضرية وهي لبني كلاب وهي قاعدة الحمى كان لها سوقاً تجارياًيحتوى على ٨٢ محلاً، ثم المراد وبها نخل كثير وهي لبني سلمة، وسويقة لآل الجون العلويين قال السمهودي:" واحتفر بعض آل بني حسن بن علي بالحمى واتخذ إلى جانب حفرته عيناً ساحت ثم خرجت في غربي ضرية بشاطئ الريان الذي يعرف في وقتنا الراهن "بهرمول" جنوب شرق بلدة ضرية الحالية". ويوجد بالحمى معدن الفضة بأبرق خترب وهو معدن رغيب واسع النيل، (كثير الانتاج) وحمى ضرية يقع في منطقة القصيم.

٢- حمى فَيْد: فيد هذه البلدة القديمة التي وردت في شعر لبيد بن ربيعة العامري حيث يقول:

مُرِّيَّة حلّت بفيد وجاورت | أهل العراق فأين منك مرامها

وقال آخر:

سقى الله حيًا بين صـــارة والحمـــى   حمى فيد صوب المدجنات المواطر

وهو بين بلاد أسد وطيء حتى أقطعه رسول الله ﷺ زيد الخيل النبهاني الطائي رضي الله عنه وتقع شرق من جبل سلمى حيث قال زهير بن أبي سلمى:

ثم استمرُّوا وقــالوا إنَّ مشــربكم   ماء بشرقي سلمى فيد أو ركــك

وأول من حمى هذا الحمى عمر بن الخطاب رضي الله عنه لإبل الصدقة ومن جباله جبل عنيزة، وهو في شق بني سعد بن ثعلبة من بني أســد، وجبــل الغمر، وهو لبني مخاشن من بني أسد، وقنة أذنة، ثم هضب الوراق لبني الطمّاح من بني أسد، وجبل دخنان لبني نبهان من طيء، وجبال الغمر لبني نعـيم مــن نبهان، وجبل حائين وجبل جلدية لبني معقل من جديلة من طيء، ومن ميــاه الحمى الكهفة، وماء البعوضة وماء الرخيمة، وماء الثعلبية، وماء أفعــى لــبني الطماح من أسد وماء الرحيض لبني معقل، وماء الجنجانة، وماء الزولانية.ويقع حمى فيد في منطقة حائل فضلاً أنظر كتابنا "أجبال طيء الخمسة" ففيه معلومات وافية عن الحمى.

- الرياض والفياض والسهوب والرمال:

تحتل الرياض والفياض والسهول والرمال مساحات شاسعة في نجد، فإذا [جاد] الله عليها بالغيث أصبحت رياضاً غناء وفياضاً فيحاء وسهولاً خضــراء وسهوباً زرقاء، ورمالاً حقباء، تزدان بهذه الحلة القشيبة الخضراء حوالي نصــف السنة وذلك جزء من فصل الخريف وفصل الشتاء وجزء كبير من فصل الربيــع إلى أن يتلون ثوبها الأخضر ويتحول شيئاً فشيئاً إلى اللون الذهبي في أواخر فصل الربيع وحلول فصل الصيف وتتعرى جنباتها في فصل الخريف إلا من شجيرات دائمة الخضرة تتمنم أديمها؛ هذه البقعة من خير المنتجعات للعرب الرحل يقضون فيها ما يزيد على نصف السنة ترتع أنعامهم في أفضل المراعي ويقطنون علــى الآبار الواقعة في وسطها أو حواليها فصل الصيف وجزء من فصــل الخريــف نشاط أنعامهم: فترعى من رمامها وشجيراتها الخضراء المتورقة، كمــا أنهــا المناسبة للحضر المقيمين من خير المفالي لسوارحهم، ويقصدها فــلاحوهم أو مواشيهم لجمع أنواع الكلأ والحشائش التي يعلفون منها مواشيهم وسوانيهم ويختزنون منها في الشتاء ما يكفي إبلهم ومواشيهم في فصلي الصيف والخريف، وهذه المراتع الخصبة لها مردود فعلي على الحياة الاقتصادية وعاملاً من عوامــل الاستيطان حيث يتم التنقيب عن موارد المياه حولها للاستفادة مــن مراعيهــا الخصبة، وشيئاً فشيئاً حتى تتحول هذه الموارد إلى نقاط حضارية مــن القــرى والبلاد ومن البقع الخصبة التي ذكرها المؤرخون على سبيل المثال لا الحصــر: ...روت، وغمل، وضلفع، والشرف، وحمى ضرية، والحزن والصمان؛ وحمى فيد

وحمى الربذة، قال الأصمعي: "من تصيَّفَ الشرف وتربع الحزن وشتى الصمان فقد أصاب المرعى" ويقول البكري عن ضرية: "إنها أرض ميثاء كثيرة العشب" ويقول الحربي عن الربذة: "حشيش أخضر لا يجف ولا يتغير شتاء ولا صيفاً" ومن طيب المراعي ينعكس على طيب اللحم يقول ابن الفقيه: "وأما لحم اليمامة فإنه يطيب لطيب مراعيهم" هذه لمحات موجزة عما ذكره العلماء عن مراعي نجد وما لم يذكروه أكثر من ذلك بكثير، فلم يذكروا عنها فيما اطلعت عليه من الكتب إلا أقل القليل على سبيل الاستشهاد فقط لم يتعرضوا لهذه المراعي الخصبة ونباتاتها التي تزيد على ٣٥٠ نوعاً من الأعشاب والحشائش عدا الشجيرات والشجر فضلاً أنظر ذلك في كتابي "ثغور الربيع الباسمة من الأعشاب البرية" لم يذكروا كل الرياض والفياض والسهول والقيعان، لم يشيروا الى هذه المساحات الذهبية والفضية المفروشة على أديمها من الأنفاد، سواء ما يحفها من الناحية الشرقية والجنوبية والشمالية كنفود الدهناء والربع الخالي، أو ما يحفها من الناحية الشمالية الغربية كالنفود الكبير أو ما يزين وسطها من عشرات الرمال والأنفاد كنفود السر ونفود الثويرات وغيرها، هذه الأنفاد التي تمثل بالإضافة الي مراعيها الخصبة وموطئها اللين وشجيراتها المتورقة حصناً لمن يلجأ اليها لاتقاء الأخطار والتحصن عن الأعداء فهي من الموانع الطبيعية الممتازة لا يعرف مسالكها غير أهلها ومن تردد بين كثبانها وغاص في قعورها وسلك حلولها واجتاز عروقها ولاذ بحبوبها وخبر مواردها، أما المراعي إذا أسبل الله عليها

صيب القطر فإنها تبقى على مدار السنة وحشائشها تورق خضراء منعطفة وتبقى شجيراتها خضراء متورقة طيلة شهور العام.

وتتميز مراعي نجد كما تقدم بطيب كلئها وأعشابها وحشائشها وشجيراتها الحمضية كالرمث والحمض والروثة والغضا والشنان والضمران والثرمن ويعكس طيب المراعي على لحوم حيواناتها حيث يكون له نكهة مميزة، ومذاق جيد ورائحة جذابة وذلك بفضل هذه الشجيرات الحمضية التي ترعاها، كما ينعكس ذلك على السمن المستخلص من زبد ألبانها فتجد للسمن ذفراً مميزاً عن مثيله من غير المراعي النجدية كما يوجد له في الطعم وتركيزاً في العناصر الدهنية: تلك المراعي التي تمتاز بهذه الصفاة بقيت دون أية إشارة كافية أو عبارة شافية، وتحتاج الي بحث مفصل عن مواقعها وأنواع الأعشاب والحشائش والشجيرات التي تنبت فيها وأثر ذلك في الاستقرار حولها أو المحافظة عليها؛ وقد شهدت من تزاحم القبائل عليها وحماية أجزاء منها منذ عهد كليب وائل ثم الخلفاء الراشدين وبعدهم الخلفاء الأمويون والعباسيون والي عهد قريب كانت الأحمية تقام في هذه المراعي حتى استغنى الإنسان عن استخدام الإبل والخيل في الحروب والنقل في مطلع الثمانينيات الهجرية الستينيات الميلادية.

٢- المؤثرات الطبيعية :

يكتنف هذه المنطقة عدد من العوامل والمؤثرات الطبيعية بما يجعلها الي الطبيعة الصحراوية أقرب منها الي غيرها ذلك لوقوعها بين جبال وصحاري الجزيرة تحيط بها من ثلاث جهات تقريباً، وهذا الوضع يجعلها خاضعة لتأثير هذه

العوامل سلباً وإيجاباً وقد تمثلت آثارها الايجابية بتكوين هذه الحواجز الطبيعية التي قد حالت على مدى قرون متعاقبة في الحد من طمع الطامعين أن يجوسوا أراضيها وهذا ما سبب عزلتها كما مرّ بنا أما الآثار السلبية فهي أكثر من الايجابية بطبيعة الحال ومن ضمنها التأثير في مناخ المنطقة حيث يسود فيها المناخ القاري في معظم فصول السنة ولو أردنا النظر الى هذه المؤثرات بشكل موجز لوجدناها تتجسد في:

أ- الجبال:

وأعظم سلسلة جبلية توجد في شبه الجزيرة العربية هي سلسلة جبال السروات التي تمتد من شمال الجزيرة العربية الى جنوبها محاذية للبحر الأحمر هذه الجبال تحف المنطقة بسفوحها الشرقية من جهتها الغربية وتنطلق منها كثير من الأودية التي تفضي الى المنطقة أو تخترقها وتغيدها في مواسم الأمطار إذا تدفقت فيها السيول كما أن هناك مجموعة من السلاسل الجبلية والهضاب المتناثرة بهذه المنطقة مثل سلسلة جبال طويق وجبلي النير وثهلان وجبال طيء وجبل حليت وابانات وطمية وغيرها من عشرات الجبال الوارد ذكرها وهي تقارب المئة جبل من أعظم الجبال هذه الجبال وإن كانت تمثل دور القلاع التي يلوذ بها السكان عندما يداهمهم الخطر ويوجد بها أو بقربها ما يحتاجون اليه من الماء والمرعى إلا أنها تمثل نتوءات طبيعية لها أثرها في تقليص البقعة الزراعية وزيادة المساحة الصحراوية التي بازديادها تغلب طبيعة التصحر في هذه البقة على بقعة الخضرة والغطاء النباتي الذي يؤثر في كثافة سقوط الأمطار وبالتالي زيادة المساحة

الصحراء التي يترتب عليها وفرة المراعي أو زيادة الأرض المزروعة كما أن هذه الجبال تؤثر في حركة المواصلات حين تكمن صعوبة الطريق بهذه الجبال الوعرة مسالكها وصعوبة مراقيها، ولم تتوقف صعوبة الطريق في الجبال نفسها بل فيما تتيه هضابها وجزومها وحزونها وفاراتها وآكامها من عوائق تتمثل في صخورها ونتوءاتها وجيلانها مما يمثل عقبة أو عقبات كأداء في طريق المواصلات التقليدية على ظهور الإبل والدواب وتطيل المسافات بين نقطة وأخرى بسبب الدوران خلف هذه الجبال ومشقاتها أو تجشم وعورتها وكم من المسافات الاضافية التي سببتها هذه الجبال؟ وكم من المآزق التي أجبرت هذه الجبال السائرين عليها؟ وكم من المذابح التي حدثت في مضائق الجبال وريعانها وتلاعها وكان لهذه الجبال فوق هذا آثار سلبية من ناحية توزيع السكان حيث يكون كل جبل لقوم أو قبيلة أو بطن أو فخذ أو عشيرة وتحدث نزاعات ومعارك طاحنة حول ملكية هذا الجبل، وقد تطول هذه المعارك وتتكرر أجيال بعد أجيال ويفنى من يفنى ويبقى من يبقى ويأتي من ينازعه ملكية هذه الجبال بحيث يظفر بها القوي فكم تفانى من القبائل والبطون والأفخاذ والفروع والعشائر من أجل ملكية هذا الجبل أو ذاك وتنتقل ملكيته من قوم الى قوم تحت قانون القوة والانتزاع ينتزعه القوي من الضعيف وتطحن المعارك صفوة الرجال وزهرة الشباب من أجل هذا الجبل أو الهضبة أو الحزم والحزن أو حتى القارة هذه بعض آثار الجبال السلبية والايجابية التي أثرت على هذه البقعة.

ب- الصحراء:

ونعني بالصحراء الانفاد التي تحيط بهذه المنطقة من الشـــمال والشـرق والجنوب على وجه التقريب وما يتناثر في وسطها وشمالها وجنوبها من حبـال وعروق رملية، فإذا نظرنا اليها بإمعان لوجدنا نفود الربع الخالي يكتنفها مـن الجنوب وصحراء الدهناء تحتضنها من الشرق وتخترق زواياها الشمالية الشرقية وأن النفود الكبير يجثم في جهتها الشمالية فيضع جزءا منها الي الشـمال مـن الكثبان الرملية العظيمة التي تشبه الجبال وما يربطها من الحبال الرملية الطويلـة وما يتخللها من القعور والوهدات بالإضافة الي الحبال والعروق الرملية المتناثرة في وسطها هذه المسطحات الرملية الهائلة بالاضافة الي تأثيرهـا في درجـات الحرارة فإن لها أثر كبير على عملية التصحر المتمثل في زحـف هـذه الكتـل والمسطحات الرملية بفعل الرياح فتلتهم الأرض الخصبة التي يوجد بها غطاء نباتي وتطويها لتفرش مكانها أو فوق بساطها الرملي الذهبي أو الفضي لتحول هـذه الأرض الخصبة ذات الغطاء النباتي الي مساحة نفودية فتنكمش أمام هذ، البساط الرملي الزاحف وينطوي تحت مساحة صحراوية تزيد من مساحة الصحراء على هذه المنطقة وتلتهم من مساحة الأرض الخصبة، وإن كانت من الناحية الرعوية يبقى فيها بعض الغطاء النباتي الذي يتناسب مع النفود لكن هـذه الشـجيرات والأعشاب التي تنمو في النفود تفتقر الي مراعي الأحماض الـتي هـي إحـدى مقومات المراعي الجيدة فالمراعي الجيدة التي تختلط فيها الأعشاب والحشائش بالأحماض من الشجيرات والأعشاب الحمضية التي لا وجـود لهـا في النفـود ولذلك نجد من يرعون في الأنفاد لا يستغنون عن مراعي السهول التي ينبـت

به الحمض وخاصة للابل، وإذا تجاوزنا تأثير هذه الأنفاد في ابتلاع المراعـي الخصبة وزيادة مساحة التصحر وما يترتب عليها من تأثيرات جوية كما هـو ال الجبال واخترنا تغيير وجه الأرض وطمر الغطاء النباتي والاكتفاء عنه بمـا ينبت في النفود من أعشاب وحشائش وشجيرات لا توازي قيمة الغطاء النبـاتي النباتي إذا تجاوزنا هذه السلبيات وجدنا جانباً لا يقل عنها سلبية ذلـك هـو تأثيرها في حقل المواصلات فإن هذه الانفاد تمثل عقبـة كـأداء في سـبيل المواصلات حيث تفتقر الي الماء في داخلها كما تفتقر الي الطرق السالكة السهلة التي تسلكها القوافل أو الركبان فهي صعبة المسالك وعرة المرافي كثيرة المتاهات لا يعرف طرقها إلا متردد مع تلك المسالك ويعرفها معرفة الخبير، حيث تتشابه المعالم وتتشاكل الكثبان والقعور والخبوب فلا تميز بين الواحد والثاني وذلـك حين تتحرك تلك العروق والحبال والدعوص فتتغير معالم الطريق هذا الوضع مما يزيد في طول المسافات حين يضطر من يريد قطع هذا النفود سواء أكان ذلـك على هيئة قوافل أو ركبان الي التعرج يمينا وشمالا نزولاً وهبوطاً من بين كثبـان النفود وخلوله وقعوره وخبوبه فتتضاعف المسافة أضعاف مـا كانـت عليـه بالاضافة الي ما يلاقيه قاطع هذه الانفاد من الجهد المضني خلال الصعود والهبوط مع هذه الكثبان هو ورواحله أو دوابه وما تحتاجه هذه الحيوانات من المـاء في الوقت الذي لا يوجد فيه ماء عندها ترى من يعبرون هذه الانفـاد يخففـون الأحمال على الابل الي حوالي النصف وربما حملوا فوق بعضها كميات كافية من الماء لهم ولرواحلهم إذا حسبنا هذا النقص في الأحمال مع زيادة الجهد والعنـاء

الذي يتحمله السالك لهذه الانفاد وجدنا لذلك أثراً واضحاً في كميات السلع والبضائع التي ترد عن طريق هذه المسالك الصحراوية النفودية اضافة الي طول المسافة عند مقارنته بالطرق الأخرى وهذه الطرق المعروفة التي يسلك منها قد يكتنفها الأعداء المتربصون بهذه القوافل أو تلك ولا طرق بديلة لها إلا على بعد مساحات وتحتاج الي أدلاء حذقين بهذه الطرق، فكم قافلة وحملة استولى عليها شرذمة من قطاع الطرق حين يكمنون في كثبان النفود ويقتلون رجال الحملة ويستولون عليها وكم حملات ذهبت في هذا السبيل مما كان له أكبر الأثر على حركة التجارة، ولو خرجت الحملة عن هذا الطريق أو الطرق السالكة لتاهت في كثبان الرمال وكم تاه وضاع وهلك من البشر والقوافل في هذه الرمال ولم يرد أحد عنهم خبر الي ان وجدت بقاياهم بعد فترة من الزمن، هذه الانفاد كما ذكرنا تحيط بها من الجنوب والشرق والشمال فالطريق الي الأحساء يمر بصحراء نفود الدهناء وطريق الحج البصري عن طريق اليمامة يمر بالدهناء وطريق الحج الكوفي عن طريق القصيم يمر بنفود الدهناء وطريق الحج الكوفي عن طريق فيد يمر بذروة نفود الدهناء وحاشية النفود الكبير بالاضافة الي ما تقطعه هذه الطرق داخل المنطقة من مسافات فهذه الأنفاد وإن كان لها فائدة واستراتيجية لحماية المنطقة من الأعداء وهي فائدة لا يمكن انكارها إلا أن لها جوانب سلبية على المنطقة من حيث اتساع مساحة التصحر وابتلاع الأراضي الخصبة وطمر المراعي الجيدة وصعوبة المواصلات كما أسلفنا وهي عوامل قد اثرت سلباً على المنطقة وجعلتها تنعزل عن الجانب الشرقي والجنوبي والشمالي من الجزيرة العربية كما

...ت الجبال حائلاً آخر من الجهة الغربية وهذا ما جعلها تنقوقع على نفسها ...ل هذه الأجيال ولا يأتيها من غير أهلها إلا ما ندر بنسبة لا تستحق الذكر ...هي منطقة تدفع بالزائد من سكانها ولا تستقبل أحداً من خارجها إلا نادراً.

ج- الجفاف:

بتأثير العوامل السابق ذكرها تتميز المنطقة بالجفاف وتمثل المناخ الصحراوي حيث تتفاوت كميات الأمطار التي تنزل عليها سنويا في فصل الشتاء والربيع من صقع الي آخر كثرة وقلة كما تتفاوت هذه الكمية من سنة إلى أخرى ففي بعض المناطق تنزل كمية قليلة من الأمطار في موسم الشتاء أو موسم الربيع مرة واحدة أو مرتين بحيث تنبت الأرض ثم ينقطع عنها المطر ...بنبوت النبت ويجف الي عام قادم أو أكثر وفي مناطق أخرى نجد المطر ينتظم ...فيها جزء من فصل الخريف وفصل الشتاء بطوله وفصل الربيع وهو الأهم ...مطر الربيع الذي يسمى بالمنطقة "مطر السماك" أي دخول الربيع وفي المنطقة ...ثل يقول: "قيل ربعت الأرض قال يعني السماك، قيل أمحلت الأرض قال يعني السماك" أي يأبي هذا يكاد أن يترجم هذا المفهوم ترجمة دقيقة وهو يعني أن مطر الشتاء وربيعه مهما كثر واخضرت الأرض فإذا دخل عليه الربيع وهو دخول السماك" كما هو معروف فإن نزل فيها أمطار تروى الأرض عند إبتداء حرارة الشمس فإنه يمنحه الري والحياة وإن لم ينزل فيه مطر فإن أشعة الشمس الحارة لا تلبث إلا فترة قصيرة فيما لا يزيد عن بضعة أسابيع حتى تجف الأرض ...تعطش الأعشاب وتذبل فتصير رماماً كما أن تفاوت نزول كمية المطر من

سنة الي أخرى أو لسنوات متلاحقة من الأثر البالغ عن الأرض نفسها وغطاءها النباتي وبنيتهاالسكانية خطيرة هذه المنطقة المنكوبة بالجدب حيث تفقد غطاءها النباتي وثروتها الحيوانية ويسبب نزوحاً قسريا للسكان من الأعراب الرحل كما يسبب ضيقا وحرجاً للسكان المتحضرين مما يودي الي تأثر مسيرتهم الاقتصادية وتزول الغيث أو عدم نزوله يسبب حركة سنوية مستمرة، كما قد يسبب اضطرابا دائماً ربما جر الى مناوشات وحروب خاصة بين الزعامات القبلية ذلك أنه منذ أن ينتصف الخريف ويلوح بارق الوسمي فإن الأعناق تشرئب لتشيم هذا البرق ومتى نزل الغيث في أي بقعة فإن القبائل والعشائر المحيطة بتلك البقعة تبدأ بالتحرك نحو تلك البقعة المصابة بالغيث وربما لو تأخر نزول الغيث في أماكن أخرى أبعد من المحيطة بها لا قبل منها قبائل وعشائر أخرى وقد يتجمع الخليط من القبائل والعشائر من مختلف الأنحاء ممن لا يكون بينهم رابطة وقد يكون بينهم من التنافر ما قد يسبب الاحتكاك أو المناوشات وربما تطور ذلك الي حروب بسبب المرعى من هذه الأرض المعشبة كما سبقت الاشارة اليه في فصل سابق، لهذا فإن نزول الغيث على بقعة دون أخرى مما يسبب لهذه المنطقة أو تلك اكتظاظاً بالسكان في فترة قصيرة ويفرغ في ذات الوقت مناطق أخرى، وبمعنى آخر فإن لنزول الغيث أثر واضح في حركة سكان المنطقة وحيويتهم وخمول منطقة أو مناطق أخرى وفراغها السكاني خاصة من البادية، وكذا الحال بالنسبة لتفاوت الامطار لسنوات وربما زاد عن تفريغ السكان من القبائل وتناول سكان الحاضرة فإذا أجدبت الأرض فإن الحياة الاقتصادية تتأثر تأثيراً كبيراً في

الحاضرة وخاصة إذا ازدادت المدة عن سنتين متتاليتين كما سيأتي ذلك فيقوم يضطر الكثير من السكان للهجرة من منطقة الي أخرى وربما تم الي مناطق مجاورة خارج المنطقة المعينة مثل منطقة الهلال الخصيب كما في فصل سابق وهكذا نرى أثر الجفاف وقلة نزول الأمطار في هذه على نشاطها السكان والاقتصادي والاجتماعي.

الاعتماد على المياه الجوفية:

لما كانت هذه المنطقة خالية من الأنهار بعيدة عن البحار لا تمثل العيون إلا نسبة ضئيلة قد لا تتجاوز الـ ١٥% من الأرض الصالحة للزراعة وبالتالي وتقل نسبة الأمطار فيها عن الحد المطلوب بل يتفاوت سقوطها بين الآخر وسنة وأخرى فإنها بطبيعة الحال تعتمد على المياه الجوفية من باطن الأرض سواء أكان ذلك للزراعة أو حتى للشرب وري الأنعام هذه المياه الجوفية ونود التلميح عنها آنفاً وتتمثل في الآبار العميقة التي يتراوح عمقها ما بين ١٠٠- متر تأتي بعدها الركايا مفردها ركية وهي الآبار التي يقل عمقها أقل من عشرة أمتار يلي ذلك الثمائل ومفردها ثميلة وهي التي يتراوح طولها من ٢- أمتار وعادة ما تكون الركايا والثمائل في مسائل الأودية يشرب منها الناس والأنعام بدرجة رئيسة ولا يزرع على مثل هذين النوعين من الآبار إلا ما قلة مياهها يأتي بعد ذلك الرسوس مفردها رسّ وهي شبه آبار في الأودية ومثاني الصخور والطبقات الصخرية تنبع من الصخور والطبقات الصخرية والترابية يتبع ذلك بقايا مياه الأمطار التي تبقى في مصامد الأودية على

هيئة غدران وتبقى تحت طبقة الحصباء في بطون الأودية وتمثل الثغبان مفردها ثغب يضاف الي ذلك ما يبقى في مقور الصخور من المياه التي تحتفظ بها من مياه الأمطار لفترة من الزمن ثم تجف هذه بمجمل مصادر المياه في هذه المنطقة بالاضافة الي العيون التي سبق الكلام عنها نعود الي المياه الجوفية التي تعتمد عليها المنطقة بشكل رئيس وهي تلك الآبار التي يتم استنباطها بواسطة أناس لهم علم وفراسة في معرفة المياه وقد سبقت الاشارة اليهم ثم يتم حفر هذه الآبار في بطون الأودية أحيانا وبقربها أحيانا أخرى وأحيان بين الجبال أو بقربها وأحيانا في براح من الأرض أو بين الأنفاد وفي أحضانها وعلى أعماق مختلفة يوجد الماء وبدرجات متفاوتة من حيث الغزارة والقلة أو العذوبة والملوحة والمرارة حسب الطبقات الأرضية التي يجري فيها هذا الماء فإذا كانت مياه هذه الآبار عذبة وحولها أرض تصلح للزراعة والاستثمار تكونت منها القرى والبلدات والمدن وكذا الحال إذا كانت مياهها مالحة وحواليها أراض زراعية يمكن التغلب على ملوحة الماء باستغلاله لسقي الزروع والنخيل ومن ثم البحث عن ماء للشرب الآدمي من مصدر آخر فهناك قرى كثيرة وبلدان تكون مياهها الجوفية مالحة ومع ذلك تقوم فيها زراعة الحبوب والنخيل بدرجة جيدة ويتدبرون أمر مياه الشرب من هنا أو هناك من عروق تجري فيها مياه عذبة حول البلدة أو البلدة أما إذا كانت مياه هذه الآبار قليلة أو أن الأرض التي تحيط بها ضيقة أو سبخة أو جبلية وعرة فغالبا ما تبقى على هيئة مناهل ترد عليها أنعام القبائل وقد تغرس حواليها أشجار النخيل، كذلك الحال إذا كانت عميقة أكثر من ٤٠ متراً فإنها تصعب

الزراعة عليها نظراً لعمقها بما لا يفي باحتياج الزراعة فتبقى موارد وتبقى الآبار على هيئة مناهل إذا احتفرتها قبيلة في أرضها وغرضها منها الشرب وري الأنعام كما تبقى مناهل إذا كانت آباراً قديمة لا يعلم من حفرها أو ملكها ويسري ذلك على الآبار التي تكون على الحدود بين قبيلتين أو يوجد عليها مشاكل ونزاعات في هذه الحالة تبقى مورداً مشاعاً وقد يتغلب طرف على آخر فيأخذها تخرج هذه المياه من أعماق الأرض المختلفة بالغروب والدلاء والاقلاص كما سبقت الاشارة الي ذلك أما على ظهور الابل والبقر والحمير أو متحاً على سواعد الرجال فإن كانت لغرض الزراعة فهي تجمع بحوض كبير هو الجابية يصب فيها الماء على مدى ساعات من العمل والجهد المضني في عملية السني المشار اليها آنفا فإذا اجتمعت كمية من الماء وامتلأت هذه الجابية فجرت وأسقي بها جزءاً من الزرع أو عدداً من النخيل أما إذ كان لسقى الناس أو المواشي فإن كمية الماء المخرجة من جوف الأرض بهذه الوسائل تصب في حوض جلدي كبير يسمى الحوض تملأ منه القرب والروايا والأوعية وترد عليه الابل والغنم وغيرها من بهيمة الأنعام وهكذا نرى مدى العناء والعنت الذي يلاقيه الناس في سبيل الحصول على الماء من هذه المصادر الجوفية الضاربة في أعماق الأرض وكثير من المشاكل التي تنشأ في المنطقة وبصفة خاصة بين القبائل الرحل التي ربما حصل بينها احتكاك ربما تطور الي حروب حول المياه سواء في امتلاكها أو مجرد الشرب منها بالأولوية وخلافها وقد يحصل بسبب الماء من المآسي مالا يتصوره العقل فكم معارك طاحنة نشبت بسبب الزحام على الموارد

والمياه وكم مذابح حصلت ولو استعرضنا الوقائع التي سبق التعرض لها لوجدناها تحصل بقرب موارد المياه حيث يجتمع الفريقان حول الماء ليشربوا ويسقوا أنعامهم ويتحاربوا بقرب الماء وربما حالت فئة دون فئة ومنعتهم من ورود الماء ليناجزوهم بالسلاح والعطش، وكم شربت إحدى فئات المتحاربين وأروت الركائب وملأت أو عيتها بالماء ثم دفنت الموارد وتركوا خصومهم يهلكون من الظمأ ويصيرون طعماً للسلاح من قبل خصومهم في مواقع كثيرة، هكذا نرى مدى تأثير هذه المياه الجوفية في نشاط السكان وحركاتهم سلباً أو إيجاباً في هذه المنطقة.

٣١- المؤثرات المناخية:

لقد مرَّ بنا في الفصل السابق إحاطة الصحاري والأنفاد بهذه المنطقة من جهاتها الثلاث فأبعدتها عن البحار والمسطحات المائية مع حرمانها من الأنهار التي تجتازها أو تمر فيها أو من حولها وتبعاً لذلك فإن المناخ القاري هو السائد في هذه المنطقة وإن كانت تتمتع في مناخ الفصول الأربعة في معظم جهاتها وخاصة في شمالها أما جنوبها ووسطها فيكاد أن يتناول فصل الصيف حوالي ثلث فصل الربيع ويوشك فصل الخريف أن يضم اليه ثلث فصل الشتاء حيث تتمتع هذه الأجزاء بشتاء معتدل نسبياً إلا ما يحدث بين الحين والآخر من موجات برد قد تطول أو تقصر ولكن هذه الأجزاء بعينها تتحمل من شدة الحرارة في الصيف وأول الخريف ما لا يوجد في أجزاء أخرى وفي مقابل ذلك تخضع المناطق الشمالية والشمالية الشرقية لشدة برد الشتاء مع جزء من الخريف وثلثي فصل

[ر]بيع تقريبا بينما تنعم هذه الأجزاء بصيف وخريف معتدل الحرارة، وفي هذه [ا]لمناطق ترتبط الحرارة باشعة الشمس فإذا حصل ظل يحجب أشعة الشمس ببناء [أ]و شجر أو غيره فإن الحرارة تخف حالاً وتزول بينما في المناطق الجنوبية [و]الوسطى تبقى الحرارة حتى في الظل حين تجده حاراً ولا تشعر بالبرودة [و]الانتعاش إلا في المساء، وعند حلول الليل تبدأ النسائم العليلة تمسح وجه [الأ]رض وتزيل عنها أكدار حرارة الشمس وسمائمها ويمسي الجو لطيفاً بأرق [نف]حات النسيم وفي المناطق الشمالية حدث عن هذه النسائم ولا حرج حيث [...]ب في لياليه الرائقة اللطيفة المنعشة وهذه الحواجز الرملية أحيانا تثور ثائتها [و]تكدر صفو هذا الجو الرائق فتقبع بشقائقها الرملية السابحة في الفضاء وكأنها [ا]لسحاب المتراكم حيث تكتسح هذه المناطق بغبارها لرملي الذي يحجب الرؤية [و]يعكر الجو ويؤثر على مسيرة الحياة ولا تلبث هذه العواصف الرملية التي [ت]تحرك من الأنفاذ في اتجاهات مختلفة أن تتوقف فيصبح الجو صافيا رقراقا تتألق [ف]يه النجوم والكواكب ساطعة في صفحة سمائه الزرقاء وكأنها قد غسلتها [...]طبقات السحاب هذا الصفاء في السماء ونقاء الجو ونسمات الصَّبا في هذه [المن]طقة كلها سواء أكان في أمسيات الصيف وبكوره وأصائله أو في ضحوات [ا]لشتاء أو في ليالي الربيع وغدواته وأصائله هي التي سحرت من حلَّ بهذه المنطقة [و]سلبته لبُّه وفجرت قرائح الشعراء وهم الطبقة الفنية التي ترسم لوحاتها الناطقة [با]لصورة الصادقة بالكلمات فصارت هذه الفئة تتغنى بهذه المنطقة بقصائد تعبر عن

خلجات نفوسهم التي رسموها بتلك الأبيات والقصائد، وبقيت من بعدهم أبد الدهر وسيجد القاري الكريم نماذج منها في هذا الجزء ما قيل في نجد من الشعر.

نعود الي المؤثرات المناخية فيتضح لنا أن الجبال الواقعة الي غربيها كان لها أثر سلبي عليها فكما حالت بينها وبين البحر فقد تسببت في صد الرياح الجنوبية الغربية التي تهب من قرب الخط المداري وتسبب هطول الامطار في فصل الربيع على شعاف تلك الجبال والأجزاء المحاذية لها والمناطق التي تحجرها الي البحر مرة أخرى إلا ما انطلق منها قسراً مع الأودية المتجهة شرقاً كما أن هذه الجبال السمراء والسوداء تمتص من حرارة الشمس طاقة هائلة تنفث بعضها أثناء النهار على هيئة سمائم تتلظى متجهة الي المنطقة وتقذف البقية في المساء بموجات حر لافحة نحو المنطقة وهكذا نرى أن الصحاري والأنفاد المحيطة بها من الشمال والشرق والجنوب والجبال المطلة عليها من الغرب لها أثر كبير في تغيير مناخها ويتمثل ذلك فيما يلي:

أ- الحر:

لقد قلنا أن الصحاري والجبال تحيط بهذه المنطقة من جميع جهاتها وهذه العوامل لها أثرها الفاعل في رفع حرارتها حيث تحول بينها وبين البحار التي تنبعث منها الرطوبة فتلطف الجو وتخفف من ارتفاع درجات الحرارة فإن هذه الأنفاد الوردية والبيضاء وما تحتبسه من لعاب الشمس لا يغور في أعماقها وإنما تنفثه مرة ثانية في الطبقة الهوائية الملامسة لها حيث تنقله الرياح المتحكة في هذه الطبقة وتزفه على هيئة موجات من السموم اللافح يزيد من شدة حرارة الأجزاء

[...]ية من هذه الأنفاد أو تحمله العواصف الرملية ليصل الي أجزاء أعمق وأعمق [...]سط المنطقة ذلك لأن هذه الطبقة الصحراوية الواسعة تستوعب وتحتفظ [...]ية هائلة من حرارة أشعة الشمس طول النهار وصدر الليل حيث تتخلص [...]ها بواسطة الرياح التي تحملها وتدفع بها الي ما حولها وكذا الحال كما أسلفنا [...] الجبال الداكنة والسمراء وما تمتصه من حرارة الشمس طيلة النهار ثم تبثه [...]ما واليها من هذه المنطقة على هيئة موجات سمومية وهذا يتم على طول أشهر [...]يف وجزء من أشهر الربيع وجزء من أشهر الخريف في الوسط والجنوب [...]ث أن شهر أيار "مايو" آخر شهور فصل الربيع المعروف يدخل ضمن أشهر [...]يف في هذا الجزء كما أن شهر أيلول "سبتمبر" وهو أول أشهر الخريف [...]يجري في حساب أشهر الصيف، وبذلك ففصل الصيف يكاد أن يكون خمسة [...]شهر تقريبا وجمرة القيظ توشك أن تكون معظم أشهر الصيف الحقيقية، [...]يصحب الحر جفاف في الجو ولم يكن لحرارة الجو هذه أثر على حياة الناس [...]طوال معيشتهم حيث أنهم قد تكيفوا مع هذا الجو واستعدوا له وإنما يأتي التأثير [...]ضرر من موجات الحرارة التي تدهم المنطقة من حين الي آخر حيث تصل [...]رجة الحرارة في بعض المناطق الي ما يزيد على خمسين درجة مئوية بمقياس [...]يت الحاضر وهذا ما يؤثر مباشرة على الثمار في الأشجار والنخيل والزرع [...]صيفي حيث تتساقط الثمار ويحت النخيل بسره وبلحه قبل أن يتمر من شدة [...]حر ويخسر المزارعون جزءا كبير من ثمرة عام كامل وربما الثمرة كلها مما يؤثر [...]أثره على الاقتصاد المحلي كما يؤثر على المدى البعيد على المياه الجوفية حين

تغور المياه في الآبار وتنضب المياه السطحية أو تقل وهي التي تشرب منها البهائم هذه الموجات الحرارية التي تهب على المنطقة تكون مؤثرة إذا خيمت على الجو قادمة من الجهة الجنوبية من ناحية الربع الخالي وهي التي تلقب بـاهيف كمـا يكون لها أثراً أقل درجة من ذلك عندما تأتي من الناحية الغربية حاملـة معهـا حرارة جبال السروات ولكن من حسن الحظ أن قدوم هذه الموجات لم يكـن منتظما متكرراً كل سنةبل تأتي في أوقات عشوائية قد تحدث بعد بضع سـنين وأكثر ما تحدث في سنوات الجدب التي تقل فيها الأمطـار وتتصـحر الأرض بخلوها من الغطاء النباتي الذي يخفف عادة من ارتفاع درجة الحـرارة، أمـا في سنوات الخصب فانه يقل قدوم هذه الموجات الحراريـة وكـانوا يـذكرونها كحوادث مشهورة مثل موجة البرد ومطر البَرَد بفتح الراء وذلك لما تحدثه هذه الموجات من آثار سلبية على حياة الناس وممتلكاتهم وما يؤثر بدوره على اقتصاد البلد إذ أن ذهاب ثمرة التمر أو جزء كبير منها يؤثر في سوق هذه المادة الغذائية الهامة فترتفع أسعارها وقد تعدم في الأسواق إلا ما يستورد منها من الأقطـار المجاورة وبكميات قليلة وهذه المادة تعتبر من المواد الغذائية الرئيسة في المنطقـة كما أن قلة المياه في البيئة الرعوية ما قد يؤدي الي نفاق المواشـي وهلاكهـا في موجات الحر من شدة العطش أو بقوة ضربة الشمس أو بشدة وحم الحـرارة وهذا بدوره يؤثر على مستوى حياة البادية.ويؤثر في عدد ممتلكاتهم وثـروتهم الحيوانية.

ب- البَرْد:

كما رأينا تأثير الحر على هذه المنطقة ومسبباته فإن موجات البرد لها
ن أكثر وإن كان فصل الشتاء لا يزيد عليه سوى آخر شهر من فصل الخريف
ي يسمى محليا "الصَّفَري" وأول شهور الربيع الذي يسمى "السِّماك" وفصل
مناخه صحراوي قاري تحيط الصحاري الرملية مـن الجهـات الثلاثـة
ضة الجهة الشمالية والشمالية الشرقية وهذه الصحاري لا تمثل حاجزاً طبيعياً
ه الرياح ولا يوجد بها غطاء نباتي يخفف من أثر هذه الرياح، والرياح الـتي
ب من الشمال الغربي أو الشمال أو الشمال الشرقي أشد رياح الشتاء برودة
الأولى والثانية تهبان عليها من جهة الشام وغرب العراق وهي بـاردة بطبيعـة
ل وتشتد أكثر عندما يتساقط الثلج على جبال الشام فإن نوح هذه الثلـوج
ه الرياح وليس هناك حواجز طبيعية تحول دونه وإنما يمر بهذه الصـحاري
الأنفاد التي تزيد من قساوته قساوة ومن شدته حدة وأصعب وأشد برودة من
سابقين ما يهب من الناحية الشمالية الشرقية وتسمى "النسرية" لأنها تهب من
طلع النسر الواقع وهي أشد هذه الرياح برودة لأنها تهب من جهـة صـحراء
يبريا الثلجية ولا تجد من الموانع الطبيعية ما يحول بينها وبين هذه المنطقة حتى
صطدم بصفحة جبال السروات عند ذلك قد تجد مربًها وتلقى بعصا الترحال،
ذه الرياح الباردة التي يكون قدومها مسيساً خلال فصل الشتاء بطوله وأحيانا
أول فصل الربيع أو منتصفه على هيئة موجات متقطعة وربما جاءت مبكـرة
 آخر فصل الخريف وإذا أتت في فصل الربيع في أوله أو منتصفه قبل استواء
لزرع فإنها تضر الزروع وربما تؤدي الي اتلافها وذلك حين قيام الـزرع مـن

الأرض أو قرب خروج سنابلها أو إذا خرجت السنابل وقبل أن تمتلئ بلب الحب فإنه يتلف المزروعات تماماً ويسبب كارثة اقتصادية لمحصولات غلة الحبوب في تلك السنة حيث تجف السنابل بدون حبوب فيمايسمى في الحالة الأولى "صَرِيْد" وفي الحالة الثانية "صَفِيْق" كما يؤثر البرد إذا جاء في منتصف فصل الربيع عند تشقق طلع النخل واحتياجه للدأر والتلقيح وقبل أن يمسك البسر فإنه يحت بسره أو أكثر بسره وتقل أو تعدم ثمرة التمر لذلك العام، أما إذا هبت الرياح الباردة في أول الوقت قبل أن تشبع المواشي من عشب الأرض أو كانت تلك السنة جدباً فإنها تمثل كارثة لأصحاب الثروة الحيوانية حيث تنفق الأغنام وتموت في مرحها وربما طال الأذى الابل وأكثر ما تحصل هذه الكوارث بسبب البرد في سنوات الجدب أو السنوات التي تكون أمطارها قليلة وبالطبع إذا تأثرت الغلات الطبيعية أو تلفت وتأثرت ثمرة التمر والأشجار أو تلفت وتأثرت الثروة الحيوانية أو نفقت فإن ذلك يؤثر في حياة السكان ونشاطهم ومستوى معيشتهم واستقرارهم ورفاهيتهم ومن السنوات التي حدث فيها ضرر من البرد وأثر عدد من السنين ولو نظرنا على سبيل المثال لا الحصر فإننا نجد في حوادث ٨٨٣هـ ١٤٧٨م جاءفيها برد شديد جمّد المياه في البيوت، وفي حوادث ٩٦٩هـ ١٥٩١م حصل برد شديد في العقرب الأولى بحيث جمد الماء في الصهاريج ومات كثير من الزرع من شدة البرد، ولكن من حسن الحظ أن مثل هذه الكوارث لا تحدث باستمرار وانما تحدث في سنوات متفاوتة تبتعد وتقترب بقدرة الله وتدبيره، وحتى الناس يتضررون من البرد وذلك لقلة الملابس الواقية

...امات منهم من يفاجئهم البرد على حين غرة ولم يكن لديهم من الملابس ...يقيهم شر البرد وليس حولهم من يساعد على انقاذهم من البرد مثل من ...رون في البراري والقفار سيما إذا علمنا أن إيقاد النار أو اشعالها في ذلك ...ن لا يتم إلا بطريقة القدح في الزناد الذي قد لا يتوفر مع كل إنسان هذه ...وارث الناحية التي تلقى بثقلها على سكان هذه البقعة وممتلكاتهم دون رحمة ...زون بكياهاوتمر من فوق كواهلهم تارة آثارها السيئة عليهم ماديا ومعنويا ...نما يحتاج هذا الأثر بعض الوقت حتى يستطيع الناس تعويض ما فقدوه في ...الكارثة يتساوى في ذلك سكان الحاضرة والبادية ويتأثر بنتائج هذه ...وارث الطبقات الفقيرة من المجتمع بصفة خاصة.

...- الغيث:

الغيث روح الحياة وبنزوله تحيا الأرض وتدب الحياة بأوصال من عليها ...إنسان وحيوان ونبات وبخاصة هذه المنطقة التي يتلهف الناس فيها لرؤية ...سحاب ويشيمونه وكأنهم ينتظرون أعز قادم اليهم، يتباشرون بنزوله، يشعرون ...نشوة والفرح الغامر، يترقبون موسم نزوله يحسبون له باليوم والساعة فهو ...نا حياتهم وسر بقائهم ودعامة اقتصادهم وجوهر الخصب الذي يعتمد عليه ...عاشهم هذا الغيث الذي إذا تكاثر عن الحد المطلوب كمية أو وقتاً فربما صار ...ما يتحول الي فيضانات تغرق الناس وتهلك البهائم وتغمر الزرع وتجرفه ...نجم كوارث اقتصادية مؤثرة وأكثر ما يكون ضاراً إذا حدث على وقت ...تاج سنابل الزرع إذا دام المطر طويلاً لمدة أسبوع أو تزيد حتى ولو كانت

كمية المطر النازلة قليلة على هيئة مطر الديّم فإن ذلك يسبب ميلان الزرع ونومه ويسبب له عدداً من الأمراض مثل مرض "الرناق" أو "السويرق" الذي يتمثل في بثور على ورق الزرع وقصبه تتشقق هذه البثور عن مادة برتقالية اللون مثل الدقيق ويسرق لب السنابل فلا يكون بها حبا أو لباً أو يسبب مرض "الدبس" الذي يقضي على تكوين الحب أيضا أو يسبب له مرض "السيمور" الذي يؤدي الى ضمور السنابل وعدم امتلائها بالحب وكلما كانت كمية المياه النازلة أكثر ومدته أطول في هذه المرحلة بالذات كلما كانت مضرته أكثر حيث ينام ويعفن وتظهر له رائحة كريهة وبذلك تتلف المزارع وتفقد الغلة الزراعية في ذلك العام المرحلة الثانية عندما يكون الزرع محصوداً ومكدسا على هيئة كدوس وبيادر فعندما تنزل الأمطار بكميات كثيرة لمدة طويلة فإن الحب بتلك الكدوس والبيادر يتشبع بالماء وربما نبت في بيادره وكدوسه فيفسد والذي يبقى منه يصبح مخفورا لا يصلح طعاما للادميين وربما لا يصلح إلاعلفاً للبهائم وإذا نبت الزرع أو خمر فقدت غلة ذلك الموسم بأكملها أو إذا أصيبت بأحد الأمراض الناتجة عن نوم الزرع السالف ذكرها كالدبس والرناق والسيمور وغيرها فإن ذلك يعتبر كارثة طبيعية وفقدان غلة ذلك العام أو جزء منها مما يؤثر على حياة الناس وحركتهم وتوفر السلع الغذائية وعلى رأسها القمح والشعير مما قد يضطرهم الى التعويض عن ذلك من بقية مخزون العام الماضي أو من البلدان المجاورة التي تتوفر فيه المواد الغذائية من الأحساء والعراق والشام أما النخيل فإن مضرة الأمطار عليه لا تقل عن مضرتها على الحبوب وخاصة إذا وافق نزول

لفترة التي يتم فيها تلقيح النخل، ذلك لأن النخل لا يقبل اللبار الذي يلقح ...لي يحت بسره فلا يمسك من البسر شيئاً وتبقى شماريخ عذوق النخل ...من البسر تماماً أو تمسك بكمية ضئيلة منه وهذا ما يؤثر أيضا على موسم ...القدام فتقل كمية التمر أو تعدم ويرتفع سعره وهذا يؤثر في الانتعاش ...صادي وقد أكثر من دونوا تاريخ هذه المنطقة سواء في الفترة موضع ...لة أو ما بعدها من ذكر غلاء الأسعار ورخصها بسبب مثل هذه الكوارث ...وما مما سيأتي تفصيله في فقرات لاحقة ومن السنوات التي هطلت فيها ...طار واتلفت الزروع على سبيل المثال لا الحصر ما ذكر في حوادث ...ـ ١٤٧٤م وفيها تكاثرت الأمطار واستمرت نحواً من عشرين يوماً في ...بلدان نجد فانعطنت الزروع ونبت أكثرها، في البيادر أما تلفها عند وقوع ...الزرع على الأرض الذي يسمى النوم كما سبقت الاشارة اليه فهو كثير ...وهكذا نرى الغيث الذي يعتبر روح الحياة في هذه المنطقة إذا نزل بأكثر ...الكمية الضرورية وفي أوقات معينة قد يصبح ضاراً فيصبح مطرا مغرقاً أو ...مدمراً أو متلفاً للزروع والفروع وبالتالي يؤثر سلباً على حياة الناس ومستوى معيشتهم.

د- البَرَدْ:

البرد "بفتح الراء" هو المطر المتساقط على هيئة كرات ثلجية تتراوح أحجامها من حجم حبة الحمص ودون ذلك قليلاً وأكبر من ذلك بحجم بيضة العصفور أو الدجاجة وربما أكبر من ذلك في بعض الأحيان إلى حجم ثمرة البرتقالة؛ ويسقط بإرادة الله من طبقات عليا من الجو باردة أو يمر أثناء سقوطه بطبقة هوائية باردة يتجمد فيها وينزل على الأرض على تلك الهيئة وغالباً ما يسقط البرد في مطر آخر الربيع الذي يسمى محليا "الصيف" وفي هذه الفترة تكون الزروع قد ظهرت سنابلها أو قد استوى حبها وهي على وشك الحصاد أو قد حصدت وجمعت في كدوس وبيادر وفي أغلب الأحيان تجر سحابة البرد ذيلها الثلجي على الأرض فتدك ما عليها من زرع وأشجار وغطاء نباتي وتسحقه سحقا ناعماً ثم تجرف سحيقة سيول هذه السحابة وتقذف به في مكان آخر ويبقى هذا الجزء الذي سحبت عليه ذيلها أرضا جرداء لا نبت فيها من أخضر أو يابس ويبقى طريق هذه السحابة على الأرض مثل الخط الأبيض على طول مسيرها وربما بقي فترة بضعة أسابيع دون أن يظهر فيه أي نبت، وحتى الناس والبهائم إذا كانت في طريق هذه السحابة ولم يتقوا ضربات البرد فربما آذتهم وقد تقتلهم، وكم قتل من البشر من جراء ضرب البرد أثناء هطوله من السحابة أما الانعام فانها تصيبها بجروح كالابل والبقر أما الغنم فربما أفنتها عن آخرها أو جزء كبير منها فكم قطعان الأغنام كانت في طريق "البردية" فهلكت عن آخرها وقذفت بها سيول تلك السحابة مع الغثاء الذي تقذف به،

...ما تكون سحابة البرد أو "البردية" من حيث السيول عندما تعقبها سحابة ... ماطرة فإنها تعمل على إذابة البرد المتراكم على الأرض والذي تتراوح ... أحيانا من نصف متر أو متر الي بضعة أمتار تزيد هذه الكثافة عما ... أو تنقص فتعمل مياه السحابة المائية على إذابة هذه الطبقة الثلجية ... على هيئة فيضانات جارفة مهلكة تؤدي الي الغرق والهلاك وقد شهدت ... بنفسي عام ١٣٧٤هـ، وفي حالة سقوط البرد على الزرع في أي مرحلة ... مراحل عمره قبل أن يرتفع من الأرض في شهره الأول أو الثاني فإن ضرره ... أخف، وكم دكت سحائب البرد من الزروع وحولتها الي أثر بعد عين ... الحال بالنسبة لأثمار الأشجار إذا جاءها البرد وهي قد حملت فإنه يحت ... مع الأوراق ويكسر الطري من الأغصان ويجرح الغليظ منها فتتأثر حتى ... الشجرة نفسها فضلا عن ثمرها الذي ذهب في خبر كان ويؤذي البرد طلع ... النخل كذلك فيحت البسر إذا كان قد تكون البسر ويبطل مفعول البار إذا ... النخل قد لقح لتوه فضلا عما يتركه بفروع النخل وخوافيه من التبج الذي ... برودة قد تؤثر عليها وربما أصابتها الأمراض من جراء ذلك أما بيوت ... فيمكن أن يثقلها وتنهار على من فيها وكذا الحال لبيوت الطين التي يثقل ... سطوحها وربما انهدمت على من فيها فضلا عن السيول التي ربما أغرقت فيها ... والبهائم وربما لا تمضي سنة أو بضع سنوات إلا وسقطت أمطار برد على ... ما فإن أصاب ذلك أحد البلدان ذكر وإن كان في البراري أهمل ومن ... السنوات التي ذكر فيها سقوط البرد من فترة البحث عام ٨٨٥هـ - ١٤٨٠م

حيث وقع فيها برد كثير أتلف زروع الخرج وبعض زروع العارض وضرما والمحمل. وفي سنة ٨٩٤هـ - ١٤٨٨م سقط برد أتلف غالب زروع الخرج وضرما وفي سنة ٨٩٩هـ - ١٤٩٣م سقط برد كثير أتلف غالب زروع الوشم والمحمل،وفي سنة ٩٥٣هـ - ١٥٤٦م وقع برد كبير في "الصيف" آخر الربيع" أتلف غالب زروع سدير والوشم. هذه السنوات على سبيل المثال لا الحصر؛ فإذا سقط البرد فإما أن يتلف الزرع كله كما أسلفنا أو يصيبه بالجفر والنبت ويؤثر على الثروة الحيوانية مثله مثل البَرْد بسكون الراء ولكل منهما أثره في حياة الناس وأنشطتهم وسبل معيشتهم وأسعار أقواتهم فضلاً أنظر كتابنا الحروب والمجاعات والأمراض ففيه تفصيل أكثر.

٢٣- الكوارث المؤثرة الأخرى:

يُلِمُّ بالمنطقة غير ما ذكرنا كوارث لا تقل عنها تأثيراً وربما تكون أعمق وأشد إيلاماً ويأتي على رأس هذه الكوارث:

أ- الجدب:

فكارثة الجدب هي أم الكوارث التي يترتب عليها أشياء كثيرة بالغة الأهمية فإن امتناع نزول الغيث على الأرض وامحالها يؤثر في الحيوانات ويهلكها وإذا هلكت هذه الحيوانات أو هزلت وهي التي عليها قوام حياة الإنسان بعد إرادة الله، إذ تقوم الحياة على بعضها بإخراج الماء من جوف الأرض للشرب وسقيا المواشي وإسقاء الزرع والفرع ويتم عليها نقل المؤن من مسافات طويلة، هذه الحيوانات هي الإبل التي يتم على ظهورها الأسفار وقضاء الحوائج، وهناك

يتم عليها نقل الأحمال الخفيفة والسفر للمسافات القريبة وهي وسيلة لان داخل البلدان وبين القرى والبلدان المدن وهي الحمير وهناك وانات التي يستفاد من ألبانها ولحومها وأصوافها وجلودها وهي الغنم فإذا لسنة دهراً ضعفت هذه المواشي وهزلت ربما نفقت عند ذلك تتأثر حياة المعيشة وتقل حركتهم إن لم تنقطع وتتقلص زراعتهم إن لم تنعدم كن تجارتهم إن لم تتوقف وربما زهدوا بما عندهم من المواشي الهزيلة التي لهم في إنقاذها، فربما وجدت الفلاح يقسم طعامه بين أسرته وبين سوانيه شيئاً من قوت يومه إذا كان لديه وفرة منه حتى تستطيع أن تمده بمقومات من زرع ونخيل وإن لم يكن لديه متسع من الرزق فقد تهلك أمام عينيه يصفق بكف على الأخرى وربما توقف عن العمل تماماً وقد يؤدي إلى نخله وأحياناً تضطره الظروف الصعبة لأن ينزف الماء من أعماق الأرض النح أو "الزعب" ليسقى نخيلاته على يديه حتى لا تموت، ويأتي الأخوة من رجال ونساء على هيئة مجموعات للقيام بهذا العمل بالدور بين والبساتين بطريقة تعاونية كل يوم عند واحد منهم: أما البادية فقد تنفق يهم أمامهم قد يرحل الواحد منهم عن مراحه ليترك قطعان أغنامه وقد فقت وجثت على الأرض ميتة بشكل جماعي فيرحل عنها طالبا من الله وض حزين الفؤاد لا يملك من متاع الحياة الدنيا سوى بيت الشعر الذي قل به هذا إن كان لديه بعير يحمل عليه بيته، ويفقد الناس في البادية مواشيهم ي مقومات حياتهم وأساس ثروتهم وتقل المؤن وتشح الأرزاق وترتفع أسعار

المواد الغذائية ويبقى الناس بدون عمل وربما تفشت فيهم الأمراض كما سنتعرض لذلك في موضع آخر، ولا تقل حال الحضر عن حال البادية إلا أنهم ربما يكونون أحسن منهم بعض الشيء وذلك لأنهم مستقرون غير أن الطبقة الفقيرة وهي الكثرة الساحقة التي ليس لها مزارع وإنما تعتمد على منتجات الفلاحين، أو الذين يكسبون قوت يومهم من عمل أيديهم عند الفلاحين وغيرهم تعاني هي الأخرى من كساد العمل والبطالة وبالتالي تفقد دخلها اليومي من الرزق فتقع تحت كابوس الفقر والعوز حين ترتفع أسعار المواد الغذائية ويقل المعروض منها للبيع إن لم تعدم، وباختصار فإن عجلة الحياة تقترب من التوقف تماماً في المجتمع الحضري والقبلي بسبب القحط وقد أشار بعض المؤرخين الي مثل هذه السنوات كابن بسام حيث أشار على سبيل المثال لا الحصر في حوادث سنة ١٧٠٧هـ - ١٤٩١م اشتد القحط والغلاء في نجد وفي سنة ٩٤٠هـ - ١٤٩١م اشتد الغلاء والقحط في نجد والمتتبع للنصوص المدونة في هذا الشأن يلاحظ أن غلاء الأسعار ورخصها متعلق بنزول الغيث فإذا نزل الغيث وأخصبت الأرض أخصبت الأمصار وإذا قل أو إمتنع غليت الأسعار وشحت الأرزاق ورفع الفقر رايته.

ب- الجوع:

من النتائج المترتبة على الجدب شح الأرزاق وإرتفاع الأسعار ومن ثم الجوع كما أسلفنا والجوع في هذه المنطقة قاس جداً، فلا غابات يمكن الأكل من ثمارها أو طيورها ولا أنهار يمكن الاستفادة من مياهها في الزراعة ولا

سواحل بحرية يمكن الأكل من أسماكها وأحيائها البحرية ولكنها الصحراء والجبال التي تحيط بهذه المنطقة من جميع جهاتها وهذه الصحاري إذا أجدبت لا تحوي على أي شيء يمكن أكله أما إذا أخصبت فيمكن الاستفادة من أكل الأعشاب الصالحة للأكل التي تسمى الجني وهي مجموعة من الأعشاب اللذيذة منها الحامض ومنها المالح ومنها الحلولي وهي أكثر من أن تحصر وعلى سبيل المثال الحوى، والبقّير، والحماض، واليهق، والبسباس والذآنين "الذقانين" والحميص والربحلاء والذعلوق وغير ذلك هذه الأعشاب تؤكل نيئة ومنها ما يطبخ مثل فصوص الخباز وورق البروق وفطريات الأرض التي تخرج في وقتها مثل الكمأة بأنواعها والفقع والطرثوث الذي يؤكل نيئاً والهبيد وهو حب الحنظل الذي يؤكل بعد أن يعالج، وإذا حلت المجاعة بالناس أكلوا ما لا يستساغ أكله مثل نوى التمر يحمص حتى يحرق ثم يطحن ويؤكل والقِدّ والجلود النيئة الجافة تشوى أو تطبخ وتؤكل وربما وصل الأمر الي أكل اللحوم المحرمة أو الجيف هذه الحالة التي يصل اليها الناس من الجوع والعوز حين الاقتراب من حالة الهلاك ومع ذلك يتمسك أهل هذه المنطقة بها ويرونها أحسن بقعة على وجه الأرض هذا الشعور المترسخ في أهلها منذ القدم والي يومنا هذا وليس أدل على ذلك مما ورد على لسان أحد أبنائها من بني أسد حيث قال عندما سأله المفضل بن اسحاق أو أحد مشائخه الذي قال: لقيت أعرابياً فقلت له: ممن الرجل؟ فقال: من بني أسد. قلت: فمن أين أقبلت؟ قال: من هذه البادية، قلت: فأين مسكنك؟ قال: مساقط الحمى، حمى ضرية بأرض ها.. لعمر الله ما نريد

بها بدلاً ولا عنها حولاً، قد نصحتها الغزوات وحفتها الفلوات فلا يملولح تراها، ولا يمعر جنابها، وليس فيها أذى ولا قذى، ولا وعك ولا موم ولاحمى فنحن فيها بأرفه عيش وأرغد معيشة، قلت: وما طعامكم؟ قال: بخ.. بخ. عيشنا والله عيش يعلل حاوية، وطعامنا أطيب طعام وأمرؤه وأهنأه الفث، والهبيد، والفطس، والصليب، والعنكث، والعلهز، والذآنين والطرائيث والحسلة، والضباب، وربما والله أكلنا القِدّ واشتوينا الجلد، فما ترى أن أحداً أحسن منا حالاً ولا أخصب منا جناباً ولا أرخى بالاً، فالحمد لله على ما بسط علينا من النعمة ورزقنا من حسن الدعة أما سمعت قائلنا يقول:

إذا ما أصبنا كل يوم مذيقة   وخمس تميرات صغار كوانز

فنحن ملوك الأرض شرقا ومغربا   ونحن أسود الناس عند الهزاهز

وكم متمن عيشنا لا يناله   ولو ناله أضحى به جَدٌّ فائز

قلت وما أقدمك هذه البلدة؟ قال: بغية ليه، قلت: وما بغيتك؟ قال بكرات أضللتهن... إلخ فهذا الأعرابي الذي يمثل شريحة كبيرة من المجتمع الذي يعيش فيه ممن يشعرون بهذا الشعور هذا الكلام في القرن الأول الهجري ويمكن أن ينسحب هذا المفهوم أو أقل منه قليلاً على بقية طبقات المجتمع وربما أرقى منه مستوى منذ ذلك الوقت وربما حتى قبيل الوقت الحاضر بقليل، هذه الأطعمة التي رأى ذلك الأعرابي أنها من ألذ الأطعمة لديه ربما استعملها في أوقات الرخاء أما في أوقات الحاجة فربما أكل ما دونها دليل واضح على أن سكان هذه المنطقة لديهم الاستطاعة على التكيف مع الوضع الذي يعيشون فيه بحيث يرضون بأقل

القليل من الطعام بمايسد الرمق كما قال شاعرهم مذقة من لبن وبضع تميرات تكفيه يومه كاملاً وربما أطول من ذلك ومع ذلك لا يغبط الواحد منهم سلطانا في سلطانه، هذه القناعة من الطعام قد تنسحب على بقية الأمور الأخرى وهذا السبب وغيره من الأسباب فمن الصعوبة بمكان أو من المستبعد أن يعيش في هذه المنطقة غير أهلها الذين يصبرون على شدتها ويتحملون قساوتها إذا تحاملت عليهم وينعمون برغد عيشها إذا أقبلت عليهم وضحكت لهم فهي تقبل وتدبر يتلذذون بحلاوتها ويلعقون حرارتها كما حاولت رسم ذلك في قصيدتي في فقرة ما قيل بنجد من الشعر، لكن الجوع لا يماثله جوع إلا في مكان يماثلها في ظروفها، ففي سنوات الشدة كما أسلفنا قد يأكل الناس ما لا يجوز أكله أو يستساغ منذ ذلك الوقت الضارب في القدم خلال عشرات القرون وحتى عهد قريب قبل اكتشاف الثروة النفطية في وقتنا الحاضر فقد أخبرني والدي سلمه الله أن الناس في سنة ١٣٤٦هـ قد أكلوا ورق البروق وسموا تلك السنة باسمه ولمدة حوالي أربعة أشهر يؤتى به ويطبخ ويوضع معه شيء من الملح والبهارات ويؤكل على هيئة "الملوخية" التي تؤكل اليوم هذا النوع من الأعشاب لا يأكله أي نوع من الحيوانات مهما بلغت به درجة الجوع ومع ذلك أكله الإنسان ثم أكل الناس في نفس السنة نوى التمر بعد حرقة حتى يتفحم ثم يطحن ويؤكل وقبلها بسنتين أكثر الناس وأعني بهم الطبقة الفقيرة وهي غالبية السكان عاشوا على فصوص عشب الخبيز وهي شبيهة بفصوص الجزر بيضاء اللون لا طعم فيها سوى لذعة حلاوة خفيفة في بعضها تجنى هذه وتطبخ ويضاف إليها البهارات فتؤكل وغير

ذلك من السنوات التي يأكل الناس فيها الجلود النيئة والقِدّ وسنوات عديدة يعيش الناس على الجراد المطبوخ المجفف، وقد سألت الوالد يوماً عن بستان في بلدنا لا يوجد فيه نخل طويل رغم أنه من البساتين القديمة حيث يوجد على الأغلب في البساتين القديمة بعض النخيل العَيْدان الطويل بجانب النخيل الثاني الذي هو أحدث منه؟ فقال لي: هذه البستان كان مكتظاً بالنخيل فاشتراه سليمان بن محمد الدهيشي رحمه الله وكان الناس في مجاعة قاتلة عند ذلك وَقَفَهُ سُبْلاً لله وسمح للناس المحتاجين أن يقطعوا كل يوم نخلة واحدة بحيث يقطع ساقها أوصالاً بمقدار أصحاب البيوت فيأخذ كل واحد منهم وصلة على أطوال مختلفة ذراع ذراع ونصف أو نصف ذراع... إلخ حسب حجم أسرته ويقطعها بدوره الي أوصال صغيرة بحيث يجففونها ثم يدقون هذه الأوصال لينحتُّ منها الجزئيات الكائنة بين أسلاك الساق على هيئة مسحوق أمغر اللون هذا المسحوق يصنعون منه طعاماً باضافة الملح والبهارات اليه ثم يأكلونه وبدأ الفقراء يقطعون النخل واحدة بعد الأخرى حتى أتوا على آخره في مدة حوالي ثلاثة أشهر من عام المجاعة الذي حدث ١٣٤٢- ١٩٢٣م والرجل الذي يتولى تقطيع ساق النخلة "شطيبها" له بالإضافة الي نصابه من الساق تلك القطع التي تسقط من مضرب الفأس.

وفي ظني أن ذلك المسحوق المستخرج ما هو إلا سد فراغ لتلك الأجواف الفارغة وسد رمقها هذا الكلام عن الجوع في الوقت القريب وهو صورة تتكرر منذ عام الرمادة في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله

...بعد أن بعض السكان قد تضطرهم الظروف القاسية الي الجلاء والنزوح الي ...ن المجاورة إذا لم يجدوا مايفي بقوام حياتهم، ولو ألقينا نظرة على بعض ...ين التي أشار اليها المؤرخون على سبيل المثال لا التقصي لوجدنا أنها في سنة ...هـ - ١٤٦٣م زاد الغلاء والقحط وحصلت مجاعة وجلى كثير من أهلها ...ي نجد للبصرة والأحساء ومات كثير من الناس جوعاً واستمر القحط حتى ...٨٧٠هـ وتكررت الصورة في عام ٩٣٩هـ - ١٥٣٢م ففيه وقع القحط ...لا في نجد وجلى كثير من أهلها للأحساء والبصرة، من هذا يتضح ما ...ه من أثر سيء على الناس حين تشح الأرزاق والمؤن وترتفع أسعارها ...بين المجاعات يعيش من يعيش ويثبت من يثبت في مكانه ويهلك من يهلك ...ل الي جوار ربه ويجلي من يجلي ويترح الي أماكن أخر، هذه السنوات ...بة تطل بسحنتها بين الحين والآخر وهي غير كثيرة ولكنها قاسية ومؤثرة. ...لأنظر كتابنا "الحروب والمجاعات والأمراض".

٦- الجراد:

هذه الحشرات الكبيرة التي يسميها البعض "جند الله الأعظم" تفد أسرابها ...المتفقة من حين لآخر في آخر فصل الخريف وفصل الشتاء أو الربيع وأكثر ...تفد في بداية فصل الشتاء وتأتي من شرق أفريقيا مجتازة البحر الأحمر ويكون ...الجراد أحمر أي بُنّياً داكنا ويسمى "البحاري" نسبة الي البحر لأن الناس ...م يعتقدون أنه يخرج من البحر وأول ما يأتي يكون هزيلاً وعندما يمكث في ...ثلاثة أشهر الشتاء يتغير لونه فتصير الذكور منه صفر ويسمى "الزُّعَيْري"

والأناث يكون لونها بنياً مسحة غبرة تخلطها صفرة خفيفة وتمتلئ اذنابها بالبيض "النّصّ" وينتقل في فصل الشتاء في المراعي يلتهم ما على الأرض من أعشاب وغطاء نباتي ويأكل كل شي على وجه الأرض وتغرس الأناث أذنابها في الأرض في فصل الشتاء لتضع بيضها فإذا كانت السنة خصب خرج أولاد الجراد الدّبى بأطواره الثلاثة بعد بضعة أسابيع وإن كانت السنة دهراً ولم تأت أمطار بعد ايداع البيض في الأرض فإنه على الأغلب لا يخرج إلا اذا كانت الأرض ثرية قبل ذلك ويبقى مخزونا في الأرض مدة طويلة صالحاً لخروج الدبى منة وذلك لمدة قد تصل الي بضع سنوات ومتى جاءه المطر خرج مع دخول فصل الربيع إذا دفيت الأرض ويخرج الدبى صغيراً من يرقات البيض يسمى "ذباني" ثم يأتي الطور الثاني ويسمى "عوفاني" لونه أخضر بغبرة وسواد ثم يأتي الطور الثالث بعد أسبوعين فيكون في دور الكتفاني لونه أصفر بنقط سوداء ويمكث أسبوعين بعدها يُسَلِّبُ ويرمي بجلته القديمة ويخرج له ريش ويتغير لونه الي الأبيض ويسمى "الحيفان" يستطيع الطيران بعد يومين من بلوغه هذه الطور والدبى منذ خروجه من الأرض يأكل ما يأتي عليه من النبات حتى يطير ويصبح جراداً مثل أمهاته فيقضي على البقية الباقية من النبات والزرع والفرع وينتقل من بلد الي بلد يأكل ما على وجه الأرض من الأخضر واليابس وقد عايشت الجراد عندما كنت صبياً في عام ١٣٧٢هـ - ١٩٥٢م عندما حطت أسراب الجراد قرب بلدنا مدينة الروضة في منطقة حائل فاصطاد منه الناس في الشتاء، ثم وضع بيضه في الأرض وخرج الدبى وزحف على البساتين والمزارع وقد رأيت

بعيني ولمست بيدي وعانيت مع أهل البلد حيث نفروا كباراً وصغاراً ورجالاً ونساءاً ليصدوا هذا السيل الزاحف من الدبى وهو في طور الكتفاني عن مزارع البلد وذلك بصده وقتله بوسائل بدائية مثل حفر الحفر والأخاديد حتى إذا امتلأت منه دفنوها أو قتله بالعصى وغيرها لكن ذلك لم يجد نفعاً حيث إلتهم مزروعات الناس بكاملها والتهم سعف النخل وورق الأشجار بل وحك جذوعها وأصبحت البساتين والأشجار لا تجد فيه ورقة خضراء حيث جرّد جذوع النخيل فأصبحت أعواداً جرداء وذهبت ثمرة تلك السنة علة الزرع وثمرة الصيف وثمره وتعتبر كارثة حقيقية للبلد وشيء شهدته بعيني وعايشته بنفسي ووصل الأمر بهذه الآفة التي نكبت الناس أن صار الخطر على أرواحهم بسبب تساقطه في الآبار التي يشربون منها لتتعفن وتتولد منها الأوبئة حيث تمكن السكان من تغطية آبار مياه الشرب باحكام حتى لا يتساقط فيها ويفسد ماءها وبقيت هذه الآبار على ما هي عليه طيلة وجوده حتى غادر المنطقة بعد حوالي عشرين يوماً.

نعود الي وفوده وأعني الجراد بعد هذا الاستطراد الذي أخرجنا عن مجرى الحديث الذي وقع عرضاً، فحينما تأتي أسراب الجراد الي المنطقة كما أسلفنا تكون في فصل الشتاء، وإذا حطت هذه الأسراب قرب المدن والبلدات والقرى ومضارب البادية فإنهم يسارعون للاصطياد منه في الليالي الباردة كميات كبيرة قد تصل الي عدة أكياس للفرد الواحد أو للأسرة من الأكياس الكبيرة زنة مئة كيلو في كل ليلة وخاصة إذا كان البرد شديداً وبالأخص إذا كان الهواء ساكنا

والجو بارداً فإن الجراد يتجمد تماماً يقشه الناس من فوق الأرض أو من أكناف الشجر وجروف الأودية وكأنه ميت تملأ به الأكياس الكبيرة والصغيرة كيفما شئت دون أن يتحرك أما إذا كانت هناك رياح حتى ولو كان الجو بارداً أمسى الجو دافئاً صار اصطياده أقل من سابقه أما في النهار فلا يستطيعون الامساك به، ويطبخون ما اصطادوه من الجراد نهاراً بالماء فقط مضافاً اليه الملح ثم يجففونـه وقد يشويه من لم يجد إناء يطبخه وأحيانايبقى في مكان قرب هذا البلد أو غير بعيد عنه فيصطادون منه كميات هائلة يستوي في ذلك الغني والفقير غير أن الغني يصطاد من غير حاجة وربما بكميات قليلة وقد يكون لغرض التجارة أما الطبقة الفقيرة فإنها تصطاده لتأكله تعويضا عن الطعام أو مساعداً له، وقد تعيش أسراً كثيرة من الطبقة الفقيرة أو المتوسطة على أكل الجراد فقط لمدة طويلة قد تبلغ الشتاء بطوله لا يذوقون سوى الجراد المطبوخ والمجفف خاصة في سنوات الجدب هذه الناحية الايجابية الوحيدة في الجراد،وقد رأيت في مجلة "الوضيحي" عدد ٣٩ جمادى الأولى ١٤٣٠هـ "أن الجراد غني بالبروتين الذي يمثل ٦٢% والدهون ١٧% وعناصر غير عضوية تمثل الباقي مثل: المغنسيوم، والكالسيوم، والبوتاسيوم، والمنجنيز، والصوديوم، والحديد، والفوسفور، وغيرها. أما النواحي السلبية فيه كثيرة جداً فهو كما أسلفنا يلتهم المراعي ويطوي بساط الأرض الأخضر السندسي فيلتهمه ويعري الأرض لتبقى عارية من أي ورقة خضراء وحتى اليابس ويلتهم الزرع والنخيل والأشجار وكل شيء أخضر كما مرَّ بنا فهو لا يبقي ولا يذر في أطواره المختلفة. هذه الآفة التي

الكوارث والنكبات والمجاعات إذا أكلت غلة الشتاء من الحبوب وثمرة
من التمور والثمار فمعنى ذلك أنه ستمضي سنة كاملة دون أن يكون
الناس ما يقتاتون به مما يؤدى الي شح الأرزاق وغلاء الأسعار والمجاعة
يكون مثله في ذلك مثل الجدب فهو من أمهات الكوارث وفوق ذلك قد
الدبى المتعفن آثاراً مؤلمة وقد حدثت وفيات جماعية في بلدان مختلفة
هذه الآفة التي يحدث بسببها عدد من المصائب للمنطقة كما مرّبنا وما
العيينة في القرن الثاني عشر الهجري غائبة عن الذهن قد يتكرر قدومها
متتالية وقد يخرج الدبى من الأرض بعد سبع سنين كما يقال عندما
الخصب بأرض قد سبق أن وضع الجراد بيضه فيها ومن السنوات التي
فيها الجراد على سبيل المثال سنة ٨٥٧هـ - ١٤٥٣م حيث كثر الجراد
الدبى وخيفان أكل الأثمار والأشجار فبيدت الأرض وغليت الأسعار.وفي
٨٦٧هـ - ١٤٦٢م كثر الجراد في ارض نجد اعقبه دبى كثير أكل الزرع
والأشجار وغليت الأسعار وفي سنة ٨٩٢هـ - ١٤٨٦م كثر الجراد
الدبى فأكل الزرع والأشجار وفي سنة ٩١٦هـ - ١٥١٠م كثر الجراد
واعقبه دبى أكل بعض الزروع والأشجار وفي سنة ١٧٠٤هـ -
م جاء الجراد وأعقبه الدبى أكل أكثر الزرع والأشجار.

هذه السنوات التي ذكرت وكثير غيرها لم يذكر حين تأتي هذه الآفة
بغطائها النهم البغيض على هذه المنطقة لتخلف وراءها النكبات

والمصائب التي يتململ تحتها أفراد الطبقة الفقيرة وما أكثرهم وتعوق مسيرة الحياة وتؤثر تأثيراً بالغاً على البنية الاقتصادية والاجتماعية وغيرها.

د- الأمراض الفتاكة:

يحدث بين الحين والآخر لهذه المنطقة كغيرها من بقاع الأرض في ذلك الوقت انتشار الأوبئة والأمراض الفتاكة، وذلك ناتج عن عدة عوامل منها سوء التغذية ومنها عدم العناية بالنظافة العامة في الأجسام والملابس والمأكل والمشرب والمسكن وذلك إما لظروف قهرية رغما عن الناس مثل المجاعات التي مرَّ ذكرها وما صاحبها من شح الأرزاق ومنها ما هو عرضي وذلك لعدم انتشار الوعي الصحي وعدم وجود وسائل النظافة اللازمة وعدم امكانية العناية التامة بالصحة، كل هذه العوامل وغيرها تؤدي الي تواجد هذه الأمراض وانتشارها بالعدوى بين السكان وليست هذه الأمرض مقصورة على هذه المنطقة بالذات ولكن ذلك موجود في كثير من البلدان في كافة أنحاء العالم المعمور حيث تتشابه الظروف الصحية والعلاجية قبل أن يتقدم الطب ويصل الي ما وصل اليه وإذا ألقينا نظرة عابرة على هذه المنطقة فإننا نجدها تعصف بها الأمراض العامة بين الحين والآخر منها أمراض تنشأ من نفس المنطقة كالملاريا والحصبة وربما الجدري الذي يفد أحيانا من مناطق بعيدة، ومنها الوافدة الفتاكة كالطاعون الذي يسمونه الوباء وهو على ما يبدو الذي يسمى حالياً "الكوليرا" هذه الأمراض كفى الله شرها إذا انتشرت حصدت من البشر الخلق الكثير ربما تجاوزوا عشرات الآلاف وهناك أمراض تعشش في مناطق معينة مثل حمى الملاريا التي

تتواجد في بقاع معينة عادة ما تكون كثيرة المياه بها عيون جارية ومياه طافحة على وجه الأرض أو قريبة من سطح الأرض أو تكون في منخفض من الأرض سيئة التهوية ومثل لاملاريا ومرض الجدري أو تكون في منخفض من الأرض التي لا يطرقها الهواء جيداً والبقع التي يوجد بها المياه والروائح الكريهة وينخفض فيها مستوى النظافة فيبقى هذه الوباء على مدار السنة ينتقل من شخص الي آخر أو من مجموعة من أشخاص الي آخرين وهكذا لا يخرج من البلد فيكثر فيمن ينجيه الله من الهلاك من أهلها التشوهات الجلدية على الوجه وغيره من آثار الجدري مع فقدان البصر كاملاً أو فقدان بصر إحدى العينين أو تشوههما أما الحصبة فهي رفيقة الشتاء وتأتي مع البرد وتفتك بالصغار وتأخذ نصيبا من الكبار وتشوه العينين وربما أفقدهما البصر وتنتشر بالعدوى مثلها مثل الجدري أما الملاريا فإنها تنتشر بواسطة شرب الماء الملوث ببعوضة الملاريا وهذه الأمراض تعشش وتفرخ في بعض البقع بهذه المنطقة وربما استفحل أمرها وانتشرت في المناطق المجاورة وربما كان نشاطها أعم فشملت أجزاء كبيرة من المنطقة فإذا انتشرت بهذا النشاط ربما أشار اليها المؤرخون، ولسنوات الجدب دور كبير في انتشار هذه الأمراض وذلك لما تسببه من شح المواد الغذائية وسوء التغذية فتحدث المجاعات المهلكة ويضطر الناس الي أكل ما لا يجوز أو يستساغ أكله ويترتب على هذا تواجد الأمراض ثم انتشار العدوى كما أن للروائح الكريهة التي تنتج عن المواشي الميتة نتيجة الهزال والهرم أثرها السيء على صحة الناس إضافة الي عدم نظافة المياه التي يشربونها، أما مرض الطاعون فإنه غالباً ما يفد

الي المنطقة من المناطق المجاورة وللأسف كان يحصد الناس بأعداد رهيبة كما يقول المؤرخون بأعداد لا تحصى ومن السنوات التي حدثت فيها هذه الأمراض وذكرها المؤرخون سنة ٨٦٢هـ- ١٤٥٧م وقع وباء عظيم في الأحساء والقطيف وفي البوادي والوشم وسدير؛ وفي سنة ٨٦٤هـ- ١٤٥٩م وقع في الخرج والعارض وضرماء وباء مات منه خلق كثير. وفي سنة ٨٦٧هـ- ١٤٦٢م كثر الجدري والحصبة في بادية نجد وحاضرتهم وهلك خلائق لا يحصي عددهم إلا الله وفي سنة ٨٦٩هـ- ١٤٦٤م وقع وباء عظيم هلك فيه خلائق لا يحصي عددهم إلا الله وفي سنة ١٧٠٤هـ- ١٥٧٦م وقع وباء في نجد هلك فيه خلائق كثيرة.

هذه الأمراض التي من حسن الحظ أنها تأتي في أوقات متباعدة وأحياناً في سنوات متتالية تؤثر أثراً بليغاً على السكان وإن لم يوجد إحصائيات معينة عمن يهلك بهذه الأمراض إلا أن الاشارة الي هلاك خلائق كثيرة لا يحصي عددهم إلا الله تدل على ضخامة الرقم الذي يهلك في كل عاصفة مرض من هذه الأمراض وبطبيعة الحال هذه الأمراض الفتاكة كانت تترك خلفها من الكوارث والمصائب، وكم تهدم من البيوت وتهلك من المزارع وتبقي خلفها من الأرامل والأيتام والشيوخ والعجائز، وكم تسحق من الكيانات الشامخة وتمسح بها الأرض؟ وهذه بلا شك تكون قاصمة الظهر لبنية المنطقة البشرية والإقتصادية والاجتماعية، وبالتالي السياسية سواء في الكيانات الحضرية أو الزعامات القبلية؛ فمتى تعوض البنية البشرية عن الآلاف التي تهلك في مدة قصيرة؟ إنها تحتاج الي

...ات السنين حتى تعوض عن هذا النقص الذي حل بأهم العناصر الفاعلة في ...مجالات الحياة إضافة الي ما تخلفه من المآسي والتشرد فالصغار الذين مات ...هم وذووهم في البادية أو الريف أو الحضر قد يتشردون وقد يجدون أو لا ...دون من يحسن اليهم ويطعمهم ويسقيهم حتى يكبروا وقد ينشأون مجهولي ...ية لموت أهلهم المفاجيء في هذا الوباء وهم صغار لا يعرفون شيئاً وينشأون ...هذا الأساس ويدخلون ضمن تعداد الطبقة الذين يجهلون أصلهم بالاضافة ...ما تجره هذه الأمراض على حيوية المنطقة فتضعف أو تتوقف عجلة الانتاج ...يؤدي الي مضاعفات سلبية موجعة وهذا نرى أثر هذه الأمراض على المنطقة ...تحصده من أرواح البشر وما تستحقه من مقومات الحياة (فضلا انظر كتابنا الحروب والمجاعات والأمراض".

العوامل الخارجية المؤثرة:

إذا نظرنا الي خارطة المنطقة وجدنا الكيانات المحيطة بها من الشرق البحرين "الأحساء" ومن الشمال الشرقي العراق ومن الشمال الشام ومن الغرب الحجاز ومن الجنوب الغربي اليمن ومن الجنوب الشرقي عمان هذه البلدان بما ...ها من كيانات سياسية سواء أكانت خاضعة بكاملها للخلافة الراشدية في المدينة المنورة حتى قرب منتصف القرن الأول الهجري عام ٤٠هـ ثم الخلافة الأموية بدمشق حتى نهاية الثلث الأول من القرن الثاني الهجري سنة ٢٦٠هـ أو الخلافة العباسية في بغداد وسامراء حتى منتصف القرن السابع الهجري ٦٥٦هـ أو الكيانات التي انخزلت عن الخلافة العباسية في القرن الثالث الهجري وما انبثق

عنها من كيانات بعد ذلك حتى نهاية الفترة موضع الدرس، فقد مرَّ بنا ما كانت عليه المنطقة في عهد الخلفاء الراشدين ورأينا ما كانت عليه في العهد الأموي وما قام بهذه المنطقة في ذلك العهد من الانتفاضات والحركات التي لم تلبث أن أخمدت وبقي تحت الرماد وميض نار، ولكن لقرب عهد الخلافة بدمشق من الحياة العربية الصميمة ولحضوة العنصر العربي بقربه من مركز القيادة التي يمسك بزمامها فإن هذه الحركات لا تفتأ أن تهدأ أو تخمد سواء بتطييب النفوس وتحقيق المطالب وسَلّ نوازع الصدور كما كان يفعل معاوية أو بالشدة والقمع كما فعل إبراهيم بن عربي الكناني عامل عبد الملك بن مروان وموطد سلطة الأمويين في هذه المنطقة حيث بقي فيها حتى سنة ١٢٥هـ ثم عاد اليها الاضطراب من جديد حين طمع الحنيفيون في نيل استقلالهم عن الخلافة الأموية، وجاءت فترة من الركود بعد ذلك حتى انتهت الخلافة الأموية وجاءت الخلافة العباسية قوية فتاكة في صدر القرن الثاني الهجري والى قرب نهايته حيث عم الهدوء والاستقرار في عهد الرشيد وما كاد زمام السلطة يخرج من يد العرب الى يد الفرس بعد مقتل الأمين واستيلاء المأمون على الخلافة حتى شعر العرب عموماً بخيبة الأمل وبالطبع على رأسهم العرب في الجزيرة العربية التي تعتبر هذه المنطقة قلبها النابض، فحصل اشمئزاز وتململ وترقب لسوء العاقبة بعد أن تبوأ سدة الخلافة أصحاب الميول الفارسية وأصبحت الحضوة لهم والكلمة والفصل بأيديهم دون العرب وبقي هذا الغليان يتفاعل داخليا الى أن جاء عنصر ثالث فنحى العنصر الفارسي وهو العنصر التركي الذي جاء في عهد المعتصم والمتوكل

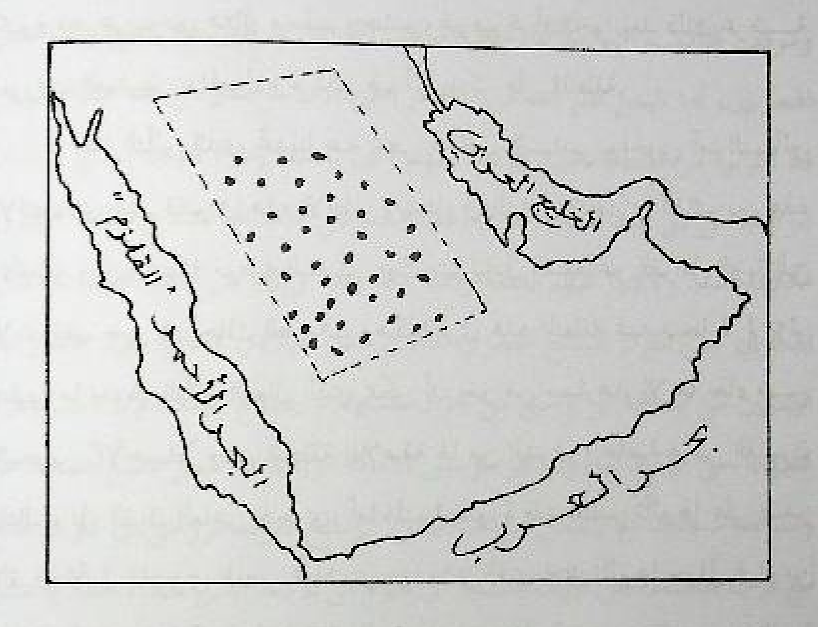
وطغى العنصر التركي على سدة الخلافة ونحى العنصر العربي الى أقصى دوائر الخلافة، بل وحورب بطريق غير مباشر عن طريق قطع الأعطيات أو عن طريق إبعاده عن المراكز الادارية أو الاهمال الذي عوملت به هذه المنطقة فكان ذلك بمنزلة شرارة الإنفجار التي فجرت الثورات في الجزيرة العربية من جديد سواء ما كان منها في المدن المقدسة مكة والمدينة أو ما مرَّ بنا في نجد ولم يلبث الاهمال أن أسدل ستاره مرة ثانية على هذه المنطقة من جديد بقية القرن الثالث الهجري مما أتاح الفرصة لكيانات صغيرة أن تبرز في المنطقة مثل الأخيضريين في اليمامة وبعدهم القرامطة في البحرين "الأحساء" الى الشرق من هذه المنطقة ومرَّ القرن الرابع ونصف القرن الخامس الهجري بصمت مطبق سوى ما تشير اليه المصادر من إشارات غامضة تتواتر أحياناً وتتضارب أحياناً أخرى عن القرامطة والأخيضريين أما الحجاز فهو يخضع اسميا تارة للفاطميين بمصر وأخرى للعباسيين في بغداد حسب قوة النفوذ وكثرة الامداد اما في هذا المظهر الخارجي أما من الداخل ففيه صراعات دامية على السلطة بين الأشراف أنفسهم في الوقت الذي ليس لهم كيان مستقل فهم مع من يدفع لهم أكثر ومن يرون سلطته أقوى إن كان العبيديون في مصر أو العباسيون في بغداد ولذلك فإن تأثيرهم على هذه المنطقة لا يكاد يذكرو استمر دورهم هكذا في عهد الدولة الأيوبية ثم المماليك حتى جاء العثمانيون في صدر القرن العاشر هجري عند ذلك استقر وضعهم وارتفعت معنويتهم وبدءوا يخرجون من صدفهم ويحاولون التحرش بهذه المنطقة الواقعة الى الشرق عنهم كما رأينا ذلك في محله، وفي

الأحساء جاء العيونيون بعد القرامطة ثم تبعهم العصفوريون والجروانيون ثم الجبريون وكان أثرهم على هذه المنطقة حسبما ورد في المصادر المتوفرة بين أيدينا حتى الآن متأرجح بين الهدوء التام وموقف المسالم وبين الحركة والتحرش، وموقف التأديب كما مرَّ بنا خاصة موقف الجبريين في القرنين التاسع والعاشر الهجريين، أما اليمن فلم نجد من المصادر حتى الآن ما يشير الي أن حكام اليمن قد اقتربوا من المنطقة حيث يوجد بينهم وبين المنطقة إمارة نجران التي كان امراؤها من بني عبد المدان أخوال الخليفة العباسي عبد الله السفاح ولما تولى الخلافة أسند ولايتها اليهم بصفة رسمية وقد ظلوا ولاتها من صدر القرن الثاني الهجري حتى القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي فحالوا دون اقتراب اليمنيين من المنطقة بل وحتى من نجران نفسها لم يستطع اليمنيون السيطرة عليها، حتى الإمام الهادي وهو مؤسس الامامة الزيدية في اليمن مع صلاحه وتقواه وشجاعته لم يتمكن من امتلاك ولا ترسيخ نفوذه الروحي في نجران هذه مع قرب عاصمته من نجران بالنسبة الي غيره من الأئمة الذين اقتفوه لهذا لم نر أي تأثير لليمن على نفس المنطقة حتى القرن السابع الهجري وبعد ذلك لم نر حتى الآن مصدراً يشير الي أية علاقة لهم بهذه المنطقة ومع أن الهمداني قد أشار اليها بكتاب الجوهرتين إلا أنه اعتمد في ذلك على مما كتب عنها، وحال عمان لا تقل عن حال اليمن من حيث التأثير حيث لم تظهر فيها سلطة قوية تمكنها من ذلك وإنما ظهرت فيها إمارة الجلندى لكنها لم تكن من القوة بحيث تؤثر على هذه المنطقة سلباً أو إيجاباً، بل إنها بقيت في موضعها دون تأثير، أما الشام

وكان لها أثر واضح في عهد الخلافة الأموية كما أسلفنا وبعد انتقال السلطة الي العراق فقد كل تأثير لها على المنطقة بل عكس من ذلك فقد كانت ميدانا لهجمات القرامطة الذين هاجموها في صدر القرن الخامس الهجري ومعهم أعداد كبيرة من عرب بني هلال وسليم وجشم وغيرهم ثم أصبحوا بعد ذلك عرضة لغزوات الصليبيين والمغول ولم يكن لهم أثر يذكر على المنطقة.

هذا التأثير الذي تحدثنا عنه يخص الجانب السياسي والحربي أما التأثير الاقتصادي فهو قائم في هذه الاقطار ويتمثل في التبادل التجاري القائم بين هذه الأقطار وبين المنطقة موضع البحث حيث يتم تبادل السلع عبر القوافل البرية التي لا تتوقف حتى في أحلك الظروف وهكذا نرى هذه المنطقة شبه منحازة لم يؤثر عليها ما حولها التأثير الفعال الذي يمكن أن يغير من مسارها، إلا ما جاء من البحرين "الأحساء" وهي المنطقة الملاصقة لها من الشرق وخاصة من القرن الثالث الي القرن العاشر الهجري، أما المدينة المنورة فقد اقتصر تأثيرها على صدر القرن الأول الهجري العصر الراشدي، ودمشق الذي امتد تأثيرها حوالي قرن من الزمان أما بغداد فكان تأثيرها الفعال قد امتد حوالي قرنين من الزمن وبنهاية القرن الثالث الهجري كانت التأثيرات الخارجية البعيدة قد انتهت وبدأت التأثيرات القريبة التي لازمتها طيلة تلك القرون السبعة والى أن نعثر على ما يكشف لنا عن تلك الفترة الغامضة من تاريخ المنطقة يمكننا القول أنها كانت تعيش في أوضاع منعزلة عن بقية أقطار الوطن العربي والاسلامي، وكلنا أمل أن نجد ما يكشف لنا عن هذا الغموض في زمن لاحق ليس بالبعيد.

شكل رقم (٦)



مخطط تقريبي للمنطقة يبين مواقع أماكن التعدين وتفصيل ذلك فيما يلي

٣- التعدين و المعادن :

في مقال للشيخ حمد بن محمد الجاسر نشر في جريدة الجزيرة بعددها ٢٧٥٧ في ٣٢٩/ ٣/ ١٤٠٠هـ ١٦/ ٢/ ١١٧٠٠م بعنوان "نحن نمشي على أرض من الذهب" وفي كتاب أصدره قسم المعادن بوزارة النفط والثروة المعدنية ورد فيه نحواً من ١٦٥ معدنا، وقد اعتمد الشيخ حمد الجاسر على عدد من المراجع التي تعنى بهذا الموضوع وقد احتوى هذا المقال على ٤٥ معدنا منها ٣١ معدنا في هذه المنطقة وما يجاورها من الجنوب الغربي وقد ارتفع هذا العدد بعد صدور كتاب الجوهرتين الي ٤٠ معدناً أي بنسبة حوالي ٨٩% منها في منطقة نجد ومن معادن الذهب والفضة المعروفة قديماً ما يلي:

١- معدنُ أبْرَقِ خِتْرِبْ: جاء في "معجم ما استعجم" للبكري في الكلام عن حمى ضرية مما نقله عن الهجري: وإن لم يصرح بذلك قوله: "وقد دخل في الحمى من مياه بني عبس ستة أمواه، مجج، والبئر وهي واسعة الجوف الي جوف أبرق خترب، وكان بأبرق خترب معدن فضة رغيب واسع النيل وماء يقال له الفروع" ومنازل تقع في الطرف الغربي من القصيم ومعدن خترب يسمى الآن "ختارق" غرب أبان الأحمر من رمل "عريق الدسم" وقد تكون رمال النفود قد طمست آثار التعدين.

٢- معدن الأحْسَن: وهو من أشهر المعادن قال الأصفهاني في ذكر معادن اليمامة: "ومعدن الأحسن معدن ذهب لبني كلاب وبينه وبين العيصان

مسيرة ليلتين أو ثلاث وبينه وبين ضرية ليلتان وهو من عمل المدينة أدنى عمل المدينة الى اليمامة.

٣- معدن البَقَرَة: قال نصر: وعنه نقل ياقوت "البقرة ماءة بالجوائب عن يمينه لبني كعب بن عبد الله من بني كلاب وعندها المردة وبها معدن ذهب، وهذا المعدن لا يزال معروفاً في الطرف الشمالي من النفود المعروف الآن بأسم "عرق سبيع" وقديماً رملة بني عبد الله ويقع شرق ظلم وجنوب سجا المعروف.

٤- مَعْدَنُ بَنَاتِ حَرْب: نقل الهمداني من أرجوزة الرداعي التي وصف فيها طريق اليمن الى مكة:

تـؤم هرجـاب بسـير معجـل   الى بنـات حـرب لم تعـدل

ويقع هذا المعدن على مقربة من بيشة في شرقيها، ولا تزال آثار التعدين فيه بارزة.

٥- معدن البِثْر: ذكره الاصفهاني وياقوت، وفي كتاب الاسكندر: "وفوق ذي العشيرة مبهل الأجرد واد لبني عبد الله بن غطفان وفوق مبهل معدن البثر، وهو معدن قريب من بثر بني بريكة من بني عبد الله من غطفان" ومبهل الأجرد يدعى الآن "المحلاني" وسيلة يفيض في وادي الرمة، وآثار التعدين بارزة غرب وادي المحلاني ويدعى موضع المعدن "عماير المعدن" وهو في منطقة القصيم.

٦- معدن بِيْشَة: قال الهمداني بعد ذكر معدن الهجيرة: "ولا شك أن بلاد بيشة مثله في وضوحه التبر للجوار، ولم يعمل معدن بيشة في عصرنا، وله مذ انقطع عمله" وقال بعد أن أورد من أرجوزة الرداعي:

بجاد ثـور ضـمَّراً سـهوما   يجشمن منها المعدن المجشوما

قال: بجاد ثور معدن بيشة بعطان: معدن الذهب، وآثار معدن الذهب آثر هذا المعدن لا تزال شاهدة، وموقعه شرق بيشة يميل نحو الشمال.

٧- معدن تُرَبَةْ: يظهر من كلام المتقدمين أن بقرب تربة معادن، فنصر يقول في كتابه: العمرين معدن بتربة وياقوت وهو يعول على نصر يقول: العمرين علم لمعدن تربة، والبكري يقول: المعمل موضع في تربة، وهو المعدن الذي يعمل فيه هناك، والزمخشري وهو يعدد القرى التي من أعلى وادي تربة من اليمن ونجد أورد اسم المعدن، ويوجد في وادي تربة في الجنوب الغربي من تربة وفي شرق هذا المعدن في طرف الحرة المعروفة الآن باسم "حرة البقوم" قديماً حرة "ليلى" في طرفها الشمالي الغربي آثار التعدين، ويوجد في أعلى الوادي بيده "أبيدة" قديماً معدن قديم يعرف الآن باسم "السُّوط" وهناك معدن الذي يلتقي "أم الدُّمار" ويدعى العقيق، وهو أي العقيق من روافد وادي تربة، يعرف قديماً باسم العقيق اليماني كما توجد آثار أخرى للتعدين في الجبال والحرار الواقعة بقرب هذا الوادي غير ما تقدم ذكره.

٨- معدن تُيَاس: وتياس جنوب عرض القويعية "عرض شمام" قديماً وهو الذي فيه المعدن ويقع بقرب رمل السرة المعروف.

٩- معدن ثَنِيَّةِ ابْنِ عِصَام: ذكر الهمداني في كتابيه: الجوهرتين وصفة جزيرة العرب، من معادن الذهب في نجد معدن ثنية حصن ابن عصام الباهلي حاجب الملك النعمان بن المنذر الذي قال فيه النابغة بيته المشهور.

نفس عصام سوّدت عصاماً وعلّمته الكرّ والأقداما

وفيه المثل العربي القدم "كن عصامياً ولا تكن عظامياً" وهذا المعدن يقع بقرب القويعية القويع المعروف الآن وتكثر المعادن بتلك الجهة التي لا تزال آثارها باقية حتى الآن وهي في القدم من بلاد باهله.

١٠- معدن الحسن: قال الهمداني في صفة جزيرة العرب: وفي رأس العيري سواج، والأحرج وبطن الجريب، وهضب القليب والحفير، حفير الضبيب ومعدن الحسن، وقال في ذكر معادن اليمامة التي توطنتها عقيل بن كعب في عهده "معدن الحسن، والحسن قرن أسود مليح وهو معدن غزير "وقال في كتاب الجوهرتين ومنها معدن الحسن قرن أسود مليح وهو غزير ويعد من معادن اليمامة" ويقع في عالية نجد غرب النير، وقد طبق الشيخ سعد بن جنيدل كثيراً من نصوص المتقدمين على المواضع الواقعة بقرب منهل "عطية" في بلاد العصمة التابعة لإمارة الدوادمي فخرج بنتيجة أن معدن الحسن "الأحسن" معدن الكوكبة في تلك الجهة وآثار التعدين هناك كثيرة منتشرة في تلك الجهات.

١١- معدن الحُفَيْر: وذكر الهمداني من معادن اليمامة في الديار التي توطنتها بنو عقيل بن كعب في عهده:"معدن الحفير بناحية عماية وهو معدن ذهب غزير" وبلاد عقيل هؤلاء بلاد بيشة وجهاتها في نواحي ما يعرف الآن

باسم "وادي الدواسر" الذي يعرف قديماً بعقيق بني عقيل وعقيق تمرة، وينبغي التفريق بين هذا المعدن وبين معدن الحفيرة الآتي ذكره، إن معدن الحفير هذا على ما ذكره الهمداني يقع بناحية عماية، وعماية هذه تعرف الآن باسم "الحصاة" وهما حصاتان حصاة قحطان، وحصاة "ابن حويل" وهو من قحطان وفي جبل حصاة ابن حويل توجد آثار معدن لا يستبعد أن يكون هو معدن الحفير قديماً.

١٢- معدن الحُفَيْرَة: ويوجد معدن يسمى الحفيرة وهو معدن قديم ولكنه يبعد عن عماية بمسافة طويلة حيث يقع على الخط ٢٢،٣٥° و ٤٢،٢٠° أي أنه يقع غرباً عن عماية بمسافة بعيدة ثم أن اسم الحُفَيْرة بتشديد الياء وكسرها من الأسماء المشتركة التي هي الى الأوصاف أقرب منها الى الأعلام.

١٣- معدن حِلّيت: حيث جاء وصفه عند الهجري "جبل عظيم ليس في غربة أعظم منه إلاّ شعبي، وهو جبل أسود في أرض الضباب بعيد ما بينه و بين معدن الطرفين، كثير معادن التبر، كان به معدن يدعى النجادي وكان رجل يدعى نجاد بن موسى بن سعد بن أبي وقاص سمي به ولا يعلم في الأرض معدن أكثر منه نيلاً، لقد أثاره والذهب غال في الآفاق كلها فأرخص الذهب بالعراق والحجاز ثم تغير وقل نيله، وقد عمله بنو نجاد دهراً قوم بعد قوم" والهجري عاش في القرن الرابع الهجري.

ويقع جبل حليت الذي لا يزال معروفاً جنوب إمرة في الجنوب الغربي من بلدة دخنة الواقعة جنوب الرس بالقصيم.

١٤- خزبات دوٌ أو خزبة وخزيبة: وعلى ما يفهم من كلام المتقدمين يقع بين عمايتين والعقيق "حصاة قحطان وحصاة ابن حويل" و "وادي الدواسر" وأقرب وصف ينطبق على هذا المكان ما يعرف الآن باسم "شماس الجنوبي وشماس الشمالي" وفي هذين المكانين المتجاورين تبرز آثار التعدين ويقعان شرق "حرة البقوم" وغرب "الخصاتين" وهناك آثار معدنين يقعان في الشمال الغربي من وادي الدواسر ينطبق عليهما وصف المتقدمين يدعى أحد الموضعين "الريانة" عقيق بني "الريانة" ويقع غرب نقطة التقاء وادي تثليث بوادي الدواسر "عقيق بني عقيل" والموضع الثاني يدعى "دحلات شباب" ويقع غرب الموضع الأول بميل نحو الشمال، كما يوجد عند مفيض أودية رنية وبيشة في طرف الرمل الغربي من "عرق سبيع" بمكان يسمى في المصور الجغرافي "أم مطيرة" ويغلب على الظن أن هذا الموضع يقرب من موقع معدن خزبة وهذا الموضع يقع في الشمال الغربي من الموضعين المتقدمين وكل المواضع المذكورة فيها آثار التعدين، ولا يبعد أن تكون خزبة مطمورة في تلك الرمال التي في تلك الجهة.

١٥- معدن خَصْلَة: قال في كتاب "بلاد العرب" وأسفل ثادق لعبس وأعلاه لأسد، لأفنائهم ومن مياه ثادق النحيلة وخصلة وبها سميت خصلة معدن حذاؤها كان به ذهب وخصلة لبني أعيا" ووادي ثادق لا يزال معروفاً ولكنه يقع غرب صبيخ "صبيخ" الآن ينحدر وادي ثادق من جبل يدعى الآن السلسلة وطرفه الشرقي الجنوبي يدعى الحظر، ويسمى أعلى ثادق "وادي مراغان" وهي تسمية حديثة وفي الطرف الجنوبي من جبل الحظر على ضفة الوادي الشمالية

بلدة الفوارة، توجد آثار التعدين ونرى أن هذا هو آثار معدن خصلة ...، على أن اسم خصلة لا يزال معروفاً في تلك الجهة، وهو جبل أسود ... يقع جنوب "الموشم" القنان سابقاً في منطقة القصيم.

١٦- معدن الزُّهْلُول "الذهلول": قال نصر "الزهلول جبل أسود ... له معدن يقال له معدن الشجرتين وماؤه الردان وماؤه ملح كثير ..." وقد ورد عند ياقوت بالذال بدل الزاي قال الشاعر:

... جبل الذُّهلول لاح كأنه — من البعد زنجي عليه جوالق

وجبل الزُّهلول لا يزال معروفاً آكام فيها منهل يدعى زهلولة شمال بلدة ... سكة بالقصيم.

١٧- معدن السُّوْد: نقل ياقوت عن ابن أبي حفصة اليمامي: "سود باهلة بلدة ومعادن باليمامة" وذكر ياقوت أنه يسمى سود شمام، والواقع أن سود باهلة يسمى سواد باهلة أيضاً بلاد واسعة مما يطلق عليه الآن اسم العرض "عرض القويعية" وشمام ويسمى الآن إبني شمام بلد يقع في تلك الجهة شمال بلدة ... يشاهد منها رأي العين وهو جبل له رأسان والسود فيه معادن كثيرة ... شمام وغيره في عالية نجد ولا تزال آثار التعدين بارزة في مواضع كثيرة ...ها.

... **أُم هِيشة:** في شمال العرض جبل أسود يقابل جبل الضبعة من الجنوب الشرقي فيه منجم حديد شمال مدينة القويعية.

... **الخُنَيْفِيّة:** في أعلى وادي الحرملية في شمال شرقي العرض شمال القويعية.

٣- القَصْقَاصُ: منجم في جبل أشقر بين وادي عنـان الحجـاجي جنـوب القويعية.

٤- قُسَاسْ: "وينطق خطأ" "دساس" جبل أسود جنوب القويعية منجم حديد.

٥- قَرْنُ وِعْلَة: جبل أسود عال في الجنوب الشرقي من قساس "قـرن ظـبي قديماً".

٦- الفَرْعْ: جنوب بلدة القويع في الجنوب الغربي من القويعية.

٧- أمُّ الشَّلاهِيبْ: جبل فيه منجم بين الفرع والأمار غرب القويعية.

٨- الأمار: جبل أسود فيه مناجم قديمة وفي عمل جاد في هذا العهد في المعادن وهو غرب القويعية.

٩- أمُّ المَسَاجِيْق: منجم في اعلي القويع في أعلى القويعية.

١٠- جَبَلُ العُتَيْبِي: جبل أحمر فيه وفيما حوله معادن يقع غرب القويعية.

١١- رِبْعُ الفُقَيْسَة: "ربع العتيبـي" في أعلى وادي مخيرقة غرب القويعية فيـه معادن.

١٢- أبا الرُّحِيْ: معادن في أعلى وادي أبا الرحي "العوسجة قـديماً" غـرب القويعية.

١٣- الرُّضَيْمَةُ: تصغير رضمة. جبل أشقر على ضفة وادي الخنقـة الجنوبيـة غرب القويعية فيه معادن.

١٤- حِجْلانُ: جبل أسود كبير بين وادي الثنية ووادي عروا غرب القويعيـة فيه معادن.

١- **الشَّهْبَاءُ:** حشاش بين وادي عروا ووادي الثنية غرب القويعيـة فيهـا

بن.

١- **العَوْشَزِيَّةُ:** في أعلاها تعدين شمال أبا الرحي غرب القويعية "العوسـجة

ياً.

١- **أم الشُّطَنْ:** جبل جنوب الأمار غرب القويعية "الشطون قـديماً" فيـه

ادن.

١- **معدن شَمَام:** قال الهمداني: "تسمية معادن ومنها معدن شمـام الفضـة

يمق من أرض نجد وشمام بلدة عظيمة" وقال أيضاً "شمام معدن فضة ومعـدن

س ويقع في عالية نجد".

١- **معدن الضُّبَيْبْ:** قال الهمداني: معدن الضبيب في عالية نجد عـن يسـار

ف القليب، وهضب القليب قال عنه الهمداني: ونظهر النير بينه وبين الجنوب

ن العبرى وفي رأس العبرى سواج والهضب، هضب القليب والخفير، حفـير

ضبيب، ومن معادن نجد الذهبية معدن الضبيب، ويفهم من كـلام الهمداني

علاه أنه يقع في عالية نجد غرب جبل النير المعروف كما يفهم منه أنه يعـرف

نحو الضبيب، وآثار المعادن الواقعة بقرب النير فيما بينه وبين سواج المردمـة

كثيرة، ويلاحظ التفريق بين سواج هذا وسواج الواقع شرق ضرية، ويقع المعدن

ا عالية نجد.

١- **معدن العقيق:** "عقيق عقيل" يطلق هذا الأسم عقيق بني عقيل بالنسـبة

لك القبيلة ويسمى عقيق تمرة نسبة الي بلدة تقع في أسفله لا تزال معروفة وهو

ما يعرف الآن بوادي الدواسر وكان هذا الوادي يعرف بعقيق جـرم، وقـال العقيق عقيقان الأعلى للمتفق وفيه معدن صعاد على يوم أو يومين، وهو أغزر معدن في جزيرة العرب، وهو الذي ذكره النبي ﷺ "مطرت أرض عقيل ذهباً" والأسفل لطيء" وإذا أمكن الاستدلال بآثار التعدين فإن أقرب موقع ينطبق عليه هذا التعدين هو ما يعرف الآن بالرَّبَّانِيَّة وهو معدن معروف يقع شرق معـدن دحلات شباب الذي لا يستبعد أن تكون الرمال أخفت كثيراً من معالم المعدن واطلاله، ويقع في وادي الدواسر بعالية نجد.

٢١- عقيق المَحَجَّة: ذكر الهمداني معدن عقيق المحجة قائلاً "ومعدن العقيـق معدن المحجة بين عمق وبين أفيعية" ويقع معدن عقيق المحجة الذي عرفت آثاره في طرف كشب من الناحية الشمالية وفي طرف الهضب المعروف قديماً باسـم "شرورا" وحديثاً باسم هضب الشرار أو شرار في شرق وادي العقيق، وتقع بئر الجريسية في الجنوب الغربي منه، وجبل صائد أصواب في الشمال الغربي منه.

٢٢- معدن العقيق أيضاً: وهناك عقيق ثالث يقع جنوب تربة، وهـو أعلـى واديها أعلاه بلدة بيده "أبيدة" قديماً في أعلى هذا الوادي آثار معدن قديم جهل إسمه فعرف باسم "أم الدمار" لما برز من آثار العمل هناك.

٢٣- معدن ذي العوسج: قال صاحب بلاد العرب وهو يذكر بلاد بني وبـر بن الأضبط: "ولهم ذو العوسج ماء كان أوله معدناً" ويفهم من هذا التحديد أنها ما بين الجريب "الجرير" الآن الي شعر الي شعبا الي الجديلة على طريق حجـاج اليمامة وقد يصلون الي سجا، ومفهوم هذا التحديد أن بلادهم تقع غرب ضرية

[أ]قرب سجا، وإذن فهذا المعدن يقع فيما بين سجا وجبـل شـعر في تلـك [الن]واحي وهناك آثار معادن كثيرة.

[٢٤]- معدن العِيْصَان: قال نصر الأسكندري: "العيصان ناحية بينها وبين حجر [ثلاث]ة أيام من عمل اليمامة بها معدن لبني نمير" إن أقرب مكان تنطبـق عليـه [أوص]اف هذا المعدن هو الدوادمي الذي أصبح الآن مدينة متوسطة ويقع بقربـه [آث]ار معادن كثيرة منها معدن يقع بجنوبه في موضع يدعى "السُمْرا" ولا يـزال [اس]م العويصى يطلق على الدوادمي ويعتزى أهله بقـولهم: "أولاد العويصـي" [و]كثر الحفر التي كانت تستعمل للتنقيب عن المعادن قديماً ويسميها أهل تلـك [الناح]ية الآن القفور الواحد قفر. والدوادمي مدينة تقع في عالية نجد.

[٢٥]- معدن عَيْهَم: ذكر صاحب كتاب "بلاد لعرب" وهو يتحدث عن بـلاد [مح]ارب "وذو جوفر واد، وعيهم معدن والراشدية ماء" قال جـابر بـن حـنى [الت]غلبي:

[ت]لات بها بالصـيْف ثم تـذكَّرتْ مصائرها بـين الجـواء فعيـهم

[و]قال النابغة الجعدي:

[و]سكنها بين الغروب الى اللّـوى الى شعب ترعـى بهـنّ فعيـهم

وذكر ياقوت أن عيهم جبل بنجد على طريق اليمامة الي مكة وحـزم [ال]بكري أنه ديار غطفان. ويفهم من هذه الأقوال أن عيهم يقع في عالية نجـد، [و]لعل أعدل الأقوال ما ذكره صاحب بلاد العرب أنـه في بـلاد محـارب وفي [ب]لادهم ويفهم من كلامه أنه يقع في أعلى وادي الجريب "الجرير" الآن ويرشح

الشيخ محمد العبودي أن عيهم ما يعرف الآن باسم العيثمية وهي هضبة بقربها ماء تقع الي لجنوب الغربي من النقرة على بعد نحو ثلاثين كيلاً ترى الهضبة من طريق المدينة بعد اجتياز النقرة ٢٥ كيلاً وهناك آثار تعدين قديم وهي في أعلى بلاد القصيم.

٢٦- معدن الكَوْكَبَة: من معادن اليمامة الكوكبة من وراء العيصان على مسيرة يوم وليلة وهي على رأس جبل كان منصوباً فيه باب،وإنما سميت الكوكبة لأن رجلاً مر فإذا هو بفضة شبه الكوكبة فحفروها فانشعبوا فيها حتى يدخل فيها نحو مئة رجل من مدخل واحد فينشق كل منهم في معمل لا يراه صاحبه وهي لنمير وهي متاخمة لأرض بني كلاب" هذا كلام مؤلف كتاب بلاد العرب.

٢٧- معدن ماوان: هذا المعدن من أشهر المعادن المعروفة القديمة، واسم ماوان يطلق على منهل لا يزال معروفاً وجبل يسمى بهذا الاسم، وقد جاء بكتاب نصر وعنه نقل صاحب معجم البلدان "شعر جبل ضخم لبني سليم يشرف على معدن الماوان قبل الربذة بأميال لمن كان مصعداً" وهناك بقرب ماوان معدنان قديمان، أحدهما يقع شرق جبل ماوان بنحو عشرة أكيال في شمال شرق بلغة بنحو عشرين كيلاً، ويدعى موضعه "أم زرب" والثاني يقع شمال الجبل. وقد عرف هذا المعدن بآثاره القديمة ويقع غرب الجبل المعروف بهذا الاسم "ماوان" وشرق منهل يدعى "عرجا" في أقصى جنوب منطقة القصيم الإدارية.

-معدن المُزْبِدَة: قال صاحب بلاد العرب "وعن يسار حرة النار فيما بينها ... المدينة جبال يقال لها السخل بها معدن يقال لها المزبدة يسكنه قوم من بني ... وبشرق جبال السخل صحراء برية طيبة التراب يقال لها الحبل لغطفان ... وحرة النار الآن تعرف بأسم حرة خيبر أو حرة بني رشيد حرة خيبر ... بلاد خيبر تقع في وسطها وحرة بني رشيد لأن سكانها الآن منهم، والجبال ... غرب هذه الحرة تكثر فيها المعادن التي لا تزال آثارها ظاهرة.

-معدن مُوَزَّر:قال ياقوت مُوَزَّر بالضم وتشديد الزاي والراء فكأنه من فعل ... معدن الذهب بالقرب من ضرية في ديار بني كلاب قال ابن مقبل: أو نحل ...وذكر صاحب "بلاد العرب" أن موزر من مياه بني الأضبط، وأن جبلة ... حذاء الطريق شرقية لبني أبي بكر وغربية لبني الأضبط وموزر لا يزال ...وفاً سلسلة أكام فيها منهل بهذا الاسم، ويقربها حمة سوداء فيها آثار تعدين ... بلاد "بني عبد الله من مطير" تقع الي الجنوب الغربي من قرية زرب بنحو ... كيلاً وهي في عالية نجد.

-معدن النُّقْرَة: هذا المعدن من أشهر معادن بلاد العرب ويفهم من كلام ... أن اسم النقرة يطلق على موضعين والأمر كذلك، فالنقرتان لا تزالان ...وفين وآثار المعادن لا تزال باقية وموقعه لا يزال معروفاً الآن، وهو يقع ... المنهل المعروف بهذا الاسم في الشمال منه، ويقع شمال معدن جبل ماوان ... الجبل شرق وادي النقرة، ووادي النقرة يجتمع مع وادي الرمة غرب جبل ... وما بقربها من الجبال في أعالي بلاد القصيم.

٣١- مَعْدَنُ الهَجِيْرَةَ: قال الهمداني: "وأما معادن نجد الذهبية فأوفها معدن الهجورة وأصح ما يأتي رطله بالعيار العلوي ثمانية وتسعين وأقل" وهذا المعدن لا تزال آثاره باقية على خط الطول ٥-/ ١٩° تقريباً وخط العرض ٤٠-/ ٤٢° تقريباً.

هذا ملخص ما جاء في المقال بالإضافة الى ما جاء بكتاب "الجوهرتين" الذي صدر مؤخراً منها.

٣٢- معدن النُّمَيْرَة: وهي لبني أبي بكر بن كلاب، ومن كلام المتقدمين يدل على موضع المعدن من حمى ضرية حيث ذكر قرب حزم النميرة من حزم العيصان وهو الدوادمي.

٣٣- معدن الشُّبَيْكَة: قال صاحب بلاد العرب في ذكر بلاد قشير: ولهم جبل يقال له بتران، وهو قريب من معدن يقال له الشبيكة من معادن اليمامة بين الحفيرة والعوسجة، ويفهم من هذا الوصف أن هذا المعدن يقع في طرف العرض الشرقي – عرض القويعية وهناك مكان يعرف باسم الحفيْرة وهو الآن بلدة للدعاجين من فروع قبيلة برقا من عتيبة تقع شرق الدوادمي شمال جبل ماسل الجمح، أما جبل بتران الواقع بقرب معدن الشبيكة فإنه لا يزال معروفاً باسمه وهو في شرق العرض غرب بلدة الرين "الريب قديماً" بنحو ثلاثين كيلاً وبهذا يتضح موقع المعدن. في عالية نجد.

٣٤- معدن العَبْلَاءَ: "العبلة" قال ياقوت: العبلاء معدن الصفر في بلاد قيس. وفي غرب نجد جنوب تبالة غير بعيد موضع يطلق عليه اسم "العبلة، فيه آثار تعدين

...حيث عرف أثناء التنقيب في هذا العهد باسم "منجم عبلة" وهذا واقع في ...وادي رنية في علية نجد.

...معدن عَرَاقِيْب: في كتاب "بلاد العرب" هضب المعا: وهي جبال حليت ...جبل عراقيب، وعراقيب معدن وبلدة ضخمة قال الشاعر:

...لمحت بالريح فطاحت شاني   الي عراقيب المعرقات

ويفهم من كلام المتقدمين حينما حددوا بلاد الضباب أنه يقع شرقي ...بالقرب من جبل حليت الذي سبق ذكره عند الكلام على معدنه ويوجد ...كبيرة فيما بينهما وبين شبيرمة وفي الجنوب الشرقي من بلدة سلام آثار ...لا يبعد أن تكون آثار ذلك المعدن. "ويقع في منطقة القصيم".

...- مَعْدَنُ العَوْسَجَةُ: قال في كتاب "بلاد العرب" وعن يسارك إذا كنت ...في الحلباء مياه لباهلة، من السود وعلى تلك المياه نخيل منها مريفق، وجزالاء، ...والعوسجة وهي معدن بها تجار ونخيل، وقال الصاغاني في "التكملة" ...بلاد باهلة معدن من معادن الفضة يقال له العوسجة، وقال ياقوت عن أبي ...: في بلاد باهلة من معادن الفضة يقال له العوسجة، وفي صفة جزيرة ...: الفرع واد يصب في بطن السرداح وبين شط السرداح وبين النهاد ...يقال له الملاطيط وفي فرعه الثنية ثنية سواد باهلة، وعن يمينه من دون ...ماء يقال له الغبراء وبلدة عظيمة يقال لها العوسجة وهي معدن.

ومعدن العوسجة هذا يسمى "العوشزية" في إقليم عرض القويعية المعروفة ...بعرض شمام" وباسم "سواد باهلة" ويقع هذا المعدن شرق هجرة "حلبان"

وجنوب بلدة "محيرقة" يدعه طريق المتجه من صبحا "يذبل قديماً" الي القويعية على يمينه ويقع شمال معدن قساس "دساس" في "عالية نجد".

٣٧- مَعْدَنُ القُرَشي: زعم عبيد بن القاسم عن إبراهيم بن إسحاق أن محمد بن يوسف الجعفري كان ابتاع حوانيت من حوانيت النقرة، وكان المسيب بن سليمان المخزومي ساكناً بها، وكان له به ملك فخشي أن يغلبه محمد بن يوسف فتقرب لعمر بن فرج "الرخجي" (المسئول عن طرق الحج في العصر العباسي) حتى أذن له في ابتناء المعدن فابتناه في أيام الواثق فهو المنزل اليوم ولم يزل المسيب بن سليمان مقيماً به حتى قتله أحمد بن حسن العلوي وخرب الحصن سنة "٢٧٣هـ".

ويسمى معدن القرشي الآن "المصينع" تصغير مصنع ويقع الي الشمال من النقرة على بعد حوالي خمسة أكيال وتشاهد آثار التعدين والعمران بارزة هناك "منطقة القصيم".

٣٨- معدن القَشْراء: في "بلاد العرب" ومن مياههم المؤخرة وهي معدن ذهب وجزع أبيض وحلبه النخب ومن أعلام بلادهم القشراء معدن ذهب وكلا المعدنين كانا سوقاً ومن مياههم السخيبرة.

والسخيبرة "الصخيبرة الشمالية" تقع الي الجنوب من النقرة بنحو ٦٠ كيلاً وقدر بأن المعدن في الموضعين "صخيبرة الشرقية والشمالية" يحوي نحو ٨٠٠٠٠٠ طن من المادة التي يوجد فيها الذهب بنسبة ثمانية جرامات في كل طن وأطلق على هذا المعدن أخيراً اسم "الصخيبرات" بمنطقة القصيم.

-معدن النُّقَيْب: وعد صاحب بلاد العرب من مياه قبيلة محارب النقيب ...أوله معدناً وآخره بئراً، نبطت ماء عذباً ومن مياههم الصلصلة والنقيب، ...لغباوة وقرن التوباد جبل الي جنب الغباوة، ثم ذكر ذا جوفر وغيهم.

ويفهم من صاحب بلاد العرب، إن ذكر التوباد والراشدية قرب معدن ...ب منهما، والتوباد لا يزال معروفاً: وهو جبيل في آكام سود واقعة في ...ب الشرقي من هجرة "الحسو" حسو عليا "ذو حسا" قديماً، والراشدية ...رة الآن بأسم رشيدة جنوب قرية "تَرْب" بنحو ستين كيلاً.

...- معدن الهَرْدة: جاء في كتاب نصر: النقرة ماءة بالجواب عن يمينه لبني ...ب بن عبد من بني كلاب وعندها الهردة وبها معدن ذهب، وكذا في معجم ...لدان.

أما تحديد موقع هذا المعدن على ما ظهر لي "حمد الجاسر" فهو قريب من ...ل النقرة الذي تقدم ذكر معدنه ويضاف الي ما تقدم أن في الطرف الشمالي ...ود المعروف باسم "عروق سبيع" توجد آثار معدنين أحدهما يقع مجاوراً لمنهل ...لة شرق جبل يدعى "سفوة" ويقع الثاني جنوب الموضع الأول في حد طرف ...ود "عرق سبيع" ويغلب على الظن أن الأول منهما هو ما يدعى قديماً بمعدن ...ردة.

بالإضافة الي معدن الحديد في قُسَاس بعالية نجد "دساس" في جبل لبني ...والذي تنسب السيوف القساسية اليه قال الرجز يصف فاساً:

...خرمن معدن ذي قساس كأنه في الحيد ذي الأضراس

يرمى به في البدل الدهاس

وقال أبو طالب بن عبد المطلب:

فلسنا ورب البيت نسلم أحمداً لعزاء من ريب الزمان ولا كرب

ولما تبن منا ومنكم سوالف وأيد أترت بالقساسية الشهب

وقال جران العود النميري:

تذكرنا أيامنا بسويقة وهضب قساس والتذكر يسعف

ومعادن النحاس والزمرد والبرم وغيرها مما يحتاج حصره الي مجال أوسع ومن يرد تفاصيل ذلك ففي كتاب الجوهرتين للحسن الهمداني إعداد وشرح وإضافة الشيخ حمد الجاسر ما قد يروي غلته، وفي مصدر آخر أنه حصلت نزاعات وحروب على المعادن النجدية بين القبائل العربية المضرية والربعية على معادن الحسن والأحسن والحقير والضبيب وغيرها لامتلاك تلك المعادن واستغلالها كماأنه حصلت عدة هجرات من القبائل العربية من ربيعة ومضر وإلى العلاقي بالذات أولاها عندما داهم محمد بن يوسف الأخيضر نجداً عام ٢٣٨هـ وثانيها عندما استقر له الأمر فيها ٢٥٣هـ وثالثها عام ٢٥٥هـ وكل هذه الموجات من الهجرات جاءت بضغط من الأخيضريين على بعض القبائل العربية بالإضافة إلى تشجيع الخلفاء العباسيين لهذه الهجرات والاستقرار في العلاقي وذلك للاستعانة بهم في صد غزوات قبائل البجة الافريقية وقد وافق ذلك هوى في نفوسهم للاستقرار في العلاقي لأن فيها مواطن للتعدين في مناجم

الذهب وقبائل ربيعة ومضر لهم معرفة بالتعدين اكتسبوها من سابق خبرتهم في المعادن النجدية وطبقوها في العلاقي بمصر.

٢٥- المهن التي يزاولها السكان:

يمارس سكان هذه المنطقة كغيرهم عدداً من المهن التي تفي بمتطلباتهم الحياتية وقوام المصالح المشتركة بينهم، وأكثر هذه المهن ما تمليه عليهم ضرورة الحياة وسد الحاجة الملحة: وإن كانت هذه المهن تتم وفق النمط البدائي التقليدي القديم إلا أنها تفي بالاحتياجات الضرورية وتؤدي الى الاكتفاء الذاتي من الأمور الضرورية لحياتهم فلا يحتاجون لشيء إلا وضعوا منه ما يفي باحتياجاتهم وإن لم يكن في بعض الأحيان على المستوى الذي نتصوره في الوقت الحاضر، مع معرفتهم التامة بأسرار المهنة التي يعمل بها كل منهم وذلك من واقع التجربة وطول المراس في هذه المهنة التي يتوارثها الأحفاد عن الآباء و الأجداد مع التطور النسبي المستمر من جيل لآخر، وهناك بعض المهن قد برزوا فيها بروزاً واضحاً وبلغوا من اتقان الصنعة درجة عالية من الجودة والدقة الفنية؛ ولو أن أكثر المهن ينظر اليها المتعصبون لقبليتهم أو الذين لا تزال روح القبلية ترسخ في أذهانهم ينظر اليها هؤلاء نظرة ثانية قد لا تخلوا من الاستخفاف أو الاحتقار والامتهان هي ومن يعمل بها، وقد لا يصاهرونهم كما سبقت الاشارة الى ذلك في موضع آخر ويعتبرونهم فئة أقل منهم مقاماً مع أنهم أي المتعصبون قد يمارسون أعمالا أهبط قدراً من تلك المهن التي يزدرونها ورغم هذا كله فإن المهن التي يقوم بها عدد كبير من أفراد المجتمع رجالاً ونساء بمن فيهم المتعصبون

حيث يساهمون ببعض المهن التي يعتبرونها أرقى من المهن التي ينظرون اليها باحتقار ويشترك في هذه المهن الرجل والمرأة على حد سواء وأحيانا جنبا الي جنب وأحيانا أخرى كل يعمل في حقل اختصاصه بحيث يصب الانتاج من الجنسين في بوتقة واحدة هي الميدان المشترك لأفراد المجتمع ومصالحه ومن هذه المهن:

أ- **مهنة الفلاحة**: وتقوم على استنباط الماء من باطن الأرض عن طريق حفر الآبار الجوفية أو جذبة من العيون السطحية الي الأماكن الصالحة للزراعة وبعد وجود الماء وشق الأرض وحرثها وزرعها بالمحاصيل الزراعية كالقمح بأنواعه والشعير بانواعه والذرة بأنواعها والدخن بأنواعه المنوه عنها آنفا وجلب الماء من العيون أسهل وأوفر من استخراجه من باطن الأرض حيث يلاقي الفلاح الأمرين في سبيل توفير الماء من حفر الآبار على أعماق مختلفة تتراوح ما بين خمسة أمتار وربما أقل الي ما يصل عمقه الي مئة متر من حيث حفر هذا البئر أو الآبار والوصول الي الماء ثم تركيب عدة السني أو عدة البئر من حوامل وأعمدة ومحال ودراج وأرشيه وأمقطة وغروب وأقتاب وغيرها،فضلا للمزيدمن المعلومات التفصيلية انظر كتابنا "نجد بالأمس القريب" بعد تركيب هذه العدة تبدأ عملية السني أو النضح لاخراج الماء على ظهور الابل أو البقر أو الحمير من أعماق الأرض وجمعه في الجابية وهي حوض كبير يجمع فيه الماء ويقوم بعملية السني الفلاح نفسه أو أحد ابنائه أو إخوانه أو بناته ونسائه أو أحد غلمانه وصبيانه من مأجورية ويسمى من يقوم بعملية السني سائق السواني أو "كالف" والسانية

البعير أو الدابة التي تقوم باخراج الماء من البئر بطريقة الجذب والسحب وتجمع على سواني ودور المرأة في عملية السني هي إطعام السانية علفها إن كان بعيرا أو تحضير العلف له إن كان غير بعير كما تشترك في وقت مبكر قبل أذان الفجر بساعة أو ساعتين أي حوالي الساعة الثانية أو الثالثة بعد منتصف الليل حسب توقيت الزمن الحاضر ويستمر دون توقف الي وقت الضحى حوالي العاشرة والنصف صباحا بتوقيت اليوم أي حوالي ثمان ساعات يوميا هذا في الأيام العادية أما في الأيام الأخرى فإن عملية السني تستمر من بدايتها المشار اليها حتى أذان الظهر عند زوال الشمس تتوقف حوالي ساعة ثم تستأنف مرة ثانية الي غروب الشمس عند أذان المغرب أي حوالي ١٦ ساعة يوميا وهكذا دواليك كل يوم في أيام الحاجة الماسة الي الماء في أوقات معينة من السنة اللهم في أوقات الأمطار ويقوم بحرث الزرع وتقسيمه الي حياض ومجاري وسريان الرجال فقط ودور المرأة في ذلك خدمة الرجال من تجهيز الطعام والشراب لهم وتجهيز علف الابل التي تقوم بحرث الزرع وربما تقوم بقيادة إبل الحرث التي تجر المحرات وغير ذلك من الأعمال التي تناسبها فإذا امتلأت الجابية بالماء فجر مفجر الماء أو الرأس الجابية بمقدار يساوي ما يخرج منها من المفجر ما يصب اليها عن طريق السواني أو يزيد قليلا فتبقى الجابية طول المدة بها كمية كافية من الماء بحيث يسقى المُفجّر من هذا الماء الذي يجري مع سري ترابي حياض النخل أو حياض الزرع حوضا بعد حوض ويستمر هذا العمل طول يومه من طلوع الشمس الي غروبها دون توقف إلا لفترة قصيرة يتناول خلالها طعام الغداء في نفس الموقع أو يؤدي

خلالها صلاة الظهر والعصر وهذا الوضع يختص بزرع الشتاء أما زرع الصيف فهو أقل كلفة من هذا وإن كان أكثر شرها في كمية الماء وسقي النخيل أقل من الاثنين معا يستمر سقي زرع الشتاء لمدة خمسة أشهر حتى إذا حـان موعـد الحصاد اشترك الرجال والنساء جنباً الى جنب في الحصاد والـدرس والـذري والتصفية ويقوم بكل هذه الأعمال الفلاح ورجاله ونساؤه ومن يستعين بهم من رجال ونساء الجيران والأجراء والأجيرات حتى يدخلوا غلة الزرع حباً صافياً ثم تبدأ عملية زرع الصيف الذرة بأنواعها والدخن بأنواعه ومدة سقي الذرة أربعة أشهر والدخن ثلاثة أشهر وذلك جنب الى جنب مع العناية بالنخيل من أبر طلعه وتلقيحه ثم تعديل قنوانه إذا كانت بسراً ثم خرافها إذا صارت رطبا ثم جدها إذا غدت تمراً حتى إذا انتهى زرع الصيف وتمور النخيل بدأ زرع الشتاء، ويشترك الرجل والمرأة في قطف السنابل وجني الثمار والخضار والتقاط التمر جنبـا الى جنب ومتى تم ذلك كان الفلاح قد سمد الأرض استعدادا لحرثها للزرع الشتوي للعام الجديد وهكذا دواليك وتقوم المرأة بدور بارز بما يناسبها مـن أعمـال الفلاحة لتشد أزر زوجها أو وليها وتعتبر الفلاحة من المهن الحضرية وهي مهنة مفضلة عند الكثيرين لانها الغذاء للانسان وهناك من يثري من الفلاحة وهنـاك من تسحقه بثقلها وهناك من يحصل على قوت يومه بعرق جبينه ويعيش عيشة كريمة من ريع فلاحته.

ب- الرعي:

مهنة الرعي هي المهنة الرئيسة في البادية وجزء من الحاضرة وهي المهنـة التي امتهنها أنبياء الله عليهم السلام ومنهم موسى عليه السلام ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم وتقوم على رعي الابل والغنم؛ يسرح الراعي بذود أو رعية إبله أو قطيع غنمه في الصباح باحثاً لها عن الرعي من الأعشاب والشجيرات الـتي ترعى منها طوال اليوم وتعود في المساء الى البيوت ومهمة الراعي البحث عـن المكان الذي يتوفر فيه المرعى الطيب لأغنامه ليحفظها من السباع أن تعتـدي عليها حيث يكون في انتباه دائم للغنم فيكون في وسطها أوبأحد أطرافهـا أو بقربها والغنم حينما تحس بالخطر المداهم لها من ذئاب وغيرها تلتم حول الراعي وهو في هذه الحالة يدافع عنها بطرد السباع بالسلاح الذي يتسلح به من العصا والحجارة الى السلاح الناري وعادة يصطحب بعض الرعاة الكلب ليسـاعده على طرد الذئاب إذا اقتضت الضرورة ومن مهمات الراعي الدفاع عن أغنامـه ضد الناس من أن يأخذ أحد منها شيئا ويكون مع الراعي في الغالب حمار يحمل عليه الماء والطعام وعليه خرج يحمل به متاعه وماءه وما يولد من البهم في كل يوم خاصة في وقت توالد الأغنام كما أن من مهماته سقي الغنم مـن المـوارد يساعده في هذه المهمة صاحب الغنم؛ ويقوم برعي الغنم صاحب الغنم نفسه أو أحد أبنائه أو اخوانه أو أقاربه أو بناته أو أخواته أو زوجته وربما اتخذ صاحب الغنم راعيا أجيراً يرعى غنمه واشتراك المرأة بالرعي تـأتي حسـب الضـرورة وظروف صاحب العمل يسير الراعي على قدميه طول يومه وقد يمتطي ظهر حماره قد يكون منتعلا وقد يمشي حافي القدمين يتخير لأغنامه المكان الجيد الذي

يتوفر فيه المرعى الجيد يمضي يومه كاملاً يسير في البراري حتى إذا حان وقت الأصيل أقبل بأغنامه بحيث يصل الي بيوت أهله بعد غروب الشمس ومع حلول الظلام بعد صلاة المغرب مباشرة أو بعد ذلك بقليل حتى غياب الشفق أو أذان العشاء الآخر حوالي السابعة أو الثامنة مساء بتوقيت اليوم حيث تمرح القطعان في مرحها عند البيوت وعندها تباشر النساء في عملية حلب اللبن إن كان في الغنم لبناً في فصلي الشتاء والربيع وفي آخر فصل الربيع "الصيف" يبدأ جز الصوف من الغنم إذا انفسخ فصل البرد واستقبلت الأغنام الصيف لتخف من أصوافها وفي نفس الوقت الاستفادة من هذه الاصواف وعملية جزّ الصوف يشترك فيها الرجل والمرأة، أما عملية حلب اللبن فهي على الغالب من اختصاص المرأة، هذا الوضع في الأوقات العادية من السنة أما اوقات الربيع حينما يعم الخصب فإن عملية الرعي أخف منها في الأوقات الأخرى حيث لا تبعد الغنم عن البيوت ترعى في وسطها وفي بعض الأحيان يحوشها الرعيان الي البيوت في النهار لتحلب مرتين أو ثلاث مرات في اليوم الواحد وذلك لغزارة الألبان التي تدر بها من أزهار الربيع التي تقتطفها وفي وقت الصيف أو الانتقال من مكان الي آخر فالوضع يختلف، ففي حالة الانتقال فإن الغنم تسرح الي الجهة التي يراد الرحيل اليها ولا تعود للبيوت بل تمرح بالبر مع راعيها أو رعيانها وتلحقها الأظعان في اليوم التالي وتستمر في نفس الاتجاه يوما بعد يوم حتى تصل الي المكان المقصود فإن كانت الغنم تحتاج الي الماء في هذه المسيرة أسقاها رعيانها وفي فصل الصيف تكون البيوت قرب موارد المياه بحيث تسرح الغنم وتروح إلي

البيوت مساء وترد الماء في الصباح حتى إذا ارتوت صدرت من المورد للبر ويقل عمل المرأة في الصيف فيما يتعلق بالألبان وذلك لقلتها فيتحول عمل المرأة في فصلي الصيف والخريف الي الغزل والنسيج من الصوف الذي جمعته من الغنم أو الوبر الذي حصلت عليه من الإبل اما أذواد الابل ورعاياها فإن خطوتها أبعد حيث تسرح صباحاً وتقطع مسافات طويلة قد تبلغ عشرات الأكيال تأكل من الحشائش والأعشاب والشجيرات ومهمة راعيها أو رعيانها الحفاظ عليها من أن يأخذها أحد حيث لا خوف عليها من الذئاب مثل الغنم، وإنما الخوف عليها من الذئاب البشرية من أن يأتيها غزو من الأعداء أو يحوفها حائف من اللصوص يجتزل منها قطعة ويهرب بها، أو أن ترصدها عين قوم يغزون عليها، ويستطيع الراعي الدفاع عنها من أشخاص محدودين لكن إذا كثر عليه الرجال لغزو أو عند كثير أو من يتغلبون عليه فما عليه سوى أن يأتي مستفزعاً يصرخ الي البيوت ويخبرهم بما حصل حيث يبادر الفرسان والمسلحون على النجائب للاسراع لاستنقاذ الابل من أيدي من أخذوها كما سبق وأن رأينا ذلك في بعض النصوص بصدد هذا الكتاب وإذا كان المكان غير آمن فإن راعي الابل لا يترك وحده بل يكون معه مجموعة من الفتيان المسلحين على نجائبهم أو الخيالة يسمون الجَنَبْ أما إذا كان آمنا فإن الراعي يكفي لرعايتها وحراستها وعادة يكون للراعي ناقة رزينة تسمى "القِعْدَة" يكون عليها متاع الراعي ومائه ليركب عليها أو جملا يتصف بهذه الصفاة يسمى "قعود" تسير القعدة في مؤخرة الذود أو الرعية أو في وسطها، ويقوم برعاية الابل الفتيان أو الفتيات

عند الحاجة فقد ترعى الفتاة إبل والدها أو أخيها إذا دعت الحاجة الي ذلك ويسير الرعيان بإبلهم من فتيان وفتيات جنباً الي جنب في البرازي وقد يتطلب الأمر أن يمرحوا في البر لوحدهم دون أن يكون هناك أي مجال لريبة في احترام متبادل وشيمة عربية واخلاق إسلامية عالية لا يرقى إليها الشك وقد يمتد ذلك السنوات دون أن يحدث ما يخدش السمعة أو يدنس العرض، ورعي الابل أصعب بكثير من رعي الغنم حيث أن مراعي الابل أبعد والمسافات التي تقطعها يوميا أضعاف ما تقطعه الغنم وأحيانا يبعد مرعاها لمسافة يوم كامل من "٥٠-١٠٠" كيل عن البيوت أو عن موارد المياه وفي هذه الحالة فإن الابل يعزب بها رعيانها وترد الماء لليوم الثالث أو للرِّبع أو الخِمْس أو السِّدْس حسب حرارة الجو وبرودته ونوع المرعى الذي ترعاه إن كان شجراً أخضرا فهذا يساعدها في عدم الحاجة الي الماء وإن كان المرعى يابساً مثل رمام الربيع فإنها تحتاج الي الماء أكثر فترد لليوم الثالث أو الربع على أبعد حد، كما يحدث ذلك عندما يكون الوقت في جمرة القيظ أما إذا كان الوقت بارداً بعد طلوع نجم سهيل فإن الابل ترد خِمْساً فما فوقه حتى يأتي الوقت الذي لا تحتاج فيه الي الماء وحتى عملية سقي الابل من الموارد والمناهل وفي القرى فهي مكلفة لأن الابل تستوعب من الماء كميات كبيرة وقد يصعب على السقاة إرواءها بمتح الماء على أيديهم كما هي عليه الحال في سقي الغنم وإنما يستعينون بعير يمتح لهم الماء بطريقة السني بدلو كبير تفي باحتياج الابل من الماء وترسل الابل للورود الي الماء على مجموعات مناسبة لسعة الحوض الذي ترد عليه بحيث لا تتزاحم ويؤذي بعضها بعضا حتى

تقرب الرعية أو الذود وتعطن على الماء بعض الوقت وتحتاج الابل في سقيها الي عدد من الرجال منهم من يساعد الرعيان على قهرها وارسال مجموعات منها ومنهم من يساعد في نزف الماء وتلقي الدلو وسكبها في الحوض ومن ثم يعد الابل التي رويت عن الابل الظمأى عند ورودها للماء ولا يتلقى الابل سوى الرجال والفتيان والفتيات الجيدات من النساء وذلك لصعوبة ما يتعلق بسقيها والمرأة العادية يمكن أن تساهم فيها كراعية عند الضرورة أو الهواية وفي السقي إذا دعت الحاجة أن تساعد الرجل أو الحلب في بعض الأحيان، وعملية حلب الابل يساهم فيها الرجل بنصيب وافر هكذا نرى الناس في مهنة الرعي وهي مشتركة بين الرجل والمرأة كل واحد منهم يقوم بالجزء الذي يناسبه ويستطيع القيام به فالرجل يقوم بالأعمال الصعبة كالرعي والدفاع عن النفس واستقبال الضيوف وحماية الممتلكات وسقي المواشي ومساعدة المرأة في جز الصوف وتقوم المرأة بحلب الألبان واستخراج مشتقاتها من السمن والأقط وجز الصوف وغزله ثم نسجه ودبغ الجلود وتحويلها الي أوعية للاستفادة منها كالقرب والشكاء والصملان والأوعية وغيرها بالاضافة الي عمل بيتها العادي من خياطة الملابس وتجهيز الطعام واستقبال الضيوف وتقديم الطعام لهم في حالة غياب زوجها حيث توفر للضيف ما يحتاج اليه من طعام وشراب وتدفع به اليه في القسم الخاص بالرجال من بيت الشعر تاركة له خدمة نفسه بنفسه بقولها له "إخدم نفسك يا ضيف" دون أن تجلس عنده أو تقترب منه بل تحدثه من بعيد، ويعمل بهذه المهنة قطاع كبير من المجتمع فهي مهنة المجتمع القبلي بكامله وجزء

من المجتمع الحضري الذين يفضلون حياة البداوة والتنقل أو الذين ولدوا في البادية ولا يعرفون غيرها ولا يستطيعون العيش إلا بها.

ج- التجارة:

مهنة التجارة من المهن الحضرية، وقد يأنف من مزاولة بعض تخصصاتها أكثر سكان البادية أو المتعصبين من سكان الحضر، والتجارة على ثلاثة مستويات أحدها الثابت وهو ما يمارس في المدن والبلدات والقرى وميدانه الدكاكين والحوانيت في الأسواق التي مرّ ذكرها آنفا والثاني المتنقل وهو ما يحمله التجار على إبلهم ودوابهم في مضارب البادية وتجمعاتهم في الربيع والصيف على الموارد أو التجمعات الموسمية مثل موسم قدوم الحاج وانصرافهم مع طرق الحج التي تخترق المنطقة من شمالها الشرقي الي جنوبها الغربي، والثالث هي التجارة غير المعينة وهي التي يشتري التاجر أي سلعة تعرض للبيع ومن ثم يبيعها والنوع الأول من التجارة هو الذي عليه المعول ففيه ثقل التجارة ومنه التجار المستوردون والمصدرون وأصحاب القوافل الكبيرة التي تذهب للأمصار والأقطار المجاورة ومنه القاعدة العريضة التي يعمل بها أكبر قطاع من التجارة بأنواع التخصصات من أكبر الأشياء في ذلك الوقت إلي أصغرها،من الجمل الي إبرة الخياطة ويعمل بهذا القطاع نسبة لا بأس بها من السكان حسب حجم التجمع السكاني الذي يعيشون فيه سواء في المدن أو غيرها ومهنة التجارة محببة عند الناس لما جاء فيها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله (تسعة أعشار الرزق في التجارة) أو ما في معناه إذا صحت الرواية، غير أن فيها بعض

التخصصات كالعطارة يأنف من مزاولتها البعض من المتعصبين الذين لم يجنوا منها الأرباح ولو جربوها لتغيرت نظرتهم اليها ويمارس التجار أعمالهم في حوانيتهم ودكاكينهم في الأوقات المحدودة في النهار فقط حتى إذا غربت الشمس أغلقت الدكاكين والأسواق حتى صباح اليوم الثاني وذلك لعدم توفر الإضاءة ليلاً ويمارس مهنة التجارة الرجال فقط وربما شاركت المرأة في هذا الميدان كالعجائز في بضائع صغيرة أو أصناف العطارة والأدوية لأن للعجائز دور كبير في التطبيب والتداوي، وما عدا ذلك فإن دور المرأة في حقل التجارة يكاد أن يكون ثانويا، فالمرأة التاجرة قد تقوم بمساعدة زوجها في ترتيب بعض البضائع وتنقيتها أو تجهيز ما يحتاج اليه زوجها من مستلزمات السفر وأوعية البضائع التي يحتاجها لبضائعه وتساعده على وضع الأحمال على الإبل ونحو ذلك من الأمور الثانوية، أما النوع الثاني وهو التجارة المتنقلة فإنها عادة تكون من البضائع الخفيفة القليلة في كمياتها وهي التي تفي باحتياجات البادية من السلع الضرورية وهناك فئة تسير مع البادية ترافقهم في مضاربهم باحتياجات البادية من السلع الضرورية وهناك فئة تسير مع البادية ترافقهم في مضاربهم يمارسون التجارة ببضائع العطارة من الأفاوية والأدوية ويمارس بعضهم التطبيب والمداواة وهذه الفئة وإن كانت تؤدي خدمة جليلة للبادية إلا انهم ينظرون اليهم نظرة دونية لا تخلو من الاحتقار ولا يصاهرونهم لأن تجارتهم بهذه الأصناف من السلع التي تختلط فيها الروائح الطيبة بالكريهة ولممارستهم التطبب بهذه الأدوية والأبازير والأفاوية، ويشترك في هذه التجارة والتطبب الرجال والنساء، أما

تكن مثله بالضبط وهي قافلة التموين التي تسمى "الْحَدْرَةْ" أو "الْهَيْطْ" وهي قافلة تموين لأفراد القبيلة أو الحي، تهبط للمدينة عِدَّة مرات في السنة وذلك لجلب السلع المنتجة من هذا الحي أو ذاك وتحضر معها الميرة للحي من طعام وشراب وكساء ولكنها لا يملك إبلها رجل واحد ولا يكون النقل فيها للايجار بل هي لكل سكان الحي فمن له بعير أو بعيرين أو ثلاثة وربما أكثر حسب احتياج كل إنسان وينتدب هذه القافلة من يرأسها ويكون معها حماية مسلحة لتحميها من قطاع الطرق والعابثين بالأمن من حين انطلاقها الي حين عودتها وهذه المهنة وأعني الجمالة تودي كما أسلفنا خدمة جليلة للسكان وتلعب دوراً مهماً في الحركة التجارية والاقتصادية في المجتمع الحضري والقبلي فضلاً أنظر كتابنا "عقيلات الجبل".

هـ- العمالة:

العمالة مهنة تنتشر في المدن لرجال يزاولون مختلف الأعمال، ففي كل فصل من الفصول يعملون بالأعمال التي تناسبه، يحرثون مع الفلاحين في موسم الحرث ويحصدون معهم في موسم الحصاد، ويعملون مع معلم البناء في بناء البيوت في فصل الصيف، يحفرون الآبار، يدفنون ما يحتاج الي دفن ومنهم الأجراء "الصبيان" للفلاحين ومنهم من يعمل بجمع الحطب من البروجلبة للمدينة ومنهم من يعملون بجمع العشب والحشائش في فصل الربيع وأوائل الصيف في سنوات الخصب ويبيعونه على الفلاحين والجمالين وأصحاب المواشي، ومنهم من يحضر ورق الأرطي وأخشاب وجذوع شجر العرن لدباغة

الجلود ومنهم من يحضر الملح من الممالح في الأماكن السبخة ويبيعه على الناس ومنهم من يساعد أصحاب المهن التي تتطلب ذلك مثل النجارين والحدادين والنجار والجمالين وغير ذلك من الأعمال التي يتطلبها المجتمع ويطلق على العامل لقب "جرْقي" أو "قَرّاش" أو "زقرتي" وهذه الأخيرة ربما تشمل العمال وغيرهم، والأجور غالباً إما تكون بالشهر أو السنة أو نصف السنة أو موسم الزرع في الشتاء والربيع أو موسم القيظ في الصيف والخريف أو تكون باليوم للأعمال القليلة أو "بالمقاطعة" أي انجاز عمل معين بأجر معلوم وتكون الأجور بالنقد أو بشيء من الطعام كالحب والتمر والسمن والأقط والملابس وغير ذلك حسب الاتفاق الذي يجري بين صاحب العمل والعامل أو العمال ولا يوجد مكان يتجمع فيه العمال وإنما يعرفون بيوتهم ويعرف بعضهم بعضا وربما يجمعون عند الحاجة وفي أغلب الأحيان العامل هو الذي يبحث عن العمل وهناك فئة ممن يتقنون أعمال الفلاحة يعملون في مشاركة الفلاحين وأصحاب الآبار الزراعية حيث يدخل هذا العامل أو العمال مع الفلاح في زرع الشتاء على الأغلب بحيث يكون نصيب العمال جهدهم وتعبهم بأنفسهم حين يشتركون مع الفلاح في عملية الحرث ثم يقومون بعد ذلك بكامل عملية السني لاخراج الماء من البئر وتفجير الماء والعناية بالزرع وصيانته حتى ينتهي والاشتراك في عملية الحصاد والدرس والذري وتصفية الحب حتى يكون الزرع حبا صافيا ولهم في ذلك ربع الغلة أو ثلثها وللفلاح الباقي مقابل أرضه وبئره وسوانيه من الابل وغيرها ومستلزماتها وتسمى هذه المشاركة "العُمالة" أما في الصيف فقلما

تحدث إلا في زرع الذرة وربما الدخن أما النخل فإن العامل أو العمال يقومون بكل ما تتطلبة الفلاحة من سواني ومستلزمات وإخراج الماء وتفجيره والعناية بالنخل من أبر وتعديل وخرف وجداد حتى يكون تمراً جاهزاً ويكون لصاحب النخل الربع وللعمال ثلاثة الأرباع وهذه العملية تسمى "اَلسُّقَايَةُ" والعمال هم من الرجال في الغالب إلا في موسم الحصاد والتقاط الثمار وجمع الحشائش والأعشاب في فصل الربيع وجمع الحطب وبيعه فإن المرأة تشارك في هذه الجوانب مع الرجل وقد تمارس العمل مع بنات جنسها وقد تكون مع الرجل جنباً الي جنب وهناك نساء عاملات مع الفلاحات في الطحن وتجهيز العلف للإبل وغيرها والعمل في بيوت الذوات وأصحاب المكانة وغير ذلك من الأعمال التي تقوم بها المرأة العاملة ويعتبر العمال بصفة عامة من الطبقة الفقيرة التي تطارد لقمة العيش وبالكاد تحصل عليها بما يوازنها من عرق الجبين، أما طبقة العمال في المجتمع القبلي فهي قليلة جداً تكاد أن تنحصر في رعاة الأغنام والإبل من المستأجرين وغالباً ما تكون أجورهم من المواشي التي يرعونها وتمثل فئة من النساء من يقمن بمساعدة نساء الأثرياء وذوي الجاه في المجتمع القبلي أما من سكن البلدات والمدن من أبناء البادية فغالباً ما يعملون في رعي سوارح المجتمع الذي يسكنون فيه من أغنام وإبل حيث يمارسون مهنة الرعي في المجتمع الحضري أما البقر فلكونها أقل عدداً من غيرها فإنها قد لا تحتاج الي راعي حيث أنها تسرح غير بعيد عن البلد إلا إذا كثرت فإن رعاتها غالبا يكونون من الحضر، والعامل من أشقى فئات المجتمع حيث يطارد لقمة عيشه على الدوام وليس له

مصدر يحصل عليها بواسطته إلا بالجهد الذي يبذله وليس هناك أعمال كثيرة تطلب عمالاً اللهم في المواسم والمناسبات، وأحياناً لا يجد العامل ما يعمله وينتظر من يطلب منه أي عمل حتى ولو كان بدون أجر معين إلا ما يقدمه له صاحب العمل من وجبة طعام؛ وغالباً إذا كان العمل قليلاً و لمدة قصيرة كنصف نهار أو ساعات من نهار فإن صاحب العمل لا يدفع شيئاً سوى ما يقدمه له من وجبة طعام أو شراب بعد الانتهاء من العمل وقد عاش في هذا الوضع أناس وصلوا الي حضيض الفقر وعاشوا مع أسرهم في فقر مدقع إذا كان ما يقومون به من جهد مقابل وجبة طعام لأنفسهم وبقيت أسرهم تتضور جوعاً لا يجدون ما يأكلون حين تكون جهود أولياء أمورهم تذهب كلها إعانات لأرباب العمل مقابل وجبة طعام للعامل نفسه هذا فإن طبقة العمال من أشقى طبقات المجتمع كما أسلفنا آنفا.

ز-بناء البيوت:

ومهنة البناء تكاد أن تدخل ضمن العمالة حيث أنها تقوم على الجهد الذاتي العضلي ما عدا البناء نفسه أو معلم البناء الذي يمزج جهده العضلي بجهده الفكري فالبناء غالبا ما يصمم البيوت أو يشترك في تصميمها ويقوم بتنفيذها بالخامات والمواد المتوفرة والمستعملة في نفس المدينة أو البلدة أو القرية التي يقام بها المبنى فإما أن تكون المواد المستعملة من الحجر أو الآجر وإما أن تكون من الطين سواء ما كان على هيئة عروق ومداميك أو على هيئة لبن والسقف في الحالتين من خشب الأثل وجريد النخل كما أشرنا الي ذلك آنفا في

الكلام على بناء البيوت في فصل سابق ومهنة البناء يقوم بها الرجال على الأغلب ودور النساء فيها لا يتعدى تأمين الماء بحمله على رؤوسهن وذلك لغرض خلط الطين وقد تشارك المرأة في المبنى الخاص بأسرتها إذا كان من يعملون في البناء من محارمها فقد تحمل اللبن وقطع الطين والأحجار والأخشاب والجريد وغير ذلك من المهام التي توكل اليها وتتلاءم مع مقدرتها الجسمية، ولما كانت البيوت التي تبنى عادة في فصل الصيف وأول فصل الخريف حتى قرب موعد نزول الأمطار وعند ذلك تتوقف عملية البناء بالطين حتى العام القادم لأن الطين لا يجف في الشتاء إلا بعد عدة أيام وقد لا يخلو من السباخ في أغلب الأحيان إذا بني في فصل الشتاء لذلك يقتصر البناء بالطين على فصل الصيف وجزء من فصل الخريف فقط ويعني هذا أن هذه المهنة مهنة موسمية يبقى معلم البناء أكثر من نصف السنة بدون عمل إلا أن يكون لديه عمل آخر غيرمهنة البناء، وقد لا يجد غير مهنة البناء ويستهلك ما حصل عليه من أجر خلال موسم العمل في الفترة التي يكون فيها عاطلاً عن العمل، ومع أن معلم البناء كان الجيد منهم يتقاضى أجراً مجزياً نسبياً وربما عمل طول فصل الصيف في أوقات الرخاء والازدهار إلا أنه قد لا يجد عملاً في سنوات الحروب والشخاشخ وانشغال الناس فيما هو أكبر من البناء، وليس بناء البيوت من الكثرة بحيث تجعل معلم البناء يحتل مركز الصدارة ذلك أن النظام الاجتماعي للأسرة في هذه المنطقة يتكون من الأسرة التراكمية بحيث يعيش الأب في بيت جدّه أو جدّ جدّه ويكون هو وأبناؤه وإخوانه وزوجاتهم وأبناؤهم وبناتهم في نفس البيت دونما

حاجة الي بناء بيت جديد وهذا النظام الأسري تحكمه عادات وتقاليد واعتبارات أسرية وإجتماعية متوارثة عبر الأجيال بحيث قد يعتبر عيباً على الابن أن يخرج من بيت أبيه إذا تزوج وأنجب ولا يتفرق الإخوة من منزل والدهم أو جدهم إلا لظروف معينة مقنعة بالتراضي أو يكون تفرقهم نتيجة النزاع والشحناء بين أفراد هذه الأسرة، والأسرة المجتمعةمن هذا النوع التي تعيش منها أجيال متعاقبة في بيت واحد تعتبر من الأسر السعيدة الحظ أما الأسر التي تتشتت ويتفرق أفرادها فتعتبر من الأسر سيئة الحظ والطالع لذلك فقد تجد بعض الأسر الكبيرة يتروواح أفرادها بين ٣٠- ٦٠ فرداً وقد تصل بعض الأسر الي مئة فرد يعيشون في بيت أو قصر واحد ويعتبر ذلك مفخرة لها في المجتمع الذي تعيش فيه حين يعيش الجد وأحفاده وربما أبناء أحفاده، هذا النظام في الأسرة التراكمية الذي جاء عرضاً في هذا الموقع أثر على مهنة البناء أما عمال البناء فإنهم لا يتوقفون عن العمل فحين ينتهي موسم البناء تجدهم يباشرون العمل في موسم الحرث وبعده في أعمال أخرى حتى موعد الحصاد ثم موسم البناء وهكذا دواليك لكن مهنة البناء على قلة عملها فإنها تقدم للمجتمع خدمة طيبة في بناء البيوت لايواء الأسر في سكن يتسم بالأمن والطمأنينة.

ز- النجارة:

النجارة إحدى المهن الحضرية الرئيسة وهي مهنة أزلية منذ أن تحضر الانسان وفي عهد نبي الله نوح عليه السلام حيث أمره الله بقوله ﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا﴾ الآية هذه المهنة المهمة التي تفي باحتياجات السكان الرئيسة

في الحضر على نطاق واسع وسد بعض احتاجات السكان الرحل، فهي مهنة مهمة تمثل جانبا هاماًفي الناحية الأمنية للحضر كما تمثل مرتكزاً إقتصادياً أيضاً فهي الي كونها تنتج الأبواب للبيوت التي تحفظ الأمن هي أيضاً تنتج عدة البئر من محال و دراج وغيرها والتي يصعب إخراج الماء بكميات كافيةللزراعة بدونها، والي جانب هذا وذاك هناك انتاج المستلزمات الضروريةلنقل البضائع والسلع من أشدة ونحوها فيما يتعلق بالركوب ونقل الأحمال وهي مهمة للحضر والبدو على حد سواء وعليها تترتب أمور مهمة فأبواب البيوت وشبابيكها وأقفالها يترتب عليها حماية النفوس وحفظ الممتلكات وحرز الأموال ومهنة النجاة هي التي تقوم بهذه المهمة فلو لم يكن للبيوت أبواب لما أصبحت تؤوي من يدخلها وتحميه وتصون ما بداخلها وتحفظه، فهي تمثل دوراً حضارياً هاماً ولولا عدة البئر لما استطاع الفلاح أن يخرج من جوف الأرض كمية الماء اللازمة للزراعة التي تمثل بدورها عصب الحياة للانسان، كما أن الأشدة والحدج لولاها لما استطاع الانسان أن يركب مرتاحاً على ظهر بعيره ويقطع به المسافات الطويلة في الأسفار والحج وغيره ولما استطاعت الإبل أن تحمل الأحمال الثقيلة من مكان الي آخر، ولأثر ذلك في الحركة التجارية والتموينية ولولا الهوادج لما نعمت النساء المترفات أثناء ركوبهن على ظهور الإبل في أظعان البدو أو قوافل الحجاج إذا فمهنة النجار مهمة جداً في الجانب الأمني والاقتصادي والترفيهي إلي جانب ما يصنعه النجار من الأدوات المنزلية سواء فيما يتعلق بالأدوات الخاصة بالطبخ كالأقداح والصحاف والمغارف أو أدوات الزينة

والأحراز من صناديق وخزائن وعلب وغيرها أو أدوات الحرز من أقفال ومفاتيح هذا ما يتعلق بالحضر، أما البدو فالي جانب أدوات النقل التي أشير اليها فهناك صناديق الحفظ وبكرات متح الماء من البئر التي هي من إنتاج النجار، ومادة النجار التي يعمل بها هي الأخشاب ومسامير الحديد والنحاس والأصباغ ويفتن النجار بأدواته وعدته المتواضعة ومهارته الفنية من صنع هذه المنتجات التي تحفظ للناس أمنهم وتصون أعراضهم وتحرز أموالهم وتنعش زراعتهم وتريح ركوبهم وتنقل أحمالهم وتفي باحتاجاتهم المنزلية وترضي أذواقهم الجمالية، ويعمل النجار كغيره من طلوع الشمس حتى غروبها يوماً كاملاً لا يستريح فيه سوى لتناول الطعام أو أداء الصلاة في الأوقات المفروضة والنجار يعمل بها الرجال فقط ويقتصر دور المرأة فيها على مساعدة زوجها في حالة تقطيع الخشب الغليظ إذا اقتضت الضرورة ذلك ولم يجد أحداً يساعده، ويعمل النجار على مدار السنة فالي جانب عمله لصنع وانتاج الأشياء الجديدة فإنه يقوم بصيانة الأدوات القائمة كصيانة الأبواب وأقفالها "الضبّاب" وإصلاح ما تلف منها وصيانة عدة البئر للفلاح على طول السنة حتى لا يتعطل العمل لديه ويتوقف عن سقي زرعه فيموت عندئذ ويتم إصلاح ما خرب أو استبداله أولاً بأول دون تأخير مقابل أجر ثابت على الفلاح من ربع فلاحته حبا وتمراً كما يقوم بصيانة أدوات الركوب والنقل وغيرها من الأدوات التي تدخل في نطاق اختصاصه.

ولهذا نرى أنه قلما يستغني الانسان ذكراً كان أو أنثى عن منتجات النجار سواء بطريق مباشر أو غير مباشر في الحاضرة أما البادية فهي أقل احتياجاً له، والخلاصة أن مهنة النجارة حضرية بالدرجة الأولى ولكنها في البادية لا يستغنى عنها.

س- الحدادة:

الحدادة إحدى المهن الرئيسة الضاربة في القدم منذ أن استقر الانسان على مرفأ الحضارة مروراً بعهد نبي الله داود عليه السلام حين قال الله جل شأنه: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ الآية هذه المهنة الهامة التي تأتي بدرجة متوازنة مع مهنة النجارة ومتلاحمة معها وتختص بصناعة السلاح الذي يدافع به الانسان عن نفسه منذ القدم حينما كان السلاح الفردي للانسان السيف والرمح والخنجر والسكين، هذه المهنة المهمة التي تقتل الانسان وتحييه أو بمعنى آخر تحميه من القتل منذ أن قدمت للانسان السيف والرمح والسكين ليقتل بها أخاه الانسان وغيره من الكائنات الحية قدمت للانسان باليد الأخرى الدرع والمغفر ليقيه شر ضربات هذه الأسلحة، كما وضعت في يده سلاحاً آخر ليحمي به نفسه حين لا يفل الحديد إلا الحديد وصدق الله العظيم القائل ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ فمن بين مطرقة الحداد وسندانه تخرج هذه المنتجات المهمة

القاطعة التي لا يستغني عنها إنسان كائن من كان سواء كان بطريق مباشر أو غير مباشر، وتقوم مهنة الحدادة بدور رئيس في حياة الانسان وذلك بما تقدمه للفلاح من أدوات يشق بها الأرض ويحرثها ليزرع الزرع ويسقي الفرع وقبل ذلك تمده بالأدوات الحديدة التي يحفر بها الأرض ليخرج منها الماء الذي هو عماد الحياة؛ ولهذا فإن لها جانب اقتصادي مهم للانسان في المجتمع الحضري والقبلي على حد سواء، وهذه الصناعة هي التي تفوقت بها الدول الكبرى في وقتنا الحاضر وافتخرت بها وسيطرت على الدول الصغرى والأخرى في أنحاء المعمورة، ولا تقتصر مهنة الحدادة في الفترة التي نهدف اليها على صناعة الحديد وإنما تشمل أيضا صناعة النحاس والمعادن الأخرى فمن المنتجات النحاسية والأواني المنزلية للطبخ وتقديم الطعام مثل القدورو الصحون والصواني الى الأواني الأخرى لنقل الماء وتخزينه وتقديمه للشرب والنظافة والاستعمال مثل "المراكي" جمع "مركاة" وهو الاناء الكبير لتخزين الماء و "المراوي" جمع مرواة إناء وسط لنقل الماء من خارج المنزل على دفعات، و "الطياس" جمع طاسة أو طاس أو شرابة وذلك لشرب الماء بالاضافة الي الأواني المعدة لزينة وتسخين الماء وغير ذلك من الأواني المنزلية الموجود تفصيلها في المنتجات الصناعية، ومهنة الحدادة تتركز في الحضر بصفة رئيسة وإن كان هناك فئة في البادية تعمل بها ولكن على نطاق ضيق نسبيا بما يفي باحتياجات البدو الرحل من تأمين بعض مستلزماتهم وصيانة موجوداتهم من الأواني النحاسية وغيرها من المعادن الأخرى وتقوم هذه الفئة بصناعة الخناجر والسكاكين وغيرها من مستلزمات السكان كأحذية الخيل،

وفي المجتمع الحضري تقوم مهنة الحدادة بالاضافة الي المنتجات السابق ذكرها بصيانة موجودات السكان من الأسلحة والأدوات والأواني على مدار السنة، ويعمل بالحدادة قطاع لا يستهان به من السكان ويبدع الحداد ويتفنن في مهنته لينتج الجديد مثله في ذلك مثل النجار ويعمل بهذه المهنة الرجال فقط ومشاركة المرأة في مهنة الحدادة قد تقتصر على مساعدة زوجها عندما تدعو الحاجة من تنظيف وجلي بعض الأواني النحاسية المعدة للصيانة، أما بقية أعمال المهنة فهي قائمة على العمل الشاق الذي يحتاج الي القوة والصبر والجالدة والمادة التي يعمل بها الحداد هي الحديد والنحاس المعادن الأخرى وفي الحدادة اختصاصات عديدة منها الدقيق جداً والقائم على الأشياء الدقيقة التي تحتاج الي النقوش والزخارف ومنها التخصصات القائمة على المنتجات الفنية العالية كصناعة الأسلحة وغيرها وهذه المهنة بتخصصاتها المختلفة تفي باحتياجات الناس على مختلف طبقاتهم سواء في المجتمع الحضري أو القبلي ولا يستغنى عنها أحد في أي مستوى من المستويات أو طبقة من الطبقات في المجتمع فهي مهنة ذات أهمية وشأن بين المهن الرئيسة.

ب- الصياغة:

الصياغة مهنة عريقة مترفة ليست من المهن الضرورية للانسان أو التي تأتي فيما بعد وإنما هي مهنة كمالية تأتي أهميتها بعد الضروريات وتختص بالمرأة بصفة رئيسة، تزدهر هذه المهنة وتنشط في سنوات الرخاء والاستقرار وتنكمش وتتقلص في سنوات الشدة والعوز والاضطرابات، إلا ما يتخذه بعض من يعملون بهذه المهنة من استغلال الظروف العصيبة وتلقف ما بأيدي النساء من السلع المجلوبة وذلك بأبخس الأثمان ذلك من قبل بعض ضعاف النفوس الذين يعملون بهذه المهنة وهذه المهنة كما قلنا تختص بالمرأة وحليها والمواد المستخدمة بهذه المهنة هي الذهب والفضة والنحاس والمعدن والأحجار الكريمة من فيروز وياقوت وزمرد ولؤلؤ ومرجان وتقوم هذه المهنة في المجتمع الحضري لوحده وفي المدن الرئيسة ومع قلة من يعمل بهذه المهنة من السكان إلا أنها ذات أهمية كبرى عند الناس وخاصة نصف المجتمع وأعني به العنصر النسائي وبالأخص الطبقة الثرية من الناس، وكما هو معروف فالمرأة لها اهتمام خاص بمصاغها وكلما توفر لديها من مال حولته الي مصاغ في معصميها وكفيها وصدرها وجيدها وأذنيها وأرنبة أنفها وأسفل ساقيها، تلبس الحجول أو الحجال بأسفل ساقيها ما فوق الكعب أو الخلاخيل وتلبس الأساور في معصميها والخواتم أصابع كفيها والأزرار بجيب ثوبها والقلائد بعنقها لتتدلى على صدرها ونحرها أو تلتصق بعنقها وتضع الأقراط في أذنيها و "الزمام" في أرنبة أنفها وربما وتضع الهامة فوق رأسها الي غير ذلك من قطع المصاغ التي تكون في بعض

ملابسها كالأزرار التي تضعها في البريم وهو سير مجدول تلفه على خصرها على بشرتها مباشرة وما تحلى به حواف خمارها من قطع المصاغ والقطع النقدية الذهبية والفضية كل هذه المصاغات بأنواعها وأشكالها المختلفة تدفع فيها الثمن الكثير من الأموال من النقدين الذهب والفضة الي الصايغ كما تدفع له أضعاف أقيامها من عروض الأطعمة، والنقد، وقد لا تزف عروس الي زوجها دون أن تتحلى بشيء من منتجات هذه المهنة كل واحدة على قدر مستواها ومكانتها في المجتمع، ولا تتواني أم العروس في شراء ما تحتاجه ابنتها من الحلي عند الزواج مهما كلف ذلك من ثمن كما هي عادة حواء منذ الأزل معروف عنها عنايتها بحليها ومصاغها، ولهذا فإن المشتري الرئيس من الصائغ هي المرأة وقد وجدت هذه المهنة واشتغل بها الرجل من أجل عينيها فلا أقل من أن توليه جل اهتمامها وتصبُّ في حجره الأحمر والأبيض من النقدين وتغدق عليه من صنوف الأطعمة بأبخس الأثمان للحصول منه على هذا المصاغ الذي يمثل جزءاً مهماً من شخصيتها التي ترى في أعماق نفسها أنها لا تكتمل إلا بها، وهذا الرجل الذي يعمل بهذه المهنة قد وقف جهده وركز تفكيره وحصر مواهبه من أجل الاتيان بالجديد الذي يناسب ذوق المرأة ويتمشى مع توجهها ويرضي غرورها من حيث الدقة والاتقان وابراز الجديد واقتناص الفرص لإبراز الأشكال التي تجذب نظر المرأة وتشد إنتباهها ويغريها بالشراء دون مواءمة أو تردد، هذه المهنة تعتمد اعتماداً كلياً على الدقة في الصنعة والذوق في الترتيب والمهارة في التركيب لأي سلعة يصنعها وتحتاج هذه المهنة الي الدقة المتناهية والأناة في العمل وحدة النظر

والذوق الرفيع والخبرة الكافية في هذه المهنة والمعرفة التامة بأنواع المعادن ودرجات تركيبها وأصناف الأحجار الكريمة ودرجاتها وهذه المهنة من اختصاص الرجل بشكل رئيس وقد تشارك المرأة زوجها أو قريبها في جلي بعض السلع وإزالة ما عليها من الصدأ والأوضار وما عدا ذلك فهي مهنة رجالية لا تحتاج الي جهد بدني فهي أهون المهن عملاً وأكثرها ربحاً، والصاغة إذا اجتنبوا غش الناس فغالباً يكونون من أغنى أصحاب المهن وأكثرهم أموالاً وأريحهم أبدانا، وهكذا نرى هذه المهنة تشغل حيزاً مهماً لعيني المرأة التي تتحلى بدورها لعيني الرجل لتدخل البهجة والفرح والسرور الي قلبه وهي من المهن الموجودة بهذه المنطقة.

ل- التطبب:

مهنة الطب من المهن العريقة منذ القدم على اختلاف مستوياتها ومفاهيمها وقد صاحبت الانسان منذ أن بدأ يشعر بالألم ويحاول تخفيفه أو إزالته بالامكانات الموجودة لديه تختلف في ذلك الأمم والشعوب وفي هذه المنطقة كانت مهنة الطب أو التطبب تقوم على عدد من الركائز منها التداوي بالأعشاب مفردة ومخلوطة طرية ويابسة مأكولة ومسفوفة على وضعها الطبيعي أو مسحوقة منقوعة أو مطبوخة أو محرقة يكتفي بدخانها وتدخل الي الجسم عن طريق الفم أو عن طريق الاستعاط من خلال المنخرين ومنها التداوي بالفصد لاخراج كمية معينة من دم الانسان من خلال عروق في مواضع معينة في جسمه لأمراض معينة ومنها الكي بالنار مع مواضع معينة لكل مرض من الأمراض

ومنها التداوي بالتعاويذ والعزائم بكتابة نزائع من آيات الذكر الحكيم وغير ذلك من الأدعية المأثورة الي جانب تجبير الكسور في العظام والمفاصل وغيرها بالاضافة الي استعمال "الدمئة" وهي استخدام حرارة النار بواسطة ايقادها على رمل متوسط النعومة حتى يحتمي الرمل ثم إبعاد النار عنه وحفر أخدود في هذا الرمل الحامي، ووضع المريض في لفافة نسيج سميك حتى لا تصل الحرارة الي البشرة مباشرة وإنما تأتي الحرارة المنبعثة من الرمل الي الجسد عن بعد ويدفن في هذا الرمل بحيث يخرج رأسه والأجزاء السليمة من جسمه لفترة معينة حتى يشعر المريض بتصبب العرق منه بشدة ثم يخرج من هذه الرمل ويبقى في مكان دافيء لفترة مرحلية ثانية لكي ينزف مزيد من العرق والسوائل الأخرى داخل الجسم هذا العلاج لمن أصيب برضوض داخل جسمه أو في أجزاء منه ثلاثة أيام متتابعة وربما زاد عن ذلك حتى تخرج من جسمه السوائل والمتخلفات الناتجة عن الضرب ومنها استخدام الكيماويات الطبيعية كالكبريت وكثير من الأدوية المستخرجة إما من الأشجار أو من معادن طبيعية معينة مثل الصبر والحلتيت بالاضافة الي الأبازير والأفادية والبهارات وغيرها تخلط هذه العناصر بنسب معينة من كل عنصر ويكون منها الأدوية التي تشرب أو تلتهم أو تستنشق أو تستعط أو تذرُّ على الجروح والقروح مباشرة ومنها استخدام الدهون والشحوم والزيوت النباتية والحيوانية وخلطها بهذه الأدوية والدهن بها مباشرة أو إضافة عنصر أو عناصر من الأدوية السابقة والادهان بها أو شربها أو التبخر بها ومنها استخدام السكاكر والحلويات والأعسال ومزجها ببعض الأدوية لتخفيض

رارتها أو حرارتها أو حموضتها لاستساغتها عند التناول أكلاً أو شرباً ومنها إضافة الحمضيات والقنويات من الثمار أو المعادن كثمار الأترنج أو مادة الشب ومنها استخدام "نترات النحاس" و "نترات البوتاسيوم" و "نترات الزاج" بخلطه في بعض الأدوية بنسب معينة وغير ذلك وحتى العين لها أدوية معينة من ساحيق عناصر معينة مع الكحل أو لوحدها وقطرات من أدوية ممزوجة بالماء أو بسوائل أخرى أو كثر أدوية العين عن طريق المساحيق الدوائية ولكل مرض من الأمراض الدواء الخاص به وحتى بتر الأعضاء لهم فيها طريقة معينة وإن كانت مؤلمة ولكنها ناجحة، هذه المهنة وإن كانت محدودة فإنها ما أهمية كبيرة ويعمل بها في الغالب من تقدموا في السن وتتركز على النساء المسنات بصفة رئيسة ذلك أن المرأة غالباً ما تكون أكثر احتمالاً وصبراً وطول بال في التجارب حيث تجرب هذه الأدوية ربما بأبنائها أولاً ثم بأقاربها وبجيرانها وتكتسب الخبرة في التطبب والكي مع طول الوقت وكثرة التجارب على الآخرين وتكون السيدة المسنة متفرغة لهذا العمل بعد أدائها واجبها في أحد ميادين الحياة ويشارك المرأة المسنة في هذا الميدان الرجل المسن في بعض الجوانب كالفصد والدمث وتجبير العظام وبتر الأعضاء وربما في تجميع الأدوية وتركيبها ومزجها ويجري تجاربه هو الآخر في المرضى ليتوصل الي نجاح دواء ما من عدمه كما يقوم الرجل في هذه المهنة بعملية التطعيم ضد مرض الجدري وذلك بأخذ عينة من صديد إنسان مصاب وشق عضد الانسان السليم بمضعه ووضع قليل من هذه العينة فيه كما يقوم بعملية الختان للأطفال الذكور وغير ذلك من

العلاجات أما المرأة فلها باع طويل في مهنة التطبب حيث تبدأ بأطفالها تحت إرشاد أمها المسنات من تجاربها المتوارثة وتصل النبيهة منهن الى مستوى جيد ومع تقدمها في السن تكون لديها خبرة جيدة في كثير من الأمراض وخاصة الأمراض النسائية والتوليد وما يتعلق بالحمل والولادة هذه المهنة تمارسها المرأة والرجل في البيئة الحضرية والبيئة القبلية على حد سواء وإن لم تكن البارزات أو البارزين بالكثرة بحيث يمثلون أكثرية وإنما يوجد من تكون لتجربته وخبرته في هذا الميدان جوانب أخرى تساندها مثل حسن الخلق وقوة الملاحظة ودقة الوصفة التي يعطيها الى جانب ما يعتقده البعض بأن علاج هذا الرجل أو المرأة لا يخلو من بركة الله وذلك لما يضفيه من لمسة حانية أو عبارة لطيفة وغير ذلك من الجوانب الانسانية التي تربط بين المريض ومن يعالجه علما بأنه لا يوجد أي مصحات أو مستشفيات وإنما يتم العلاج عند المتطبب في منزله أو أن المداوي ينتقل الي المريض في منزله ويحضر له الدواء في منزله أو يعد له موعداً مسبقاً ويتردد عليه حتى يشفى ولا يوجد أجر معين يفرضه المداوي على المريض وإنما يترك ذلك للمريض نفسه وما تجود به أريحيته وكثير من الحالات يتم علاجها بالمجان إذا كان الانسان فقيراً أو مسنا أو مقعداً أو ذا عاهة. وقد يأخذ المتطبب قيمة الدواء فقط وهناك فئة تكون مع البادية يمتهن بعض أفرادها من الرجال والنساء مهنة التطبب على نفس الوتيرة التي سبقت الاشارة اليها وهكذا نرى هذه المهنة وإن كانت غير منظمة وبأسلوب بدائي إلا أنها أدت دوراً فعالا خلال قرون عديدة فأنقذت من أراد له الحياة بسبب علاج من هذه العلاجات

الخبرة محليا ومن عناصر موجودة في نفس البيئة وبأدوات مصنوعة هي الأخرى من نفس البيئة فهناك اكتفاء ذاتي في هذه المهنة وإن لم تكن على ما ينبغي لكن هذا المستوى هو السائد في أغلب الأقطار المحيطة بهذه المنطقة على الأقل إن لم نقل في أقطار كثيرة من العالم كما تجدر الاشارة الي أن المتطبب أو المتطببة قد اكتسب هذه المهنة إما بالوراثة من أسلافه أو اكتسبها بالخبرة والمران واجراء تجارب بادويته على الآخرين ولا يلحقه أي عقاب فيما لو تسبب في وفاة شخص ما إذا كان قد أعطاه من دواء يستعمله غيره وقلما يحدث أن ينال المتطبب عقاب بسبب الدواء الذي أعطاه المريض وهكذا فمهنة الطب لا يرتادها إلا أناس معينون يتسمون بالذكاء والفطنة.

م- دباغة الجلود:

دباغة الجلود من المهن القديمة التي نشأت مع الانسان عندما بدأ باستخدام جلد الحيوان كملابس في بداية الأمر قبل أن يتوصل الي صنع ملابس النسيج وبعد أن استغني عنها من هذا الجانب بدأ باستخدامها للأغراض الأخرى أو كان هذا موازيا لما سبقه حين بدأ يتخذ منها الأوعية المختلفة لنقل الماء والاحتفاظ به وتبريده ونقل اللبن وحفظه ومعالجته وتبريده ونقل السمن وحفظه ونقل العسل وحفظه وغير ذلك من السوائل التي كان يستخدمها كما اتخذ منها أوعية للطعام وأوعية لأغراضه الخاصة وأخذ ينتعل بها ونقي قدميه شعث الأرض وأشواك الطريق ووعورته وتحمي قدميه من برودة الأرض وصقيعها ومن حرارة القيلولة ورمضائها كما اتخذ من الأدم بيوتا متنقلة ينصبها متى شاء

ويطويها متى أراد يستظل بها عن شمس الصحراء الحارقة وقت القيلولة ويستدفئ بها عن زمهرير البردالقارس هذا الأدم المتخذ من جلد الحيوان كالغنم والابل والبقر وغيرها من الحيوانات التي يستفيد من جلودها هذا الأدم هو الجلد المدبوغ وحتى يصل الي هذه المرحلة بمراحل قبلها منها مرحلة "التّمر" أو التمار وهي المرحلة التي يغمر فيها الجلد أو الجلود بخميرة من التمر أو الشعير أو الذرة أو غيرها حتى يتخمر ويتشبع ويلقي بشعره فتصبح إزالة الشعر عن الجلد سهلة وتنظيفه من الشعر غاية في السهولة وهذه المرحلة بالغة الحساسية بحيث لا يترك الجلد يمتص من هذه الخميرة فوق حاجته "فيتبشم" ويتهرأ ويتمزق ويصبح من عدة طبقات تنفصل إحداهما عن الأخرى ويصبح عديم الفائدة يرمى به ومتى أخذ الجلد كفايته من هذه الخميرة وأهلس شعره أخرج منها وجفف وفي هذه الحالة تكون مسام الجلد قد تفتحت وتهيأت لاستقبال الدباغ، الذي يكون من عناصر مرة مثل ورق الأرطي وورق العاقول وورق القرظ وخشب العرن وجذوره "والكرمع" ثمر الأثل وغير ذلك من الأشياء المرة من ورق وثمر وغصون وجذور الأشجار يغمر الجلد في سائل أحد هذه العناصر المشار اليها يمتص منها ما يتشبع ويجعله لينا عن ذي قبل حتى إذا جاءه الدهن من ودك وغيره ودعك به جيداً أصبح أديماً لينا يستخدم لمختلف الأغراض، هذه المهنة موادها الجلود ومتطلباتها الآنف ذكرها وهي مهنة واسعة الانتشار في المجتمع الحضري والقبلي على حد سواء ويشترك في أدائها الرجال والنساء لكن العنصر النسائي أكثر إسهاماً فيها من الرجل حيث أن دور الرجل يتمثل في إقامة المدابغ

الكبيرة في المدن أما المرأة فتكاد أن تكون كل إمرأة تدبغ ما تحتاج اليه من الجلود بنفسها، وتتفنن النساء في هذه المهنة وخاصة كبار السن منهن وذلك لخبرتهن الطويلة في هذا المجال، ولا يكاد يستغنى بيت من البيوت في الحاضرة والبادية من أكبر الناس مكانة الي ادناهم من اقتناء المنتجات الجلدية فالقرب هي أوعية الماء لحفظه ونقله وتبريده وهي بمنزلة الثلاجات في وقتنا الحاضر والصملان أو الاسقية والشكاء أوعية اللبن المفضلة التي لا بديل لها والأنحية والعكك والظروف هي أوعية السمن والعسل و "المكرش" هو وعاء الزبدة والعيبة والسفرة هي وعاء التمر والمزادة الجلدية والجراب التي يتخذ وعاء للطعام والبدرة التي تتخذ أوعية للنقود والجراب المعد وعاء للملابس والأشياء الثمينة وهي بمنزلة الخفية والغروب والدلاء والمخلات و "الأقلاص" الأوعية التي تستخدم لاستخراج الماء من أعماق الآبار والحذاء الذي يقي الانسان من وعث الطريق والحر والقر من ذات الاديم والسبت كل هذه المنتجات الجلدية التي يأتي تفصيل عنها في فقرة المنتجات الجلدية ضرورية للانسان في الحضر والبادية بالاضافة الي ما يتخذ من الجلد الذي يبقى عليه صوفه كمفارش مثل "الجاعد" أو ما يصنعه على مقدمة شداد مطيته مثل "الدويرع" أو ما يضعه على ظهر فرسه السرج وغير ذلك من المستلزمات الأخرى ومهنة هذه أهميتها وتلك متحاجها وهذا انتشارها في الحاضرة والبادية وتلك عراقة نشأتها وذاك العدد الكبير من الناس يعمل بها وبصفة خاصة النساء لهي من أهم المهن المماثلة لها واكثرها انتشاراً بين السكان.

ق- الخرازة:

مهنة الخرازة من المهن العريقة منذ أن اتخذ الانسان الخف والسبت لوقاية قدميه من شعث الأرض ووخز الشوك والوقاية من حرارة الرمضاء والدفء من شدة البرد، والمادة المستخدمة في هذه المهنة هي الجلود سواء ما كان منها أديماً مدبوغاً أو ما كان نيئاً يتخذ منه السيور، ولا تقتصر مهنة "الخرازة" على الأحذية وحدها وإنما تتعداها الي القرب والعياب والغروب والدلاء وأوعية الطعام والملابس والبدر وغيرها وهي مهنة واسعة الانتشار في المجتمع الحضري والقبلي وإن لم تكن بمفهومها التخصصي في الوقت الراهن فقد كانت الخرازة بمعناها التخصصي تتواجد بالمدن والبلدات وبعض القرى ومعناها العام منتشرة في المجتمع كله في الحاضرة والبادية وغالبا ما تجد الكثير من الناس هو الذي يخرز أواعيه الجلدية بنفسه إذا كان على مقدار من النباهة والحذق والفنية وقد يكون من بين كل اثنين وثلاثة أو مجموعة من يقوم بهذا العمل في الحضر والبدو على حد سواء ويعود ذلك لحذق الانسان وتردده في هذه المهنة واتقانه العمل فيها فكما هي مهنة دباغة الجلود منتشرة في كافة فئات المجتمع كذلك خرازتها منتشرة هي الأخرى ويشترك بهذه الرجال والنساء حين تقوم المرأة الحاذقة في خرازة قربتها وعيبتها الجلدية كما تقوم بخياطة ملابسها وملابس أبنائها وزوجها أما "الرفلاء" الخرقاء فإنها إما أن تستجدي فيها الأخريات أو تؤجر عليها كما تفعل بخياطة ملابسها وتجد الفلاح الحاذق يقوم بخرازة غروب سوانية ودلائها بنفسه وربما قام بخصف نعله أو صيانتها

وإصلاحها وهذا الوضع متوارث منذ أمد بعيد قبل بزوغ فجر الاسلام أما في المجال التخصصي المتعلق بصناعة الأحذية والنعال فهي تتركز بصفة خاصة على الأحذية إضافة الي الغروب والقرب وغيرها، فالأحذية كلها من مادة الجلد كما أسلفنا حيث تكون النعل من جلود الابل والبقر المدبوغة أما الشراك فمن جلد الماعز والضأن المدبوغة أيضا ويتفنن الخرازون بصناعة الأحذية وزخرفة شراك النعل بعدد من الجلود الملونة بالأصباغ ونقشها بالسيور والشرائح المغايرة للونها ويقوم بصناعة الأحذية الرجال لوحدهم كما يقومون بصيانتها وتعميرها ومع أن لبس النعال لم يكن منتشرا كما هو عليه اليوم إلا أنها كانت ضرورية للانسان المتحضر بصفة خاصة ولا غنى له عنها ولهذا فإن هذه المهنة ملازمة للانسان في المجتمع الحضري بدرجة رئيسة وللمجتمع القبلي بصفة جزئية ويعمل بها على المستوى العام المنوه عنه آنفا قطاع لا يستهان به من الناس من سكان الحاضرة والبادية وعلى المستوى الخاص عدد لا بأس به من سكان الحاضرة.

ر- الصباغة:

لم تكن مهنة الصباغة مهنة متخصصة بمعنى أن لها أناس معينون عملهم الصباغة بل كانت مهنة عامة تقوم على الصباغة في ثلاثة أشياء هي صباغة الملابس سواء أكان صبغها وهي خام لم تفصل أو صبغها بعد تفصيلها وخياطتها، وصباغة خيوط المنسوجات الصوفية وغيرها قبل نسجها وصباغة الجلود قبل تحويلها الي صناعة معينة والصباغة هي الأخرى التي عرفها الانسان

منذ القدم فقد عاصرت دباغة الجلود ولكنها ازدهرت بعد ذلك وتوسعت بصبغ الملابس ثم صبغ خيوط المنسوجات فيما بعد ومهنة الصباغة تختص بها النساء أكثر من الرجال حيث يقمن بهذه المهنة منذ عهد بعيد مما أكسبهن خبرة متوارثة عرفت من خلالها سر المهنة، والصباغة مهنة دقيقة تحتاج الي مهارة في تركيب الألوان كما تحتاج الي ذوق سليم لاختيار الألوان الجذابة والمريحة للنظر التي تبعث البهجة في النفوس والمادة المستعملة في الصباغة هي الأقمشة البيضاء والخيوط البيضاء والجلود العادية ومختلف ألوان الأصباغ التي تأتي على هيئة مساحيق أو كتل وحبوب وشذرات قابلة للذوبان في الماء وتتفنن المرأة بصباغة الملابس حسب ذوقها كما تتفنن في صباغة خيوط النسيج التي ستزين بها منسوجاتها وتبدع في زخارفها وألوانها كما تتقن صباغة الجلود التي تتخذ منها مصنوعاتها الجلدية ويستغلها الخراز في شراك النعال وغير ذلك هذه المهن التي تعتمد على الذوق هي مهنة قد نشأت منذ أن أصبح الانسان يتذوق الألوان ويعتني بها ويهتم بالألوان الجمالية وهي بطبيعة الحال مهنة مترفة تعتني بالجانب الجمالي والذوق الرفيع وينتج عنها الأشكال الجمالية التي يرتديها الانسان في ملابسه من الرجال والنساء على وجه الخصوص تزين بمنتجاتها المرأة ملابسها وتزخرف فيها مصنوعاتها الجلدية ومنسوجاتها الصوفية والقطنية التي تتخذ منها الأوعية الجميلة التي تعدها لملابسها وأغراضها الخاصة وهي بمنزلة الحقائب كما تزين بها الأوعية التي تزين كور المطية لزوجها أو أخيها أو أبيها من الخروج والمزادات المزخرفة والمنمقة وتحلى بها قواطع وعوارض بينها الصوفي وتزخرف

فيها المفارش والبسط التي تقوم بنسيجها كما يستفيد من انتاج هذه المهنة الخراز في الجلود التي يزين بها منتجاته من الأحذية وغيرها من المصنوعات الجلدية ولهذا فهذه المهنة مهمة يحتاج اليها الكثير من أفراد المجتمع من سكان الحاضرة والبادية على حد سواء.

ش- الحياكة والنسيج:

مهنة الحياكة والنسيج مهنة عريقة عراقة حضارة الانسان منذ أن استغنى الانسان بمنتجات هذه المهنة على لبس جلود الحيوانات والاستظلال والتدفئة بها وبدأ يرتدي الملابس المنسوجة من أصواف الحيوانات وأوبارها واشعارها ثم اهتدى الي الالياف الأخرى مثل القطن والكتان والحرير ومواد هذه المهنة في منطقة البحث تعتمد اعتمادا كليا على أصواف الحيوانات واشعارها وأوبارها إلا ماندر من القطن وترتكز بصفة خاصة على المنسوجات الخشنة وملابس التدفئة لجسم الانسان التي جرت الاشارة اليها والتي أشار اليها المؤرخون أما غالبية هذه المنسوجات فهي من النوع الخشن الذي يتمثل في شقائق بيوت الشعر والمفارش والبسط التي تفرش للجلوس والنوم ويتدثر بها عند النوم والأوعية الصوفية المعدة لنقل الأحمال وغيرها وتتركز هذه المهنة في المجتمع القبلي بصفة رئيسة وذلك للحاجة الماسة لمنتجات هذه المهنة من بيوت الشعر والأوعية المومى اليها يأتي بعد ذلك المجتمع الحضري الريفي منه وذلك لكثرة حاجتهم لمنتجات النسيج ولتوفر المواد الخام لهذه المهنة عندهم، ويعمل بهذه المهنة العنصر النسائي بصفة رئيسة في المجتمعين الحضري والقبلي يأتي بعد ذلك

العنصر الرجالي في المدن والبلدات في مناطق معينة وتعتمد هذه المهنة على المواد الخام المحلية لتصنيعها بعد أن كانت مواداً تطير بها الرياح وتحولها الي سلعة ذات قيمة من بيوت شعرية تقي الانسان الحر والقر ومفارش وأغطية يجلس عليها ويتدثر بها وأوعية يحمل بها الأطعمة والممتلكات والنسيج في هذه الحالة على مستويين، مستوى عام يتطلب القوة والمتانة ومستوى خاص يتطلب الي جانب القوة والمتانة الذوق والفن، فالمستوى العام هو إنتاج النسيج الأسود العادي الخشن الذي تتخذ منه بيوت الشعر وأوعية الأحمال وبعض الفرش "العُدُول" مفردها عدل وغير ذلك من المطلبات الخشنة وهذا المستوى لا يتطلب كبير جهد ولا كثير عناء في انتاجه فهو عبارة عن صوف أسود ينفش وينظف من عوالقه ثم يغزل ويبرم بلونه الطبيعي في خيوط طويلة على هيئة لفافه أو "دُرُعَة" ثم يمدد على هيئة شقائق من السُّدو واللُّحْمَة ويتم نسجه ممدودا على الأرض على ارتفاع قليل عنها بآلات بدائية لا يحتاج الي تزيين أو ترتيب زخارف ونقوش يخرج شقيقة سوداء بعرض يتروح ما بين نصف متر الي متر وربما أعرض من ذلك وأقل وطول قد يصل الي ثلاثين متراً وأكثر من ذلك وأقل حسب الحاجة ثم تخاط هذه الشقائق مع بعضها لتكون البيت الشعري أو تقطع وتكون منها الأوعية والفرش حسب الحاجة، أما المستوى الثاني وهو الذي يعتمد على الفن والذوق من تجمع الصوف والوبر والشعر الملون الأبيض أو ما هو قريب من الأبيض حتى يكون قابلاً للاصباغ التي تلونه أو أن تكون ألوانه الطبيعية قابلة للتشكيل كاللون الأحمر والأشقر واللون البني الغامق والفاتح

والأشقر والأسفع وغير ذلك من الألوان بحيث تكون هذه الألوان الطبيعية أشكالاً جمالية متميزة وبعد انتقاء هذه الالوان من الأصواف البيضاء وما يقاربها يجرى صبغها إما قبل الغزل أو بعد أن تكون خيوطا جاهزة وهذا الأخير أرجح وتبدأ عملية التفنن في مختلف الألوان المتعددة التي تخرج منها المنسوجات الصوفية والوبرية الرائعة التي تتخذ كتحف للزينة ولاستخدام الفرش والأغطية الخاصة المتخذة للزينة وتخضع العملية لذوق صانعة هذا النسيج وما ترسمه في هذا النسيج من الزخارف والنقوش الجذابة سواء فيما ترسمه في هذه المنسوجات الخاصة أو ما تقوم به من تحلية بيت الشعر من الأروقة والقواطع المزركشة والمنمقة بالنقوش والزخارف الجميلة التي قلما تخلو أروقة بيت شعري من هذه الحلية الجذابة التي ترتاح العين لمنظرها والمرأة التي تعمل هذه الصنعة تعمل طول يومها فلا تكاد يديها تفرغ من عملها الضروري حتى تلتقط مغزلها كما مرَّ بنا آنفا فتراها تغزل وهي جالسة في بيتها أو عندما تتحدث مع صويحباتها في جلساتهن أو عندما ترعى غنمها وفي أي مكان تراها والمغزل رفيق كفيها وأناملها حتى تحول وتراكم على متنه هذا الصوف الي خيط واحد ومادة ذات قيمة تكون منها من مثيلاتها هذه المنسوجات الكثيرة والثمينة ولا تكاد المرأة العاملة بهذه المهنة أو مجموعة النساء أن تنتهي من إنجاز قطعة معينة من النسيج حتى تشرع في أخرى ويكاد يكون العمل بهذه المهنة لا يعدو كونه بجهود فردي أو على هيئة مجموعات صغيرة جداً، ولكن كثرة هذه المجموعات والمجهودات الفردية في نهاية الأمر تأتي بحصيلة طيبة من هذه المنسوجات التي تمثل بدورها فائضا عن الحاجة

المحلية ومادة للتصدير يصدر منها للبلدان المحتاجة إلى هذه المنسوجات داخل المنطقة أو إلى الأقطار المجاورة وهي بمكانة سلعة ذات قيمة أما ما يتعلق بالمنسوجات الدقيقة وأعني بذلك الملابس فإنها أقل انتشاراً حيث تحتاج إلى أوبار الابل لأنها أكثر ليونة من غيرها وهي تناسب للرجل أكثر من المرأة نظراً لرقة بشرة المرأة وإذا اضطرت المرأة أن تلبس من الأنسجة الوبرية لوحدها دون أن يكون تحتها من الملابس القطنية فإنها تضطر إلى وضع شيء من الوبر المنقوش بين الكساء وبين المواضع البارزة من جسدها مثل ثدييها لتقيهما تأثير اللباس الخشن وغالبا ما تكون المنسوجات الوبرية والصوفية فوق الملابس القطنية للتدفئة في أيام البرد وهكذا نرى أن هذه المهنة ذات أهمية كبيرة للانسان في هذه المنطقة التي نشأت فيها منذ القدم.

ت- صناعة الخوص:

مهنة صناعة الخوص مهنة حضرية في بيئة الفلاحين وهي صناعة قديمة منذ ما قبل بزوغ الاسلام، وقد نشأت منذ أن حاول الانسان الاستفادة من خام خوص النخل في بيئة الفلاحين حيث يتم صنع الأوعية والأواني من زنابيل وزبلان ومكاتل وقفف وفرش وسفر للطعام والأطباق وأوعية تعبئة التمر ونقله من الخصف والقلل وغيرها من مادة خوص النخل، والمادة المستخدمة في هذه المهنة كلها من النخلة وهي تتكون من الخوص والليف والعراجين ويتحكم خوص النخلة في جودة درجة المصنوع منها فما كان من عسب قلب النخلة أو ما يقاربه وهو الخوص الأبيض الناصع القوي اللين وهذا تصنع منه القفف

الصغيرة وسفر الطعام المزركشة الجميلة والسلال المزركشة الجميلة والأطباق الجميلة القوية ولكونه أبيضاً فإنه قابل للصبغ في ألوان مختلفة زاهية، وما كان من عسب "النَّوَادَّ" وهي المحيطة بالقلب فهي أقل بياضاً من سابقتها وإن كانت مثلها في المتانة فيصنع منها الزنابيل الوسط و "المناقل - الوقر" وهي التي ينقل بها التراب على الدواب وغيرها وما كان من خوص "الحضايا" وهي التي بعد النواد ويكون خوصها أقل بياضاً وهي إلى الخضرة أقرب وأقل متانة وطراوة من سابقاتها فيصنع منها الزنابيل الكبيرة والمفارش الطويلة الخشنة والزنابيل الصغيرة "المحافرة" مفردها محفر وهي الخاصة بنقل التراب من مكان الي آخر واخراج التراب من الآبار أثناء حفر الآبار وتعميقها وغيرها كما يصنع منها حبال الخوص لغرض استخدام الفلاحين وكل هذه المنتجات يستخدم فيها الخوص فقط للسَّفُّ والخياطة أما العُرَى لكل هذه المنتجات فتكون من الليف ما عدا الأطباق والسلال فإنه يستخدم فيها العرجون على شقائق رفيعة يتم النسيج عليها وتكون عرى سفر الطعام أحيانا من القماش هذه المهنة تقوم على عاتق المرأة وبسف أناملها وتوجيه أظفارها بدرجة رئيسة يشاركها فيها الرجل في بعض الأحيان باسهام قليل في المدن الكبيرة، وتتفنن المرأة بصبغ الخوص الأبيض لتخرج منه ألوانا متعددة تزخرف وتنقش بها منتجاتها الصغيرة من الأطباق والسلال والقفف الصغيرة حيث تخرجها روعة في الجودة والاتقان وحسن الصنعة وبالاضافة الي المنتجات المشار اليها هناك الأطوار الأخيرة من سعف النخلة تنتج منه المكانس وعراجينها بما فيها من شماريخ تستعمل للكنس الخشن

لتجميع الأشياء والأجسام الكبيرة وتسد هذه المهنة فراغاً كبيراً من الأوعية المنزلية حيث تسير منتجات الخوص جنباً الي جنب مع منتجات الحداد والنجار والحائك بل هناك خدمات لا يصلح لها سوى منتجات صناعة الخوص وقد لا يستغنى أحد في الحضر عن منتجات مهنة صناعة الخوص خاصة في بناء البيوت حيث ينقل بها الطين الحر اليابس من مقاطعه وقد ينقل بها الطين المخلوط من مكان لآخر وفي حفر الآبار وتعميقها لا يمكن الاستغناء عن منتجات الخوص وكذا الحال عند نقل الحبوب والتمور وتخزينها وحتى التاجر في دكانه فإنه يضع بعض بضاعته في زنابيل وغير ذلك كثير فهذه المهنة كما تقدم سابقا تقوم على سواعد المرأة بصفة رئيسة ومن تحت أصابعها وكما رأينا المرأة في المجتمع القبلي يلازمها مغزلها فإننا نرى المرأة في المجتمع الحضري الفلاحي يلازمها خوصها وسفيفتها فتراها مع صويحباتها إما أن تقمع الخوص بتكسير أطرافه الصلبة من جهة أصوله أو تشققه على رغبتها أو تسفه أو تخيطه ويديها دائما في العمل بهذه المهنة إذا لم يكن عندها شغل آخر غيرها وتنتج المرأة الحاذقة ما يكفي لاحتياجها وتهدي الفائض أو تبيعه لمن يريد شراءه وبهذه المناسبة لا يفوتني أن أذكر إمرأة اشتهرت في زمن لاحق بالسفيف واسمها "ثريا بنت فهد الحامد" من سكان مدينة الروضة بمنطقة حائل عاشت فيها وتوفيت رحمها الله حوالي عام ١٢٨٠هـ كانت هذه المرأة تسف الخوص وتعمله قفف وزنابيل وأطباق وغيرها ثم تبيعها بخوص خام ثم تصنعه وتبيعه على نفس الوتيرة وهكذا دواليك حتى ضرب بها المثل في الأمر الذي لا حصيلة وراءه فيقال "سيف ثريا الحامد"

وإن كان مجيء هذه المرأة قد تأخر حوالي ثلاثة قرون عن الفترة التي نبحث فيها لكن أوردت خبرها من باب الشيء بالشيء يذكر، وتبرع النساء المسنات في هذه المهنة لطول خبرتهن فيها، وإن كان العمل بهذه المهنة يشغله بدرجة رئيسة النساء في الحضر الي جانب المهن الأخرى من دباغة الجلود والنسيج والخياطة إلا أن هذا الكم الهائل في نصف المجتمع الفاعل له انتاج يشغل حيزاً كبيراً من احتياجات الناس في الحاضرة والبادية وما زاد عن ذلك فيصدر للبلدان المجاورة وهكذا نرى هذه المهنة قد أدت واجبا مهماً وسدت ثغرة ما كان يسدها غيرها.

ث- صناعة الحبال:

هذه المهنة وإن لم تكن مهنة مستقلة ذات شخصية معلومة إلا أنها كانت قديمة قدم حضارة الانسان وهي مهنة تقوم في هذه المنطقة على صناعة الياف النخيل وخوصها وعلى القد من جلود الابل والبقر النية غير المدبوغة وعلى بعض الياف النباتات الأخرى هذه المهنة في المجتمع الحضري بصفة رئيسة حيث أن هذا المجتمع يقوم بهذه المهنة ويستهلك معظم منتجاتها أما المجتمع القبلي فإنه لا يستهلك سوى حبال متح الماء من الآبار الجوفية للشرب وسقيا الأنعام أما الحضر وخاصة الفلاحين منهم فتكاد حياتهم وحياة مزارعهم تتوقف على منتجات هذه المهنة من الحبال ففي هذه الحبال يخرج الماء من أعماق الأرض فيشرب منه الناس ويسقون أنعامهم ومزارعهم ونخيلهم ويقوم بهذه المهنة قطاع كبير من الفلاحين ولا يكاد يوجد فلاح إلا ويعمل بهذه المهنة هو ومن معه

ومن يجلس عنده فترى الفلاحين في أوقات فراغهم من أعمالهم الأخرى يستخرجون الليف أو الحلب من النخل بشائق كبيرة ثم ينظفونه ويلسنونه الي شقائق صغيرة تسمى لسون أو "وسون" ويفتلون هذه النسون الي حبال طويلة ثم يبرمونها لتزداد احكاما ثم يدمجون بعضها الي بعض لتكون فرعين أو ثلاثة فروع "بتين" أو ثلاثة "بتوت" تكون حبلا واحدا جيدا وربما أربعة فروع أو خمسة حسب الحاجة لكن المفضل هو ثلاثة فروع وبأطوال مختلفة تبعاً للمطلب وقد تكون الحبال دقيقة لينة أو غليظة خشنة وقد تكون حبال ليف صافي لأغراض معينة كالمقاط وهو أحد حبلي الدلو الأمامي وهو الدقيق وقد تكون هذه الحبال ملفوف عليها القدّ ليعطها قوة ومتانة عن حك المحالة وهذا النوع يستعمل أرشية والرشاء هو الحبل الرئيس الغليظ الذي يخرج الدلو أو الغرب من البئر، أما الأغراض الأخرى فتبقى حبال ليف خالص وقد يلف على الحبل نوع من القماش نكسبه بعض الليونة إذا كان سيمسك باليد أو سلامس جلد حيوان كالبعير وغيره أما حبال الخوص فهي تفتل من ورق خوص النخل الأخضر المدقوق وتستعمل لعدة أغراض من ضمنها أن تكون مقاطا للدلو وهي تكترب وتقصر عندما تبتل بالماء وترتخي وتطول عند ما تجف ولذلك يضرب بها المثل للانسان الذي لا يثبت على موقف معين فيقال عنه "فلان محزم خوص" أي لا يعتمد عليه حيث يرتخي عن موقفه بعد قليل أما الحبال الجلدية فلا يكاد يستعملها غير الفلاح الذي يصنع من جلد البعير أو البقر النيء الذي لم يدبغ فيقده شريحة واحدة ثم تدمج منه عدة فروع تتخذ منه الأرشية للسني كما

مقاطا أو يبقى سيراً واحداً ويتخذ منه السريح وهو أحد حبال الدلو مثل المقاط وذلك ينفع في فصل الشتاء والربيع، هذه الحبال التي يعتمد عليها الفلاح بدرجة رئيسة كما يعتمد عليها الجمّال في نقل الأحمال كما يعتمد عليها ابن البادية للغرب والسقيا من الآبار والمناهل والموارد وهكذا نرى أهمية هذه المهنة في مختلف قطاعات المجتمع ولعدد كبير من الناس الذين يعملون بها وهي مهنة يعمل بها الرجال بدرجة رئيسة والنساء على نطاق ضيق.

ح- الجزارة:

لم تكن مهنة الجزارة مثلما هي عليه الآن مخصصة لبيع اللحم، فلم يكن اللحم يباع بطريقة كما هو عليه اليوم وإنما كان يباع على هيئة ذبائح لكل مجموعة من البيوت أو حي من الأحياء يشتركون في شاة أو بقرة أو بعير يذبحها الحاذق منهم في الذبح ويشترك المجموعة أو بعضهم في سلخها وتقسيمها الي أقسام بعدد المشتركين فيها ومنذ القدم والعربي إذا حل به ضيف أو اشتهى اللحم نحر البعير أو عقره ثم نحره لضيوفه وذبح الشاة وسلخها أو ساعده أحد من جيرانه وأقاربه ويعد ذلك من مفاخره التي يفتخر بها من أنه ينحر الناقة السمينة الكوماء لضيوفه يساعده أقاربه وجيرانه في عملية السلخ والتقطيع ولم يترفع أحد عن هذا العمل حتى كبار القوم والشواهد على هذا من الشعر العربي أكثر من أن تذكر ومن يقوم بهذه المهنة هم الحذاق بها مثلها مثل المهن الأخرى لم يشعروا بأي حرج وما كان عملهم بها من باب الامتهان وإنما كان من باب المساعدة والفزعة ولاينالون من ورائها أجراً معينا في الغالب إلا شيئاً من اللحم

ويعمل بهذه المهنة الرجال بصفة رئيسة والنساء عند الضرورة في المجتمع الحضري والقبلي ولم يتخذ أحد من كبار القوم أناساً مخصصين من أجل عمل الجزارة حسبما اطلعت عليه إلا في مضيف السلطة أو من يقاربونهم أما غالبية الناس ومن هم مكانتهم فترى الواحد منهم ينبري لهذا العمل رجاله ورفاقه ليكفوه تعب مثل هذا العمل اللهم إلا إذا استثنينا السلطة الحضرية أو القبلية الآنف ذكرها والتي يكون لديها مضيف عام يكثر فيه النحر والذبح يوميا للضيوف فهذه تتبع مهنة اختصاص المطبخ وهذه المهنة لا يستغنى عنها أحد ويقوم بها معظم الناس إلا من لا يستطيع القيام بها أولا يحذق عملها وكما أشرنا أن العربي في هذه الفترة التي يهتم بها البحث بهذا المنطقة لم يكن ليبيع اللحم وإنما يقدمه لضيوفه وقاصديه وزواره بالمجان ولذلك فهذه المهنة تكاد أن تكون شاملة بين الناس كل يستطيع أن ينحر البعير أو يذبح البقرة والشاة ويسلخها دون الحاجة الي أحد إلا من باب المساعدة فيما يختص بالبعير ولهذا فلم تكن المهنة لها شخصية مستقلة كبقية المهن الأخرى إلا ماء في المدن حيث يوجد سوق للجزارين كما أشير إلى ذلك سابقاً.

ذ- مهنة الخياطة:

مهنة خياطة الملابس قديمة قدم ارتداء الانسان للملابس المخيطة وهذه المهنة في منطقة البحث من اختصاص المرأة سواء في المجتمع الحضري أو القبلي غير أنها تتركز في الحضر بدرجة رئيسة حيث يحتاج المجتمع القبلي الي ملابسه المخيطة من المجتمع الحضري وتقوم النساء في المجتمع الحضري بخياطة الملابس

الجديدة الرجالية والنسائية وبيعها على سكان البادية عن طريق التجار في المدن والمدان والقرى وتبقى عملية صيانة هذه الملابس من ترتيق فتوقها وترقيع شقوقها مهمة المرأة في البادية ومن مهمة كل زوجة خياطة وترتيق ملابس زوجها وأبنائها وبناتها وأقاربها في المجتمع الحضري والقبلي وذلك فيما يحتاج الي خياطة كالثياب والقمصان والجبب وغيرها أما ما كان من طبيعة ارتدائه اللف كالرداء والعمامة والازار فلا يحتاج الي خياطة وإنما يكون قطعة واحدة تلف على الرأس أو أعلى الجسم أو أسفله وهذه الملابس غالبة في الانسان العربي في منطقة البحث وتأتي هذه الأنواع من الملابس من خارج الحدود من اليمن وحضرموت والبحرين "الأحساء" والعراق وفارس والشام ومصر ومكة والمدينة وغيرها كالهند والسند وبلاد شرق آسيا.

أما ما يصنع محليا من هذه الملابس ويخاط فتقوم به المرأة بصفة رئيسة وربما ساهم الرجل في المدن بالخياطة كنوع من التجارة وتبرع بعض النساء بهذه المهنة وتشتهر عند بنات جنسها لجودة خياطتها وجمال النقوش التي تخيط بها الملابس فتنصب عليها الثروة من هذه القناة وتستوفي الخيّاطة أجرة خياطتها للملابس من النقد والطعام والشراب وغيره، وهي مهنة ذات أهمية لا يستهان بها ولا يستغني عنها أحد كائن من كان.

ض- الغزو:

إذا صح لنا أن نسمي الغزو والسب والنهب مهنة فإنها ليست كالمهن الأخرى لها كيان وإنما هي ظاهرة اجتماعية تكثر في المجتمع القبلي بدرجة رئيسة

وتقل في المجتمع الحضري ويعدها الأفراد والمجموعات الذين يمارسونها مفخرة من مفاخرهم إذ أنهم ينتزعون لقمة عيشهم من حناجر الطيور كما يقولون!! وقد يكون لهذا الدافع في الأغلب الحاجة والعوز وضيق مسالك العيش من الفئات الفقيرة من المجتمع، وربما كان واقعها من هم أقوى من الفئة السابقة هو حب الانتقام من الآخرين وذلك بقتلهم وسلب أموالهم وممتلكاتهم وقد نوهنا عن هذا المنحى ضمن أهداف الحرب وقد يكون دافعها من منطلق حب السلب والنهب للتعبير عن حالة الفوضى وانعدام الأمن، وقدتكون من منطلق إثبات أن البقاء للأقوى وهؤلاء الذين يسلكون هذا المنحى يحاولون أن يثبتوا للآخرين أنهم لا يزالون أقوياء يستطيعون أن يعتدوا على الآخرين ويسلبون ما بأيديهم حتى يهابهم الآخرون متى رأوا قوتهم وهي في كل هذه المبررات في نظري وضيعة وبغيضة وفيها إجرام بحق الآخرين لأن قوامها العدوان وقتل الناس أو إيذائهم وسلبهم أموالهم وممتلكاتهم وحرياتهم وتشتيت شملهم وتفريق أسرهم، ويا ترى من هؤلاء الناس؟ والاجابة على هذا التساؤل تحز في النفس وينفطر لها القلب أمّاْ إذا علمنا أن هؤلاء الناس هم إخوانهم في الدم والدين والوطن والمصير المشترك؛ إنهم ابناء عمهم الذين تختلط دماؤهم وتشتبك أرحامهم إنهم جيرانهم وإن كانوا من فرع قبيلة أخرى ثم تأتي الغارة من الأخ على أخيه ومن ابن العم على ابن عمه ومن الجار على جاره من أجل أشياء تافهة ولقمة عيش مرة، فلو أردنا تبرير مثل هذه الأعمال تحت عامل الحاجة والعوز فإن ذلك لا يبرر القتل من أجل أشياء تافهة ولو أردنا إدراجها تحت المفاهيم الأخرى فإنها أوجع وأنكى؛

وعلى العموم فإن هذه الظاهرة أو المهنة إذا صح التعبير كانت موجودة عند الأعراب في جاهليتهم وجاء الدين الاسلامي الحنيف فوجهها الوجهة السليمة التي سارت عليها حينا من الدهر إبان اتساع رقعة العالم الاسلامي ثم انحرفت في هذه البقعة مرة أخرى واستمرت حتى مَنَّ الله على هذه المنطقة بالأمن و الاستقرار فضلاً أنظر كتابنا "الحروب والمجاعات والأمراض" وأثرها على التركيبة السكانية في نجد.

٣٦- نظرة البعض لأصحاب المهن:

كل مهنة من المهن ينتج عنها مردود معين يوفر سلعة من السلع التي يحتاج اليها المجتمع، أو يؤدي خدمة من الخدمات التي يكون المجتمع بأمس الحاجة اليها وكل مهنة من تلك المهن التي مرَّ ذكرها مرتبطة أشد الارتباط بمهنة أخرى غيرها أو أكثر ولا تستطيع الوقوف على قدميها إلا بمساعدة المهن الأخرى ومعاضدتها ولا يمكن لأي إنسان أن يستغني عن انتاج أكثر من مهنة من تلك المهن ولو نظرنا بامعان الي المهنتين الرئيستين لوجدنا أنهما لا يمكن أن تؤدي أي واحدة منهما عملها على الوجه المطلوب إلا بمساعدة ومعاضدة عدد من المهن الأخرى كما سبق أن أشرنا اليه آنفا فلو نظرنا الي مهنة الفلاحة مثلاً فإن الفلاح لا يمكن أن تقوم له قائمة بدون منتجات النجارة التي تتمثل في عدة البئر من محال ودراج وأقتاب وغيرها وهي عصب عمل الفلاح بالاضافة الي بعض أدوات الحرث ولا يمكن أن يستغني عن منتجات مهنة الحدادة مثل أدوات الحرث من محاريث ومساحي ومسامير ومخالب وغيرها ولا يمكن أن يتم له عمل

بدون منتجات الخراز والدباغة من الغروب والدلاء التي يخرج بها الماء من أعماق الأرض ويصعب عليه استخراج الماء دون الاستعانة بمنتجات صناعة الألياف من الأرشية والحبال التي يخرج بها الماء من أعماق الآبار ومنتجات السفيف مثل ذلك وغيرها فحتى يستطيع أن يزرع وينتج على الوجه المطلوب لابد أن يستعين بكثير من منتجات المهن الأخرى ويكاد الوضع يتشابه مع مهنة الرعي فلا يمكن لمهنة الرعي أن تتم على الوجه المطلوب دون الحاجة الي المنتجات العديدة من المهن الأخرى فالماء الذي يسقي به الراعي قطعان أنعامه لا يخرج من جوف الأرض إلا بمنتجات دباغة الجلود والخراز والنجار وصانع الألياف ولا يمكن حلب ميرته على ظهور الابل إلا فوق منتجات النجار وصناعة النسيج ولا يمكن أن يقوم بيته الشعري على الوجه الأكمل إلا على منتجات الحداد والنجار ولا يستطيع أن يدافع عن نفسه وكيانه واسرته أو أن يعد لهم طعامهم إلا بمنتجات الحداد وقل ذلك على بعض المنتجات الأخرى هاتان المهنتان اللتان يترفع أصحابهما عن بعض المهن الأخرى وينظرون لمن يمتهن بعض المهن نظرة دونية بأقل من مستواهما الي أن وصل الأمر بهما الي عدم مصاهرة من يمتهنون بعض المهن الأخرى وبلغ الأمر حداً لا يمكن وصفه إلا بالتطرف والتهور وهو أن أي إنسان إمتهن مهنة من تلك المهن فقد أسقط أصله القبلي وأصبح من فئة الصناع لا يمكن التصاهر معه حتى لو كان هذا الانسان واحداً منهم فلمجرد امتهانه هذه المهنة يعتبر خارجاً عن القبلية وداخلاً في فئة الصناع وقد ولد هذا المفهوم الكثير من المآسي والكوارث في موضوع الزواج التي قد تصل الي حد القتل

لأحد الزوجين أو التفريق بينهما رغماً عن إرادتهما مما كان له أثر سيء على المجتمع فقسم المجتمع الي قسمين هذا المفهوم الوهمي الخاطيء الذي أوجد تحت ستار المجاملات وقد تعرض الشعراء العاميون لهذا الجانب في العصور المتأخرة بأدلة شعرية لا داعي لا يرادها.

ولو نظرنا بامعان لهذه المهن لوجدنا أنها مهن لكسب العيش من مصدر شريف وتجنباً لذل السؤال تمشيا مع الأنفة والكرامة العربية التي تحتم على الانسان أن يعيش رافع الرأس يكسب لقمة عيشه الحلال بنفسه وعرق جبينه دون أن يضر أحداً أو يذله أو يقتله من أجل حصوله على لقمة يومه وتنفيذا لتعليمات ديننا الاسلامي الحنيف الذي أوصانا بالكسب الحلال تجنباً للحاجة والعوز والفقر الذي يضطر الانسان الي ذل السؤال أو ارتكاب الجرائم ليحصل على لقمة العيش وكما جاء في الأثر: صنعة في اليد أمان من الفقر، ولأن هذه المهن هي نسيج اجتماعي حضاري تشتبك وشائجه وتتلاحم خيوطه في البنية الاجتماعية الحضارية بحيث لا تستغنى مهنة عن أخواتها ولتؤدي كل مهنة وظيفتها على الوجه الأكمل والمطلوب: والمفروض أن يفتخر أصحاب هذه المهن التي تصنع حضارة الأمة وتقدمها لبنة لبنة على مر السنين والعصور حتى تصل الي القمة أو قربها ودليلنا على ذلك ما يعيشه عالم اليوم من النهضة الصناعية الهائلة التي أخذت زمامها الأمم الواعية التي كان أساسها مثل أساس ما عندنا لكنهم بالوعي والتشجيع والدعم وصلت تلك الأمم إلى ما وصلت اليه.

وصرنا للأسف ونحن نحتقر المهن والمتهنين لتلك المهن نستجدي الأمم الأخرى من فتات ما وصلوا اليه.

وإذا كان أولئك الذين يحتقرون بعض المهن والمهنيين ويترفعون عن هذه المهن لرداءتها فهم يعملون بجزء منها مثل دباغة الجلود والخرازة والحياكة وإذا كان ترفعهم عن مهنة الحدادة مثلاً من أجل رائحة الكير وصدأ الحديد والنحاس فإن هناك ما هو أسوأ رائحة ومنظراً وملمساً مما تتقزز منه النفس ومع هذا لم يروا فيه أي كراهية ولا يحتقر فاعله، هذا تلميح موجز قد يكشف عن خطأ هذه النظرة التي تنظر الى الوراء وربما تطل على العهد الجاهلي الذي سبق بزوغ نور الإسلام الذي أمرنا بالعمل كل في مجال اختصاصه ليكسب لقمة عيشه الحلال بطريق مشروع وبعض أصحاب هذه النظرة المتأخرة ربما فضل مهنة الغزو والسلب والنهب لأموال الناس من العرب المسلمين إخوانه في الدم والدين والتراب والمصير المشترك يفضل قتلهم وسلب أموالهم على أن يعمل في مهنة شريفة يعيش منها والأدهى من ذلك وأمر أن يعتبر صاحب هذه النظرة العمل العدائي مفخرة من مفاخره في الوقت الذي ينظر فيه لما يجب أن يفتخر به وهي الصناعة نظرة دونية هذه النظرة التي لا يزال لها بقاياها حتى الآن. لكن الجيل الواعي كما يبدو قد أدرك خطأ هذه النظرة فبدأ التسابق في المجال الصناعي بمختلف تخصصاته دونما تمييز ونرجو من الله أن تعم هذه الصحوة وتدفن تلك النظرة البالية في اسمالها وأطمارها الرثة المتهرئة الى الأبد.